

الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

تحرير: ديفيد كانتر

ترجمة وتقديم
جيهان الحكيم



المركز القومي للترجمة

2233



في هذا العمل ، يحاول مجموعة من الخبراء الدوليين والمتخصصين في مجالات معرفية متعددة، أن تقدم خلاصة تجربتها في مواجهة للإرهاب والقضايا الآنية المرتبطة به في عصرنا الحديث. ويعتبر الإرهاب ذو الجذور الإسلامية والقضايا الحالية المتصلة به، محور تركيز هذا العمل. إلى جانب عدة قضايا أخرى وثيقة الاتصال بقضية الإرهاب عموماً كالعلاقة بين الجريمة المنظمة والعنف المتطرف. كما يحاول إلقاء الضوء على مجموعة من الأنشطة الإرهابية الأخرى بخلاف العمليات الانتحارية والتفجيرات، مثل جرائم الاختطاف مقابل الفدية. فضلاً عن شكل جديد من أشكال الإرهاب الحديث، وهو إرهاب الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت. كما يبحث المساهمون في هذا العمل أيضاً ديناميكيات شبكات الاتصال الاجتماعي، التي تعتمد عليها معظم المجموعات الإرهابية اليوم بشكل حيوي ومتزايد. يقدم لنا هذا الكتاب خلاصة ما اتفقت عليه فروع معرفية متعددة بحثت في طبيعة ظاهرة الإرهاب وأقرت تعدد وجوهه وأشكاله في عالمنا المعاصر.



الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2233
- الوجوه المتعددة للإرهاب: وجهات نظر وقضايا مختلفة
- ديفيد كانتر
- جيهان الحكيم
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

The Faces of Terrorism: Multidisciplinary Perspective

Edited by: David Canter

Copyright © 2009 by John Wiley & Sons Ltd.

This edition was first published in 2009

Arabic Translation © 2014, National Center for Translation

Authorized translation from the English language edition published by Blackwell Publishing Limited. Responsibility for the accuracy of the translation rests solely with National Center for Translation and is not the responsibility of Blackwell Publishing Limited. No part of this book may be reproduced in any form without the written permission of the original copyright holder, Blackwell Publishing Limited.

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الوجوه المتعددة للإرهاب

وجهات نظر وقضايا مختلفة

حرير: ديفيد كانتر

ترجمة وتقديم: جيهان الحكيم



2014

الوجوه المتعددة للإرهاب: وجهات نظر وقضايا
مختلفة/ ترجمة وتقديم: جيهان الحكيم. -
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
٤٦٤ص: ٣٤ سم.

تدمك ٢ ٦٩٨ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الإرهاب

أ - الحكيم، جيهان (مترجم ومقدم)

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٧٩٠ / ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 698 - 2

ديوى ٣٦٤.١٣١

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

7	تقديم
13	مقدمة
17	الفصل الأول: الإرهاب: طبيعة متعددة الوجوه - مدخل ١ ديفيد كانتر
45	الفصل الثاني: من السذاجة إلى الاحتراف: نشأة الجماعات المسلحة بأيرلندا الشمالية نيل فيرجسون ومارك بورجس
69	الفصل الثالث: الخطاب الديني للجهاد المسلح سودهانشو سارنجي وديفيد كانتر
111	الفصل الرابع: دراسة حالة: لغز الإرهابي فاهيم خالد لودهي. من وجهة نظر غريبة كليف وليمز
127	الفصل الخامس: دور الظلم في نشأة الإرهاب السياسي المعارض: مقارنة بين منظمة الفتح، وفارك، ويرا جيفري إيان روس
159	الفصل السادس: دراسة حالة: مجموعة ١٧ نوفمبر: آخر مجموعات أوروبا الثورية الإرهابية. جورج كاسيميرس
197	الفصل السابع: الإرهاب والجريمة المنظمة: بعدا نظريا ديباك ك. جوبتا، وجون هورجان وألكس ب. شميدت

219	الفصل الثامن: الشبكات الإرهابية سيكولوجية المجموعات الصغيرة - سام موليتز
239	الفصل التاسع: دراسة حالة - عصابات الشباب والإرهاب بالشيستان: التجنيد والأنشطة والشبكات - مايكل فيشنيفسكى
267	الفصل العاشر: عدو عدوى، هو صديقى كيفين بورجيسون وروبن فاليرى
297	الفصل الحادى عشر: صفقات الاختطاف مقابل فدية أفراد فيليبس
327	الفصل الثانى عشر: دراسة حالة - رمزان قادىروف فى الشيستان: القيادة السلطوية بالقوقاز جون راسل
355	الفصل الثالث عشر: من ٧/٧ إلى ٨/١٠: الإطار الإعلامى لحوادث الإرهاب بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية مارى برنزون ومايكل ستول
383	الفصل الرابع عشر: إرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت): الإرهاب العالمى الجديد . أماندام شارب باركر
401	الفصل الخامس عشر: فك الاشتباك مع الإرهاب جون هورجان
429	الفصل السادس عشر: فك الاشتباك مع الراديكالية وبدء النزول على السلم الإرهابى فتحالى م. موغدم

تقديم

أفرد هذا الكتاب فصلا تفصيليا كاملا عن الإرهاب ذى الجذور الإسلامية وارتباطه بحركة الجهاد الإسلامى. ومن المشاهد والموثق أيضا أن الربع الأخير من القرن السابق، قد شهد تناميا ملحوظا للحركات الأصولية لعدة أديان. وأن ذلك قد تزامن مع أقول نجم الأيديولوجيات الملحدة كالشيوعية، على سبيل المثال. ومن الأمثلة المهمة على تنامى الأصولية، انتشار المجموعات المسيحية المتطرفة، وكذلك انتشار المجتمعات الأرثوذكسية بإسرائيل. إن أهم ما يميز حركة الجهاد الإسلامى عن هذه الحركات الأصولية، هو انتهاجها لأسلوب العنف، بهدف قلب الأنظمة العربية السائدة وتحولها إلى أنظمة حكم دينى، وإقامة نظام الخلافة الإسلامية طبقا للسلف. من أهم الأسئلة التى يحاول هذا الفصل الإجابة عنها: أسباب تأييد شباب المسلمين لفتاوى الجهاد الإسلامى، بينما يقدم لهم الإسلام طرقا أخرى أكثر سماحة، يبرهنون من خلالها على قوة إيمانهم. ومن بين المجموعات المسيحية المتطرفة، تعتبر مجموعة الأمم الآرية، الأكثر تطرفا.. بل تعد من أشدها كراهية وعنصرية، لكل من لا ينتمى إلى الجنس الأبيض الآرى، حيث يؤمن أعضاؤها بإيماننا راسخا بتفوق وسيادة الجنس الأبيض الأنجلوسكسونى على بقية الأجناس. وعلى الرغم من تركيز الولايات المتحدة الأمريكية عقب أحداث ١١/٩/٢٠٠١ على مجموعات الإرهاب الخارجية، فإن أكثر الاعتداءات ضراوة وقسوة، تمت على يد مجموعات إرهاب أمريكى، كالتفجير الذى وقع بمدينة أوكلاند هوما على يد تيموثى ماكفيه، أو تفجير المستشفيات التى تمارس عمليات الإجهاض على يد مجموعات مسيحية متعصبة. إلى جانب حوادث القتل الجماعى. إلا أن العدو اللدود

لمجموعة الأمم الآرية هو اليهود. ومن هنا كان تحالفهم فترة من الزمن مع عدوهم القديم، الجهاد الإسلامى على أساس أن «عدو عدوى هو صديقى». وبالطبع كانت هناك انقسامات داخل المجموعة فى هذا الشأن، بين مؤيد ومعارض. وتتلخص وجهة نظر الفريق المؤيد فى أن اليهود عدو مشترك للجهاد الإسلامى وللأمم الآرية فى الوقت نفسه. وأن هذا يعد سببا كافيا ومبررا قويا لقيام تحالف بينهما.

من مظاهر المغالاة فى التمييز الدينى فى عصرنا الحديث، ما نشهده من تمييز طائفى بين المسلمين وإخواننا المسيحيين بتشجيع وإيعاذ من بعض القنوات الفضائية، الدينية الإسلامية السلفية، وكذا بعض القنوات المسيحية والقبطية، ومن مظاهر هذا التعصب الأعمى، حادث نجع حمادى ليلة عيد الميلاد المجيد يوم ٦ يناير ٢٠١٠.. ويتجه نمط التحريض إلى السجالات والخطابات التى تحمل العنف الرمضى والتميضى. بل إن المدارس تشهد، الآن، نوعا من الخطاب الدينى التمييزى عبر مناهج التعليم، أو من خلال المعلمين من ذوى التوجهات الدينية السلفية الذين يعتمدون أسلوب الإشارات على أساس الانتماء الدينى، مما يكرس التمايز الطائفى بين الطلاب. وذلك بدءاً من رياض الأطفال إلى المدارس الإعدادية ثم الثانوية. (نبيل عبد الفتاح - الإعلام الجديد وثقافة التمييز الدينى - الأهرام، ١١ فبراير ٢٠١٠). ومن تداعيات اعتداءات ٩/١١، طاعتنا صحف الجمعة ١٠/٩/٢٠١٠ بخبر مخطط كنيسة بروتستانتية بولاية فلوريدا بأمريكا، لحرق مئات النسخ من المصحف فى يوم ذكرى ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وعلى الرغم من التداعيات المتوقعة لمثل هذه الخطوة على الجنود الأمريكين المحاربين بأفغانستان والعراق، إلى جانب الصدمة الدولية والانتقادات الحقوقية الرسمية داخل أمريكا، فإن الرئيس أوباما قد اكتفى بمجرد توجيه تحذير للقس تيرى جونز، قس هذه الكنيسة. وفى حين تبنت واشنطن إجراءات أمنية مشددة لسفاراتها حول العالم، بدأ مسلمو أمريكا يتحركون بخطوات قانونية وسياسية، معلنين تحديهم لكنيسة فلوريدا بصلاة عيد الفطر بالقرب من الكنيسة.

في الفصل الخامس من هذا العمل، يقوم متخصصون بالمقارنة بين ثلاث مجموعات إرهابية معروفة لنا جميعاً، هي فتح بفلسطين وبيرا Pira بأيرلندا الشمالية وفارك Farc بكونغولومبيا. وبينما تسعى منظمة فتح إلى تأسيس وطن مستقل ودولة ذات سيادة يحكمها الفلسطينيون، تحاول فارك أن تفجر ثورة شيوعية شاملة بكونغولومبيا. أما منظمة بيلا، فتريد أن يغادر الجيش والحكومة البريطانيان أيرلندا الشمالية. يبحث الفصل في أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجموعات الإرهابية الثلاث.

كما يلقي الكتاب - عبر فصليه السابع والحادي عشر - الضوء على العلاقة الوثيقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة، وإن اختلفت الأهداف. ومن ذلك اشتراك كليهما في أنشطة مثل الاختطاف مقابل الحصول على الفدية. كما يؤكد لنا خبراء الجريمة تورط المجموعات الإرهابية في حوادث سرقات البنوك أو تهريب الأسلحة أو الاتجار بالبشر، أو تجارة المخدرات. بغرض توفير التمويل اللازم لدعم المجموعة وتحقيق الهدف السياسي الذي قامت من أجله. وقد تنتهي بعض هذه المجموعات إلى تغليب المصلحة الشخصية وممارسة الجريمة المنظمة بغرض تحقيق الربح والمكسب المادي متناسية الأهداف الأيديولوجية أو السياسية للمجموعة. كما أنه من الوارد على الجانب الآخر، أن تتحول مجموعات الجريمة المنظمة في بعض الأحيان إلى جماعات سياسية حينها تشارك في التنسيق مع المجموعات الإرهابية للقيام بأعمال عنف لتحقيق هدف سياسي.

كما يستعرض الفصل الثاني عشر مثالا واقعيا على إرهاب الدولة في أبشع صوره من خلال تاريخ نزاع الشيشان، بمنطقة شمال القوقاز (عام ١٩٩٤) ضد القبضة الحديدية للاتحاد السوفيتي. حيث أسفر العنف واستخدام القوة المفرطة ضد المدنيين العزل عن قتل وإصابة وتشريد ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ مواطن. (أخبار موسكو، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤).

ولعل ما يقترب الآن من مجازر في حق الشعب السوري على يد بشار الأسد وزبانيته من القوات المسلحة السورية، من قمع وتعسف، خير مثال على إرهاب الدولة في القرن

الحادى والعشرين. فقد ارتفع عدد ضحايا القمع الدموى من المحتجين السوريين، المطالبين بإسقاط النظام إلى نحو ٤٨٠٠ شهيد منذ منتصف مارس الماضى (المصرى اليوم، ٤/١٢/٢٠١١). ومن ضمن من قتلوا نساء وأطفال. كما أدان التقرير الرسمى للجنة التحقيق الدولية حول سوريا التابع لمجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة استخدام النظام السورى العنف الجنسى الممنهج ضد المعارضين والمتظاهرين والمنشقين من أبناء الشعب السورى. وذلك من الجنسين.

ونذكر أيضا من وسائل قهر الدول لشعوبها فى العصر الحديث، المراقبة الإلكترونية للمواطنين. فقد كشف مؤسس موقع ويكيليكس، جوليان آسانج، عن ٢٨٧ وثيقة جديدة تدين ١٧٠ شركة تعمل مع الأنظمة الديكتاتورية حول العالم فى مجال المراقبة الإلكترونية (المصرى اليوم ١١/١٢/٢٠١١) حيث تقوم هذه الشركات بالتنصت على المحادثات الهاتفية للمواطنين وتحديد مواقع الهواتف النقالة باستخدام نظام GPS وحجب بعض الرسائل الإلكترونية. ويبدو أن صناعة التجسس على الشعوب قد أصبحت منذ ما يقرب من عشر سنوات، صناعة رائجة، تباع خدماتها للأنظمة الديكتاتورية. وذكرت نفس الصحيفة، أن شركة فرنسية تدعى «أميس» كانت قد ذودت ليبيا، فى ظل حكم القذافى، بنظم مراقبة تسمح لها بالتجسس على البريد الإلكتروني وبرامج الدردشة ومحادثات الإنترنت الخاصة بالمعارضة فى الداخل والخارج، لاسيما فى بريطانيا. وتشير الصحيفة كذلك إلى لجوء النظام الإيرانى والسورى والتونسى السابق لشراء هذه الأنظمة لتعقب أفراد المعارضة.

ويقودنا ذلك إلى ممارسة الإرهاب عبر شبكة الإنترنت الذى يستعرضه الكتاب فى فصله الرابع عشر. ويعتبر من الوجوه الحديثة للإرهاب. من المعروف والملاحظ عالميا ومنذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر الاعتماد المتزايد لمنظمات الإرهاب العالمية على الشبكة العنكبوتية الدولية، سواء للتواصل بين خلاياها المتعددة والمتشرة عبر دول العالم المختلفة، أو بغرض تحقيق التنسيق المطلوب فيما بين أعضائها لتنفيذ العمليات، أو بهدف الدعاية واستقطاب عناصر شابة لتجنيدها فى صفوفها أو لأغراض التمويل.

وغنى عن القول، إنه في عالم يتميز بتلاحق سريع في تقدم وسائل الاتصال الحديثة، أصبح لزاما على الحكومات أن تتخذ إجراءات وقائية لحماية البنى التحتية الحيوية التي تعتمد على التكنولوجيا الحديثة في تشغيل وإدارة عملياتها. يسرد لنا هذا الفصل من الكتاب، حادثة اختراق نظام إلكتروني لشبكة تتحكم في مضخات للصرف الصحي بأستراليا. كانت الأولى في التاريخ التي يتمكن فيها شخص بمفرده من الاعتداء على بنية الدولة التحتية بسهولة. وقد تمكن هذا المهندس، وهو مهندس وخبير حاسوب آلي، من الدخول على الموقع واختراق أجهزة التحكم ما يقرب من ٤٦ مرة. حدث ذلك عام ٢٠٠٦. وقد تسببت تلك الحادثة في موت الحياة المائية وتحويل مياه الخليج إلى اللون الأسود، بالإضافة إلى الرائحة النتنة، غير المحتملة التي سادت المنطقة لفترة غير قصيرة» (محققة من وكالة حماية البيئة بكوينزلاند - بأستراليا).

وفي آخر فصلين يقدم المتخصصون تصورهم لمحاولة فك الاشتباك مع الإرهاب، والوصول إلى إستراتيجيات عملية لمكافحته واستئصاله من جذوره. ويؤكدون أن ما تم الوصول إليه حتى الآن في هذا الشأن لا يعدو أن يكون خطوات مبدئية. وأن عمليتي التورط في الإرهاب أو فك الاشتباك معه عمليتان غاية في التعقيد وتحكمهما عوامل متشابكة ومتغيرة في الوقت ذاته. ويقدم لنا فتحالي مغدم، وهو خبير معروف في المجال، تصورا مثيرا للاهتمام. يتمثل في فكرة الدرج أو سلم الإرهاب. فيتخيل أن وصول الشخص إلى التورط في عالم الإرهاب يتطلب الصعود التدريجي على درجات السلم التي قد تفضي به إلى الطابق الأخير من المبنى، والذي يمثل التورط الفعلي من خلال الانخراط في أنشطة العنف الإرهابي. ويقترح وضع برامج لفك الاشتباك مع راديكالية الإرهابي عند كل مستوى (طابق) من مستويات الإرهاب. ويؤكد لنا وجود حالة نفسية معينة تسيطر على الإرهابي عند كل مستوى من هذه المستويات، وأنه لا بد من وضع إستراتيجية تقابل كل حالة من هذه الحالات. وذلك بهدف نقل الأفراد إلى أسفل الدرج حتى يتم اصطحابهم بسلام إلى خارج المبنى.

جيهان الحكيم

مقدمة

يهدف هذا العمل إلى إعطاء صورة شاملة ومتكاملة بقدر الإمكان عن الوجود المتعددة للإرهاب. فيسعى إلى الكشف عن شخصية الإرهابي، ومعنى الإرهاب في مجتمعنا المعاصر. يتعاون في هذا العمل نخبة مرموقة من خبراء دوليين يساهمون، من خلال فروع معرفية متعددة، في الكشف عن الوجود متباينة الاختلاف للإرهاب المعاصر، ومحاولة سبر أغوار شخصية الإرهابي في عصرنا الحديث.

يركز هذا الكتاب على الإرهاب الذي يجد جذوره بشكل أساسي في التطرف الإسلامي، إلا أنه يتعرض كذلك للعلاقة بين الإرهاب المتطرف والجريمة المنظمة. فيتعرض لجرائم الاختطاف مقابل الفدية ولا ينسى الإرهاب في شكله المعاصر، من خلال الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت) ودورها المتزايد في حياتنا المعاصرة.

تسعى الأنشطة الإرهابية، بشكل جوهري، إلى التأثير على الرأي العام بهدف إحداث تغيير سياسي في المقام الأول. ومن هنا كانت الحاجة الماسة إلى دراسة مردود النشاط الإرهابي على الجماهير من ناحية والقادة السياسيين من ناحية أخرى، وكيف ينظرون لتلك الأنشطة الإرهابية ولتأثيرها بعيدة المدى. ولا شك أن تلك الرؤى تبعد كثيرا عن الأهداف الأساسية أو الطموحات الشخصية التي يسعى هؤلاء الإرهابيون إلى تحقيقها، من خلال إزهاق الأرواح باسم قضية يتبنونها. ومن هنا كانت أهمية تتبع العلاقة بين الأنشطة الإرهابية وتأثيرها على الجماهير. وذلك بغرض وضع برامج واضحة وفعالة لمواجهة لها. ومحاولة تقليص العوامل المسببة عن التطرف بأمل الحد من

انضمام الشباب إلى تلك الجماعات والإيمان بعقيدتها ثم السير في خطاها، غير مقدرين مغبة الانجراف إلى هذا المصير المشؤوم.

جدير بالذكر أنه في مطلع عام ٢٠٠٦، أنتجت كلمة «الإرهاب» ٧٨٦٧ كتابا على موقع أمازون بالمملكة المتحدة. وفي صيف ٢٠٠٨ كان العدد على نفس الموقع قد وصل إلى ١١٤٤٤، ثم قفز لسبب ما إلى ٥٥٦٩٢ ومنه إلى ٨٠٣٣٧ وذلك على موقع Amazon.com، وأغلب هذه الكتب تم إصداره بالفعل خلال السنوات القليلة الأخيرة.

هذه الطفرة الأكاديمية تكشف النقاب عن تنامي فضول جماهيري واضح في كل ما يتعلق بظاهرة الإرهاب، وقد تبعه بدوره تزايد واضح في الإصدارات لتغطية هذا النهج الجماهيري المشهود إلا أن هذا السيل من الكتب اعتمد مضمونه في الأساس على إصدارات تاريخية ومعلومات كانت في الأصل متاحة للجماهير. ولذلك، فقد سيطر على أغلبها، النزعة الدعائية والأسلوب المعهود حين تتناول الكتابة، الجماعات الإرهابية إلى جانب مراعاة الاعتبارات الجيوبوليتيكية.

وحقيقة الأمر، ففيما عدا بعض الاستثناءات البسيطة، لم تتم الاستفادة بعد من نقاط الاتفاق المشتركة بين الفروع المعرفية المختلفة حول إرهابي اليوم وكيفية رؤيتهم للعالم من حولهم. وذلك بغض النظر عن الأساطير التي يحاول بها الإرهابيون إثارة الفزع بين الجماهير، وخدمة أهدافهم الدعائية.

كما أنه من الممكن أن تعزز جهود التنسيق بين الجهات المسؤولة بهدف دراسة عوامل تأثير الإرهاب على الرأي العام بما يعوق أو يساعد البرامج التي تضعها الحكومات لمكافحة. هذه نقطة محورية في عالم أصبح الإرهاب يشكل فيه تهديدا متزايدا.. إلا أن الأمانة تقتضي، مع ذلك، ضرورة الاعتراف ببعض المحاولات التي تمت خلال السنوات الأخيرة، على يد بعض الباحثين الذين نشهد بجرأتهم. إذ كانوا روادا في محاولة الاقتراب من رؤى هؤلاء الإرهابيين، الذين ارتكبوا أعمال عنف لخدمة أهداف أيديولوجية واضحة. وقد تزامن ذلك مع دراسات جادة حاولت اختبار مدى

صحة افتراض وجود أيديولوجيات ومذاهب دينية محددة، وراء نشر وتشجيع العنف والإرهاب. أم أنه مجرد زعم، تم استغلاله من قبل جماعات أخرى متطرفة أو أعداء من الغرب بغرض تحقيق أهداف شخصية أو سياسية.

إن هذا العمل «الوجه المتعددة للإرهاب» يعزز اتفاق العديد من المتخصصين والخبراء عبر فروع معرفية مختلفة، على الطبيعة المتنوعة للإرهاب.

و من هنا كانت أهمية إستراتيجيات مكافحة الإرهاب، وضرورة تضمينها أولا خطابا جماهيريا فعالا يشجب الإرهاب والعنف، ثانيا محاولة احتواء الشباب وتوجيه أفكاره وجهة صحية وإيجابية، لتجنب استقطابه إلى صفوف الإرهاب. أو الانخراط في أنشطته المدمرة.

وأخيرا، أريد أن أعبر عن امتناني وتقديري لما ربا إيوانو لمساعدتها في تنظيم المؤتمر الذي كان السبب الحقيقي في أن يرى هذا العمل النور.

البروفسر ديفيد كانتر

سبتمبر ٢٠٠٨

الفصل الأول

الإرهاب: طبيعة متعددة الوجوه

مدخل ١

بقلم : ديفيد كانتر

نبذة: نبدأ الحديث عن الإرهاب أولاً، باستعراض لجوانبه المتعددة. فالإرهاب ذو طبيعة متنوعة مما ينعكس على أنشطته الواسعة عبر الأماكن والأزمنة. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تفسير بعينه أو اللجوء إلى نظرية محددة، أو فرع معرفي واحد، لفهم شامل لكل جوانبه.

وجدير بالذكر أن الدراسات التي تناولت ظاهرة الإرهاب لم تعن، إلا في أقلها، بمحاولة فهم النواحي النفسية والاجتماعية التي دفعت مرتكبي تلك الجرائم من الإرهابيين إلى الإقدام عليها. ولا شك أن ذلك يرجع في المقام الأول إلى صعوبة يواجهها الباحثون في إجراء مقابلات مباشرة مع هؤلاء الأفراد. ولا يخفى أن هذه الخطوة حيوية لمحاولة فهم المراحل التي يمر بها الإرهابي والدوافع المختلفة التي تفضي به إلى ارتكاب تلك الأفعال. أو ما قد يؤدي من ناحية أخرى، إلى نبذ الإرهابي لتلك الأنشطة في نهاية الأمر. في بعض الأحيان. إن فهم طبيعة الإرهاب وتعدد وجوهه ضرورة محورية، إذا كان هدفنا الأساسي هو تقليص انتشاره، ووقاية مجتمعاتنا من ويلات.

طبيعة الإرهاب متعددة الجوانب

ارتبطت أعمال العنف على مر التاريخ، ومنذ أقدم الأزمنة، بالأهداف السياسية. حيث كانت هناك دائما جماعات تحاول التأثير على الرأي العام وزعزعة استقرار الحكومات. وذلك من خلال الاعتداءات المتكررة على أفراد الشعب أو بعض رموزه السياسية. وعادة ما كان يصاحب ذلك تخريب مادی يطول المؤسسات الحكومية، خاصة ما يحمل منها رمزا سياسيا أو أيديولوجيا. ومن أعمال العنف ذات الدوافع السياسية التي شهدتها التاريخ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أحداث الطوائف اليهودية المتعصبة ضد السيطرة الرومانية في القرن الأول وأنشطة جماعة الحشاشين، وكانت فصيلاً انشق عن الإسلام الشيعي. وكذلك الفينيين من شرق إنجلترا في القرن التاسع عشر، والذين تحدوا الحكم الإنجليزي بأيرلندا. ولا ننسى جماعة الفوضويين التي ظهرت قرابة مطلع القرن العشرين. وقد ساهمت في إشعال فتيل الحرب العظمى. ومن خلال كتاباتهم أسسوا مفهوم «دعاية الفعل» «Propaganda of the deed».

كان لابد أن يواكب ظهور الدولة كقوة جديدة على أرض الواقع، نشأة قوى في مواجهتها، تحاول إسقاطها، معتمدة في ذلك على شتى وسائل العنف. وهكذا ما كاد ينقضي القرن العشرين، حتى أفاق العالم على وجود ما يربو على مائة وخمسين منظمة إرهابية حول العالم. وقد أحصت وزارة الخارجية الأمريكية حديثا ما يفوق الخمسين منها، ولا يزال يمارس نشاطه^(١)

وجدير بالذكر أن التفاوت في زمن استمرار المجموعات الإرهابية، وأعدادها المتزايدة، يكشف عن تنوع واختلاف في طبيعتها. ومن هنا كان خطأ الافتراض الشائع حاليا، أن الدين الإسلامي هو وحده المسئول عن ممارسة الأنشطة الإرهابية ذات الأهداف أو الدوافع السياسية و/أو الأيديولوجية. بل لم يأت، قبل أحداث ٩ / ١١ / ٢٠٠١، بالكتب التي تناولت ظاهرة الإرهاب وأنشطته، أى ذكر للإسلام أو الجهاد الإسلامي بأى شكل. بل إن أبسط الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، أكدت

(١) يعتمد هذا الفصل بكثافة على كتابات (كانتر ٢٠٠٦) الخاصة بالحالة النفسية لمرتكبي العمليات الانتحارية.

أن الجميع عرضة لممارسة تلك الأنشطة، وذلك بغض النظر عن اتجاهات دينية محددة، أو أجناس بعينها، أو رجال أو نساء. وكذلك لا يعتبر نظام سياسي بالتحديد، مسئولاً عن انتشار الإرهاب. فقد ينتشر في النظم الديمقراطية أو الاستبدادية على حد السواء؛ لذا فإن التحدى الأساسى أمامنا هو معرفة مركز الإرهاب أو نقطة بداية محددة له. فهل هذا ممكن بالفعل؟ أم أن الإرهاب يعد ظاهرة غير محددة الشكل أو الملامح، بحيث يمكن إخضاعها للبحث والدراسة التى قد تفيدنا من الناحية العملية؟

تعريف

إن ما يمكن أن نعتبره من قبيل الأنشطة الإرهابية جد متشعب وواسع. ومن هنا كانت صعوبة تبنى تعريف محدد لما يمكن أن نطلق عليه نشاطا إرهابيا. ولانعتبر هذه المهمة هينة، خاصة وأن الإرهاب يعتبر من القضايا التى يكثر تداولها من خلال الجدل العام أكثر منها قضية لا يتم تناوؤها إلا من خلال الدراسات الأكاديمية.. لذا فقد قررنا أن نلجأ إلى تعريف محدد، نرى أنه من أكثرها وضوحا، خاصة وأنه يجيب عن جانب كبير من التساؤلات المثارة حول الإرهاب. يعتمد تعريف ريتشاردسون (٢٠٠٦) على وجود سبعة خصائص تميز أى عمل إرهابى. (الجدول ١، ١).

والفكرة الأساسية لهذا التعريف، أن أعمال العنف، تكون بمثابة الإستراتيجية السياسية، التى تقوم بتنفيذها مجموعات، لا تشكل فى حد ذاتها دولة مستقلة. ومن هذا المنظور، فإن الإستراتيجية التى يتبعها هؤلاء الأفراد فى أداء مهامهم، لابد أن تترجم فى الواقع، بأنشطة تحمل رمزا دعائيا قويا. وينطبق هذا الوصف على المجموعة الصغيرة «١٧ N» باليونان، والتى نتناولها بالتفصيل فى الفصل السادس.. وتلعب صلة القرابة دورا كبيرا فى التقريب بين أفراد هذه المجموعة، بالإضافة إلى قوة الإيمان بالعتيدة الماركسية. ولكن يبدو أن درجة التقارب بين أفراد هذه المجموعة تبدو أقوى من الهدف السياسى بالنسبة لجميع أعضاء المجموعة.

(الجدول ١ ، ١) خصائص أساسية في الإرهاب (طبقا لريتشاردسون ٢٠٠٦)

١ -	أن يكون ذا دوافع سياسية.
٢ -	وجود العنف أو التهديد باستخدامه.
٣ -	يسعى إلى إبلاغ رسالة.
٤ -	أهمية الرمز بالنسبة للنشاط الإرهابي أو الضحية.
٥ -	أن يقوم بتنفيذ النشاط جماعات موازية للدولة.
٦ -	اختلاف الضحية عن الجمهور.
٧ -	الاستهداف المقصود للمدنيين.

ومن الملاحظ أن تعريف ريتشاردسون يستبعد حالات الاختطاف مقابل الفدية، وهو ما يتحرى عنه فيليبس في الفصل الحادى عشر. ويبدو أن السبب في ذلك هو غياب الهدف السياسى في حالة حوادث الاختطاف. إلا أن قوة الارتباط بينهما لا يمكن تجاهلها في بعض الأحيان، كما سيتضح من الفصول القادمة. وبالمثل، فإن راسل لم يقدم في الفصل الثانى عشر، القائد الشيشانى المستبد رامزان قديروف على أنه قائد إرهابى، وذلك لأنه يرأس دولة وليس عضوا بمجموعة إرهابية. وذلك على الرغم من أن ظهوره أولا، كان من خلال هجمات إرهابية على روسيا. وأن قيادته لشعب الشيشان، كان يشوبها كثير من العنف والاستبداد. وكما يؤكد لنا جوبتا ومن اشتركوا معه في كتابة الفصل السابع، فإنه من السذاجة بمكان، أن نحاول الفصل بين الدول التى تروج الإرهاب وبين الأنشطة الإجرامية التى تدعمها ماديا، إذا أردنا الوقوف على أسبابها أو مراحل التطور التى تمر بها.

وعلى ذلك فإننا، رغم موافقتنا على أن تعريف ريتشاردسون يتضمن المعايير الأساسية المتوفرة في الأنشطة الإرهابية، نسعى، وبنفس القدر من الاهتمام، إلى الكشف عن الوجوه الأخرى للإرهاب. وذلك رغبة منا في فهم الصورة كاملة من خلال استكمال الأجزاء الغائبة من هذا اللغز، وفك طلاسمه واحدا تلو الآخر.

إن الصورة النمطية للإرهابيين كمجموعة من الأفراد يجمعها الولاء لمبدأ محدد ولديها أهداف سياسية واضحة، تسعى إلى تحقيقها من خلال أنشطة، تتسم بالعنف. هذه الصورة ترضينا جميعا لأنها تتطابق، إلى حد بعيد، مع صورة الإرهابي في أذهاننا. إلا أن الصورة النمطية قد لا تكون واقعية. فطبيعة ما تعتبره المجموعات الإرهابية «عدوا» قد لا يكون بهذا الوضوح في حقيقة الأمر. يفسر لنا ذلك بورجسون وفاليري في الفصل العاشر. حيث يؤكدان أن بعض مجموعات الأمم الآرية المسيحية الأكثر تشدداً، قد أبدت استعداداً كبيراً للتعاون والتنسيق مع الجماعات الإسلامية المتطرفة، وذلك بهدف محاربة العدو المشترك بينهما، وهو الدولة اليهودية.

صعوبات خاصة بدراسة الإرهابيين

لا شك أن هناك العديد من الصعوبات التي تعترض طريق من يحاول كشف النقاب عن شخصية مرتكبي تلك الأنشطة الإرهابية أو إجراء مقابلات معهم. فالوحيدون الذين يمكن إجراء مقابلات معهم، إذا أتاحت الفرصة لذلك، هم من تم القبض عليهم بسبب فشل متكرر في القيام بعملياتهم. ولا يخفى أن مثل هذه العينة لا تمثل خير تمثيل للإرهابيين بوجه عام، خاصة الأكثر حماسة وإصراراً منهم، والذين يحالفهم الحظ في تحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم. وحتى إذا تمكنت أجهزة الأمن من إجراء مقابلات مع هؤلاء الإرهابيين، فإن ما قد يصرحون به، يكون على الأرجح غير قابل للنشر. كما أن ما قد يدلون به للباحثين يشوبه غالباً كثيراً من التحريف أو التشويه، نتيجة لإحباطهم في تحقيق الهدف. أو نتيجة لمعاناتهم في الحجز. (مرارى، ١٩٩٠، سوابلمان، ٢٠٠٤). وتؤكد سبكهارد (٢٠٠٦) من واقع أحاديث أجرتها مع عائلات انتحاريي الشيشان أو مساعديهم، أنه من الأهمية بمكان، أن نحاول فهم الناحية الاجتماعية والنفسية لهؤلاء الأفراد والأسباب التي أوصلتهم إلى تلك الحالة من الغضب والإحباط، مما دفعهم إلى ارتكاب تلك الجرائم الإرهابية. وذلك مع الأخذ في الاعتبار، تصرفاتهم المنحازة أو المبالغ فيها في كثير من الأحيان.

و من المهم أيضا، أن نشير أن مقابلة الإرهابيين أو من يساعدهم، مسألة مخوفة بالمخاطر. وهو غالبا إجراء يتطلب كثيرا من الوقت والإعداد. وهو ما أشار إليه هورجن (٢٠٠٥) ببعض التفاصيل. وهنا كان تفهمنا لموقف الباحثين الذين يرفضون إجراء تلك المقابلات ويلجئون بدلا منها إلى مصادر ثانية أو ثالثة. وهو أحد أسباب نقص المعلومات الدقيقة، وعدم صحتها، مما يتسبب في تضليل الرأي العام سياسيا بشكل كبير. وهذا ما يذكره كل من دينيس وستول بمزيد من التفسير في الفصل الثالث عشر.

ونفس الشيء يمكن قوله عن التصريحات التي يقوم الإرهابيون بتسجيلها أو بكتابتها. قبل إقدامهم على القيام بالعمليات الانتحارية، وذلك بغرض إذاعتها بعد استشهادهم. مرارى (١٩٩٠) وتعد هذه التصريحات جزءا لا يتجزأ من الإعداد لتنفيذ العملية الانتحارية. حيث يعد رجوع الإرهابي عن رأيه بعد ذلك، إحراجا شديدا يعرضه لأزمة ثقة، تضعف كثيرا من مصداقيته أمام زملائه من المجاهدين.

وقد تناول كانتر في الفصل الثالث من هذا الكتاب، أهمية لغة الخطاب في تلك التصريحات. وذكر أن الإرهابي، غالبا، ما يقتبس تصريحات غيره من القادة الإرهابيين المعروفين. وخير مثال على ذلك شريط التسجيل الذي انتشر تداوله فيما بعد لمحمد صديق خان (٢٠٠٥) وهو أحد إرهابي انفجارات لندن في ٧/٧. فقد كان واضحا أنه استشهد بخطابات أسامة بن لادن وأتباعه. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تلك التصريحات في قياس مدى تأثيرها النفسى أو الشخصى على الأفراد الذين يدلون بها. بالإضافة إلى حرص الإرهابيين على أن تعكس تلك التصريحات الدوافع القوية لارتكاب هذا الهجوم الانتحارى. وأن تحمل أهمية رمزية وقوة تأثير على العالم. وهذا ما يبرر ضرورة خلو مضمونها من أية إشارة إلى إحباطات شخصية أو تجربة فردية، بما قد ينتج عنه عكس المطلوب تماما.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجب توخى الحذر ونحن بصدد إجراء التصنيف لمختلف المجموعات أو الشخصيات الإرهابية من الناحية النفسية، بحيث لا يجب أن نعمم

على الجميع ما توصلنا إليه من نتائج. ومن السهل الوقوع في هذا الخطأ نتيجة محدودة المصادر التي يمكن الوصول إليها. كأن نعمم ما حصلنا عليه من معلومات عن مجموعة مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي أو مجموعة من الإرهابيين الفلسطينيين مثلاً على الآخرين.. ومما يسهل الوقوع في هذا الخطأ تلاحق وتدفق الأحداث الاجتماعية على المسرح العالمي، مما يؤكد استبعاد القدرة على تعميم الخصائص النفسية لمجموعة بعينها من الانتحاريين على مجموعات أخرى خاصة مع اختلاف الزمان والمكان.

وعلى الرغم من الصعوبات والعراقيل التي تعترض طريقنا حتى نضع أيدينا على معلومات وتفاصيل نحتاجها في الكشف عن الأسباب والعوامل التي تجعل من الشخص السوي إرهابياً، فإن التزايد التدريجي للدراسات التي تتناول هذه الظاهرة وتتطورها، يعطينا مزيداً من الأمل في أن تكتمل الصورة لدينا قريباً. خاصة مع إضافة ما لدينا بالفعل من معلومات تتعلق بأعمال العنف أو الانتحار. فنتمكن من معرفة ما الذي يقود الشخص السوي إلى هذا الطريق من ناحية، وما هي أسرار نبذ الأنشطة الإرهابية في بعض الأحيان من ناحية أخرى.

في تفسير الإرهاب

هل الحرمان له علاقة مباشرة بالإرهاب؟

في استعراضه للأسباب والعوامل النفسية، التي قد تفضي إلى طريق التورط في الإرهاب، يؤكد مغدم (٢٠٠٥)، أنه لا يمكن اعتبار «عوامل مادية كال فقر أو الجهل أو نقص التعليم هي المسؤولة عن الإرهاب» (ص ١٦٢) إذ لا يمكن التعويل عليها في تفسير الانخراط في الأنشطة الإرهابية. ويعتمد في ذلك على ما كتبه كوجان (٢٠٠٢) عن مجموعة الجيش الجمهوري الأيرلندي التي لا تنطبق عليها وجهة النظر القائلة، «إنهم ليسوا سوى مجموعة من الهمج، تعاني من البطالة». (ص ١٦٢) وكذلك عزز وزير سنغافورة لشئون البلاد عام ٢٠٠٣ هذا الرأي، مؤكداً أن من تم القبض عليهم من إرهابيي القاعدة والذين نفذوا اعتداءات ٩/١١ بنيويورك وواشنطن، لا ينتمون إلى

خلفيات معدمة، أو مستويات تعليمية دنيا أو كانوا ممن يعيشون أساسا في معسكرات للاجئين. بل أعطوا على العكس، انطبعا بأهم يتمتعون بمستوى جيد من التعليم. (بودانسكى، ٢٠٠١). ومن هنا تتضح ضحالة التحليل الذى يبرر الأنشطة الإرهابية بأنها ثورة طبقة من البروليتارية التى لا حظ لها فى الحياة الكريمة. بهدف تحسين مستوى المعيشة. كما أن مثل هذه المقولة لا يستند إلى أية أدلة تجريبية.

وحقيقة الأمر، فإن أى معادلة للإرهاب تفسر وجوده على أنه رد فعل لحالة من القمع التى يعانى منها الشعب المظلوم ضد حاكم مستبد، لابد من إخضاعها لمزيد من البحث والتدقيق. وكذلك ومن ناحية أخرى، فإن الفكرة السائدة بأنه إذا وفر الحاكم لأفراد شعبه حدا أدنى من الرفاهية المادية فإنهم لن ينقلبوا عليه أو يطيحوا به، لا يمكن التعويل عليها كذلك. إذ تحتاج لنظرة أكثر عمقا. وهذا ما عبر عنه جورج أوريل (١٩٣٣) بشكل طريف حين كتب يقول:

يبدو أن سلعا مثل السمك والبطاطس والجوارب الحريرية، وعلب السردين الرخيص، وقطع الشكولاتة ذات الستة سنتات، إلى جانب السينما والمذياع، وكذلك الشاي الجيد وأيضا كرة القدم، تشترك فى قاسم مشترك، وهو مساهمتها فى تجنب اندلاع ثورات. (الطريق إلى ويجان بير the road to wigan Pier، الفصل الخامس).

إذا فإنه من قبيل المغالاة فى تبسيط الأمور، أن نفترض أن الحرمان والقمع، عوارض تفرز بالضرورة إرهابا. أو أن نعتبر أن حصول المواطن على حد أدنى من الرفاهية، يجنب الانخراط فى هذا الدرب المظلم، وارتكاب أنشطة العنف الإرهابى. والخلاصة إذا، أن الحرمان وحده، وبمختلف درجاته لا يصلح وحده تبريرا كافيا لظاهرة الإرهاب.

أما إذا تطرقنا إلى تفكير أقل تبسيطا للأمور وأكثر واقعية، فافترضنا أن المواطن يحصل على مايلزمه من سلع مادية تؤمن له حياة إنسانية كريمة. ولكنه يعانى فى الوقت ذاته، من غياب الديمقراطية والحرية فى ظل نظام قمعى أو ديكتاتورى. وأن ذلك هو

الدافع الذى قد يشعل حماسه إلى ارتكاب أنشطة العنف الإرهابى، فإن هذه الفرضية أيضا لا تملك أى سند واقعى يثبت مصداقيتها أو حتمية حدوثها. ويؤكد ذلك يونجز (٢٠٠٦) من واقع تحليله الذى يتناول مدى تأثير القمع السياسى على انتشار الإرهاب. حيث إنه وجد أن هناك تأثيرا ضعيفا بين ممارسة الدولة لبعض أشكال القمع السياسى وظهور «التطرف». وقد قام بمقارنة بين بلاد فى الشرق الأوسط والهند والصين وغيرها من البلاد التى تعاني من مظاهر التمرد أو الثورات، فكشف أن الأنظمة القمعية تحمى شعوبها من الممارسات الإرهابية من خلال إحكام الرقابة والسيطرة وهو امتياز لا يتمتع به المواطن فى ظل الأنظمة الديمقراطية التى توفر مزيدا من الحريات للمواطنين ونقل فيها وسائل الرقابة.

وحتى نفهم أسباب الأنشطة الإرهابية وأعمال العنف فى المجتمعات الأكثر حرية وأقل تعرضا للقمع، لابد أن نتطرق لمفهوم واسع الانتشار، نال حظه من الدراسة، وهو «الحرمان النسبى» يؤكد لنا واكر وسميث (٢٠٠٢) بعد استعراض دراسات تمت على مدى خمسين عاما. أن الأفراد يقيمون تجاربهم الشخصية على أساس مقارنة أحوالهم بغيرهم ممن حولهم من أفراد. وبالتالي يحكمون على معاناتهم من الحرمان بشكل نسبى. هذا الحكم النسبى على الأمور، قد تم الاعتماد عليه فى تفسير كثير من المتناقضات فى مجتمعاتنا. ومنه قبول كثير من النساء العمل بأجور أقل كثيرا من نظرائهم من الرجال. وكان التفسير أنهم يقمن بمقارنة أحوالهن بغيرهن من النساء. (كروسبى، ١٩٨٢). وكذلك التأثير الضعيف لانهيار نظام الأبارتايد العنصرى فى جنوب أفريقيا على تحسن العلاقات بين السود والبيض فى هذا المجتمع. حيث تبين أن المجموعات العنصرية لا تزال تقيم الأمور بحسب المجموعة التى تنتمى إليها.

وقد تم بحث مفهوم الحرمان النسبى أيضا للتفرقة بين التجربة الشخصية والتجربة التى يعيشها الأفراد مع المجموعة الاجتماعية. (سميث وليش، ٢٠٠٤). وهذه الدراسات لا تزال فى حقيقة الأمر فى طور التجربة والاختبار. ولا يعتد بعد بتائجها حيث إنه من الصعوبة بمكان، الكشف عن حقائق تقييم تجربة الفرد للمجموعة التى ينتمى إليها. وتشير تلك الدراسات، أنه حينما يربط الفرد بشكل مكثف بين هويته

وهوية الجماعة، إلى درجة أن تذوب الفواصل بينهما بشكل يقترب من الانصهار الكامل في هوية واحدة، فإن إحساس المجموعة بالحرمان أو الظلم يصبح هو نفسه إحساس الفرد بها.

ومن هنا كان تتبع ورصد الظروف والمراحل النفسية التي يمر بها الفرد لمعرفة مدى تأثيره بتجربته الشخصية أو تجربة المجموعة التي ينتمى إليها، أهم من الاعتماد على مفاهيم موضوعية أو ظروف مادية يتعرض لها الفرد كجزء من المجتمع الذي يعيش فيه.

الانتحاريون والمرض النفسي

إن محاولة فهم التفسير النفسي لأسباب التفجيرات الانتحارية، ، تحدوه كثير من الصعوبات. يرجع ذلك أولاً لتناقض هذه الظاهرة تماماً مع المنطق المتعارف عليه للطبيعة البشرية التي تحاول دوماً الحفاظ على نفسها. إلا في حالة واحدة، وهي انفصال الفرد عن الواقع. ومن هنا ظهر افتراض أن هؤلاء الانتحاريين، قد يكونون مصابين بنوع من أنواع المرض النفسي أو الاختلال العقلي. ورغم ذلك، فإن وقائع الأحداث، تشير إلى غير ذلك تماماً. فمن قاموا بتفجيرات لندن يوم ٢٥ يوليو، على سبيل المثال، لا يمكن اعتبارهم بأى حال من المراضى النفسيين، أو من المغييين عن الواقع، بفعل المخدرات أو أن يكون التعصب قد أعماهم فضلو الطريق.. وهذا ما يمكن قوله أيضاً على مختطفى طائرة نيويورك الذين أثبتوا رباطة جأش وحنكة، تنأى بهم عن أى شكوك محتملة في درجة وعيهم، أو صحة عقولهم أو إصابتهم بأى خلل أو اضطراب نفسى. ويتفق ذلك تماماً مع كتابات كل من سيلك (٢٠٠٣) ومغدم (٢٠٠٥) اللذين يؤكدان، عدم وجود أى دليل يثبت أن مرتكبى الأنشطة الإرهابية يعانون بشكل واضح من الأمراض النفسية أو من الخلل العقلي. وكذلك من الدلائل على صحة ما سبق، أن الخمسة فلسطينيين الذين أجرى سوابلمان حديثاً معهم، وكانوا قد فشلوا في تنفيذ مهمتهم الانتحارية، أظهروا عقلانية واضحة، في مناقشة شتى الموضوعات

مع محدثيهم. وكذلك إذا تأملنا من ناحية أخرى، انتشار حالات الاضطراب العقلي أو المرض النفسى لدى فئة أخرى من المجرمين، القاتل بالجملة على سبيل المثال، نجد أنها لا تنتشر بشكل ملفت. بل إنه من النادر لجوء الدفاع لحجة «الجنون» لتبرئة القاتل. (هيكى، ٢٠٠٥) والشئ نفسه يمكن قوله عن حالات القتل المسرف، عندما يتم قتل عدد كبير من الأفراد فى مذبحه واحده، كما حدث فى مدرسة كولومبين، حيث تم إطلاق وإبل من الرصاص على الطلبة عام ١٩٩٩. أو حادثة هانجر فورد عام ١٩٨٧ أو أودانبلين عام ١٩٩٦. فجدير بالذكر، أن تلك الحوادث لم يرتكبها أفراد من مختل العقل أو مصابون بأى داء نفسى. (كانتر، ١٩٩٥) مما يفسر ندرة استخدام ذريعة الجنون كمبرر للقتل فى الدفاع عن هؤلاء المجرمين. وهؤلاء قد تشير تعليقات معارفهم، بما يؤكد غرابه تصرفاتهم أو عدم تأقلمهم مع من حولهم. إلا أن ما لدينا من دلائل، حتى الآن، يشير إلى أن المرضى النفسيين، يسعون من الأرجح إلى إلحاق الضرر بأنفسهم قبل غيرهم.

بل إن لدينا دلائل تؤكد أن من يقوم بتجنيد هؤلاء الأفراد للقيام بتلك الجرائم الإرهابية البشعة يتحرى عنهم بدقة قبل أن يقع اختياره على قلة قليلة منهم. بما يرجح استبعاد من يشك فى سلامة عقله، أو إصابته بأى اضطراب سلوكى أو نفسى. وهذا ما يؤكد ميرارى (١٩٩٠) الذى يزعم أن قليلين يقع عليهم الاختيار للقيام بالعمليات الانتحارية.

وهذا المنطق يمكن تطبيقه على العمليات العسكرية التى لا يمكن الاعتماد فيها على شخص غير موثوق فى قدراته العقلية أو حالته النفسية، لتحقيق الأهداف المرجوة. إذ قد يتسبب ذلك فى تعريض العملية بأثرها للفشل والمخاطرة بالكشف عن خطط وأسرار عسكرية أو إستراتيجية.

عملية غسل الأدمغة

وهناك تفسير آخر لتحول الأفراد من مواطنين أسوياء وعقلاء إلى إرهابيين يمارسون أعمال العنف. وهذا التفسير يتعلق بعمليات غسل الأدمغة التى قد يتعرض

لها الأفراد بهدف زرع أفكار جديدة أو معتقدات غريبة بدلا من السائدة لديهم. هذا التفسير يجعل شخصيات مثل الشيخ ياسين، زعيم حماس أو أسامة بن لادن يتمتعون بنفس تأثير شخصيات خيالية ظهرت في قصة للكاتب جورج دي موريه. على أن هناك دراسات تستبعد وجود قوى بمثل هذا التأثير في الحياة الواقعية. (هيب وكرش ٢٠٠٦ لاستعراض هذه القضايا).

ومن ناحية أخرى، فإن افتراض وجود مثل هذا التأثير للقادة الإرهابيين يفترض سيادة نظام هرمي طبقي، من المتوقع وجوده في بنیان عسكري صارم. ويصعب تصوره في حالة الجماعات غير الشرعية، خاصة في حالة انتشارهم على مساحة جغرافية واسعة. فالمحافظة على مثل هذا النظام كما هو الحال بالنسبة للجيش التقليدية قلما يحدث في الواقع (كانتر وأليسون، ٢٠٠٠). بل إن الشبكة التي تعمل تلك الجماعات من خلالها أشبه «بحيوان ذى عدة رؤوس» كما ذكر أترين (٢٠٠٤). ويصور لنا مولتز (الفصل الثامن)، كيفية تطور تلك الشبكات المعقدة في بعض الأحيان، إلى صفقات مربحة، كما يحدث في عمليات الاختطاف مقابل الفدية. وتعتبر شائعة الحدوث حاليا. وهو ما يذكره فيليبس بمزيد من التفاصيل في الفصل الحادى عشر).

وفي دراسة تفصيلية كتبها ساجمان عن شبكة تنظيم القاعدة، تناول فيها مدى تعقيد هذه الشبكة وقدرتها الذاتية على مواصلة تجديد نفسها بشكل مستمر، ومنتظم.

ويحدث ذلك لكثير من التنظيمات، خاصة غير الشرعية، التي تواجه دوما تحديات تتعلق بالمحافظة على الهوية وفاعلية الاتصالات فيما بينها. وهو ما يعتبر حيويا لتحقيق الكفاءة المطلوبة بالنسبة للتنظيمات الشرعية الناجحة. (كما ذكر كانتر، ٢٠٠٠). ومن هنا كان لا بد لتلك التنظيمات غير الشرعية كالقاعدة من الاعتماد على وسائل أخرى تمكنها من العمل بفاعلية وكفاءة. وتشير الدلائل في هذا الخصوص، أن هذه التنظيمات تعتمد في الوجود والاستمرار على دعم ومساندة مجموعات صغيرة مستقلة، قد لا تملك السيطرة المباشرة عليها. ولا بد أن تكون تلك المجموعات واضحة الهوية، وراسخة

الإيمان، ولديها ما يلزم من الدوافع الذاتية. إذ إنها لا تعتمد بالأساس على سيطرة قائد كاريزمي الشخصية لتوجيهها أو تحريكها.

وحقيقة الأمر، فإن تلك السمة التي تميز تلك الجماعات، أى القدرة على التجديد الذاتى والاعتماد على النفس فى إدارة العمليات الإرهابية، يمكن تتبعه منذ كتابات مايكل باكونان فى القرن التاسع عشر عن الثوار المتمردين ضد أنظمة الحكم، كما ظهر فى (سجلات الثوار ٢٠٠٦). فقد تنبأت كتاباته بقرب مولد الثورة من رحم تلك المجموعات السرية التى نجحت فى التنسيق فيما بينها لقلب نظام الحكم السائد. وقد اضطلع المفكرون آنذاك بمهمة التعبير عن سخط الجماهير العريضة وعن آمال الشعب وتطلعاته، مما ساهم أخيراً فى اندلاع الثورة.

دور الأيديولوجية الدينية

ساد الاعتقاد بأنه شىء من اثنين، إما مرشد روحى مسئول عن غسيل الأدمغة والعقول ودفع الإرهابيين إلى القيام بتلك الأنشطة الإرهابية، وإما إيمان راسخ بمعتقدات ومذاهب دينية، تدفع معتنقيها إلى ارتكاب تلك الأنشطة الإجرامية كارثية النتائج على المجتمع بآثره. لقد ساد الاعتقاد فى دوائر غربية عديدة، خاصة بعد الهجمات التى تعرضت لها لندن والولايات المتحدة الأمريكية والتفجيرات الانتحارية فى فلسطين، على يد إرهابيين إسلاميين، أن الإسلام دين يحرض على العنف ويشجع على العمليات الانتحارية. وقد أكد كل من كانتر وسارنجى فى الفصل الثالث، أنه وعلى الرغم من اتجاه كثير من الآراء إلى تفسير بعض آيات القرآن على أنها تحرض على العنف ضد غير المسلمين، فإن روح الإسلام فى جوهره، تتميز بالتسامح بشكل واضح لا جدال فيه.

إن وجهة النظر التى تزعم أن الانتحاريين يتبنون بالضرورة إلى الإسلام لا تؤيدها وقائع التاريخ. فإن بناء معبد اليهود على أنقاض المسجد الأقصى بعد هدمه على رؤوس الفلسطينيين وقائع تم ذكرها فى قصة سمسون فى التوراة. أما فى العصور الحديثة فقد أكد

جوناراتنا (٢٠٠٣) أن الانتحار من خلال تفجير الذات لا يقتصر على الإرهابيين من المسلمين وحدهم، فجماعة حزب العمل الكردستاني قد ارتكبت العديد من التفجيرات الانتحارية، في تركيا، وهى مجموعة تعادى الأديان بشكل عام، وتستمد تعاليمها من المبادئ الماركسية اللينينية، وذات اتجاهات قومية واضحة ولكنها غير دينية. كما أن ما أطلق عليه جوناراتنا (٢٠٠٣) «القومية العرقية»، هو الدافع الأساسى وراء ممارسة مجموعة نمور التاميل، التفجير الانتحارى بسيرلانكا والهند، ودون أن يكون للمعتقد أو المذهب الدينى شأن فى ذلك.

على أن أشهر من استخدم كقنابل بشرية فى الحرب العالمية الثانية كان اليابانيون. ولم يكن السبب هو الدين أو قمع الدولة. ورغم ذلك فقد عقدت جرائد أوروبية كثيرة مقارنة بينهم وبين انتحارى عصرنا الحديث. وقد أطلقوا على منفذها لفظ «كاميكاز»، وهو لفظ يابانى، يعنى حرقاً روح الله.

إن استخدام تلك الوسيلة فى الحرب العالمية الثانية تدعو لدراسة أسبابها والعوامل التى أفضت إليها. فقد كشف لامونت براون (١٩٩٧) فى كتابه «انتحاريو اليابان- الساموراي» (*) أن العسكريين اليابانيين، كانوا ضد هذه الفكرة فى البداية. خاصة وأنهم وجدوا فيها إهداراً للطيارين المدربين وللطائرات فى نفس الوقت. إلا أنه قرابة نهاية الحرب لم يجدوا أفضل منها وسيلة، تحول دون إنزال الأسطول الأمريكى لجنوده على الأراضى اليابانية. وهكذا تم تأسيس فرقة صاعقة من هؤلاء الطيارين. وقد كانوا أولاً يختارون من أكفأ الطيارين وأكثرهم تدريباً. وقد كان أغلبهم ينتمى إلى عائلات تتمتع بدرجة عالية من الوطنية. وكانوا يشعرون بالفخر وهم يؤدون مهامهم لخدمة الوطن، ويحافظون على تقاليد عائلاتهم. ولكن مع تقدم الحرب وتطورها، تم الاسعانة ببعض الشباب ممن ليسوا على درجة لائقة من التدريب، لتنفيذ تلك الهجمات، بالإضافة إلى أن أغلبهم كان من أصول بسيطة، إذ كانوا من الطبقة العاملة.

(*) الساموراي، هى طبقة المحاربين اليابانيين من الطبقة الأرستقراطية (المرتجة).

ويحكى أن أوائل هؤلاء الانتحاريين من الطيارين، كتبوا ببطولاتهم أسطورة إخلاص سجلها التاريخ، وتشهد على تفان غير مسبوق في خدمة الإمبراطور، الذى كان بمثابة الإله بالنسبة لليابانيين. بل كان الموت أثناء تأدية خدمة له، يعد أعظم شرف يحظى به الجندي أثناء الحرب. وقد أصبحت زهرة ثمرة الكرز رمزا لهؤلاء الانتحاريين. إذ ساد الاعتقاد أنهم سوف يبعثون من جديد في صورة هذه الزهرة. وذلك مصور في معبد ياسوكيني الوطنى بطوكيو. أما من لحق بهم فيما بعد، فقد كان دافعهم الأساسى هو تحقيق النصر حتى تفخر بهم العائلة. وقد اعتبروا عودتهم أحياء خزيًا وعارًا ليس فقط لهم بل لعائلاتهم أيضا.

ومن خلال ما خلفوه وراءهم من أسماء أطلقوها على فرقهم، يتبين لنا أنهم كانوا يعدون أنفسهم «أجنحة سماوية» تخلق في السماء، فتكبد الأعداء خسائر فادحة. وجدير بالذكر، أنه بعد تغلب الجنود الأمريكيين على الصدمة الأولى لتلك الهجمات الانتحارية، لم تكن لتؤثر في تقدمهم في حربهم ضد اليابانيين. ولكن ما يمكن قوله من ناحية أخرى، هو أن استعداد الجنود اليابانيين للمواصلة حتى آخر نفس لهم في هذه الحرب وما أظهروه من تفان وروح التضحية في سبيل الوطن، ربما كان هو الحاسم لقرار الأمريكيين بضرورة إسقاط القنبلة النووية على اليابان.

وهناك ولاشك أوجه مقارنة بين انتحاريي اليوم والأمس. وأولها الاقتناع بقيمة الموت في سبيل ما يؤمنون به، وبأهمية المكافأة التى تنتظرهم في العالم الآخر. وجدير بالذكر أنه في حالة الطيارين اليابانيين، فإن اقتناعهم بضرورة الاعتماد على هذه الوسيلة، يبرره عدم توازن القوة بينهم وبين أعدائهم. إذ كان عليهم مواجهة قوى عسكرية لا قبل لهم بها، تفوقهم في الجنود والعتاد.

ومن ناحية أخرى، فإن القبض على منفذى انفجارات لندن في الحادى والعشرين من يوليو، وهم أحياء بدون أى مقاومة عنيفة من جانبهم، يشهد بأنهم قد فضلوا الحياة على شرف الاستشهاد، في سبيل ما يؤمنون به. وهو ما يشهد على اختلاف الوضع عن الموقف اليابانى.

إن موقف هؤلاء الطيارين الانتحاريين باليابان، يجعلنا نراجع بحرص مفهوم «حماسة الدين» كدافع للاستشهاد. فهناك ولاشك تشابه بين الثقافة اليابانية، وتعرف بالشيتو، وبين ما يدعو له القرآن. من ناحية أن الشيتو كانت ترى في التضحية بالحياة في سبيل الإمبراطور شرفاً عظيماً. وكذلك فإن آيات قرآنية كثيرة تدعو إلى الجهاد في سبيل الله «وأن من يحارب في سبيل الله، وسواء انتصر أو استشهد فسوف يكافئه الله» (٧٢: ٤) ترجمة بنجين ل، ج داود (٢٠٠٣)، ص ٦٨) فشرّف الموت في سبيل من يؤمن به المرء وبالمكافأة في الحياة الأخرى واحدة في الثقافتين. إلا أنها يمثلان نظامين مختلفين للإيمان. ولكن جدير بالذكر أن الإبان بالإمبراطور قد ضعف بشكل ملحوظ بعد الحرب. بشكل لا يتناسب مع كونه إلهاً بالنسبة لشعبه. وهو ما يصعب أن يحدث للمسلمين المؤمنين إيماناً ثابتاً بالله ورسوله.

وهو ما يعنى بدوره، أننا لا يجب أن ندين أى معتقد بشكل مطلق؛ لأننا ندين الأفراد الذين يؤمنون به. فهناك الملايين من الأفراد الذين يساندون الإسلام الأصولى ويؤمنون به، ولكنهم لا يرون مع ذلك ضرورة قيامهم بعمليات انتحارية.. فلا يمكن لوم الدين إذا على تصرفات معتنقيه من البشر. أو تحميله أخطاءهم. ولاشك أنه يجب أن نفهم حقيقة العملية الإدراكية والنفسية أو العاطفية التى يمر بها الفرد، والتى تكون الدافع وراء ارتكابه لهذه العمليات الانتحارية.

الإرهاب: كعملية ذات مراحل

في كتاباته الأولى تبنى هورجان (٢٠٠٥) وجهة نظر مهمة مفادها أن الإرهاب لا يقتصر على الفعل الإرهابى فقط، بل تسبقه عملية تحول، يخضع لها الفرد. ويتفق معه في ذلك مغدم (٢٠٠٥) إذ يشبه عملية التحول التى تحدث للفرد بالصعود على درج مبنى مكون من عدة طوابق. وكل طابق يمثل مرحلة معينة في عملية الإرهاب. حتى يصل إلى مرحلة الإرهاب الفعلى، حيث يبدأ فى التورط فى أعمال العنف التى تكون بدافع سياسى أو لتحقيق هدف أيديولوجى.

ويكون الإطار العام هنا، هو الاعتراف باختلاف وتميز هوية المجموعة، التي ينتمى إليها العضو عن غيرها من المجموعات، وأنها تتعرض للتهديد من قبل مجموعات أخرى. ثانياً أن هناك أسباباً ثقافية وتاريخية للمظالم التي يعاني منها جميع أعضاء المجموعة. في الفصل الخامس يعرض لنا روس قوة تأثير هذه المظالم من خلال استعراضه لثلاثة مجموعات إرهابية شديدة التباين فيما بينها. وذلك في أنحاء مختلفة من العالم. وهو يركز على دور هذه المظالم في التضامن بين أفراد المجموعة الواحدة. إذ يستلهمون منها جميعاً قوتهم وحساسهم في مواجهة من يعتبرونهم عدوًا مشتركًا. هناك نقطة مهمة يركز عليها روس في هذا الخصوص، وهي أن القمع أو الحرمان ليس هو المسؤول في حد ذاته، عن قيام الإرهابيين بارتكاب أعمال العنف بل قوة هذه المظالم، وقدرتها على شحن وشحن الحساسية لارتكاب هذه الممارسات. وعادة ما تتركز هذه الشحنة من الحساس، أولاً في قلة من الأفراد الذين يقودون أعمال العنف، ثم يلي هذه المرحلة، مرحلة أخرى تتميز بالتوهج العاطفي وانتقاله إلى بقية أفراد المجموعة، فينضمون إلى دائرة العنف المدمرة.

يوضح لنا فيرجسون في الفصل الثاني، أنه بالنسبة لكثير من الإرهابيين، فإن النتائج والتبعات النفسية للاندماج في دائرة العنف هي التي تضمن استمرار عجلة العنف وبالتالي مواصلة الهجمات الإرهابية. حيث يتحول العالم في نظر الإرهابي إلى ساحة كبيرة لممارسة النشاط الإرهابي وإشعال العنف، وإراقة مزيد من الدماء.

مما يعنى بدوره، أن تحقق حالة السلام في بعض المناطق كما حدث في أيرلندا الشمالية، لا يعنى بالضرورة انحسار دائرة العنف وتراجعها إلى الأبد. إذ إنه بالنسبة لبعض الأفراد يكفى ظهور بعض العوامل المفاجئة، إلى جانب استمرار المظالم في إشعال الشرارة من جديد والعودة إلى دائرة العنف اللولبي. ومن هنا تبرز خطورة امتداد تلك الدائرة اللعينة إلى جيل جديد.

ومع ذلك فهناك حالات أخرى، لا يتعرض الأفراد فيها لمظالم بشكل مباشر، ورغم ذلك ينتهى بهم الأمر، إلى طريق الإرهاب. يكشف لنا ويليمز النقاب عن مثل هذه

الحالات في دراسة الحالة في الفصل الرابع من هذا الكتاب. حيث يقدم لنا حالة فاهيم خالد لودهي، وهو مهندس معماري باكستاني الأصل، يعمل في أستراليا، ليست له أية تجربة شخصية سابقة مع الإرهاب. وقد كان اتصاله بأشخاص في وطنه باكستان، وراء تورطه في تلك الأعمال. وهناك حالات كثيرة تعزز هذا المثال لأفراد كثر في بريطانيا أو إسبانيا أو الولايات المتحدة لأشخاص يتحولون إلى إرهابيين من خلال انصياعهم وراء أهداف مجموعات اجتماعية مختلفة والانصهار في هويتهم والإيمان بقضيتهم وبدء تبنى حالة الضيق والغضب التي تسيطر عليهم وتدفعهم دفعا إلى ارتكاب أعمال العنف التي يجدون فيها متنفسا لإحباطاتهم المختلفة.

هذا الاندماج الوثيق لهوية الأفراد في هوية مجموعة معينة، يمكن أن يأخذ عدة أشكال. بعضها قد لا يكون متوقعا. وهو على أي حال غير مقتصر على جماعات الجهاد الإسلامي. يصف بورجسون وفاليري، في الفصل العاشر، جماعة لم يأت ذكرها في أغلب الكتابات التي تناولت الإرهاب. رغم أنها كانت مسئولة بشكل مباشر أو غير مباشر عن ارتكاب كثير من الفظائع وأشهرها الانفجار الذي حدث بمدينة أو كلاهما على يد تيموثي ماكفيه. وقد تمكنت أجهزة الاستخبارات الفدرالية الأمريكية من الكشف عن أنشطتها والتعرف على الشبكة الإرهابية التي تعمل من خلالها. وكانت تعتبر مصدر تهديد في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية.

وهناك أوجه شبه كثيرة تجمع بين العديد من المجموعات التي قد لا تربطها ببعضها في واقع الأمر أية روابط قوية، وكلها تعارض أو ترفض مظاهر كثيرة سائدة في الدولة التي تعيش على أرضها. على أن الرابط القوي الذي يمكن أن يوحدها فيما بينها، هو بالتأكيد العدو المشترك. ففي حالة المجموعات الآرية، تشترك جميعها في شعور واحد تجاه اليهود أو الأقليات العرقية. التي تعتبرها ضعفا ووهنا يحط من قدر الأمم المسيحية ويعكر من نقاء جنسها الآري المتفوق.

وكما يوضح لنا بورجسون وفاليري فإن كره هذه المجموعات الحاد لليهود بوجه خاص وللأقليات العرقية بوجه عام، قد جعل بعض قادتها، على أتم استعداد للتعاون

والتنسيق مع تنظيم القاعدة الإرهابي، الذي يعتبره الكثيرون عدواً مبيناً لمجموعة عسكرية مسيحية مثل الأمم الآرية. فالعبرة إذاً بشدة العداوة ودرجة الكراهية. وهذا يكشف لنا عن أهمية الناحية الاجتماعية والنفسية بالنسبة لتلك المجموعات التي توجه كرهها الأساسي على عدو محدد. وتكون على استعداد للتعاون ما عدو آخر لمجرد القضاء عليه. وهو ما قد يفرغ أنشطتها الإرهابية من وضوح الهدف. فتصبح أهدافها منحصرة في القدرة على البقاء ككيان مستقل، وقادر على المواصلة والاستمرار.

هذه المرونة في تبرير أعمالها، في مقابل تسهيل بقائها، تعنى قرب المجموعات الإرهابية من مجموعات الجريمة المنظمة. وقد وضح لنا فيشنيفتسكي، في تقريره الممتاز عن عصابات الشباب من الشيشان في الفصل التاسع، أن الجريمة المنظمة قد تكون أولى الخطوات على طريق الإرهاب بالنسبة لبعض الأفراد. ويتفق هذا بدوره مع ما كتبه جوبتا وزملاؤه في الفصل السابع، حيث كشف لنا، أن التفرقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة قد لا تكون بالشئ الهين على الإطلاق. ومع ذلك فمن الأهمية بمكان أن نحدد تلك الفروق حتى وإن كانت غير ظاهرة للعيان. وذلك حتى يتم التعامل على أسس يجانبها الصواب، مع التحديات الاجتماعية المختلفة التي يفرضها كل منهما على المجتمع الذي نعيش فيه.

ومن أوجه التشابه بين الأنشطة الإرهابية والجريمة المنظمة، تورط كليهما في بعض الأحيان في عمليات تمس ببيان الدولة، وتدعمها السلطات الوطنية في البلاد. سواء كان ذلك بشكل ظاهر أو في السر. وفي هذا السياق، فإن العملية الانتحارية التي كان يرأسها القائد الشيشاني شاميل بازاييف لاحتجاز الرهائن، والمعروفة باسم بودنفسكو دوبروفكا وبسلان، وكانت موجهة ضد سيطرة الروس على منطقة الشيشان، لا يمكن اعتبارها إرهاباً طبقاً لتعريف ريتشردسون (٢٠٠٦). وذلك رغم توافر كل الإجراءات التي تعتبرها إرهاباً في عرف معظم العمليات الإرهابية. من المفيد الإشارة في هذا الخصوص أن خلع شاميل بازاييف، وإحلال قديروف مكانه، وهو من الثوار المتمردين، قد غير جذرياً في طبيعة العلاقة بين الشيشان وروسيا.

ويبدو أن قديروف قد توصل إلى المعادلة المناسبة في التعامل مع الروس، من خلال القدرة على الجمع بين ما أسماه روسل في الفصل الثاني عشر «احتياجات» الشعب و«أطماع» الروس، الذين لا يمكن الاستغناء عنهم في إدارة شئون البلاد. وفي سبيل تحقيق أهدافه، نجح في أن ينأى بشعبه عن تعاليم الفكر الوهابي المتشدد التي كان بازاييف يدعمها من قبله، واتجه إلى التعاليم الصوفية، وهي أكثر سماحة، وأقل عدوانية، وكانت سائدة بالفعل من قبل في هذه المنطقة من العالم. هكذا تمكن قديروف من استثمار معاناة ومظالم شعب الشيشان في تحقيق الاستقرار، محققا المعادلة الصعبة، وهي إرضاء جميع الأطراف.

ولكن من ناحية أخرى، فقد أفضت سيطرة قديروف وحكمه المطلق، إلى استتباب حكم فاسد شمولي امتدت جذوره في الأرض ونمت فالتفت حول القانون وقضت عليه.

السيكولوجية الاجتماعية للإرهاب

إن الإجراءات التنظيمية والاقتصادية التي تعتمد عليها المجموعات الإرهابية، والتي تشكل جزءاً لا يتجزأ من كيائها واستمرارها، تدخلها في بعض الأحيان في حيز الجرائم المنظمة. هذه المنظومة، المتشابكة، غالباً لا تذكر كثيراً في كتابات المهتمين بالمجموعات الإرهابية التي تمارس أنشطة إرهابية بشكل منفرد.. في بعض الأحيان تأخذ الجرائم شكلاً مستوطناً فترتبط بمكان محدد يشكل مسرحاً لأنشطتها. وقد يكون لذلك أسباب إيديولوجية معينة، أو قد يتعلق الأمر بالمطامع الإجرامية. ثم يحدث تطور لبنیان هذه المجموعات فيأخذها إلى طور جديد، يحول أنشطتها الإجرامية إلى ما يشبه صفقات رجال الأعمال.

يحدث هذا خاصة بالنسبة للأنشطة الإرهابية التي تأخذ فيها عمليات الاختطاف شكلاً منتظماً. فتصبح جزءاً لا يتجزأ من هذه الأنشطة. في الفصل الحادى عشر يؤكد لنا فيليس أن اعتماد الأنشطة الإرهابية على هذه العمليات بشكل مكثف ينتج عنه الاعتماد على عناصر وإجراءات تعتبر من خصائص العمل التجارى. ومنها عمليات «البيع» أو

«التخزين» وإن كانت لها أبعاد مختلفة في هذا الإطار، إذ تعكس هذه المفردات في حالة الاختطاف معاني تقشعر لها الأبدان.

والخطورة في ذلك أنه ما إن تتضح أركان هذا النموذج التجاري، فيصبح مكتمل الجوانب، حتى يكتسب قوة دفع ذاتية. تغطي على الأهداف الجوهرية للمجموعة أو نواياها السياسية.

إن ما حدث في الشيشان ويمثل إرهابا مدعوما من الدولة، ثم التورط في عمليات وأنشطة تتبع الجريمة المنظمة، وما يسفر عنه من صفقات أو اتفاقات كما في حالة الاختطاف مقابل الفدية، كل ذلك يولد عملية اجتماعية شديدة التعقيد. هذه العملية تمثل قيمة اجتماعية كبيرة ونحن بصدد دراسة ظاهرة الإرهاب.

شهدت السنوات الأخيرة محاولات إنتاج نموذج شبكات الاتصالات التي يتفاعل من خلالها الإرهابيين. إلا أن التجربة لم تكن ذات نفع عملي. حيث كان النموذج نظريا أكثر منه عمليا. خاصة وأنه تعامل مع شبكات الاتصال على أساس أنها ثابتة، غير متطورة مع الوقت.

ولقد أثبت مولينز في الفصل الثامن، من خلال دراسته للتطور الذي مر به «مخطط الألفية» لتفجير مطار لوس أنجليس عام ٢٠٠٠ واعتداءات ٩/١١، أن هذه الشبكات كيانات ديناميكية، تتغير وتتطور من نواح مختلفة. ورغم ذلك فقد كان من المثير للاهتمام، ملاحظة، أن المخطط التي باءت بالفشل كانت تلك التي اعتمدت على هيكل أقل استقرارا. فمخطة تفجير برجى التجارة ووزارة الدفاع الأمريكية، والتي أسفرت عن تدمير كارثي، قد اعتمدت على هيكل أكثر استقرارا.

كتابة التقارير عن الإرهاب

إن الطبيعة المعقدة والمتشابكة للإرهاب وامتداده إلى مجالات كثيرة من الأنشطة غير الشرعية مع تمسكه في نفس الوقت بالترويج لأيديولوجياته وأهدافه السياسية التي قد

تلتبس على البعض أحيانا، يجعل من الصعب على وسائل الإعلام المختلفة أن تقدم تقارير واضحة ومتناسكة بشأنه. لذا كان من الطبيعي أن يعتمد الإعلاميون في كتابة تقاريرهم عن الإرهاب على البيانات الرسمية. التي تكون مبالغ في تبسيطها للأمور وقد تكون غير موضوعية أو منحازة سياسيا. في الفصل الثالث عشر، وهو أكثر فصول هذا الكتاب تقنية، يقدم لنا دينيس وستول بحثا دقيقا، لإمكانية خضوع التقارير الخاصة بالإرهاب لتحليل دقيق لمضمونها. وقد كان من ضمن النتائج، الاختلاف الواضح بين التقارير التي تصدر بالمملكة المتحدة، وتلك التي تصدر بالولايات المتحدة. كما كشف النقاب أيضا عن أهمية مصادر التقارير في التأثير على مدى مصداقيتها.

ولاشك أن كتابة التقارير والتعليق عليها تلعبان دورا أساسيا في التأثير على الجماهير، وهو الهدف الأساسي من قيام الإرهابيين بتلك الأنشطة. إذ إن الدعاية والترويج لفضيتهم من أهم العناصر التي يعتمدون عليها في نشر أفكارهم والقدرة على استقطاب مزيد من الأفراد إلى صفوفهم. وجدير بالذكر أن الاختلافات التي يشار إليها في الفصل الثالث عشر، تبرز أهمية تجاوز الباحث لتقارير وسائل الإعلام، إلى بحث أعمق في أغوار الأحداث لكشف النقاب عن الوجوه المتعددة للإرهاب.

المستقبل

إن طبيعة الإرهاب ذات الوجوه المتعددة والاستعداد المستمر للتطور، تكلان مؤشرا لإمكانية دوام هذا التهديد. ومن هنا كانت أهمية ما يؤكده شارب باركر في الفصل الرابع عشر عن أهمية تناول موضوع اقتحام الإرهابيين لمجال الشبكة الإلكترونية الدولية وإمكاناتها المتعددة. من المعروف أن الإرهابيين على دراية جيدة باستخدامات هذه الشبكة، سواء في وضع الخطط أو تجنيد عناصرهم أو التنسيق فيما بينهم. وطبقا لباركر، فلا بد أن نذكر أنه كما مهدت عمليات الكاميكاكاز (الطيارين الانتحاريين) اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية لهجمات ١١ / ٩ على برجى التجارة، فإن ما نشهده اليوم على الشبكة الدولية من تهديدات، لاشك يؤرقنا. حيث إن الشبكة الدولية قد تحول قريبا، إلى ساحة حرب حقيقية يستخدمها المتمردون والإرهابيون.

ولا يخفى أن الانتشار الراهن للجرائم التي تعتمد أساسا على هذه الشبكة، يفتح المجال على مصراعيه أمام المجموعات الإرهابية التي تتربص للفرص السانحة. ومن مصادر القلق بصفة خاصة، ما ألمح إليه باركر، من أن العولمة أتاحت انفتاح الجميع على مجريات الأمور في العالم بما فيها أحدث الجرائم وأدق خططها. ومن هنا كانت أهمية رد فعل عالمي يسعى بوعى ومسئولية إلى مواجهة هذا التحدى ونتائجه الوخيمة على حياتنا.

مواجهة المؤشرات النفسية للإرهاب

إن أساس تقويض الحالة النفسية التي تقود الأفراد إلى طريق الإرهاب، يكمن في تدمير هذا التقسيم الصارم في عالم الإرهابي، بين مجموعته وبقية العالم. وقد أشار العديد من المعلقين ومن السياسيين والتربويين إلى أهمية تلك الهوية الاجتماعية لدى الإرهابي. وإلى ضرورة العمل على إضعاف تلك الثنائية تمهيدا للقضاء عليها. وهناك العديد من الدلائل التي تشير إلى قوة هذه الثنائية وتأصلها في الفكر الإرهابي؛ لذا فبدون تعاون وتنسيق بين الخبراء والمتخصصين فإن احتمالات تفاقمها وتعزيزها تتزايد.

إن ما تعجز بعض الشخصيات العامة، عن تقديره، هو أن تلك الجماعات قادرة مع تأصل تلك الثنائية على تحين الفرص للقيام بأعمال عنف غير مبررة، كاستغلال بعض التصرفات الاستفزازية. ويذكرنا ذلك بالرسومات الكاريكاتيرية للرسول عليه السلام بالدنمارك، والتي أثارت حنق المسلمين وكانت دافعا ومحفزا على ارتكاب أعمال عنف وإراقة دماء حول العالم.

فما حدث نتيجة هذه الرسومات يتعلق بالرمز الذي تشير إليه، وليس بالرسومات في حد ذاتها. والقصة تمثل «الغرب» الذي يكره المسلمين ويسب «الإسلام» ويسخر من رموزه. ثم من ناحية أخرى، أهمية انتقام المسلمين لكراماتهم ودفاعهم عن دينهم في مواجهة الغرب.

إننا كبشر نقوم بعملية التصنيف بشكل غير مدروس بل وساذج في كثير من الأحيان وهذه العملية طبيعية لدينا جميعا. ولكنها تحمل مع ذلك، الكثير من مظاهر الخطورة وأسباب القلق.

يسود الأجواء، حالياً، جدل يتميز بالضحالة والسطحية، حول موضوع «العرق». وقد أوضح ماركس (٢٠٠٢) بشكل لا يحتمل التأويل، وكذلك غيره من الباحثين، أنه من الناحية البيولوجية فلا أساس للاختلاف بين الأجناس أو الجماعات «العرقية». وأن ما يمكن قوله على وجه العموم، إنه كلما زاد اختلاط شعبيْن من الأمم، زادت احتمالات أن يتقاسما العديد من الجينات المشتركة. ورغم تميز شعوب العالم فيما يخص بعض الملامح، كاللون أو الجلد أو شكل الأنف، هذه الفروق تعتبر بسيطة وغير فارقة. أما أساس الاختلاف بين الشعوب فمصدره اختلاف في المواقف والثقافات وليس الاختلافات البيولوجية.

وجدير بالذكر أن محاولات التفرقة والتمييز بين الأفراد بناء على خصائص فردية كالدين أو بلد المولد أو «العرق» أو الجنس أو حتى على أساس فريق كرة القدم المحب لديهم، يعمل على تعزيز وتأصيل ما يعرف بعوارض سامسون (كانتر، ٢٠٠٦). إن على التربية والمربين دوراً كبيراً في محاولة تخليص العقول من خرافات تلك القصص التي انتشرت على مر التاريخ، والتي تؤصل العرقية والاختلافات بين الأفراد والشعوب. وهذه ضرورة يجب أن يضعها المسئولون ضمن أولويات وسائل مكافحة الإرهاب

فك الاشتباك مع الإرهاب

إذا من الطبيعي إذا أردنا أن يتخلى الأفراد عن الإرهاب، أن يدرك كل المتخصصين في هذا المجال، حقائق عملية التحول إلى تلك الشخصية غير السوية. وتفصيل العملية الاجتماعية المعقدة التي يمر بها الإرهابي حتى يصل إلى تلك المحطة. وقد أشار كل من هورجان في الفصل الخامس عشر، ثم مغدم في آخر فصل، إلى صعوبة فك الاشتباك مع حالة الإرهاب خاصة بالنسبة للأفراد الذين عاشوا هذه الحالة طيلة حياتهم وتبنوا ثقافتها بالكامل. وقد حاول كل منهما بطريقته أن يلقي الضوء على نقطة مهمة، مفادها أن عملية فك الاشتباك ترتبط بالسبب الذي وضع الفرد على طريق الإرهاب من الأساس. فقد تكون رابطة العائلة أو صلة القرابة كما يكشف لنا كاسيماري في دراسة الحالة الخاصة بمجموعة ١٧N الإرهابية بالفصل السادس. أو قد يكون السبب في

الانضمام إلى الإرهابيين مرتبطًا بالأيديولوجية، كما يذكر ويليم في الفصل الرابع. ويضيف مغمدم، في تصوره لما أسماه بسلم الإرهاب، أن الإرهابيين إذا صعدوا حتى أعلى درجات السلم، فلن يكون من السهل إقناعهم بنزول درجاته ثانياً.

ولا شك أنه من الأسر والأوقع عملياً أن نحاول أن نجنبهم مخاطر السير في طريق الإرهاب من الأساس. وذلك من خلال تحريك عوامل نفسية وأخرى سياسية وثقافية من شأنها أن تقود إلى التغيير المنشود. إذ لا بد من التعامل مع ظاهرة الإرهاب على أنها وحش متعدد الرؤوس، حتى نتغلب عليها بالفعل. فهي في نهاية الأمر مشكلة متعددة الجوانب ومعقدة التركيب.

وحقيقة الأمر فلا يوجد أى فرع معرفى حتى يومنا هذا قد استطاع تقديم تفسير واف لمسألة ظهور جماعات ترتكب أعمال عنف ضد النظام الحاكم. وكما تكشف فصول هذا الكتاب فإن الأسباب النفسية المسؤولة عن ارتكاب هذه الفظائع على يد الإرهاب متداخلة مع عمليات اجتماعية أخرى، غاية في التعقيد. والخلاصة، أن السبيل الوحيد للقضاء على أسباب الإرهاب، هو التعامل معه على أساس كونه ظاهرة مركبة ومتعدد الوجوه والجوانب.

- Anarchist Archives (2006). *Bakunin's collected works*. Retrieved March 2006, from http://dwardmac.pitzer.edu/Anarchist_Archives/bakunin/BakuninCW.html
- Atran, S. (2004). Mishandling suicide terrorism. *The Washington Quarterly*, 27, 67–90.
- Bodansky, Y. (2001). *Bin Laden: The man who declared war on America*. New York: Random House.
- Canter, D. (1995). *Criminal shadows*. London: HarperCollins.
- Canter, D. (2000). Destructive organisational psychology. In D. Canter, & L. Alison (Eds), *The social psychology of crime* (pp. 321–334). Aldershot: Ashgate.
- Canter, D. (2006). The Samson Syndrome: Is there a kamikaze psychology? *21st Century Society*, 1, 107–127.
- Coogan, T. P. (2002). *The IRA*. New York: Palgrave.
- Crosby, F. (1982). *Relative deprivation and working women*. New York: Oxford University Press.
- Duckitt, J., & Mphuting, T. (1998). Group identification and intergroup attitudes: A longitudinal analysis in South Africa. *Journal of Personality and Social Psychology*, 74, 80–85.
- Gunaratna, R. (2003). *Suicide terrorism: A global threat*. Jane's Information Group, 20 October 2000. Retrieved June 10, 2009, from www.janes.com/security/international_security/news/usscole/jir001020_1_n.shtml
- Heap, M., & Kirsch, I. (Eds) (2006). *Hypnosis: Theory, research and application*. Aldershot: Ashgate.
- Hickey, E. (2005). *Serial murderers and their victims*. Belmont: Wadsworth.
- Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.
- Khan, M. H. (2005). *Videotape of Mohammad Sidique Khan*. Retrieved May 15, 2009, from <http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk/4678837.stm>
- Lamont-Brown, R. (1997). *Kamikaze: Japan's suicide Samurai*. London: Cassell.
- Marks, J. (2002). *What it means to be 98% chimpanzee*. Berkeley, CA: University of California Press.
- Merari, A. (1990). *Special oversight panel on terrorism hearing on terrorism and threats to U.S. interests in the Middle East*. Retrieved May 15, 2009, from http://commdocs.house.gov/committees/security/has195240.000/has195240_0f.htm
- Moghaddam, F. M. (2005). The staircase to terrorism: A psychological exploration. *American Psychologist*, 60, 161–169.
- Orwell, G. (1933). *The road to Wigan Pier*. Retrieved January 6, 2006, from www.george-orwell.org/The_Road_to_Wigan_Pier/4.html
- Richardson, L. (2006). *What terrorists want: Understanding the terrorist threat*. London: John Murray.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Silke, A. (2003). The psychology of suicidal terrorism. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society* (pp. 93–108). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.

- Smith, H. J., & Leach, C. W. (2004). Group membership and everyday social comparison experiences. *European Journal of Social Psychology*, 34, 297–308.
- Soibelman, M. (2004). Palestinian suicide bombers. *Journal of Investigative Psychology and Offender Profiling*, 1, 175–190.
- Speckhard, A. (2006). Defusing human bombs: understanding suicide terrorism. In J. Victoroff, & S. Mednick (Eds), *Psychology and terrorism*. Amsterdam: IOS Press.
- Walker, I., & Smith, H. J. (Eds) (2002). *Relative deprivation: Specification, development, and integration*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Youngs, R. (2006). *Democracy and security in the Middle East*. Internal report submitted for publication. Madrid: Fundación para las Relaciones Internacionales y el Diálogo Exterior, from <http://www.fride.org/publication/58/democracy-and-security-in-the-middle-east> assessed August 21 2009.

الفصل الثانى

من السذاجة إلى الاحتراف:

نشأة المجموعات المسلحة بأيرلندا الشمالية^(١)

بقلم: نيل فيرجسون ومارك بورجس

نبذة: أثبت العديد من الدراسات، أن التورط في أعمال عنف مسلحة تبدأ، في أغلب الأحيان، بالاشتراك في أعمال عنف عادية. كما توضح الدراسات أيضاً، أنه وحتى بعد الوصول إلى اتفاق سلام بين الأطراف المتنازعة، فإن المشاكل الاجتماعية لا تنتهى. إذ إن منفذى تلك الأنشطة قد يقعون أنفسهم ضحايا لأعمالهم. إذ قد يتحول بعضهم إلى مرضى نفسيين. يركز هذا الفصل على أهمية مواجهة هذه المشاكل، خاصة وأنها تأخذ شكلاً مستتراً، ثم لا تلبث أن تطفو على السطح مرة أخرى حين تشتعل جذوتها من جديد. لقد تم الاستفادة من تجربة أيرلندا الشمالية في هذا المجال، وهو ما انعكس آراء ووجهات نظر قادة عسكريين وسياسيين، تلجأ الحكومات إلى خبراتهم، كلما تطلبت الظروف احتواء الإرهاب أو مواجهته من خلال ردود أفعال مناسبة. وذلك عبر دول العالم، وبغض النظر عن نوع هذا الإرهاب أو أصوله.

(١) المراسلات الخاصة بهذا الفصل يجب أن ترسل إلى نيل فيرجسون بمركز ديزموند توتو لدراسات الحرب والسلام. بجامعة ليفربول هوب. هوب بارك المملكة المتحدة. تليفون: ٤٤+ (٠) ١٥١٢٩١-٣٧٥٤.

فاكس: ٤٤+ (٠) ١٥١٢٩١-٣٧٧٣ Email: fergusn@hope.ac.uk

من الملاحظ أن العالم لم يعد مكاناً آمناً بالنسبة لدول كثيرة بعد تفجيرات برجى التجارة بنيويورك في أحداث ١١ / ٩ / ٢٠٠١. وما نتج عنه من تحالف دول كثيرة مع الولايات المتحدة في «حربها ضد الإرهاب». تعتبر المملكة المتحدة من أكثر الدول التى تضررت بشكل خاص نتيجة لذلك. وقد تسبب تدمير برجى التجارة العالمية في قتل أكثر من ٢٨٠٠ فرد، يتمون إلى ٨٥ دولة. وفقدت إنجلترا ٦٧ مواطناً. كما أن كثيراً من الضحايا في هذا الحادث كانت تربطهم علاقات قرابة بعائلات تقطن إنجلترا. ومن المشاهد أنه منذ ٢٠٠١ أصبحت مدينة لندن، على وجه الخصوص، مرتعاً خصباً يمارس فيه الإرهاب نشاطاته الإجرامية لاسيما المتطرفين الإسلاميين.

و من أكثر تلك الهجمات شراسة ودموية، تلك التفجيرات التى استهدفت شبكة النقل العام بمدينة لندن وأسفرت عن مقتل ٥٢ شخصاً. وكان ذلك في السابع من شهر يوليو ٢٠٠٥. ونتج عنها حالة من الرعب والفزع، اجتاحت الدوائر الإعلامية والسياسية وطالت المواطن الإنجليزى العادى. وكان مصدر هذا الفزع، إرهاب الجهاد الإسلامى. خاصة المرتبط منه بالفكر الأصولى في مسألة الاستشهاد. وساد هاجس استعداد تلك الجماعات للتضحية بأفرادها، واستخدامهم كقنابل بشرية لتحقيق أهدافها، ونشر حملة الرعب في كل أرجاء البلاد.

هذه المسألة استحوذت على اهتمام وسائل الإعلام بشكل كبير منذ عام ٢٠٠١.

وحقيقة الأمر فإن هاجس الرعب من تلك العمليات الاستشهادية وربطها بجماعات الجهاد الإسلامى وحدها يعتبر ظاهرة مبالغاً فيها بعض الشيء. حيث إن العمليات الانتحارية واستخدام الأفراد كقنابل بشرية، قد تم اللجوء إليه من قبل على يد مجموعات مختلفة على مر التاريخ. مثل جماعة التحرير الهندوسية - زيل إيلام، والماركسيين، وكذلك جبهة التحرير الفلسطينية. وحتى إذا عدنا بالتاريخ إلى الأزمنة القديمة، فسنجد أن كتاب العهد القديم قد سجل قصة سمسون، وهو الرجل الضرب الذى ضحى بنفسه حين أسقط أعمدة المعبد فانهار على من فيه، متسبباً في قتل ٣٠٠٠ فرد.

كتب هادسون (١٩٩٩) عن الاستشهاد، أنه من أفضل الوسائل التكتيكية في خطط الجماعات الإرهابية. حيث إن اسشهاد منفذ العملية تعنى إعفاء الجماعة من تبعات شعوره بالندم أو الذنب في المستقبل. وهو ما يعنى بدوره تجنب انتقال عدوى الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير إلى بقية أفراد المجموعة. أما سبكهارد (٢٠٠٦) فيعدد مزايا الاستشهاد من وجهة نظر الجماعات الإرهابية، كما يلي:

أ- يعد وسيلة غير مكلفة.

ب- مضمونة الفعالية.

ج- من أشد الأسلحة فتكا.

د- أكثر الوسائل إثارة للرعب.

هـ - استحالة منع حدوثها.

و- يصعب اقتفاء آثارها.

ذ- إذا كان لدى الجماعة عدد كافٍ من الاستشهاديين، ضمنت مواصلة جهادها من خلال سلاح «ذكي» ومضمون النتائج. إذا من المهم أن نسجل هنا، أنه إذا كانت العمليات الاستشهادية سلاحا عسكريا إستراتيجيا، فهي بالتأكيد ليست بالسلاح الجديد.

وحقيقة الأمر فإن المدن الإنجليزية قد شهدت العديد من التفجيرات بالقنابل، خاصة مدينة لندن. فالجيش الأيرلندى الجمهورى الحقيقى (PIRA) قد تسبب في تفجيرين عن طريق السيارات المملغة في مدينة لندن. الأول كان في منطقة إيلنج، والثاني وقع أمام مبنى تلفزيون BBC. وآخرها سيارة أخرى لم تنفجر بالكامل بمركز مدينة برمنجهام. عام ٢٠٠١. ولا نذكر تلك التفجيرات على سبيل الحصر، بل كانت ضمن سلسلة من التفجيرات التى شهدتها مدن المملكة المتحدة، أغلبها تم على يد الجيش الجمهورى الأيرلندى المؤقت IRA. منذ أن قرر مد حربه في بداية السبعينيات. إن استخدام الأفراد كقنابل بشرية وانتشار عمليات التفجير الانتحارى امتدت أيضا لتشمل منطقة شمال أيرلندا. حيث كان استخدامها دارجا ومألوفاً، كسلاح لتحقيق أهداف سياسية.

في عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠ استخدم الجيش الجمهوري الأيرلندي في حربه المسلحة ضد بريطانيا، إستراتيجية مأكرة عرفت «بالتفجير عن طريق الغير». حيث كانت تلك المجموعة تفتحم المنازل وتحتجز العائلات كرهائن، وتهدد الأب بالقتل ما لم يمثل لمطالبها، بينما ترغمه، على قيادة شاحنة ملغمة والاتجاه بها إلى مركز شرطة أو جيش. وما إن يصل إلى الهدف، حتى تقوم بتفجير الشاحنة عن بعد. وهكذا استخدمت هذه المجموعات رهائنهما، كقنبلة بشرية تقوم بتحقيق الهدف بالنيابة عنها. كما استخدمت نفس المجموعة العمليات الانتحارية ومبدأ الاستشهاد في تنفيذ مآربها السياسية والضغط على الحكومات الإنجليزية. ومن أشهر مظاهرها ما عرف «بالموجة الثانية للإضراب عن الطعام» عام ١٩٨١. التي قام بها السجناء السياسيون، للمطالبة بمزيد من الحقوق وتحسين الأحوال داخل السجون.. فكانوا يضربون عن الطعام حتى الموت. وبالعودة إلى العقود الأخيرة يتضح أن العمليات الإرهابية والرعب الذي يصاحبها، ليس بالظاهرة الحديثة. فقد عاشت المملكة المتحدة أحداثا كثيرة من خلال الحملات الإرهابية الممتدة منذ أواخر الستينيات. حيث كانت منطقة أيرلندا الشمالية هي مركز تلك الأنشطة.

تكونت دولة أيرلندا الشمالية بمقتضى الاتفاقية الأنجلو - أيرلندية في السادس من ديسمبر ١٩٢١.

وقسمت أيرلندا بمقتضاها إلى أمتين. ومنذ ذلك الحين وشعب أيرلندا الشمالية، يعاني من عنف الحملات السياسية، التي لم تهدأ على مدى عدة عقود من الزمن. على أن أطول تلك الحملات، بدأت في الفترة الأخيرة من الستينيات وامتدت على فترات، حتى إعلان وقف إطلاق النار وبدء مفاوضات السلام في نهاية التسعينيات.

وقد أسفرت فترة المتاعب (كما اصطلاح على تسميتها على سبيل التجميل) عن مقتل ٣٧٠٠ فرد وأكثر من ٤٠٠٠٠ مصاب. منهم ٥٣٪ قتلى مدنيون و ٦٨٪ مصابون مدنيون. (سميث ١٩٩٨ سميث وهاملتون، ٢٠٠٤). وقد نسب أغلبية القتلى إلى

الجماعات المسلحة (٨٧٪ من مجموع القتلى، ٥٩٪ على يد الجمهوريين، ٢٨٪ على يد أنباعهم) وما يقرب من (١١٪ من المجموع) قد نسبت إلى قوات الأمن. (سميث، ١٩٩٨).

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة paramilitary groups بأيرلندا الشمالية لاتعنى الجيوش غير النظامية التى تتعاون مع الجيش الرسمى للبلاد، كما ورد بالتعريف التقليدى للمصطلح، بل تعتبر جماعات مسلحة من المتمردين، الذين يعتبرهم أعداءهم من الإرهابيين. مثل الجيش الأيرلندى الجمهورى IRA أو قوات ألستر المتطوعة UVF. حظت «التلاعب» التى اجتاحت منطقة شمال أيرلندا حتى توقيعها اتفاقية السلام عام ١٩٩٨ بقدر كبير من اهتمام العالم، كما حظت أيضا الجماعات المسلحة وأنشطتها الإجرامية باهتمام كبار الباحثين والدارسين الذين تفرغوا لبحثها وتحليلها، وقدموا دراسات مستفيضة عنها، أفادت المتخصصين، وما زالوا يستفيدون منها حتى يومنا هذا، فى استجلاء كثير من الغموض الذى يحيط بالمجموعات الإرهابية فى عصرنا الحديث. (ماك جيتى، مالدون وفيرجسون ٢٠٠٧، وايت، ١٩٩٠). ومنذ تفجيرات ٩/١١، تحولت الأنظار عن أيرلندا الشمالية وجماعاتها المسلحة إلى نوع آخر من الإرهاب مرتبط بالجهاد الإسلامى والجماعات الأصولية المتطرفة. ونمت الحاجة الملحة إلى مزيد من المعلومات عن ذلك الخطر الجديد الذى يهدد العالم. يبرز هورجان مدى أهمية هذه الحاجة (٢٠٠٥) حينما يؤكد أن أكثر من ٨٠٠ كتاب كان قد تم نشره، عن أحداث ٩/١١ قبل مرور أول عام على وقوعها. ويعتبر هذا العدد الكثيف من الإصدارات ذات مغذى، خاصة وأن هذا المجال لم يحظ قبل الأحداث الأخيرة بأكثر من بضعة كتب لا يتجاوز عدده أصابع اليد الواحدة فى نهاية الستينيات (رابوبير، ١٩٨٨). وقد كان مصدر الاهتمام بهذا النوع من الإرهاب الجديد، هو فلسفة الفكر المتطرف وقدرته على تحويل شباب عاديين إلى متطرفين على استعداد للتضحية بالذات فى سبيل تحقيق أهداف سياسية. ولكن ومن وجهة نظر هورجان (٢٠٠٥)، فإن هذا الطوفان الجارف من الإصدارات، ما بين كتب، ومجلات ومقالات، نشرت بكثير من الصحف، لم تسهم فى زيادة معلوماتنا أو معرفتنا عن هذه الجماعات فى الواقع. حيث إن هذه التحليلات

تفتقر إلى المعلومات الدقيقة. ويؤكد سيلك (٢٠٠١) على سبيل المثال، أن حوالي ٨٠٪ من الدراسات التي تناولت الإرهاب اعتمدت على تكرار معلومات قديمة. واقتصرت المعلومات الدقيقة التي جاءت عن طريق المقابلات على مجرد ١٣٪ فقط.

إن ندرة الباحثين الفاعلين في هذا المجال هو السبب في عدم مصداقية ما يقدم من أبحاث في مجال دراسات الإرهاب. ولا شك أن الأخطار المحدقة بالمقابلات سواء من الناحية الجسدية أو النفسية تبرر تقاعس الباحثين عن تقديم أبحاث مفيدة في هذا المجال. ومع ذلك فقد برزت بعض المناطق التي تشكل، إلى حد كبير، بيئة أقل خطورة مثل شمال أيرلندا التي أفاقت أخيراً من حملات العنف المتواصلة، التي اجتاحتها سنوات طويلة. وتعتبر مناطق أقل خطورة من العراق أو أفغانستان أو الشيشان. كما تعتبر أيرلندا الشمالية أكثر ملاءمة أيضاً من حيث موقعها كجزء من أوروبا يتحدث الإنجليزية، والمجتمع قد اعتاد التعامل مع الباحثين في مجال الإرهاب. (ماك جينتي أت أل، ٢٠٠٧)

وجدير بالذكر أن محاولة الاستفادة من تجارب الإرهاب «القديم» في شتى بقاع العالم، قد واجه انتقاداً ومقاومة كبيرة من قبل كثير من الخبراء في هذا المجال. وساد اتجاه بينهم يرفض التحاليل المبنية على هذا الشكل من الإرهاب، أو يتجاهله. (هورجان في الصحافة). وهناك فريق آخر من الباحثين مثل هورجان وبنيامين وسيمون (٢٠٠٢) وكرنشو (٢٠٠٥) ممن يتبنون رأياً معارضاً، لهذا الاتجاه، مؤكدين أن عدم دراسة وتحليل الإرهاب الذي سبق أحداث ٩ / ١١، يقلل من إمكانيات المقارنة بين الإرهاب القديم والحديث؛ وبالتالي الوقوف على ملامح التشابه فيما بينهما. مما قد يفضي إلى اكتشاف الأسباب الحقيقية وراء انخراط الشباب في مثل هذه الأنشطة. وعلى سبيل المثال فإن الأبحاث التي تمت بناء على الإرهاب «القديم» أثبتت أن الوطنية كانت هي الدافع الأول لحمولات العنف حول العالم وليست الأيديولوجية الإسلامية. إذ يزعم باب (٢٠٠٥) أن أغلب الحملات الانتحارية التي يقودها الإرهابيون تهدف إلى إلزام الدول الديمقراطية على سحب قواتها العسكرية التي تحتل البلاد. ينطبق ذلك على

لبنان والشيكان. وحتى إذا نظرنا إلى الموقف الحالي بالعراق، فإن الأزمة السائدة تدفعنا إلى ضرورة البحث والتحليل الدقيق للحركات الوطنية الانفصالية المرتبطة باستمرار الأنشطة الإرهابية في هذه المنطقة. ووجودها جنباً إلى جنب مع جماعات الإرهاب الإسلامي المسلح.

إن الرغبة في تقديم أبحاث ذات مصداقية عالية، بالإضافة إلى إتاحة شمال أيرلندا الفرصة لنا لإجراء مزيد من البحث والدراسة والاستفادة من تجربتها مع الجماعات المسلحة. إلى جانب ما نملك من تجارب خاصة بالإرهاب في بعض بؤر الأزمات في العالم، يدفعنا إلى مزيد من التحليل والدراسة للعوامل والمبررات التي تدفع الشباب إلى الانضمام إلى تلك الجيوش غير النظامية المسلحة (برجز فيرجسون وهوليود، ٢٠٠٧). وإلى أي مدى يرى المحاربون القدامى في هذه المنطقة من العالم، أن هناك احتمالات مواصلة الحملات الإرهابية مرة أخرى في شمال أيرلندا بعد توقيع اتفاق السلام (برجز فيرجسون وهوليود، ٢٠٠٧). يعتمد هذا الفصل على الأبحاث التي تكشف النقاب عن رحلة تحول أفراد عاديين إلى متمردين. وآثار هذه الرحلة على حياتهم. وكيف يقيمون تجربتهم وما شابها من عنف في تحقيق الأهداف السياسية.

الطريق إلى التمرد

إن الأبحاث التي ركزت على أسباب تورط الأفراد في العمل المسلح أو مبررات الانضمام إلى الجماعات المسلحة، قد اعتمدت في أغلبها، على ذلك التصنيف الشائع عن الإرهابيين، أنهم أفراد غير أسوياء ويعانون في أغلب الأحيان من أمراض نفسية، وأنهم عموماً أشخاص مثيرون للراء. إذ كانت النظرة التقليدية أنهم في الأساس من مختلى العقل. وهم يقترفون تلك الجرائم من هذا المنطلق. (هورجان، ٢٠٠٣، سيلك، ١٩٩٨). ورغم أن هذه الصورة النمطية عن الإرهابي المجنون والمختل عقلياً، لا تزال شائعة ومكررة في الإعلام بشكل كبير، فإن الرأي العام أصبح أقل اقتناعاً بها. إذ أصبح يرى فيها مغالاة في تبسيط الأمور واختزالاً للواقع. (بورجس أت أل، ٢٠٠٥)

أ، ٢٠٠٥ ب، هورجان ٢٠٠٣، لويس وتايلور، ٢٠٠٢، أوبرشال، ٢٠٠٤، سيلك، ١٩٩٨، فيكتوروف، ٢٠٠٥).

إن مراجعة حديثة وشاملة للأبحاث، تثبت أن فهم أسباب العنف المسلح يتطلب منا تحليلاً أكثر تكاملاً وشمولاً. (فيكتوروف، ٢٠٠٥). تحليلاً يأخذ في الاعتبار العوامل الداخلية، كما يتضمن أيضاً العوامل الخارجية أو الاجتماعية للأفراد إلى جانب مراعاته لديناميكية مشكلة الإرهاب.. وعلى الرغم من القصور المنهجي للأبحاث الخاصة بالإرهاب، فإنه يمكن الإقرار من خلال الدراسات السابقة الخاصة بالإرهابيين المنتمين إلى جماعات مختلفة عبر بلاد العالم، أن هناك قائمة عوامل يتفق عليها الجميع ويرجعون مسئوليتها عن تحول الأفراد العاديين إلى إرهابيين. ومن واقع تجاربنا السابقة في هذا المجال، يمكن أن نجزم بفاعلية هذه القائمة. وتتضمن ما يلي من عوامل:

(أ) وجود حالة من المعاناة أو المظالم، تشعر بها مجموعة من الشعب. (انظر بورجز أت أل، ٢٠٠٥ ب، ومن المصدر الأول مباشرة انظر، كرينشو ٢٠٠٣). ومن التقارير المثيرة للدهشة تلك التي كتب عنها فرجسون وبرجز وهوليود، (في الصحافة) والتي تؤكد من واقع مقابلات أجريت مع بعض أفراد من المنتمين السابقين إلى تلك الجماعات المسلحة في أيرلندا الشمالية، أن «حالة المظالم» المزعومة، قد تكون مجرد أساطير وشائعات سادت في وقت «المتاعب» وكانت في الأغلب، بعيدة عن الواقع العملي. وأنه قد تم استغلالها للتضليل..

(ب) السن والنوع. تدل الوقائع أن الجرائم الإرهابية يرتكبها شباب من الذكور، تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين. (سيلك، ٢٠٠٣ ب). والأبحاث تثبت أن الجهاديين عادة يقومون بتجنيد وتدريب شباب من الذكور العذاب في نهاية مرحلة المراهقة أو بداية العشرينيات. (هورجان، ٢٠٠٣). ويبدو أن السن والنوع هما العاملان الوحيدان من الناحية البيولوجية، اللذان يمكن التعويل عليهما، في بحثنا عن عوامل وأسباب الانضمام إلى الجماعات المسلحة. (سيلك، ٢٠٠٣ ب). إلا

أن هذه الحقيقة من ناحية أخرى، لا تساعدنا كثيرا في رسم ملامح محددة للإرهابيين المطلوب القبض عليهم. وبالتالي فهي ليست حاسمة في عملية مكافحة الإرهاب.

(ج) الروابط العائلية، أو روابط الصداقة قد تلعب دورا مهما في انضمام الأفراد إلى جماعات مسلحة. فارتباط العائلة بمساندة جماعة مسلحة، يشجع أفرادها على الانضمام إليها. (بورجس أت أل، ٢٠٠٥ ب كروفورد ٢٠٠٣). بل إن سيجمان (٢٠٠٤) يؤكد أن هذا العامل من أساسيات تجنيد أعضاء جدد، قد تكون من خارج بؤر الأزمات أو الصراعات لمجرد ارتباط العائلة التاريخي بالمجموعة. وأن هذا العامل من العوامل الأساسية التي تلعب دورها في انضمام الشباب إلى الجماعات المسلحة، ولا يمكن اعتباره اختلالا في السلوك. ويعزز كل من برت وسبيشت هذه الحقيقة (٢٠٠٤). مؤكداً أن الشواهد تدعم تكرار هذه الظاهرة بشكل منتظم بين الشباب المسلمين الذين ينضمون لجماعات الجهاد.

(د) المكانة التي قد يحظى بها الفرد في مجتمعه جراء انضمامه إلى مجموعة تتمتع بمساندة المجتمع واحترامه. مما يخلق عليه وضعاً اجتماعياً مميزاً يكسبه مزيداً من الاحترام. ويلعب ذلك دوره في درجة الإقبال على عضوية المجموعة (برجس أت، أل ٢٠٠٧، سبرينجزاك وداني، ٢٠٠٣). وهذا رغم ما تضيفه حياة الإرهابي من ضغوط وأعباء نفسية واجتماعية ثقيلة تلقى على كاهل العضو. إذ غالباً ما تفرض عليه أن يعيش في عزلة، أو يواجه مخاطر القتل أو السجن. (برجس أت أل، ٢٠٠٥ ب، فرجسون أت أل) إلا أن التقدير والاحترام الذي يحظى به، قد يهون من وطأة تلك المخاطر. وإلى جانب التقدير الاجتماعي، قد يحصل الأعضاء الجدد أيضاً على مكافآت مادية أو جنسية مقابل تنفيذهم المهام التي تسند إليهم. (سيلك، ٢٠٠٣، هورجان ٢٠٠٥).

(ط) إن الانضمام إلى عضوية تلك الجماعات غالباً ما يكون تدريجياً، فالأفراد قد يشتركون أولاً في مجرد تراشق بالأحجار أو يقومون بالكتابة على الحوائط بعض الشعارات. قبل أن تتصاعد أنشطتهم إلى درجة تدمير الممتلكات أو التورط في إصابة

أو قتل الأعداء. (أوبيرشل، ٢٠٠٤). وقد أكد ذلك أفراد كانوا أعضاء سابقين في جماعات مسلحة. حيث أقروا أن البداية كانت أولاً من خلال الاشتراك في أنشطة غير مرتبطة مباشرة بالآزمة أو الصراع. كالانضمام إلى عصابات أو التورط في أعمال السطو والإغارة، قبل الانضمام إلى المجموعات المسلحة كمجندين في صفوفها. (فرجسون، فيرجز وهوليود، ٢٠٠٧) والقيام بمهام الاغتيالات أو التفجيرات.

(ف) كما أكد الباحثون أن دافع الانتقام أكثر الدوافع تحفيزاً للتحرك بهدف تقويم الأخطاء. هذا ما أثبتته نتائج كثير من الأبحاث. ويمكن التعويل عليه كسبب أساسى من أسباب الانضمام إلى جماعات العنف السياسى (بورجزأت أل ٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ [٢٠٠٧، كرينشو، ٢٠٠٣، سيلك ٢٠٠٣ ب سبيكهارد، ٢٠٠٦). ويذكر تاريخ الجماعات المسلحة بالفعل بكثير من الحوادث التى يحركها دافع الانتقام أو التأثير لمجتمع معين أو لأصدقاء يقعون ضحايا لظلم «الآخرين» مما يدفع ويجفز للتحرك من خلال الانضمام إلى مجموعة مسلحة.

(ق) إن الانضمام إلى جماعة مسلحة يتطلب من كل فرد فى المجموعة الاندماج الكامل داخلها، بحيث يمكن لكل فرد أن يحل محل الآخر، بشكل مطلق وبغير شروط. إن هذا التطابق الكامل مع بقية أفراد الجماعة، هو الذى يساعد على تبين كامل لفكرها وأيديولوجيتها وكل ما تؤمن به من قيم ومبادئ. وتقدم لنا نظرية الهوية الاجتماعية، تفاصيل عن عملية الاندماج وما ينتج عنها من التزام قوى بأهداف الجماعة (سأت، تاجفل، ١٩٧٨، تاجفل وتورنر، ١٩٧٩). كما أثبتت الأبحاث الواردة من أيرلندا الشمالية أن البروتستانت أو الكاثوليك المؤمنين بالاندماج الكامل فى هوية المجموعة، يتميز شعورهم وسلوكهم تجاه كل ما يخص الجماعة بالولاء الكامل والقوة. ويكونون أكثر استعداداً للقيام بأعمال العنف من أجلها. (كايرنز، كينورثى، كامبل وهيوستون، ٢٠٠٦، فيرجسون ٢٠٠٩، تاوش، هيوستون كينورثى، كايرنز وكريست ٢٠٠٧).

(ك) معايشة الفرد لوقوع ظلم أو عنف ضد أفراد عائلته أو أصدقائه أو عضو من أعضاء الجماعة التي ينتمى إليها. وذلك سواء كان الفرد قد عايش هذه الأحداث بالفعل، أم شاهدها على شاشات التلفاز، كما حدث مع أحد أعضاء UVF الذين تم لقاءهم. (انظر برجس أت أل ٢٠٠٥، ب) حيث يتعرض الفرد من جراء ذلك لصدمة أو ما يعرف بحالة التوتر التي تعقب الصدمة PTSD. ويؤكد سيكهارد أن مثل هذه الصدمات قد تسبب في حالة من الانفصال (ينتج عنها شعور الفرد بانفصاله عن جسده أو أفكاره أو إدراكه و/ أو انفعالاته). فيتحول تركيز الفرد بالكامل إلى عملية الانتقام أو الدفاع عن الجماعة بغض النظر عما قد يسفر عن ذلك من تضحية بالذات، أو التعرض لشتى المخاطر. وقد خلص فيرجسون أت أل إلى نتيجة أن الجماعات المسلحة بأيرلندا الشمالية قد أظهرت عوارض الإصابة بحالة التوتر التي تعقب الصدمة وارتكبوا حوادث نتيجة لإصاباتهم بها. ومن هذه العوارض حالة من التجرد النفسى الكامل عن الذات. (ماكثير ٢٠٠٢، ٢٠٠٥)^(١) هذا الشعور من الانفصالية والصدمة أو الشعور بالظلم والإجحاف، يلعب دورا أساسيا في تحفيز هؤلاء الشباب إلى الانضمام إلى الجماعات المسلحة كمحاولة منهم للتعامل مع ما يعترهم من شعور بأنهم ضحية لمجتمع ظالم، وما يسيطر عليهم نتيجة لذلك من صدمة وإحباط.

(س) كما كشف البحث أيضا أنه بالإضافة إلى الاندماج الذاتى الكامل مع المجموعة، فإن الارتباط المعنوى بنماذج مثالية من الأفراد التى تقوم بتنفيذ الأنشطة المسلحة وصولا لأهداف سياسية، يلعب دورا مهما في استمرارية الأفراد في هذا الطريق والتزامهم به.

ويعزز ذلك برجس أت أل (٢٠٠٥ ب) إذا اكتشف أن بعض الأفراد من الجماعات المسلحة بأيرلندا الشمالية، قد سلكوا هذا الطريق؛ لأنهم قرروا أن يحذوا حذو أفراد

(١) من غير الواضح ما إذا كانت تجربتهم الأولى مع العنف هى التى تسببت في هذه الصدمة وعوارضها، أم أن الصدمة كانت وليدة تجاربهم بعد أن أصبحوا أعضاء بجماعات مسلحة تمارس العنف وترتكب الحوادث بانتظام.

محددتين، اعتبروهم مثلاً علياً لهم أو أبطالاً، يشهد لهم بدعم الكفاح المسلح. كما اتضح أيضاً بعد مقابلات أجريت مع أعضاء من جماعة حماس (٢٠٠٣) أن كثيراً منهم قد وضع نصب أعينه صور كفاح لرموز إسلامية أو ثورية، من التي قد تبنت العنف المسلح لتحقيق غايات وأهداف سياسية. مثل شى جيفارا، الذي يعتبر بطلاً ثورياً.

(ش) وأخيراً فمن الواضح أنه لكي يصبح الفرد عضواً في جماعة مسلحة، لابد من وجود ذلك التنظيم أولاً الذي يعطى له فرصة الانضمام إليه والترحيب بعضويته. (سيلك، ٢٠٠٣ ب) وهناك أيضاً احتمال أن يكون الفرد بنفسه هذا التنظيم المسلح، كما فعل أحد الأفراد الذين تم إجراء مقابلة معه. (فيرجسون أت أل، ٢٠٠٧) أو أن يتصرف بصفة فردية دون الارتباط بأية جماعة.

وتدعم أبحاثنا هذه القائمة من العوامل والأسباب التي تشكل دوافع لارتكاب الأنشطة الإرهابية. وتضيف إليها بعض العوامل الأخرى. وقد قام برجس أت أل (٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ ب) بإجراء حوارات مع ثمانية أعضاء من IRA، UVF، واكتشف أن كل من التقى بهم قد بدأوا في ارتكاب أنشطة العنف بعد وقوع حادث محدد. اعتبروه فاصلاً أو حاسماً. هذا الحادث قد يكونون هم أنفسهم قد تعرضوا له، أو تعرض له فرد من عائلتهم أو فرد من المجتمع فشعروا بتعاطف كامل تجاهه. وعلى سبيل المثال فإن أحد الأعضاء السابقين لجماعة UVF قد قرر أن يسلك طريق الإرهاب بعد أن سمع أن شاباً يحمل اسمه وفي مثل عمره ومن خلفية مماثلة له، قد لقي مصرعه في انفجارات يوم الجمعة الدموي على أيدي جماعة IRA المسلحة بعد أن قامت بتفجير اثنتين وعشرين قنبلة في ذلك اليوم المشهود من عام ١٩٧٢ ويفسر بكلماته ما حدث له في ذلك اليوم:

«فكرت أن الأيام التي كنت أجلس فيها ولا أتحرك قد ولت بلا رجعة»، وقررت أن أنضم إلى صفوف جماعة UVF. وسوف تسمع الكثير من القصص المشابهة لأفراد قرروا في لحظة معينة من حياتهم أن يتخطوا ذلك الحاجز، وأن يعبروا إلى الجانب الآخر فينضموا إلى الجمهوريين أو غيرهم من الوطنيين. (برجس أت أل، ٢٠٠٥ ب، ص ٢٦).

و على الجانب الآخر قررت سيدة شابة أن تنضم إلى صفوف IRA بعد أن شاهدت مجموعة من قوات الشرطة والأمن تتعرض لإحدى التظاهرات بالعنف. وتحكى تجربتها قائلة:

«شاهدت العديد من النساء والأطفال يتعرضون للضرب والعنف رغم أنهم كانوا يسرون في تظاهرة سلمية. بدأت أفكر أن هذا شيء سيئ للغاية... وقررت الانضمام عام ١٩٦٩، حينما تفاقم الموقف وسادت الفوضى، رأيت العديد من الأصدقاء يصابون أو يموتون في سبيل ما يؤمنون به. وكان ذلك ما حفزنى، حقيقة الأمر، لقد كان الحزن والخوف أكثر منه الغضب. فقلت، حسنا، سوف أتبنى هذه القضية، وأحاول أن أساهم في التغيير» (برجس أت أل، ٢٠٠٥، ص ٤٦).

إن تجربة العنف في الشوارع تشعل فتيل الغضب، وتساعد على تزايد الانضمام إلى صفوف الجماعات المسلحة. وهو ما حدث بالنسبة لشباب أيرلندا الشمالية. ففي لقاء مع أحد الحقوقيين السلميين، جاء في تعليقه:

أن الاشتباكات العنيفة تحفز الشباب. وقد تكون وراء انطلاق اللحظة الحاسمة في حياتهم. تلك التي يودعون فيها حياتهم الآمنة البسيطة، وينضمون إلى صفوف الجماعات المسلحة. وهو ما شهدت عليه زيادة نسبة الانضمام إلى صفوف جماعة IRA (الجيش الجمهورى الأيرلندى).

وطبقا له:

«كان من الطبيعى أن ينضم الشباب إلى صفوف IRA بعد أحداث يوم الأحد الدموى. ولاشك أنه قد انضم بالفعل عشرة أو عشرون شابا على الأقل بعد هذه الأحداث إلى تلك الجماعة، خاصة بعد أن شاهدوا زملاءهم يقتلون أمام أعينهم». (برجس أت أل. ٢٠٠٥ أ ص ٤٦).

إن هذه الكلمات تبرهن على أن العنف يولد مزيداً من العنف، والتعامل مع التظاهرات والتجمعات من خلال القمع العسكرى، ينتج عنه تلك الدائرة اللولبية المدمرة التي يطلق عليها كرينشو (ص ٩٥، ٢٠٠٣) «عوارض الفعل ورد الفعل» التي تشعل مزيداً من الأزمات وتؤجج النزاعات. وجدير بالذكر أنه في كل تلك الحالات لم يكن أفراد بعينهم هم الهدف. بل كان حافزهم الأساسى هو تعاطفهم مع معاناة زملائهم ممن وقع عليهم الظلم.

ومع ذلك فطبقاً لبرجس أت أل. (٢٠٠٥ أ، ٢٠٠٥ ب). قد لا يلجأ الأفراد إلى طريق العنف بالضرورة نتيجة لتعرضهم لتلك الأحداث أو تعرض ذويهم أو أصدقائهم لها. بل إن كثيراً منهم قد يسلك طريق العمل السلمى أو يختار العصيان المدنى أو لا يفعل شيئاً على الإطلاق. كما أن أغلب من أجريت معهم اللقاءات يؤكدون أنهم قد مروا بلحظات تفكير وتأمل في أعقاب تلك الأحداث الخطيرة التى أمت بهم. وأنهم يحاولون من بعدها، استجماع شتات أفكارهم ليقرروا كيف يكون الرد عليها. إن مرحلة التأمل التى يمر بها الأفراد تشكل أهمية خاصة، لاسيما لمن يدعى من الإرهابيين أن طريق العنف كان هو السبيل الوحيد أمامهم، فى ظل الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة. (كرشنو، ٢٠٠٣). كما أن الشواهد من حولنا تؤكد أن كثيراً من الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمعات تواجه الظلم والقمع لا يتحولون بالضرورة إلى إرهابيين لمقاومة هذا الظلم. بل إن الأحداث تثبت أن فئة ضئيلة منهم فقط هى التى تلجأ إلى اختيار طريق العنف المسلح. وذلك بغض النظر عن الظلم والقمع الذى يتعرض له المجتمع بآثره. (كرينشو، ٢٠٠٣، سيلك، ٢٠٠٣ ب). هذا الاختيار إذاً يكون نتاج قرار واع من قبل الفرد يتخذه بكامل إرادته ولا يكون مجبراً عليه. ولا شك أن ما تم تجميعه من أدلة ومعلومات تساعدنا فى التوصل إلى أسباب وعوامل انضمام الأفراد وغالباً الشباب إلى الجماعات المسلحة، تكشف عن تعقيدات وتداخلات كثيرة بين العديد من العوامل. بعضها يمكن اعتباره داخلياً يعتمد إلى درجة كبيرة على عملية اتخاذ القرار التى تلعب فيها الخصائص الديموجرافية دوراً كبيراً، ومنها السن والنوع وحالة العمل أو البطالة

وكذلك المستوى التعليمي، والتاريخ الأسري والاجتماعي. ثم هناك عامل آخر لا نشك في أهميته، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ديناميكية العنف في المجتمع، حيث إن كثيرا من أجريت معهم الحوارات نوهوا بأهميته في تأجيج شعلة العنف والدخول في تلك الدائرة اللولبية المدمرة من العنف والعنف المضاد. فلاشك أن تلك المجتمعات تكون أكثر عرضة عن غيرها لظهور شباب من المتمردين على استعداد للانضمام للجماعات مسلحة، بينما سوف يحاول آخرون مد يد المساعدة عند الحاجة إليها. مما يشير إلى أن الإرهاب يكون على الأرجح نتاجا لمجتمعات تتعرض للقمع والظلم أو للحروب. ومن المثير للاهتمام، حقيقة الأمر، أن ما توصلنا نحن إليه من نتائج، مضافا إليه نتائج الدراسات السابقة، الخاصة بأسباب انضمام الشباب إلى المجموعات الإرهابية، يعتبر مطابقا لأسباب انضمام المراهقين للجماعات المسلحة الشرعية وغير الشرعية عبر العالم.

فقد أجرى بریت وسبشت (٢٠٠٤)، مقابلات مع ثلاثة وخمسين مراهقا من الذكور والإناث يتمون إلى تسع بؤر للتراعات. إلى جانب ضباط شبان من الجيش الإنجليزى. وجاءت العوامل التى أدت إلى انضمامهم إلى الجماعات المسلحة (و التى تتراوح بين مجموعة LITTE إلى المجاهدين)، متشابهة بشكل جوهري للعوامل السابق ذكرها. ومنها على سبيل المثال أهمية اللحظة الحاسمة فى اتخاذ القرار بضرورة انتهاج الطريق المسلح.

إلا أن هناك نقطة أساسية : إذا كانت كل هذه الأسباب تمهد الطريق إلى العنف المسلح لتحقيق التغيير السياسى المطلوب، فإنها لا تعزز، بالضرورة، مواصلة نفس النهج حينما يسعى الأفراد إلى تحقيق مزيد من التغيير السياسى.

احتمالات مواصلة العنف فى أيرلندا الشمالية

أجرى برجس أت أل (٢٠٠٧) مقابلات مع ثلاثة من أعضاء حاليين وسابقين بمنظمة IRA واثنين من النشطاء الحقوقيين. وقد تناول معهم فى تلك اللقاءات إمكانية نجاح اتفاقية السلام التى أبرمت مؤخرا بأيرلندا الشمالية، وكذلك إمكانيات الفشل والعودة مرة أخرى إلى دائرة الصراعات والعنف العرقى - السياسى. وكان

من اللافت، أن تتفق إجابة معظمهم، على أن العنف كان الطريق الصحيح لاستتاب السلام مرة أخرى في ربوع أيرلندا الشمالية. كما أنه السبب في استعادة حقوق الأقلية الكاثوليكية بالبلاد. ولاشك أن هذه القناعة تشكل تحدياً لعملية السلام بأيرلندا الشمالية وتهدداً صريحاً لإمكانية انتقال المجتمع إلى ثقافة التعايش السلمي. فقد أجمعت الآراء على مكاسب عدة حققتها سياسة الرد بالعنف، منها التشغيل والإسكان والتعليم والقوة والمركز السياسى.

ورغم أن توقيع اتفاق السلام بأيرلندا الشمالية عام ١٩٩٨، قد أفرز تغييرات قوية ومؤثرة، فمن المهم أن نسجل أن المشاركين في توقيعه، لم يؤمنوا قط أن هذا المجتمع سوف يتحول إلى مجتمع سلمى بالمعنى الدقيق للكلمة. بل كانت قناعتهم أن النار لم يخمّد وطيسها إلا مؤقتاً، وأنها لن تلبث أن تشتعل من جديد ما إن تتوافر الظروف المواتية. فقد كان الجميع يستشعر مجتمعا أشبه بالمجتمع العنصرى بجنوب أفريقيا (الأبرتايد). وأن الفصل العنصرى الحاد بين الكاثوليك والبروتستانت قد اشتد أكثر من أى فترة سابقة. وأن هذا هو سر بقاء النزاع حياً وقابلاً للاشتعال فى أى لحظة من الزمن. (انظر شيرلو، ٢٠٠٣).

كما كانت الأطراف المشتركة فى توقيع الاتفاق، على قناعة، بأن المواطنين بأيرلندا الشمالية، يفضلون، فى العموم، وجود نوع من النزاع بين الطرفين، إذ إن ذلك يساعدهم فى تحديد هويتهم. وفى فهم العالم من حولهم.

ويلخص أحد الأعضاء السابقين لجماعة مسلحة ذلك فيما يلى:

«هناك إدمان حقيقى لاستمرار النزاع هنا ... فالجميع فى حاجة إليه، إذ يحقق لهم الشعور بالأمن والأمان» (برجس أت أل، ٥٠٠٢ ص ٧٤).

ومن الآراء أيضاً أن انتشار ثقافة المخدرات بالمجتمع، مضافاً إليها حالة اللامبالاة السياسة التى تسود المجتمع، يقفان حجر عثرة فى طريق قدرة المجتمع على إعادة تنظيم نفسه لمواجهة تحديات المستقبل. (انظر هيجنز، برسى وماك كريستل، ٢٠٠٤).

لأسباب معروفة لديهم، فإن الشخص الذى يكون تحت تأثير
المخدرات، لن يكون فى مقدوره رفع السلاح كى يدافع عن نفسه، فما
بالنا بقدرته على الهجوم. (برجس أت أل، ٧٠٠٢، ص ٩٧).

ولا شك أن هذه الآراء تكشف أن الفصل بين الطرفين التى نجح الاتفاق فى تحقيقها،
قد تمنع اشتعال فتيل المعارك بينهما فى المدى القصير. إلا أنها تبقى على النزاع فى حالة استعداد
للاندلاع فى أية لحظة على المدى الطويل. (انظر فرجسون وكايرنز ١٠٩٩٦، شيرلو ٢٠٠٣).

والأحداث كلها تدل على ذلك، ومنها الاضطرابات واسعة الانتشار بشوارع
بلفاست فى سبتمبر ٢٠٠٥، إلى جانب اكتشاف متفجرات بلغت قيمتها مئات الجنيهات
فى أغسطس ٢٠٠٧. وقد تكرر ذلك فى شهرى فبراير ومايو ٢٠٠٩. فضلا عن إطلاق
النار على جنديين وضابط شرطة فى مارس ٢٠٠٩. وأخيرا الهجوم بالصواريخ على
دورية للشرطة فى أغسطس ٢٠٠٨ وقد تم إحباطه.

وكل ذلك خير دليل على هشاشة اتفاق السلام، الذى تم توقيعه عام ١٩٩٨. وأن
أحداثا بسيطة يمكنها إشعال فتيل النزاع من جديد. وأخيرا أن توقيع اتفاق للسلام
قد لا يؤدى بالضرورة إلى الوفاء بوعود السلام. ومع ذلك فإن أحداث العنف التى
اندلعت بعد الاتفاق والاضطرابات التى وقعت لم تبلغ حد الصراع الذى كان سائدا
من قبله. وربما كان ذلك بسبب حالة اللامبالاة السائدة فى المجتمع، والتى قد جددت
الآمل فى استمرار فترة السلام النسبى.

ثمن التضحية: الإرهاب والصدمة والعنف

كما ذكرنا سابقا، فقد صرح كل الأعضاء السابقين للجماعات المسلحة بأيرلندا
الشمالية، خاصة التابعين منهم للجيش الجمهورى الأيرلندى، بأن الأحداث التى
تعرضوا لها من هجوم وعنف وقسوة مورست ضدهم من قبل الدولة أو قوات الأمن،
إلى جانب التفتيش المنتظم لمنازهم، قد ساهم فى قرارهم بالانضمام إلى المنظمات
المسلحة.

وطبقا لسبكهارد (٢٠٠٦)، فقد تسببت تلك الأحداث في نشأة حالة من الصدمة والانفصالية عن الذات، كانت وراء انضمامهم إلى تلك الجماعات. وغالبا بعد انضمامهم، انخرطوا في أعمال العنف والقتل أو تدريب آخرين على القتل. أى أنهم دلفوا إلى دائرة من العنف والإجرام وأعمال كانت تمثل بالنسبة لهم من قبل أعمالا لا أخلاقية. ومن واقع اللقاءات التى تم إجراؤها مع الجانبين، الجمهوريين أو خصومهم، فقد اتضح أن انخراطهم فى تلك الأنشطة بهدف تحقيق غاياتهم السياسية، قد تسبب فى شعور دفين لديهم بالذنب والاشمئزاز من أنفسهم. ويؤكد بعضهم الندم على ذلك، وأنهم بالفعل قد تحولوا إلى وحوش من جراء تلك الأعمال التى جردتهم من إنسانيتهم وأطلقت العنان «للجانب المظلم» بداخلهم.

وعلى سبيل المثال يقول أحد الأعضاء السابقين لتلك الجماعات المسلحة:

أعتبر نفسى من هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون فى الماضى، بكل ما يحفل به من فظائع. لقد كدت أن أفقد عقلى نتيجة لما قمت به من أعمال، أندم عليها الآن أشد الندم. لاشك فى ذلك؛ لذا سوف يتعين على أن أعيش ما تبقى لى من عمر، أفكر فيما اقترفته فى حق الآخرين وما تسببت فيه من آلام لهم. وحقيقة الأمر، فإننى جد آسف ونادم على ذلك؛ لذا أدعو الشباب أن يحيا حياتهم ويقدروها ويعيشوا سعداء، يحب بعضهم بعضاً غير مباليين باختلاف الأديان.

وعلى الجانب الآخر، فقد تحدث البعض عن ممارسة القتل دون أدنى شعور بالذنب أو الندم، بل بانفصالية وبلا مبالاة كاملة، مجردة من أى شعور بالإنسانية. فقد كان همهم الأول اللحظة المناسبة لإصابة الهدف وقتل مزيد من أصحاب «البذات النظامية». وجاء فى حديث أحدهم:

لم أعبأ قط بالأديان أو بالأجناس، فيكفينى أنهم أعداء، وعقبة عثرة أمام تحقيق أهدافى ومعتقداتى. فلا فارق عندى إذا كان الفرد بروتستانتياً

أو كاثوليكيًا، صينيا أو أوروبيا. فالفيصل أنه العدو. يمكننى إذا أن أقتل
أى شخص على الإطلاق.

لقد سبق القول إن حالة الانفصال المعنوى عن الذات، تعتبر من عوارض الإصابة
بالصدمة أو ما يعرف بـ (PITS) والتي يتعرض لها غالباً المحاربون (ماكنير ٢٠٠٢ ،
٢٠٠٥) ويظهر ذلك بوضوح من حديث هذا العضو السابق بمنظمة مسلحة، حيث
يظهر شعوره بالتوتر والذنب الذى يعقب تنفيذ القتل لتحقيق الأهداف السياسية:

إنى أحاول أن أضع كل ذلك فى طى النسيان. وكثيرا ما يسألنى الناس
عن الماضى، وما إذا كنت أفكر فيه، فتكون إجابتى بالنفى.

لقد قررت أن أنسى واخترت أن أتجنب التفكير بقدر الإمكان. قد
أكون جالسا أمام التلفاز وتأتى صور من الماضى، منذ ثلاثين عاما مثلا،
ولكنى ألتزم الصمت، ثم تأتى مواضيع أخرى أو أنشغل بحديث آخر
وهكذا. وزوجتى تعلم كل ذلك.

وتكشف دراسة قام بها جوسمان عام ١٩٩٦ وتناول فيها، موضوعا محظورا. هو
موضوع قتل الإنسان لأخيه، أن الإنسان السوى لديه مقاومة طبيعية شديدة لقتل أخيه
الإنسان. وهو ما تحاول التربية العسكرية أن تتغلب عليه منذ قرون من الزمن. وهذا ما
يفسر أنه حينما يضطر الشخص غير المدرب عسكريا إلى الدخول فى اشتباك مسلح وقتل
إنسان آخر، يتعرض غالبا لأضرار نفسية هائلة. غالبا ما تعبر عن نفسها من خلال
الإصابة بعوارض التوتر الذى يعقب الصدمة (PTSD)؛ لذا تعتبر حالة الصدمة،
عاملا مصاحبا لعمليات التطرف، وفى نفس الوقت نتيجة من نتائج التورط فى أعمال
العنف المسلح. ثم غالبا ما تمتد لتساهم فى اشتعال حالة من العنف الجديد فى المستقبل.

الخلاصة:

تشير هذه الدراسات إلى أن التعرض الشخصى لتجربة العنف أو تعرض فرد من
أفراد العائلة أو صديق مقرب أو حتى مجتمع أكبر لهذه التجربة ومعاشتها، قد يدفع

الفرد إلى طريق الإرهاب أو الانضمام إلى جماعات مسلحة، كرد فعل انتقامي وكتيحية لتعاطف شديد مع ضحايا العنف، مما يؤدي بدوره إلى الاصطدام بعوامل شخصية أو اجتماعية لدى الفرد، هي التي تدفعه إلى الانخراط في هذا الطريق. والعنف قد يكون موجهًا لجماعة مسلحة أو غير مسلحة أو إلى الدولة بشكل عام. كما تكشف هذه الدراسات، أنه حتى بعد مفاوضات السلام التي قد توحى بانتهاء الأزمة فإن مشاكل الهوية قد توجع الأزمة من جديد. فتشتعل المعارك مجددًا. ناهيك عن الأضرار النفسية التي قد تبدأ في الظهور فيما بعد ويكون ضحاياها، هم من انخرطوا في أعمال العنف المتواصل من الجانبين.

ونحن نرى أن هذه المشاكل لا بد من مواجهتها على وجه السرعة قبل أن يشتعل العنف من جديد. ولا بد للمعنيين بالأمر من أكاديميين، وسياسيين وقادة عسكريين أن يستفيدوا من تلك الدروس المستفادة من منطقة أيرلندا الشمالية أو غيرها من المناطق التي تعرضت لنفس الأزمات. عند اتخاذ قرارات مواجهة الهجمات الإرهابية أو احتوائها، أينما تظهر عبر جميع دول العالم على حد سواء.

- Benjamin, D., & Simon, S. (2002). *The age of sacred terror*. New York: Random House.
- Brett, R., & Specht, I. (2004). *Young soldiers: Why they choose to fight*. London: Lynne Rienner.
- Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2005a). Violence begets violence: Drawing ordinary civilians into the cycle of military intervention and violent resistance. *Australasian Journal of Human Security*, 1, 41–52.
- Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2005b). A social psychology of defiance: From discontent to action. In M. Sönser-Breen (Ed.), *Minding evil: Explorations of human iniquity* (pp. 19–38). Amsterdam/New York: Rodolpi.
- Burgess, M., Ferguson, N., & Hollywood, I. (2007). Rebels' perspectives of the legacy of past violence and of the current peace in post-agreement Northern Ireland: An interpretative phenomenological analysis. *Political Psychology*, 28, 69–88.
- Cairns, E., Kenworthy, J., Campbell, A., & Hewstone, M. (2006). The role of in-group identification, religious group membership and intergroup conflict in moderating in-group and out-group affect. *British Journal of Social Psychology*, 45, 701–716.
- Crawford, C. (2003). *Inside the UDA: Volunteers and violence*. London: Pluto Press.
- Crenshaw, M. (2003). The causes of terrorism. In C. W. Kegley, Jr. (Ed.), *The new global terrorism: Characteristics, causes, controls* (pp. 92–138). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.
- Crenshaw, M. (2005, July). 'Old' vs. 'new' terrorism: Have motivations changed? Nevitt Stanford Award Lecture at the International Society of Political Psychology, 28th Annual Scientific Meeting, Toronto, Canada.
- Ferguson, N. (2009). The impact of political violence on moral reasoning: Socio-political reasoning in Northern Ireland. In S. Scuzzarello, C. Kinnvall, & K. Renwick Monroe (Eds), *On behalf of others: The morality of care in a global world* (pp. 233–254). Oxford: Oxford University Press.
- Ferguson, N., Burgess, M., & Hollywood, I. (2007). *Research interviews with Northern Irish paramilitaries*. Unpublished transcripts.
- Ferguson, N., Burgess, M., & Hollywood, I. (in press). Who are the victims? Victimhood experiences in post-agreement Northern Ireland.
- Ferguson, N., & Cairns, E. (1996). Political violence and moral maturity in Northern Ireland. *Political Psychology*, 17, 713–725.

- Grossman, D. (1996). *On killing: The psychological cost of learning to kill in war and society*. New York: Back Bay Books.
- Higgins, K., Percy, A., & McCrystal, P. (2004). Secular trends in substance use: The conflict and young people in Northern Ireland. *Journal of Social Issues*, 60, 485–506.
- Horgan, J. (2003). The search for the terrorist personality. In A. Silke (Ed.), *Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. 3–27). Chichester, England: John Wiley & Sons Ltd.
- Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.
- Horgan, J. (in press). Beyond imagination, exaggeration and distortion: Towards a psychological perspective on terrorism and counterterrorism. In A. Strathern, & P. J. Stewart (Eds), *Terrorism and terror: Imagination and practice*. Duke University Press.
- Hudson, R. A. (1999). *The sociology and psychology of terrorism. Who becomes a terrorist and why?* Washington: Federal Research Division.
- Louis, W., & Taylor, D. (2002). Understanding the September 11 terrorist attack on America: The role of intergroup theories of normative influence. *Analyses of Social Issues and Public Policy*, 2, 87–100.
- Mac Ginty, R., Muldoon, O., & Ferguson, N. (2007). No war, no peace: Northern Ireland after the Agreement. *Political Psychology*, 28, 1–12.
- MacNair, R. M. (2002). *Perpetration-induced traumatic stress: The psychological consequences of killing*. Westport, CT: Praeger.
- MacNair, R. M. (2005). Violence begets violence: The consequences of violence become causation. In M. Fitzduff, & C. E. Stout (Eds), *The psychology of resolving global conflicts: From war to peace: Vol. 2. Group and social factors* (pp. 191–210). West Port, CT: Praeger.
- Oberschall, A. (2004). Explaining terrorism: The contribution of collective action theory. *Sociological Theory*, 22, 26–37.
- Pape, R. (2005). *Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism*. New York: Random House.
- Post, J. M., Sprinzak, E., & Denny, L. M. (2003). The terrorists in their own words: Interviews with 35 incarcerated Middle Eastern terrorists. *Terrorism and Political Violence*, 15, 171–184.
- Rapoport, D. C. (1988). Introduction. In D. C. Rapoport (Ed.), *Inside terrorist organisations* (pp. 1–10). London: Frank Cass.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Shirlow, P. (2003). 'Who fears to speak': Fear, mobility and ethno-sectarianism in the two 'Ardoynes'. *The Global Review of Ethnopolitics*, 3, 76–91.
- Silke, A. (1998). Cheshire-cat logic: The recurring theme of terrorist abnormality in psychological research. *Psychology, Crime and Law*, 4, 51–69.
- Silke, A. (2001). The Devil you know: Continuing problems with research on terrorism. *Terrorism and Political Violence*, 13, 1–14.

- Silke, A. (2003a). Preface. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. xiii–xxi). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.
- Silke, A. (2003b). Becoming a terrorist. In A. Silke (Ed.), *Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences* (pp. 29–53). Chichester: John Wiley & Sons Ltd.
- Smyth, M. (1998). Remembering in Northern Ireland: Victims, perpetrators and hierarchies of pain and responsibility. In B. Hamber (Ed.), *Past imperfect: Dealing with the past in Northern Ireland and societies in transition* (p. 31). Derry/Londonderry: University of Ulster & INCORE.
- Smyth, M., & Hamilton, J. (2004). The human cost of the Troubles. In O. Hargie, & D. Dickson, *Researching the Troubles: Social science perspectives on the Northern Ireland conflict* (pp.15–36). Edinburgh: Mainstream Publishing Ltd.
- Speckhard, A. (2006). Defusing human bombs: Understanding suicide terrorism. In J. Victoroff (Ed.), *Tangled roots: Social and psychological factors in the genesis of terrorism* (pp. 277–291). Amsterdam: IOS Press.
- Tajfel, H. (1978). *Differentiation between social groups: Studies in the social psychology of intergroup relations*. London: Academic Press.
- Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin, & S. Worchel (Eds), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 33–47). Monterey, CA: Brooks/Cole.
- Tausch, N., Hewstone, M., Kenworthy, J., Cairns, E., & Christ, O. (2007). Cross-community contact, perceived status differences, and intergroup attitudes in Northern Ireland: The mediating roles of individual-level versus group-level threats and the moderating role of social identification. *Political Psychology*, 28, 53–68.
- Victoroff, J. (2005). The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approaches. *Journal of Conflict Resolution*, 49, 3–42.
- Whyte, J. (1990). *Interpreting Northern Ireland*. Oxford: Clarendon Press.

الفصل الثالث

الخطاب الدينى للجهاد المسلح

بقلم: سودهانشو سارنجى وديفيد كانتر

نبذة: يستمد الإسلام الراديكالى، أو «الجهاد المسلح» قوته من مجموعة من التفسيرات المحددة لنصوص القرآن. ولا شك أن محاولة فهم أساس هذه التفسيرات، يساعدنا فى التعرف على الفروق الأساسية بين الإسلام المتشدد والمعتدل. أو بين الجهاديين المسلحين والمعتدلين.

لذا فقد تمت مراجعة أهم التفسيرات التى يعتمد عليها الجهاديون لمعرفة المعايير التى تشكل أساس خطابهم الدينى. وتتلخص فيما يلى:

(أ) رفض الآراء التفسيرية لأئمة الإسلام. والتركيز على التفسير الحرفى للقرآن الكريم بهدف إحياء زمن السلفيين الذى يعتبر فى نظرهم العصر الذهبى للإسلام.

(ب) تطبيق حكم الله على الأرض، من خلال قانون الشريعة الإسلامية.

(ج) رفض ومقاطعة تامة، لارجعة فيها، مع كل أنظمة الحكم التى هى من صنع الإنسان. السابق منها والحالى.

(د) دعوة غير المسلمين إلى الخيار بين اعتناق الإسلام أو قبول وضع أدنى من المواطنة. وفى حالة عدم الموافقة، فإن القتل يعتبر مباحا فى حكم الدين.

(هـ) لا تتمتع النساء بنفس مكانة الرجال، وهن في الأساس يشكلن غواية للرجال، لذا لابد من فصلهن عن الرجال والحد من التعامل بين الجنسين، إلا في أضيق الحدود. منعا للفتنة ومحافظة على النسيج الأخلاقي للمجتمع.

(و) إقامة الحكم الإسلامى يقع على عاتق رعاة متنورين، يشنون حرباً أو جهاداً ضد حكامهم المحليين الكافرين وضد أعدائهم من الأجانب الخارجين على حكم الله.

وجدير بالذكر أن الخطاب الدينى للجهاديين الذى يدعو إلى قلب أنظمة العالم من خلال حرب شاملة وعنيفة وإقامة الدولة الإسلامية بناء على تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، لا يجد حقيقة الأمر ما يؤيده من نصوص في التشريع الإسلامى. بل إن الأغلبية العظمى من المسلمين المعتدلين ترفض مثل هذا الخطاب الدينى العنيف سواء من ناحية أهدافه أو أساليبه.

المقدمة:

يطلب الإسلام من أتباعه المسلمين الإيمان بخمسة أعمدة أساسية، تعرف (بأركان الإسلام) وتشكل أساس الإيمان.

١ - الشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

٢ - إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم.

٣ - إيتاء الزكاة.

٤ - صوم شهر رمضان المكرم من كل عام.

٥ - الحج إلى مكة مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

ورغم أن المسلمين جميعا يؤمنون بتلك الأركان الخمسة، التى تعتبر دعائم الإسلام الأساسية. كما يؤمنون بقداسة القرآن الكريم، الذى يوحد بين قلوبهم جميعا. ويؤمنون

بإله واحد هو الله، كما يؤدون الصلاة، فإن الاختلاف على تفسير سور وآيات القرآن وبعض المواقف تجاه الدين على درجة كبيرة من التشعب فيما بين المسلمين، وذلك على مر تاريخهم. فالاختلافات لا تنحصر في التيارين المعروفين بالسنة والشيعة فقط، بل قد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى اختلافات فيما بين المسلمين تصل إلى حد اتهام بعضهم البعض بالخروج عن الإسلام أو بالكفر. مما يستوجب توقيع العقاب أو الجزاء. وقد يفرض ذلك إلى إراقة الدماء فيما بينهم.

ولم يكتف الجهاديون بإعلان أن إيمانهم هو الأقوى وإسلامهم هو الصواب. فلو حدث ذلك لكان من الممكن لبقية المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، أن يختلفوا معهم في الرأي، أو يتجاهلوهم. إلا أنهم سعدوا من خطاب الجهاد الديني إلى حد الحرب ضد كل من يعارضهم. مما أثار موجة من القلق وزعزع استقرار وأمن العالم.

ونتج عن ذلك سوء فهم لمصطلح الجهاد في الإسلام. أولاً: ظن البعض أنه يمثل أيديولوجية حديثة، واعتقد البعض الآخر أنه نشأ بمفهومه الراديكالي في إطار حرب أفغانستان (١٩٧٨-٨٩). وواقع الأمر أن نشأة الأصولية الإسلامية ترجع إلى وقت أئمة العصور الوسطى مثل تقى الدين أحمد بن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨ م). وفي القرن الثامن عشر محمد بن عبد الوهاب. (١٧٠٣-١٧٩١). وفي العصر الحديث، مثل هذا الاتجاه الإمام حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩) وكذلك مولانا أبو العلاء مودودي (١٩٠٣-١٩٧٩). ومحمد إلياس (١٨٨٥-١٩٤٤). وسيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦). وكثيرون غيرهم. وقد تأثر زعيم القاعدة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، بهذا الاتجاه الأصولي المتطرف. ولم يكونا بأي حال من مؤسسيه.

ثانياً: يظن الكثيرون، أن الإسلام دين متجانس، ذو اتجاه واحد، يحرض على العنف ومعتنقيه لا يتميزون بالسماحة وقبول الأديان الأخرى أو احترامها. ومن هنا وجدت فكرة هانتنجتون عن «صدام الحضارات» أذانا مصغية لدى كثيرين من شعوب العالم.

وقد وصف هانتنجتون الصراع، بأنه يمثل مواجهة بين خصمين يرمز كل منهما إلى حضارة وثقافة شديديتي التباين والاختلاف. ولاشك أن في ذلك الوصف إهدارا كبيرا لقيمة الدين الإسلامى الذى يعتبر ثانى أكبر الأديان وأوسعها انتشارا بعد المسيحية على مستوى العالم. إذ يشكل المؤمنون به واحداً ونصف بليون فرد. ويتميز الإسلام بتعدد مذاهبه واتجاهاته.

وقد يكون من أسباب الالتباس والتخبط في فهم جوهر الإسلام نفور معظم المسلمين من انتقاد دينهم أو مناقشة تعاليمه، خشية من عقاب الله إذا قالوا أو فعلوا ما يغضبه. ويحظى القرآن وما جاء فيه من رسائل باحترام وقُدسية عظيمة بين كل مسلمي العالم باختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.. ومن هنا كانت خشية البعض من الدفاع عن من يعتبرون من أعداء الإسلام. ويحاول المعتدلون بكل ما أتوا من قوة، أن يدافعوا عن الإسلام وتبرئته من سوء تفسير قلة متطرفة مثل «الجهاديين». حيث يتهمونهم بتشويه القرآن وتحريفه بما يتفق مع أهوائهم. ويعتقدون أنه من غير العدل أن يشوه مثل هذا الدين العظيم على يد قلة مضللة.

ولاشك أن نظرة متأنية للإسلام وتعاليمه تكشف حقيقة كونه ديناً يحتمل عدة تأويلات. وبالتالي فقد يكون تفسير الجهاديين للقرآن واحداً من تلك التفسيرات أو التأويلات. وإن لم يكن بالضرورة أكثرها انتشاراً أو رواجاً بين المسلمين.

وهناك آية مهمة في القرآن الكريم (*) II: ٢٥٦ تقول «لا إكراه في الدين». وتعد كاشفة عن مبدأ قبول اختلاف الأفراد في تفسير القرآن. فقبول تفسير محدد أو رفضه، متروك لضائر المؤمنين وطبقا لما يرونه من قبيل مشيئة الله. وهنا كان التباين والاختلاف بين المسلمين أمراً طبيعياً طبقاً لاتجاهات مختلفة في تفسير الدين. مما يكشف عن تعدد وجوه الإسلام، بصورة تفوق ما هو معروف بشأنه. ومع وجود هذا التنوع الكبير في الاتجاهات فإن أغلبية العلماء الإسلاميين، من كل بلاد العالم، لا يؤمنون بالتفسير الأصولي ولا بتطبيق فكر «الجهاد» في الإسلام.

(*) كل ما تم اقتباسه من القرآن الكريم، اعتمد على ترجمة N.I. داوود - بنجوين (٢٠٠٣).

ثالثاً: من الأخطاء الشائعة اعتبار «القاعدة» مرادفاً للجهاد المسلح. فالقاعدة لم تكن المنظمة الأولى أو الوحيدة التي رفعت راية الإسلام المسلح في العالم.. فالتركيز على القاعدة يتجاهل حركات الجهاد الإسلامي التي وجدت خارج المجتمعات الغربية، عبر القرن الماضي.

وعلى سبيل المثال جماعات الجهاد التي انتشرت في مصر واستمرت أكثر من ستين عاماً. وقد تكونت من كوادر قديمة لجماعات كانت موجودة في مصر من قبل. مثل جماعة الجهاد الإسلامي المصرية (الجهاد الإسلامية) والجماعة المصرية الإسلامية (الجماعة الإسلامية). وكل هذه الجماعات، انضمت إلى المجاهدين العرب في كل من بلاد المغرب العربي وجنوب ووسط آسيا والشرق الأقصى. وقد انبثق منها جميعاً تنظيم القاعدة في نهاية الثمانينيات. (جونارتنا، ٢٠٠٢، ساجان، ٢٠٠٤). بالإضافة إلى جماعات جهادية أخرى وجدت ومارست نشاطها في بلاد عديدة منها الجزائر وإندونيسيا والشيستان وباكستان والهند وتشترك جميعها في أيديولوجية واحدة، وتعتبر جميعها على درجة عالية من الخطورة وربما يفوق ضحاياها منظمة القاعدة.

ورغم أن تنظيم القاعدة قد استولى على اهتمام العالم، مهمشاً، حركات الجهاد الأخرى، فإن معظم تلك الجماعات انضم إلى القاعدة مكوناً «جبهة القاعدة الإسلامية الدولية للجهاد ضد اليهود والصليبيين وآخرين». وذلك بناء على فتوى أصدرها زعيم القاعدة في ٢٣ فبراير ١٩٩٨ ووقعها كل من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وأبو ياسر طه وأمير حمزة وفازلور رحمن (بن لادن، ٢٠٠٥). وتكون هذه الجبهة تنظيمياً يضم جهاديين كشمير وإندونيسيا والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية ومصر وفلسطين. وتعتبر شبكة تعمل على مستوى بلاد العالم أكثر منها منظمة لها هيكل واضح.

ورابع المفاهيم المغلوطة عن الإسلام: يتعلق باعتبار الحركات الجهادية، حركات إقليمية مرتبطة بحدود دولة معينة أو بهوية وطنية محددة. ففكرة الجهاد الإسلامي تتعارض مع الحدود الجغرافية أو الهوية الوطنية. وتلك هي أساس فكرة الأمة

الإسلامية. فالجهاديون في المملكة المتحدة يتفقون في الخطاب والأجندة السياسية مع الجهاديين في مصر أو كشمير أو الشيشان. وقد قال سيد قطب في ذلك «ليس للمسلم هوية وطنية غير إيمانه» (٢٠٠٧) ص ١١٨.

وترمز فكرة الأمة في اللغة العربية إلى المجتمع المسلم، بغض النظر عن الانتفاءات القبلية أو الجغرافية وهي ليست مرتبطة بالهوية القومية أو بالمفهوم الغربى للنظرية السياسية. أو بالدولة الأمة في الفكر الحديث.

الفقهاء والنشطاء :

وعلى خلاف قوانين الكنيسة، «فإن الشريعة الإسلامية أو القانون الإسلامى لم يصدر عن سلطة عليا» وذلك طبقا لشااخت (ص ٢-١٩٩١). وهو من الرواد في هذا التخصص. ولا يوجد ما يشبه نظام الكنيسة أو الرهبة في الإسلام. فالشريعة الإسلامية قد سبقت نشأة الدولة الإسلامية. والجامع يعد مؤسسة خاصة ليس من اختصاص الدولة. ومن هنا، فإن تفسير الدين لا يخضع لأية سلطة عليا، تملك هذا الحق. أو على الأقل من الناحية النظرية. ومن هنا، يؤكد شااخت، «أن الشريعة الإسلامية، لم تكن في أية مرحلة من مراحل تطورها متجانسة أو متسقة». ويتم تفسير الدين على يد علماء الدين الذين يلقبون بعدة ألقاب، مثل عالم (علماء) أو فقيه أو ملا أو شيخ أو إمام. وهم يصدرون فتاوى تخص ما يجب عمله (الواجب) وما يعد ممنوعا (حراما) وما يوصى باتباعه (مطلوب) وما يعد (مكروها) إلى جانب ما يعتبر مقبولا (مباحا). ولا يخضع هؤلاء العلماء لأية مشورة من جانب الدولة؛ لذا فعملية إصدار الفتاوى تخضع لضمير كل منهم كمسلم مؤمن عليه أن يراعى مشيئة الله، فيما يصدر من فتاوى. ويؤكد خالد أبو الفضل، وهو عالم رائد من علماء الدين الإسلامى، أن تلك الفتاوى، وإن كانت تمثل قوة إقناع، فإنها لا تعتبر ملزمة.

وجدير بالذكر، أنه على الرغم من أن الشريعة الإسلامية تعتبر مقدسة، فإنها تعتبر عملية تفسير وترشيد لأحكام الدين على يد الأفراد. ويؤكد شااخت (ص ٤-١٩٩١)

«أنها ذات طابع خصوصي وفردى». ومن المعروف أن مدارس الفقه قد تكونت أثناء حكم الأمويين في بداية القرن الثاني من ظهور الإسلام، في مراكز الإسلام مثل العراق والمدينة وكل منها كان يمثل «فلسفة مختلفة للحياة» (شاخ، ١٩٩١). وتكونت هذه الفلسفات المتعددة من تباين الآراء الخاصة بالأمور الحياتية المهمة. كما اختلفت من ناحية تركيزها على نقاط محددة من التشريع أو ما يعرف بأصول الفقه. وعلى الرغم من أن كثيرا من تلك المدارس قد اندثر الآن، فإن أهم المذاهب أو مدارس الفقه في السنة الإسلامية قد بقي. وهى المذهب الحنفى والمالكي والشافعى والحنبل. بينما المذهب الجعفرى والزيدى يقودان الشيعة والمذهب الإسماعيلى لا يزال يعيش بين الإسماعيليين بالهند (كولسون، ١٩٩٤، شاخ، ١٩٩١، وزيادة، ١٩٩٥).

ويتلقى المفتى تعليمه وتدريبه من خلال المصادر الرئيسية الثلاثة للشريعة الإسلامية. أولا تعاليم القرآن الكريم، والثى يؤمن جميع المؤمنين بأنها تمثل كلمات الله، كما أنزلها الوحي على الرسول محمد. والمصدر الثانى هو السنة، وتعتبر نقلا حرفيا لأحاديث الرسول وصحابته الأربعة، وتتناول ما قالوه أو امتنعوا عن قوله أو ما فعلوا أو لم يفعلوا فى حياتهم. ثم الأحاديث التى تناقلها الأفراد عنهم. والى تعتبر المصدر الثالث لقانون الإسلام أو الشريعة الإسلامية.

إلى جانب ضرورة دراسة المصادر الثلاثة للشريعة، فإن على المفتى أن يتدرب على مبادئ التشريع الأساسية كمبدأ المساواة والمصلحة العامة، والتقاليد السائدة. وكان من الطبيعى ونتيجة خضوع الشريعة الإسلامية لآراء كثيرة ومدارس متعددة. أن تتميز بالتعددية. وأن تحترم جميعها، بين المسلمين. فكان المذهب الحنفى، مثلا، اتجاهاً ليبرالياً فى أحكامه، لذا سُمى أتباعه «بأهل الرأى». على عكس مذاهب أخرى اعتمدت بشكل أكبر على الأحاديث النبوية، فلقب أتباعها «بأهل الأحاديث».

ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية تتشكل إذا من المصادر الثلاثة السابق ذكرها إلى جانب المدارس المتعددة فى الفكر الإسلامى، مضافا إليها القانون الإجرائى، الخاص

بدراسة الأدلة والمبادئ العامة التي تحكم الإسلام. وطبقا لفضل (٢٠٠٦) فبعد دراسة تستغرق عدة سنوات في مدرسة للتشريع الإسلامى، يتلقى علماء الدين إجازة أو شهادة من لجنة تتشكل من مفتين سابقين قبل أن يسمح لهم بممارسة مهامهم في تفسير القرآن وإصدار الفتاوى. وهذا يكشف عن توخى الدقة في اختيارهم. وهم عادة ما يحظون باحترام الناس وتبجيلهم.

هذا التقليد الذى اعتمد على قبول عدة تفسيرات في التشريع الإسلامى، قد قوبل بمعارضة شديدة من قبل المفتى الحنبلى ابن تيمية. الذى اعتبر هذا الاتجاه بدعة في الإسلام. عاش ابن تيمية في عهد سقوط الدولة العباسية على يد المغول عام ١٢٥٨. وقد أرجع انهيار الخلافة إلى انتشار الفساد في المجتمع الإسلامى، نتيجة سيادة التفسيرات المتعددة للدين والتيار المجدد. ورأى أن الحل الأمثل يتمثل في العودة مرة أخرى إلى التعاليم الأولى للإسلام واتباع ما أنزله الله في القرآن إلى جانب السنة النبوية اتباعا حرفيا. أراد ابن تيمية استعادة ما أسماه بالعصر الذهبى للإسلام. حين كان الرسول وصحابته يحكمون المسلمين في المدينة طبقا للأصول الأولى للدين. ويعتبر ابن تيمية رائدا في العودة إلى السلف في الإسلام (أى الفترة التى حكم فيها الرسول وصحابته المدينة). وكان هذا الاتجاه نحو السلفية، هو نواة تكوين الجهاد الأصولى أو السلفى في عصرنا الحديث.

وقد سار على نهج ابن تيمية في العصر الحديث، نشطاء جهاديون، أمثال حسن البنا وسيد قطب. الذين شككوا في صحة آراء الفقهاء الأكثر حداثة، الذين - في رأيهم، قد اعتمدوا على مصادر أجنبية في التفسير. «مثل فلسفة اليونانيين ومنطقهم، أو الأساطير الفارسية القديمة والكتابات اليهودية القديمة وأديان وثقافات أخرى أجنبية» (قطب ٢٠٠٧ ص ١٧) أما الرسول والصحابه فقد نهلوا من العين النقى للإسلام: القرآن والأحاديث النبوية. وطبقا لفرج (١٩٨٦)، أحد أشهر المفكرين الجهاديين :

إن كلمة الله من خلال كتابه المقدس، القرآن الكريم، هى المصدر الوحيد للثقة، وكذا تعاليم الرسول (صلوات الله عليه وسلم) وصحابته، هى المنار الأساسى للمسلمين. إن أسوأ شئ هو البدعة، وكل بدعة ضلال، وخروج عن أصول الإسلام. (ص ١٦٠)

وقد تجنب النشطاء الجهاديون، اللجوء إلى الفقهاء لطلب المشورة، بل اعتمدوا على أنفسهم بحجة أن المسلمين جميعا يعتمدون فى المشورة على القرآن الكريم والسنة النبوية. (ومع ذلك فإنهم أكثروا من الاستشهاد بأراء من يحلو لهم من فقهاء لدعم مزاعمهم). ويمثل هذا الاتجاه خير تمثيل، أسامة بن لادن وأتباعه. وكان أسامة بن لادن قد تخرج من كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، بينما تلقى نائبه ومساعدته أيمن الظواهري تعليمه فى كلية الطب بجامعة القاهرة. وكلاهما لم يدرس أو يتلقى أى تعليم رسمى لأصول الشريعة الإسلامية. وبالتالى فإن كليهما لم يحصل على إجازة أو شهادة تسمح له بإصدار فتاوى فى الدين.

وقد بالغ الجهاديون فى تجنب الدور الإرشادى والتنويرى للفقهاء فى التفسير. كما تجنبوا الأحاديث الموثوق فى صحتها، وتمسكوا بأخرى بعيدة عن روح الإسلام وغير مؤكدة المصدر. وكان ذلك فى الأساس بغرض تبرير «أهدافهم السياسية فى الإسلام». (كابيل ٢٠٠٦). كما أن هؤلاء النشطاء لم يلتزموا بفلسفة التشريع وأصوله فيما يخص القوانين الإجرائية المتعلقة بالمبادئ مثل المساواة والمصلحة العامة. وقد لجئوا إلى اختيار ما يناسبهم من أحاديث دون أى اعتبار لمبادئ التشريع الإسلامى وذلك بغرض دعم أيديولوجية العنف والانتقام. ويزعم فضل (٢٠٠٦) أن ما قاموا به يعتبر «سرقة عظمى» لروح الإسلام الذى جرد على أيديهم، من تعاليمه الأساسية التى تدعو إلى مبادئ السلام والأخوة وتروج لتعاليم التسامح.

وقد عارض قطب (٢٠٠٧) الاجتهاد فى تفسير نصوص القرآن، زاعماً أن كلمات الله تحمل معنى عملياً واضحاً. فهى بمثابة برنامج عملى للجهاد. وعلى المسلم أن يضع تلك

التعاليم موضع التنفيذ، حرفياً، ودون مجادلة. وقد اتهم الأجيال التي تلت الصحابة بأنها قد استخدمت تلك التعاليم في مناقشات جدلية بغرض التسلية والترفيه. (ص ١٩). وباختصار فإن قطب ومن اتبعه من نشطاء دعوا إلى اتباع فلسفة عملية في الإسلام. هذه الفلسفة تقترب مما دعا إليه الفيلسوف الإيطالي الشيوعي أنطونيو جرامسكي. (١٩٩٥). وجدير بالذكر أنه حتى قبل قطب فإن مولانا مودودي (١٩٠٣-١٩٧٩)، مؤسس الجماعة الإسلامية ببلاد الهند وكذلك حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر، قد دعوا لاستخدام العنف ودافعوا عنه باسم الإسلام لتحقيق أهداف سياسية. (أدمز ١٩٨٣، كابل ٢٠٠٦).

وطبقاً للتلر (١٩٩٥)، فإن الدولة السعودية التي تأسست على أكتاف الحركة الوهابية، قد تأثرت كثيراً بأفكار الإمام الحنبلي ابن تيمية، خاصة فيما يتعلق بتفسير نصوص القرآن تفسيراً حرفياً وكذلك السنة النبوية. واعتبارها المدينة نموذجاً للدولة الإسلامية أو السلف.

اعتمدت إذا المملكة العربية السعودية على المذهب الحنبلي في التشريع. وتلجأ نخبها السياسية والدينية لإمكاناتها المادية في الترويج لأفكارها حول العالم.

فحين حارب أسامة بن لادن والمجاهدون الوجود السوفيتي بأفغانستان، كان ذلك برعاية الدولة السعودية ومساندتها، سياسياً ودينياً وعلى أعلى المستويات. ويذكر أن المملكة العربية السعودية إلى جانب دولة الإمارات العربية وبأفغانستان كانت من أول ثلاث دول تبارك نظام طالبان في أفغانستان وتعترف به وتتبادل معه علاقات دبلوماسية كاملة.

وتعتبر الحركة الوهابية نواة الجهاد الإسلامي. فقد تأسست على أيديها مدارس الدين والجوامع إلى جانب شتى الأنشطة الأكاديمية بهدف نشر المذهب الحنبلي عبر مختلف دول العالم.

وقد بدأت الخلافات تدب داخل المملكة العربية السعودية منذ أن وافق مجلس كبار الفقهاء عام ١٩٨٩ على إصدار فتوى تدعم وجهة نظر الحكام السعوديين بشأن السماح

للقوات الأمريكية بإنشاء قواعد حربية لها على الأراضي السعودية. وذلك في أعقاب عملية عاصفة الصحراء (١٩٩٠-١٩٩١). وهى الفتوى التى تسببت في الخلاف الذى نشب بين البيت الحاكم فى المملكة السعودية وبن لادن الذى رد بفتوى أخرى تم إصدارها برعاية لجنة المشورة والإصلاح ومقرها لندن، معلنا الجهاد ضد الرموز الدينية والسياسية بالمملكة العربية السعودية. (بن لادن، ٢٠٠٥).

وتتعدد التيارات الإسلامية التى ينتمى إليها الجهاد المسلح. حيث لا تنبثق جميعها من الحركة الوهابية. فالطالبان مثلا، قد تأسست فى مدرسة دار العلوم ديوباند. Darul Uloom Dioband. والتى تعد أكبر معهد لإعداد رجال الدين ومقرها الهند وباكستان. وأغلب كوادر الطالبان قد تخرجت من مدارس متفرعة من مدرسة ديوباند بشمال غرب باكستان. وهم يؤمنون بمذهب متطرف للإسلام، تدرس تعاليمه بهذه المدارس. كما يتلقون تدريباتهم على الجهاد فى معسكرات لإعداد المجاهدين الأفغان. (رشيد ٢٠٠٢). ومن المعروف أن الملا عمر الهارب ومولانا مسعود أظهر، زعيم جماعة جيش محمد الجهادية بكشمير، ومقرها باكستان، قد تعلموا بمدرسة بينورى بكراتشى. وتعتبر أكبر من مدرسة ديوباند بباكستان. وطبقا لمتكلف (١٩٩٥)، فإن مدرسة ديوباند، تدرس الحديث والمذهب الحنفى فى الإسلام مع الالتزام بتعاليم الصوفية، للوصول إلى الصفاء الروحى المطلوب. ونحن نتفق مع وجهة نظر رشيد (٢٠٠٢) فى اعتبار التيار الذى تبناه الطالبان من الديوباند، يمثل تيارا متطرفا لهذه المدرسة فى الإسلام.

وغالبا ما ينتمى مفكرو أو أصحاب أيدى يولوجية الجهاد الإسلامى إلى النخبة الدينية أو السياسية فى المجتمع. ومعظمهم قد تلقى تعليما جيدا، ويتميزون عادة بالجرأة والكاريزمية. المودودى مثلا كان صحفيا مؤثرا ومحررا بجريدة الجامعة. أما حسن البنا فقد تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة مثل سيد قطب من بعده. وأصبح فيما بعد أستاذا يحظى باحترام الجميع. أما سيد قطب، فقد كان مسؤولا كبيرا فى وزارة التعليم بمصر. أما الدكتور عبد الله عزام، ويعتبر مؤسس القاعدة، فقد حصل على إجازة الدكتوراه فى التشريع الإسلامى من جامعة الأزهر. كما عمل أستاذا قبل أن ينضم إلى

الجهاد بأفغانستان لمحاربة الاتحاد السوفيتي. أما أسامة بن لادن فقد نشأ في أسرة من أكثر عائلات الشرق الأوسط ثراء. ودرس علوم الإدارة والاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. وكذلك أيمن الظواهري انضم إلى كلية الطب بالقاهرة وتخرج فيها طبيباً. ومن المعروف أن الجهاديين ينتمون إلى عدة مدارس وإن كانوا جميعاً يتفقون على ضرورة اتباع القرآن والسنة بشكل حرفي.

إقامة حكم الله وتدمير أنظمة الإنسان:

تقوم الشريعة الإسلامية على مبدأ التوحيد والشهادة أن «لا إله إلا الله». وهو ما يعنى أيضاً أن الحكم والسيادة لله وحده (لا حكم ولا سيادة إلا لله). وهو ما يعرف بمبدأ الحاكمية.

ذكر قطب (٢٠٠٧) وهو أحد أهم أئمة الإسلام ومن أكثرهم تأثيراً:

إن الأرض وما عليها ملك لله وحده. وعلى الإنسان تطهير الأرض من خلال نشر كلمة الله ومبدأ «أن لا إله إلا هو». ما الإنسان إلا عبد لله وحده. ولا سيادة ولا قانون إلا من عند الله. وبالتالي فلا يملك العبد أى سيادة على غيره إلا بما أمر الله. (ص ٦٢)

إن قانون الإسلام المقدس وهو الشريعة قد جاءت متضمنة لمشيئة الله؛ لذا فلا بد أن يخضع لها عباد الله جميعاً بشكل كامل وبصورة خالصة. وقد أكد أئمة كثيرون من ابن تيمية وحتى أيمن الظواهري، على أن المجتمع الإسلامى قد حاد عن طريق الله ببعده عن الشريعة الإسلامية، وتمسكه ببذع من صنع الإنسان، مستقاة من القوانين والأنظمة الغربية. وأن هذا هو سبب تحول المجتمع الإسلامى إلى مجتمع الجاهلية. فقد أرجع بن تيمية سقوط الخلافة العباسية إلى غياب حكم القرآن. أما الظواهري فقد أرجع انهزام المسلمين في حربهم ضد إسرائيل عام ١٩٦٧ أو ما عرف بحرب الستة أيام، إلى ضعف «الأمة الإسلامية»، نتيجة لفشلها في إقامة أحكام الشريعة وبناء مجتمع إسلامي موحد. ويؤكدون عدم جدوى قوانين الإنسان ما دامت الشريعة الإسلامية هي قانون

الله، الذى يجب أن يخضع له المسلمون جميعا. ولا يصح أن يتولى صياغة القوانين العملية التى أمر بها الله، إلا مجموعة من المؤمنين تؤمن بتعاليمه وتنفيذ مشيئته (نشأة مجتمع من رجال الدين). وإلا كان ذلك من قبيل الشرك بالله.

كما يعتبرون، أن طاعة رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية بحجة أنه قد تولى منصبه من خلال انتخاب ممثلى الشعب له، يعتبر شركا بالله وتصرفا مخالفا لتعاليم الدين الإسلامى. والقانون لا يكتسب شرعية، بحجة أن ممثلى الشعب، الذين قد تم انتخابهم من الأغلبية، قد وافقوا عليه.

ويفسر جافيد إقبال (١٩٨٣) من وجهة نظره رأى الإسلام فى الديمقراطية قائلا: «إن المسلمين فى ظل الدولة الديمقراطية لا يخضعون لسيادة مطلقة، ولا لسيادة قانون، بل لسيادة الإسلام وحده، من خلال الشريعة» (ص ٢٥٣). فلا الأغلبية ولا الأقلية من حقها أن تضع القوانين. فقد جاءت كلمات الله واضحة بشكل لا لبس فيه أو غموض. والشرعية يقرها الله وحده وليس العباد.

ومن الواضح من كتابات مودودى وقطب، أن أئمة الإسلام لم يوافقوا على أنظمة الدولة أو الديمقراطيات على الطراز الغربى. بل كان هدفهم إرساء دعائم الأمة الإسلامية التى تقوم على أساس الشريعة ويحكمها رجال الدين. وذلك على أساس مساواة الجميع أمام الله.

وبما أن إقامة حكم الله تواجه مقاومة شديدة من أعداء الإسلام، لذلك فالهدف طبقا للظواهرى (٢٠٠٦، ص ١٣٥) يجب أن يكون «الإطاحة بالحكومات الحالية وإقامة الدولة الإسلامية» ثم إعلان الحرب على «التحالف اليهودى الأمريكى».

هذا التمييز المزدوج لأعداء الله، يعتبر جزءا أساسيا ومتأصلا من الخطاب الإسلامى للجهاديين. كما يظهر من كتابات فرج (١٩٨٦) والظواهرى (٢٠٠٦) وآخرين. وقد قام مارك سيجمان (٢٠٠٤) وآخرون بتحليل تلك الكتابات. فالعدو الأول هو «العدو البعيد» والمقصود به العدو الأجنبى، مثل «الصليبيين والصهبانية وغيرهم». ويعتبرون

كفاراً، ومشركين. وهم محتلون لأراضي المسلمين ويعملون على إخضاع المسلمين لحكمهم أو إقامة أنظمة تابعة لهم من حكام مرتدين عن الإسلام. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية في خطابهم، رأس الأفعى للعدو الأول. ثانياً الحكام المحليين المرتدين أو «شبه الأعداء» الذين فشلوا أو منعوا عن قصد إقامة دولة إسلامية تحكمها الشريعة. ويعتبرون أعوان الصليبيين الكفار، أو اليهود والآخرين من أمثالهم. وهم يقيمون أنظمة قابعة للمسلمين تعمل على نشر قيم المجتمعات الغربية.

وقد كان العدو الأول أو «البعيد» هو هدف المجاهدين الأوائل. حيث كان همهم محاربة الاستعمار، أما الجهاديون المحدثون مثل فرج فقد كان لهم رأى آخر (١٩٨٦):

إن أساس وجود العدو المستعمر على الأراضي الإسلامية هم هؤلاء الحكام. ولا جدوى من أن نبدأ بمحاولة وضع حد للمستعمر أولاً. بل لن يكون ذلك سوى مضیعة للوقت والمجهود. إننا لا بد أن نلتفت لأحولنا الداخلية: لا بد من إقامة حكم الله تعالى...

ولاشك أنه لتحقيق هذا الهدف لا بد من أن تكون معركة الجهاد الأولى هي استئصال هؤلاء المرتدين من الحكام وإقامة نظام إسلامي متكامل. وتلك هي البداية الصحيحة. (ص ١٩٣).

وتعتبر دراسة قام بها فرج (١٩٨٦) بعنوان «الفريضة الغائبة» عرضاً كلاسيكياً يمثل تحولاً في تركيز حركة الجهاد الإسلامي، ينصب على مسألة التكفير. ويعنى التكفير حرفياً «اتهام شخص ما بالارتداد عن الإسلام». وقد وجه لحكام كثر، بحجة أنهم قد فشلوا في إقامة «الحاكمية» أو سيادة الله. كما ذكر إبراهيم كروان (١٩٩٥) ومارك سيجبان (٢٠٠٤) وجيلز كيبل (٢٠٠٦) وغيرهم. وتعتبر خطوة التكفير تكراراً لموقف قطب (٢٠٠٧) من اعتبار المجتمع الإسلامي المعاصر مجتمعاً غير إسلامي، وكذلك لموقف بودودي (١٩٩٨) الذي نادى باعتبار الحاكمية هي النظام الشرعي الوحيد. وقد زعم فرج أن الحكام المحليين يستحقون القتل؛ لأنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام.

ووصلت المندادة برفض الأنظمة التي صنعها الإنسان، ومحاولة إقامة حكم إسلامي أينما سنحت الفرصة كنقطة انطلاق لنشر الإسلام في شتى ربوع المعمورة، المهجرة بعيدا عن المجتمعات التي تعادى الإسلام والتي تنصف بالجاهلية. وذلك على حد تفسير أيسبوزنو (٢٠٠٢). وقد حدث ذلك بالفعل لكثير من الجهاديين، أمثال بن لادن والظواهري وغيرهم من الذين اضطروا إلى مغادرة أوطانهم إلى بلاد أخرى لإقامة حكم إسلامي.

طبقا للظواهري، فإن الدعائم الأولى لبرنامج الجهاد، تبدأ بهدف أساسى وهو إقامة قاعدة إسلامية في قلب العالم الإسلامى. (الظواهري ٢٠٠٦) ويقول مفسرا:

يتحقق النصر فقط من خلال الاستيلاء على الأراضى على يد الجيش.
ولن يتحقق للمجاهدين الإسلاميين النصر ضد التحالف العالمى إلا من خلال إقامة قاعدة أساسية، صلبة في قلب العالم الإسلامى. (ص ٤١٢).

ويظهر ذلك واضحا وجليا من خلال خطاب كتبه الظواهري يوم ١١ أكتوبر ٢٠٠٥ إلى الزرقاوى زعيم القاعدة السابق بالعراق يؤسس فيه لخطوات برنامج المقاومة العراقية:

أول خطوة: طرد الأمريكين من العراق.

ثانى خطوة: إقامة سلطة أو إمارة إسلامية، ودعمها للتحويل إلى مستوى الخلافة فيها بعد.

ثالث خطوة: مد موجة الجهاد لتشمل الدول العلمانية المجاورة للعراق.

رابع خطوة: وقد ذكرت من قبل: وتعلق بالاشتباك مع إسرائيل، حيث إن أساس نشأتها كان يهدف إلى منع نشأة أى كيان إسلامى. (ص ٢٥٥-٢٥٦).

وقد اقترب الجهاديون من تحقيق أهدافهم حينما تحقق لهم ما يتطلعون إليه في كل من أفغانستان والشيشان. ويتمسك الجهاديون ببرنامج واحد سواء تعلق الأمر، بتحريك

على كما هو الحال بالنسبة للشيشان وكشمير والجزائر، أو انتقل الصراع إلى القلب، أى إلى فلسطين والجزيرة العربية: فلا بد أولاً من السيطرة على الأرض وإقامة الحكم الإسلامى والشرعية. ثم محاولة تصدير الجهاد إلى باقية أنحاء العالم. والاستمرار فى محاولة تحقيق تلك المبادئ إلى أن يتم إرساء حكم الله وشريعته فى كل أنحاء العالم. فالأمر مستمر بالنسبة لهم «حتى يوم الدين» ومهما طال الأمر. (الظواهرى ٢٠٠٦).

هزيمة منطق العقلانية:

إن الاجتهاد فى تفسير نصوص القرآن الكريم والسنة، من المبادئ المعترف بها فى الإسلام. ويعنى الاجتهاد الاعتماد على آراء فقهاء الدين فى تفسير مختلف جوانبه. ولذلك فالالتزام بحرفية النصوص، كما ينادى به الأصوليون يحد ويحجم من الأحكام المستقلة التى تعتمد على إعمال العقل، كما أمر الله الإنسان فى كتابه الحكيم، من أجل تدبيره لمختلف شئون دنياه. (فضل، ٢٠٠٦). وطبقاً للنظرة المتشددة للشرعية الإسلامية:

فإن الله لم يترك شيئاً لتفكير الإنسان العقلانى. إذ قد توصل عز وجل، إلى أحكام تامة ومطلقة بشأن أمور البشر جميعاً، وما على العباد سوى الطاعة.....

ويؤكد فضل أن هذه المقولة تتعارض مع مبدأ حساب الله للإنسان على أعماله فى الدنيا، إذا هو لم يترك له أى حيز من الاختيار، ولا ينتظر منه سوى الطاعة العمياء. ولأصبح المسلمون جميعاً مجرد مخلوقات آلية وليس أكثر. (ص ٨٥١-٩٥١)

ومن معوقات التطور، هو عدم اعتراف الفكر الإسلامى الأصولى المتشدد بالمجتمعات الغربية الحديثة، التى تجسد فى حقيقة الأمر، إبداع الإنسان وبراعته. حيث إن المجتمع الإسلامى من وجهة نظر المتشددى، يجب أن يطابق مجتمع السلف، البعيد عن كل مظاهر العصرية بكل مؤسساتها أو قوانينها التى هى من صنع الإنسان. فالقانون هو قانون الله ومن ثم يجب الالتزام بحرفيته. ولا يخفى أن الحكومات الدينية

التي نشأت وتكونت على أساس نظام الشورى، لم تقم على أسس واضحة ومفصلة للحكم ومبادئه؛ لذا فهي لا تعدو أن تكون نوعاً من الديكتاتورية التي تحاول أن تكون عادلة. وهي تقوم على أساس المنفعة العامة، لا الربح. وتعمل من خلال توصيات مجلس يتكون من علماء الدين.

ثم إن مبدأ ضرورة التخلص من كل الأنظمة التي صنعها الإنسان وإقامة نظم دينية للحكم مكانها، لا يعتبر هدفاً قابلاً للتنفيذ عملياً. ويمكن أن نتصور حجم الدمار والفوضى الذي يمكن أن يسود البلاد إذا ما تحقق ذلك.

وأشد ما يؤلم المعتدلين من المسلمين، صورة الإسلام أمام العالم، كدين يقوم على أسس ضد القيم العالمية التي تسود العالم الحديث من ديمقراطية أو دفاع عن حقوق الإنسان.

ويؤكد فضل (٢٠٠٦) أن الإسلام الحقيقي، على العكس من ذلك فهو مؤيد للديموقراطية ومعترف بحقوق الإنسان، ويمثل ثقافة تقوم على أساس التسامح وقبول الآخر.

وحتى يتحقق هذا التصالح مع الإسلام، ومن أجل صورة أفضل له في عيون الآخرين، فلا بد من تفسير الإسلام في إطار تاريخي أكثر شمولاً، يضع في اعتباره المبادئ التي قامت عليها الشريعة الإسلامية من مساواة ومراعاة للمصلحة العامة لجميع الأفراد (تحقيق مصالح العباد).

ومن وجهة نظر المعتدلين، فلا يوجد أي سبب لتخلي المسلمين عن مبادئ الترشيد العقلاني، ومنها مبدأ الاجتهاد في تفسير الشريعة الإسلامية. الذي يشكل أساس ثراء التشريع الإسلامي واتساعه ليشمل عدة تفسيرات. بدلاً من التمسك باتجاهات متشددة في الإسلام تعمل على تفسير النصوص تفسيراً حرفياً وتبذ القيم التي قامت على أساسها المجتمعات الحديثة من ديمقراطية ومراعاة لحقوق الإنسان.

ثقافة الغرب والجاهلية:

ترمز فترة الجاهلية إلى فترة حالكة من تاريخ البشرية، سبقت الإسلام وسادها الجهل بأوامر الله والسلوك الصالح والمعرفة. وعلى هذا الأساس فهي تعتبر عكس الفترة التي عاصرت بزوغ الإسلام، وما واكبها من معرفة بأوامر الله والسلوك الصالح. فمن المعروف أن الإسلام كان له تأثير نوعي على المؤمنين به الذين تحولوا من حالة الجاهلية إلى نور الإسلام بما يحمل من حكمة ومعرفة وهداية. (نيوباي ٢٠٠٦، ص ١١٢).

وحقيقة الأمر فإن المسلمين جميعاً عاشوا فترة الجاهلية قبل أن ينزل الله القرآن الكريم على سيدنا محمد. ولكن يبدو أن الأمر يختلف من وجهة نظر قطب، ففترة الجاهلية طبقاً له، تمتد لتشمل ليس فقط الفترة التي سبقت نزول القرآن وانتشار الإسلام، بل أيضاً العالم المعاصر. إذ يرى أن الجاهلية كما تضم غير المسلمين، فهي تضم المجتمعات الإسلامية المعاصرة أيضاً. وهو يؤكد ضرورة مقاطعة مجتمعات الجاهلية وقبول قانون الله بلا جدال، والتوحيد بالله وعدم الشرك به والخضوع الكامل لأوامره. وهو يؤمن أن مصدر الإيمان بالله وممارسة ما أمرنا به، هو القرآن الكريم في صورته الأولى بدون أي مؤثرات من الشرق أو الغرب.

كما يرفض قطب أي شكل آخر مستجد للإسلام كأن يكون هناك، على سبيل المثال، ما يمكن أن يطلق عليه «إسلاماً ديمقراطياً» أو «إسلاماً اشتراكياً» أو قبول الأنظمة السياسية أو الاقتصادية المعاصرة بعد إدخال بعض التعديلات عليها. وفي رأيه أن أي بعد ولو بقدر ضئيل، عن الصورة الأولى للإسلام سوف «يعكر نبعه الصافي ويكدر صورته المثلّي».

إن المجتمع الإسلامي الأمثل يتطلب ثورة راديكالية شاملة على كل مظاهر ومعتقدات الحضارة الحديثة. وبغير هذه الثورة فإن المجتمع سوف يظل يعيش حياة الجاهلية، حتى لو تمسك بفرائض الإسلام من صلاة يومية وصيام شهر رمضان وإيتاء الزكاة وأدى أفراداً فريضة الحج. قطب (٢٠٠٧). وطبقاً له:

إن الإسلام لا يقبل أن يتعايش مع أى مظهر من مظاهر الجاهلية أو شكل من أشكالها. والإسلام واضح ولا يقبل أنصاف الحلول. فإما يسود مجتمع الجاهلية الذى تسيطر عليه أهواء الأفراد ورغباتهم، أو يسود مجتمع إسلامي صحيح. يأتمر بأوامر الله وتحكمه شريعته. (ص ١٣٠)

ويؤكد قطب «أن أهم واجب للإسلام هو إزاحة حكم الجاهلية وسيطرتها على المجتمعات فيأخذ منها زمام الحكم» (ص ١٣). وهو يعارض الآراء التى تزعم تفوق المجتمعات الأوروبية على المجتمع الإسلامى، إذ لا يرى فيها سوى مجتمعات «جاهلية». وفى ذلك يقول:

إن المجتمعات الرأسمالية، تسودها الاحتكارات وهى مجتمعات تتعامل بالربا وغيره من أساليب غير عادلة. كما ينتقد الحرية الفردية فى تلك المجتمعات، ويرى أنها تخلو من التعاطف الإنسانى والمسئولية تجاه الأقارب إلا فيما يفرضه القانون فرضاً؛ لذا فهو يصف تلك المجتمعات بالمادية التى تفتقد إلى دفء الروح. كما أنه ينتقد أيضاً ما أسماه بالسلوك الحيوانى لدى هذه المجتمعات الذى يبيح «اختلاط الرجل والمرأة» تحت مسميات مختلفة مثل «تحرر المرأة» الذى لا يعدو أن يكون مظهراً من مظاهر السوقية، التى تتعارض مع متطلبات الحياة العملية.. وهو يرى أن الإسلام على العكس من ذلك دين منطقى تسوده مظاهر الإنسانية وجمال الروح وسموها الذى يكاد يلامس الآفاق. ويسعى الإنسان المسلم دوماً إلى الوصول إليها. (ص ١٣٩).

وتختلف آراء قطب، حينما يتعلق الأمر بعلوم الغرب أو المنح الغربية. فهو يؤمن بحاجة المجتمع الإسلامى إلى تعلم العلوم المجردة مثل الفيزياء والهندسة والطب والرياضيات وعلم الأحياء والتى حقق فيها الغرب تقدماً ملحوظاً. إلا أنه يناشد المسلمين البعد عن العلوم الأخرى، التى تعتبر فى نظره علوماً ليبرالية مثل العلوم السياسية أو علم

الفلسفة. إذ إنها في رأيه تنطوى على آراء غير متفقة مع روح الإسلام وتعاليمه. وهى فى عرفه علوم آثمة وضارة. كما يجب على المسلمين الابتعاد عن العلوم والنظريات التى لا تخضع للتجربة العلمية والاختبار؛ وبالتالى لا يمكن أن نجزم بصوابها. مثل نظرية داروين للتطور أو نظرية فرويد التى تعتمد على أسلوب التحليل النفسى. كما يدعو المسلمين إلى اللجوء إلى الإسلام وحده فى كل ما يتعلق بأمور الإيمان والدين والقيم. وهو يزعم أن القرآن قد حث على ذلك، من خلال بعض آياته التى جاءت متضمنة لهذا المعنى، إذ ذكرت أن الكفار سوف يحاولون دوماً أن يخرجوا المسلمين عن طريق الصواب والهداية، من خلال تأمرهم على دينهم الجديد.

ويزعم قطب (٢٠٠٧) وغيره من النشطاء أن الغرب اعتاد محاربة الكنيسة للعلوم، ومن هنا جاءت معاداته للدين الإسلامى أيضاً. إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للإسلام حيث إن هناك وفاقاً لا خلافاً بين علوم الإسلام والإيمان. كما يحاول الإسلاميون أن يبرهنوا أن هناك مؤامرة غربية متعمدة ضدهم تحاول أن تحكم خيوطها حول المجتمعات الإسلامية من خلال خطة محكمة للغزو الثقافى، المتمثل فى أشكال مستجدة من الفنون الحديثة وأنهاط مستحدثة غربية عن المجتمع الإسلامى وطرق معيشته فى زمن نقائه الأول. وذلك فى محاولة لتقويض أركان المسلمين فيضعف المسلمون، وتذهب قوتهم وبأسهم الذى اشتهروا به فى ظل حياة السلف الصالح؛ لذا لابد من أن ينأى المجتمع الإسلامى بنفسه بعيداً عن المؤثرات الخبيثة للغزو الثقافى.

وكما يحدث بالنسبة لكل الأديان الأصولية، فإن الإسلاميين يؤمنون بأن عليهم أن يعزلوا المسلمين عن كل مظاهر العولمة الحديثة من خلال تحريم مشاهدة مختلف قنوات التلفاز أو استخدام الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت) أو الانفتاح على أشكال الفنون الحديثة. بما يحقق لهم «عزلاً ثقافياً» محكماً عن الثقافة المعاصرة وشتى مظاهرها. وهم لا يختلفون فى ذلك عن جماعة اليهود الأرثوذكس المتعصبة أو جماعة الآمش فى بنسلفانيا.

وطبقا لفضل (٢٠٠٦)، فإن إصرار الأصوليين على عدم قبول كل ما هو حديث، يعتبر وسيلتهم في التعبير عن اختلافهم وتمسكهم بهويتهم. فهم لا يستخدمون معجون الأسنان مثلا، بزعم أن الرسول محمدا لم يكن يستخدمه. فقضية الارتباط بالسلف مهمة جدا في الفكر الأصولي المتزمت. وهم يتخيلون إمكانية الحياة في ظل مجتمع السلف الأمثل. «وكلما نأوا بأنفسهم عن الحياة العصرية أصبح مجتمع السلف هو النموذج الأمثل في نظرهم. مما يفاقم من كرههم لكل ما هو حديث أو عصرى» فضل (٢٠٠٦ - ص ١٧٤).

التعامل مع غير المؤمنين

ينص الجزء الثاني من شهادة أن «لا إله إلا الله»، أن «محمدا عبده ورسوله». ويؤمن المسلمون أن الله قد أرسل ١٢٤٠٠٠ رسول (*) لهداية الناس، وأن محمدا هو خاتم الأنبياء ومكمل الدين الحق لكل البشرية. ويؤمنون أيضا، أن الإسلام هو الحل وهو طريق الخلاص لجميع الناس. وهم في ذلك لا يختلفون عن المؤمنين بأي دين آخر؛ لذا كان المسلمون على قناعة بأن المؤمنين بالرسول من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام، مثل موسى وداود وعيسى لا بد أن يعتنقوا آخر الأديان ويؤمنوا بخاتم الأنبياء. وأن الإسلام هو أفضل الأديان لأنه مكملها. والشرعية تمثل أحكام الله وفيما عداها لا يتفق مع مشيئته. بل إن الإسلاميين يرون أن ذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذ غير المسلمين والمسلمين الذين لا يمارسون فرائض دينهم على وجه الحق، من لعنة الله وغضبه.

ويقسم نشطاء من أمثال قطب وفرج العالم إلى معسكرين: المؤمنين وغير المؤمنين أو الكفار. مما يحول العالم إلى ميدان كبير لمعركة مستمرة ومتواصلة بين الطرفين. وهذا المفهوم يشكل، حقيقة الأمر، نواة الفكر الجهادي ولغة خطابه. وهم يطلقون اسم «دار الإسلام» على الدول التي تطبق الشريعة على مواطنيها. وفيما عدا ذلك يعتبر «دار حرب» أو «دار الكفر». فتطبيق الشريعة إذا هو أساس هذه التسمية. وبالتالي فإن الدولة المسلمة التي لا تطبق الشريعة لا يمكن اعتبارها «دار إسلام».

(*) المسلمون يؤمنون أن الله أرسل رسلا منهم من نعلمهم ومنهم من لا نعلمهم دون تحديد للعدد. (المترجم).

وفي عرفهم هناك علاقتان فقط تربطان بين المسلم و«دار الحرب»، إما الحرب أو الاتفاق الذي يكون في شكل تعاقد مؤقت ينتهي بانتهاء المدة أو بخرق الاتفاق. مما يعيدنا إلى حالة الحرب مرة أخرى بين الطرفين. ويعتبر غير المسلم الذي يرفض اعتناق الإسلام، من أهل الذمة. ولا يسمح له أن يتقلد مناصب رفيعة داخل الحكومة أو الجيش. كما يعتبر المكان الذي يمارس فيه عبادته، أقل درجة من الجامع. ويقوم بدفع الجزية. وهى نوع من الضرائب التى يدفعها غير المسلمين فى ظل الحكم الإسلامى. ولكنهم لا يدفعون الزكاة التى تعد إلزامية للمسلمين. وإذا رفض أهل الذمة هذه الشروط ورفضوا، فى الوقت ذاته، اعتناق الإسلام، فهم يصبحون عندئذ فى حالة حرب مع الدولة الإسلامية.

ويحاول المعتدلون أمثال فضل (٢٠٠٦)، أن يبرهنوا أن القرآن لا يقسم العالم إلى «دار إسلام» و«دار حرب». فيقولون، إن التفرقة الوحيدة التى ذكرها القرآن كانت بين حياة الدنيا والآخرة. كما يستشهد المعتدلون فى هذا الخصوص، بآيات من القرآن الكريم، تظهر احترام الإسلام لأصحاب الأديان الأخرى من يهودية أو مسيحية. حيث يطلق عليهم القرآن، أهل الكتاب. وكثيرا ما يشار إلى تلك الآيات باسم آيات السلام. ومنها:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت. الآية ٤٦).

وفى حالة اختلاف المسلمين مع من يؤمنون بأديان أخرى، فعليهم أن يبرهنوا لهم أن خلافهم غير شخصى بل هو اختلاف فى الآراء ولا يفسد للود قضية. وأنهم لا يحملون لهم فى النفوس أية عداوة أو ضغينة. بل يتمنون لهم السلام. (سورة الزخرف : الآية ٨٩ - سورة القصص : الآية ٥٥ - سورة الفرقان : الآية ٦٣)

كما يؤكد فضل (٢٠٠٦)، وغيره من المعتدلين، أن القرآن يشمل أيضا أهل الكتاب من مسيحيين ويهود برحمته. ويحذر فى كثير من آياته المسلمين من التكبر على غير المسلمين. وأن الله، هو الذى يتولى حسابهم على أعمالهم وليس البشر. وقد جاء فى القرآن:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٢٨).

وكان رد فعل الجهاديين على اعتدال وسماحة سور السلام، أن ردوا عليها بآيات من (سورة التوبة: الآية ٥).

﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُذُوهُمْ وَأَخْصِرْهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾.

ويستشهد الجهاديون بتلك الآية كثيرا لتبرير قتل غير المسلمين على أساس أنها البرهان على استباحته. ولكنهم يتجاهلون الجزء المكمل لنفس الآية ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ولاشك أنه على مر الأزمنة، قد وجدت أديان تدعو أتباعها إلى محاولة إقناع أتباع الأديان الأخرى، بالدخول في الدين الجديد. إلا أنه في العصور الحديثة لم يكن يحدث ذلك بحد السيف. والإسلام دين سماحة وتشهد على ذلك آيات عديدة من القرآن. ومنها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقُونَ مَنْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (سورة المائدة: الآية ٦٩).

وهناك الكثير من الآيات القرآنية الأخرى، التي تدعو في مواقع متعددة من السور إلى احترام الأديان الأخرى والتسامح مع أتباعها وإلى حسن معاملتها الغير. على سبيل المثال (سورة البقرة: الآية ٦٢ - سورة الحج: الآية ٣٤ - سورة آل عمران: الآية ١٩٩). إلا أن الجهاديين يتكبرون لمثل هذه الآيات ويتجاهلونها بحجة أنها لم تعد صالحة في وقتنا الحالى، أو أن الله يسمح بالتغاضي عنها وقت الجهاد. وطبقا لفضل (٢٠٠٦)، فإن الجهاديين يتجنبون الآيات التي تتعارض مع أسلوبهم حتى يتهربوا من مسئولياتهم تجاه ما يرتكبون من جرائم في حق الإسلام.

إن القرآن جاء متضمناً آيات تدعو إلى القتال إلى جانب آيات أخرى تدعو إلى السلام والتسامح. . وتغليب إحداها على الأخرى، مسألة تتعلق، في نهاية الأمر، بتفسير عدة مدارس في الفكر الإسلامى.

مركز المرأة

لا شك أن نظام الطالبان بأفغانستان كان يمثل أسوأ نظام لمجتمع أبوى شهده العالم، على مر الأزمنة والعصور. مارس هذا النظام التفرقة القمعية ضد المرأة بدعوة العودة إلى دين السلف وحكم الشريعة وأئمة الإسلام. ويعتبر هذا النظام المرغل في تطرفه ضد المرأة، أقرب إلى وجهة النظر الوهابية المغالية في التشدد تجاهها. وإن كان الطالبان قد بالغوا في التزمّت حتى سبقوا الوهابيين أنفسهم. ويمكن تلخيص وجهة النظر المتطرفة ضد المرأة فيما يلي:

أولاً: إن الله قد فضل الرجال عن النساء وأسند لكل جنس مهمته في الحياة. وأن أى اعتراض أو خروج على مبدأ عدم المساواة بين الجنسين يعتبر تمرداً على مشيئة الله. وما على المرأة إلا الطاعة والقبول بمشيئته عز وجل.

ثانياً: يضمن الإسلام للمرأة العدل والكرامة، رغم عدم مساواتها بالرجل.

ثالثاً: المرأة بطبيعتها تمثل غواية للرجل؛ لذا لابد من حماية الرجال من تلك الغواية التى قد تتحول إلى فتنة تصيب نسيج المجتمع الأخلاقى فى الصميم. وتبعد المؤمن الصالح عن طريق الهدى. وحتى يتسنى لنا ذلك لابد أن نسيطر على الرغبة الجنسية المتبادلة بين الرجل والمرأة، من خلال فرض القيود على المرأة وعلى اختلاط الجنسين. والمرأة تحمى نفسها بارتداء الحجاب الذى يتميز بالحشمة حتى لا تتعرض لتحرش جنسى أو اعتداء من قبل الرجال.

وكلما التزمت المرأة بالحشمة فى زيها والتواضع فى ملابسها، نأت بنفسها عن نظرات الرجال الطامعة فيها. فالمرأة لا تتجمل إلا لزوجها. وترتبط هذه الأفكار عن صون

المرأة بأهمية الأسرة كنواة أساسية للمجتمع. وأن الدور الأساسى للمرأة الذى خلقت من أجله هو أن تكون اما صالحة تتولى تربية ورعاية أطفالها. فهى المهمة الأساسية التى أسندها الله إليها؛ لذا عليها أن تتفانى فى إخلاصها لدورها فى الحياة. بينما تقع على الزوج مسئولية العمل خارج المنزل وحماية أسرته.

يزعم الجهاديون أن المجتمعات الإسلامية أسمى المجتمعات لحفاظها على المرأة واحترام دورها الأساسى فى تكوين الأسرة الصالحة، التى تشكل نواة المجتمع. وطبقا لقطب (٢٠٠٧).

... إن المجتمعات التى تكون فيها العلاقة بين الرجل والمرأة أساسها، الانجذاب الجنسى، والتى تتخلى فيها المرأة عن مسؤوليتها الأساسية كأم وزوجة، فتهدر طاقاتها وتجاهل استعدادها الطبيعى الذى وهبها الله إياه. وهو تربية أطفالها وتكوين أسرة صالحة. وتفضل عنه، العمل خارج المنزل. وسواء كانت هذه رغبتها أو أنها تتصرف تحت وطأة من ضغوط اجتماعية، فتصبح مضيعة فى فندق أو على طائرة أو موظفة فى شركة. فسوف يتحول المجتمع نتيجة لذلك، إلى مجتمع متخلف، يعيش مرة أخرى حياة الجاهلية. (ص ٩٨)

وهذه النظرة المحافظة والمتشددة فى التعامل مع المرأة تنبع أساسا من تعاليم عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩١) ومن تلامه من أجيال من الفقهاء الوهابيين، الذين تمنعوا فى الخط من قدر المرأة والإقلال من شأنها وقصر دورها على مجرد القيام بأمور البيت وخدمة الزوج. كما يعكس تحكم المجتمع الذكورى وسيطرته على المرأة بزعم حمايتها من الآخرين. ومن مظاهره فرض ارتداء الحجاب أو الخمار. وكل هذه الممارسات كانت تعد من أساسيات الحفاظ على تماسك المجتمع وأخلاقياته.

ومن ناحية أخرى، فإن رأى المعتدلين أمثال فضل (٢٠٠٦) أنه من أجل فهم نظرة الإسلام للمرأة ودورها فى المجتمع، لا بد من وضع الإسلام فى إطار تاريخى والتوعية بدوره فى حركة الإصلاح. وبالتالي فليست هناك قيود تمنع استمرار مسيرته الإصلاحية. وهذا يتماشى مع مبادئه الأساسية باعتباره ديناً إنسانياً، يسمو بالأخلاقيات ويقدر

الجمال. ويستدلون على وجهة نظرهم، من خلال تأكيدهم أن من أول الممنوعات التي نادى الرسول بتحريمها كانت قتل الأطفال. كما يؤكدون أن المرأة كانت تحصل على مزيد من الحقوق، من خلال رفع شكواها إلى الرسول أثناء قيادته للأمة الإسلامية، حيث عرف بنصرته للمرأة ولحقوقها.

لقد حقق الإسلام ثورة على العادات والتقاليد التي كانت سائدة أثناء العصور الوسطى، عندما كان يسمح للرجل بالاحتفاظ (بالحریم) أو الارتباط بأى عدد من النساء. فقام الإسلام بتحديد عدد الزوجات بأربعة نساء فقط.

وأعلن الإسلام أن تجارة الرقيق من النساء محرمة. وشجع الزواج وبناء الأسرة لتقنين العلاقات الجنسية وتحقيق الأمان المادي للمرأة. وأصبح على المرأة أن تنتظر شهرين بعد انفصالها عن زوجها قبل الزواج مرة أخرى (وهو ما يعرف بأشهر العدة) هذه الإجراءات الإصلاحية، كان الغرض منها تأمين المرأة ضد التعسف والقمع الذكوري. وبهدف أن تعيش المرأة حياة كريمة على هدى من تعاليم الدين وبها أمره الله. وقد استجاب النبي محمد إلى شكوى المرأة ورفع عنها القمع التزاماً منه بما جاء في آيات الله البينات، التي أكدت على المساواة بين الرجل والمرأة. ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم في هذا الخصوص نذكر: (سورة آل عمران: الآية ١٩٥، سورة النساء: الآية ١٢٤، سورة النحل: الآية ٩٧، سورة الأحزاب: الآية ٣٥، سورة غافر: الآية ٤٠، سورة الحجرات: الآية ١٣ وغيرها). ومن سورة الأحزاب نذكر الآية ٣٥:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْهَادِيْنَ وَالْهَادِيَّاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ الْقُلُوبِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

كما يؤكد المعتدلون أن مزاعم المتشددین، التي تصر على أن الدولة الإسلامية يجب أن تلزم المرأة بارتداء الحجاب مراعاة لاعتبارات الحشمة، ليس لها أساس من الصحة.

حيث إن الحجاب ليس فرضاً من فروض الإسلام. وإنما ارتداؤه يخضع لاختيار المرأة الحر، وهو في النهاية قرارها وحدها تتخذه بصفة شخصية. «فلا إكراه في الدين»، بل إن التسامح من مبادئ الإسلام الأساسية. كما أن استخدام القوة لعزل النساء والحيلولة دون تعليمهن أو منعهن من ممارسة أنشطة منتجة أو مفيدة تشكل «إكراهاً» وبالتالي تعتبر محرمة إسلامياً.

إلا أننا من ناحية أخرى، لا يمكن أن نجزم أن نظرة المعتدلين للمرأة تطابق نظرة المجتمعات الغربية لها. فلا يزال المسلمون المعتدلون، يفضلون حشمة المرأة وتقديسها للحياة العائلية. ولكنهم في الوقت ذاته، ضد حجب التعليم عن المرأة أو منع خروج النساء للعمل في شتى ميادين الحياة. وهم يذكرون دوماً عائشة، إحدى زوجات الرسول، باعتبارها نموذجاً يحتذى به للمرأة المسلمة. حيث كانت تحارب في صفوف المسلمين، بل يقال إنها قد قادت الجيوش في بعض المعارك. كما لعبت دوراً مؤثراً في تفسير القرآن بعد وفاة الرسول. أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات في الإسلام، وعلى الرغم من أنه اعتبر محلاً في ضوء ظروف سادت في العصور الوسطى. وشرية أن يعدل الزوج بين زوجاته، فإنه لا يعتبر فرضاً أو واجباً في الإسلام. ومن المعروف أن تونس قد جرمته وأعلنت عدم شرعيته باعتباره لا يتماشى مع عدالة الإسلام. أما تركيا فقد منعت به باعتبار أنه لم يعد يصلح للمجتمعات العلمانية العصرية. وكثير من الدول والمجتمعات الإسلامية الأخرى قد حاولت منعه باللجوء إلى عدة تفسيرات. إلا أنهم قد فشلوا حتى الآن في إعلان عدم شرعيته بصورة رسمية مثل تونس وتركيا.

الجهاد والإرهاب

من المبادئ الأساسية في فكر الجهاد الإسلامي، كما سبقت الإشارة إليه، إحياء حياة السلف، وإقامة حكم الشريعة الإسلامية، هكذا تنتهي من وجهة نظرهم، حياة الجاهلية. كما أن إقامة حكم الله وشرعيته تتطلب قلب أنظمة حكم الأفراد. ويتم ذلك من خلال جيش الطلائع الذي يتولى المسؤولية. ويبدأ الأمر بدعوة الناس حتى

يتحولوا من حياة الجاهلية إلى حياة السلف الصالح وحكم الله. إلا أن طريق الدعوة السلمى، قد لا يفضى بالضرورة إلى النتائج المرجوة، خاصة وأنه يواجه بمقاومة من قبل الحكام المحليين والنظام العالمى. ويستدل الجهاديون على ذلك من موقف العالم الرافض لانتصارات حماس فى انتخابات عام ٢٠٠٦ أو انتصار الجماعة الإسلامية بالجزائر فى انتخابات ١٩٩٢؛ لذا فإنه كى تتحقق العودة الحقيقية لحياة السلف، لابد من الإلغاء الفعلى لكل أشكال المعارضة والمتمثلة فى: أ- الحكام المحليين المرتدين والذين يبارسون القمع ضد جيوش الطلائع الإسلامية. ب- الكفار الأجانب، المساندين لأنظمة الحكم المحلية من خلال التفويض أو الاحتلال السافر. ج- الصليبيين أو الصهاينة الذين أعلنوا الحرب على الأمة الإسلامية. ومن هنا كان لزاما على جيش الطلائع الإسلامى أن يدافع عن الأمة الإسلامية، فيشن حربا مسلحة ضد هذه القوى الغاشمة باسم «الجهاد» وطبقا لما ورد فى القرآن الكريم.

إن أساس حركة الجهاد كانت دائما «الدفاع عن الأراضى الإسلامية» ضد المستعمرين الكفار.

وهو أيضا أساس الفتوى التى أصدرها الدكتور عبدالله عزام (٢٠٠٨) ضد الروس بعد احتلالهم أفغانستان عام ١٩٧٩. وكانت بعنوان «الدفاع عن الأراضى الإسلامية: الفريضة الأولى بعد الإيمان». ويعد الدكتور عزام «الأمير أو الأب الروحى لحركة الجهاد الكونية» (أسبوزيتو، ٢٠٠٢، ص ٧). وهو عالم إسلامى أردنى من أصل فلسطينى ويعتبر مؤسس القاعدة ومن مؤسسى حركة حماس الفلسطينية. وطبقا له «يعبر الإيمان عن حالة داخلية، وأخرى خارجية تدل على قوة هذا الإيمان» (نيوباي ٢٠٠٦، ص ١٠٠). وقد نالت هذه الفتوى استحسان عبد العزيز بن باز الذى كان فى ذلك الوقت المفتى الأكبر لمجلس العلماء بالمملكة العربية السعودية. إذا فالجهاد طبقا لهذا المنظور، يعتبر واجبا دينيا أساسيا، مفروضا على المسلمين. بل هو بهذا المعنى يكاد يكون الفريضة السادسة للإسلام. وقد بدأ عزام (٢٠٠٨) فتوته باستشهاد لابن تيمية: «إن الواجب الأول للمسلمين بعد الإيمان هو طرد الأعداء المعتدين، الذين يهاجمون دينهم ويدمرون شئون حياتهم» ص ١.

وقد استخدمت الجماعات الإسلامية في مصر أمثال الجهاد الإسلامي المصري والجماعة المصرية الإسلامية، فتوى ابن تيمية في محاربة الحكام المحليين الذين وصفتهم بالمرتدين وقامت بتكفيرهم. فقد استشهد فرج، على سبيل المثال، في كتابه «الفريضة الضائعة» في عدة مواقع بفتوى ابن تيمية لإعلان الحرب ضد النظام المصري السائد وقتذاك. حيث شبههم بالمغول أو المستعمرين الذين ذكرهم ابن تيمية. وفي ذلك كتب فرج (١٩٨٦):

إن الحكام المحليين في عالمنا المعاصر، في حالة ارتداد عن الإسلام. فهم يأكلون على موائد الإستعمار بجميع أشكاله: الصليبيين، والشيوعيين، والصهاينة. ولا يتمون إلى الإسلام إلا بأسمائهم. وذلك رغم أنهم لا يزالون يصلون ويصومون. ويزعمون أنهم مسلمون... إنه من أحكام الله الثابتة أن عقاب المرتد أشد من عقاب الكافر. فالمرتد يجب قتله في كل الظروف. «المغول ومن شابههم». أى حكامنا المحليين في هذا العصر. ومن يشك في ذلك يعد جاهلا بأحكام الإسلام. ص ١٦٩.

وقد تأثر بن لادن وأتباعه من القاعدة بفكر فقهاء مصريين من أمثال قطب و فرج. وظهر ذلك واضحا في الفتوى التي أصدرها ابن لادن في ٢٣ أغسطس ١٩٩٦ بعنوان «ضرورة طرد المشركين من شبه الجزيرة العربية» وقد تضمنت الفتوى الحكام المحليين بزعم ارتدادهم وتكفيرهم. وثانيا اتهامهم بالتآمر مع المحتل الغاصب وتسهيل احتلاله للأراضي الإسلامية. بما يستوجب الجهاد ضدهم. وقد قدم ابن لادن المبررات التالية ضدهم (٢٠٠٥):

١ - وقف العمل بأحكام الله واستبدال أحكام من صنع الإنسان بها. والدخول في مواجهات دموية مع علماء مسلمين صالحين عرف عنهم تقواهم وإيمانهم. والله يغفر لمن يشاء.

٢ - فشل الحكام في حماية الأراضي الإسلامية والسماح للمستعمرين من الأمريكيين، الصليبيين باحتلالها لمدة سنوات طويلة. وهم السبب الأساسي فيها وقعت فيه بلادنا من ورطة. ص ٢٨.

إن فكرة الجهاد ضد أعداء الله أو الكفار تعتمد على تقسيم العالم إلى منطقتين دائمتي الصراع: دار الإسلام ودار الحرب. (كما سبقت الإشارة إليه) وتقسيم الشعوب إلى شعوب مؤمنة وأخرى غير مؤمنة. وقد أكد لنا فضل أن هذه الثنائية غير واردة في القرآن أو السنة النبوية. ولكنها نتاج فكر فقهاء إسلاميين تقليديين يتمون للعصور الوسطى. ويرجع أصل هذا التقسيم إلى أن بلادًا كثيرة من أوروبا والشرق الأوسط أو آسيا كانت دائمة الصراع فيما بينها، ولاتلتزم بما توقع عليه من اتفاقيات سلام، ونتيجة لذلك، كانت البلاد الضعيفة تتعرض كثيرا لعمليات نهب منظم. وقد ابتدع الفقهاء فيما بعد، أسماء أخرى مثل دار الصلح أو العهد أو دار العدل.. وهي أماكن لغير المتحاربين أو لمن هم على الحياد. إلا أن هذا التقسيم الذي كان له ما يبرره في العصور الوسطى، أصبح أساسا لإعلان الجهاد على غير المؤمنين في عصرنا الحديث.

ولاشك أن اعتماد الجهاديين على آيات الجهاد لتبرير قتل غير المؤمنين على أساس أنهم قوم كافرون، تتعارض مع غيرها من آيات السلام التي وردت أيضا في القرآن وتدعو إلى التسامح والسلام. فمن المعروف أن الإسلام يدين قتل النفس البشرية بغير حق. بل يعتبر أن قتل إنسان واحد بمثابة قتل الإنسانية كلها. كما يتفق مع تعاليم التوراة التي تعتبر إنقاذ حياة شخص كإنقاذ الإنسانية أيضا. (سورة المائدة: الآية ٣٢). ويقول القرآن الكريم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. (سورة الأعراف: الآية ١٩٩)

ويؤكد فضل (٢٠٠٦) أن الجهاديين يجهلون كثيرا من أمور الإسلام وتعاليمه. فنشر القوضي والدمار ونشر الفساد في الأرض، من الكبائر في الإسلام؛ لأنها تعتبر تدميرا «لجمال الخليقة» (ص ٢٣٧). وحتى بمنطق الجهاديين فإن غير المسلمين يجب أن يمنحوا حرية اختيار دينهم أو أن يكونوا أهل ذمة، قبل أن نعلن الجهاد ضدهم.

وتعتبر إسرائيل هي الهدف الأساسي للجهاديين، حيث تمثل دولة إسرائيل نموذجا لأعداء الله الذين يحتلون أرضا إسلامية. وهي في نظرهم نتاج مؤامرة استعمارية لاحتلال فلسطين وخاصة مدينة القدس والمسجد الأقصى. وقد فسر حسن البنا، وهو

مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، هزيمة العالم العربي على يد إسرائيل في حرب ١٩٤٨ بأنها نتيجة طبيعية لما أصاب الأمة الإسلامية من عوامل الضعف والوهن. وأنه أمر كان متوقعا لأمة تركت تعاليم الإسلام الأولى على يد الرسول محمد والصحابة. وقد كانت هزيمة قوات التحالف العربي المتكون من مصر وسوريا والأردن والعراق على يد إسرائيل، فيما عرف بحرب الستة أيام عام ١٩٦٧، هي السبب في التحول الذي طرأ على الجدل الخاص بحركة الجهاديين. فقد زعم أصحاب فكرة القومية العربية، قبل هذه الحرب الأخيرة أنهم على «استعداد لخوض حرب مع إسرائيل وإلقائها وحلفائها في البحر» (الظواهري، ٢٠٠٦: ٦٤). وقد استبعد الجهاديون إمكانية إقامة أى اتفاق للسلام مع إسرائيل. وجاء على لسان عزام «الجهاد والسلاح هو الطريق: لا مفاوضات ولا مؤتمرات ولا حوارات». (مقتبسة من إسبوزيتو، ٢٠٠٢: ٧).

وقد قامت الحكومة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر بالقبض على آلاف من الإخوان المسلمين، كما قامت بإعدام الكوادر منهم كسيد قطب على سبيل المثال. وذلك بغرض قمع النشاط الإسلامي. وبعد هزيمة عام ١٩٦٧ التي سميت بالنكسة، والتي قد أصابت ناصر نفسه في الصميم، حيث فقد شعبيته أمام جماهيره العريضة، طالب الجهاديون، أمثال الظواهري (٢٠٠٦) «بقتل عبد الناصر، حتى تموت معه مبادئه». ص ٥١. وبعد أن خلف الرئيس السادات عبد الناصر، حاول فك حالة الاحتقان السائدة بين الإخوان المسلمين والسلطة، فأطلق سراح الكثير من النشاط الإسلامي. مما عزز من صورته «كرئيس مؤمن»، وأصبح يلقب بهذا الاسم. ولكن السادات في مرحلة تالية وقع اتفاقية سلام مع إسرائيل بوساطة أمريكية (اتفاق كامب ديفيد للسلام عام ١٩٧٩). وتبع ذلك عدة محاولات من جانب النشاط الإسلامي للاستيلاء على الحكم وإقامة دولة إسلامية في مصر. وقد راح السادات ضحية لإحدى هذه المحاولات، حيث اغتيل على يد الإخوان المسلمين في ٦ أكتوبر ١٩٨١. ومنذ ذلك الحين والدولة المصرية لم تدخر وسعا في محاربة الإسلاميين وتعقبهم ومداومة أوكارهم،

بصفة منتظمة. حتى أن الجماعة المصرية للجهاد الإسلامى قد أعلنت تصالحها مع النظام المصرى وأصبحت الآن فى حالة سلام مع الدولة.

إلا أن الجهاديين لا زالوا يبررون استمرار حركة الجهاد، باستمرار احتلال الكيان الصهيونى للأراضى العربية. وقد كانت حجة الجهاديين فى عدائهم للغرب منذ البداية، هو أنه كان وراء نشأة الكيان الصهيونى فى فلسطين. كما أنه لا زال يدعم إسرائيل ويساندها حتى الآن.. إلا أن هذا التركيز على الغرب، قد تحول عنه، إلى الاتحاد السوفيتى حينما قام باحتلال أفغانستان وهى دولة إسلامية. فتوجه على إثر ذلك جهاديون من شتى أنحاء العالم إلى باكستان وانضموا إلى الحرب فى أفغانستان أو الجهاد للدفاع عن الأراضى الإسلامية. وتحقق للجهاديين النصر على القوات السوفيتية وهى تمثل قوة عظمى، إذ تمتلك أضخم قوات برية. كما انسحبت القوات الأمريكية على عجل من الصومال عام ١٩٩٣. وأعلن الجهاديون أن الله فى جانبهم؛ لأنه ينصرهم على أعدائهم. ومنذ ذلك الحين تحول العالم إلى مسرح للجهاد ضد أعداء الله والنظام العالمى الجديد «الذى تقوده الولايات المتحدة والحكومة اليهودية الكونية» (الظواهرى، ١٢٥: ٢٠٠٦). وبدأ الجهاديون فى التكثيف من عملياتهم فى إسرائيل وكشمير والمغرب والسودان والشيستان واندونيسيا.

وفى عام ١٩٩٨ أصدر بن لادن وأتباعه فتوى مهمة (بن لادن، ٢٠٠٥). ترجع أهميتها وخطورتها إلى اتساع مجال الجهاد، وذلك من خلال نشأة جبهة إسلامية عالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين. كما أعلنت لأول مرة حرباً شاملة بلا حدود، وليس فقط دفاعاً عن الأراضى الإسلامية فى حالة الاعتداء عليها. وتبدأ الفتوى بآيات الجهاد ثم تتطرق إلى حدود قصوى من الشراسة والعنف:

إن قتل الأمريكيين وحلفائهم، من مدنيين أو عسكريين، يعتبر واجباً ملزماً لكل مسلم فى كل بلاد المسلمين. وذلك من أجل تحرير المسجد الأقصى والمسجد المقدس من قبضتهم. وحتى تترك جيوشهم الأراضى الإسلامية، وهى مهزومة

ومنكسرة وغير قادرة على تهديد المسلمين. وهذا هو حكم الله. (بن لادن، ٢٠٠٥ ص ٦١).

أصبح إذا قتل المدنيين غير المحاربين من نساء وشيوخ وأطفال، جزءا من الجهاد. ويربر الظواهرى ذلك، بأن المدنيين قد قاموا بإرادتهم بانتخاب حكوماتهم؛ وبالتالي فهم مسؤولون عن أخطائها. بالإضافة إلى أن المواطنين هم الذين يقومون بدفع الضرائب التى تمول ما يسمى «بالحرب ضد الإرهاب»، كما تمول أيضا، احتلال أراضي المسلمين التى ترتب عليها قمع المسلمين من رجال ونساء وأطفال. ويواصل الظواهرى الأسباب الأخرى لتحليل قتل المدنيين، (٢٠٠٦) فيؤكد:

«ضرورة تكبيد العدو أفدح الخسائر. وأن الغرب لا يفهم إلا هذا الأسلوب. وأننا لانبألى بما يكلفنا ذلك من وقت أو جهد». ص ٢٢٣.

انتقل إذا الخطاب الجهادى ولغته من مفهوم الجهاد من أجل الدفاع عن النفس أو تحرير الأراضي الإسلامية من الكفار أو المرتدين. إلى حرب شاملة بلا أدنى حدود أو قيود وبلا هوادة. «لقتل الأمريكيين وحلفائهم من مدنيين أو عسكريين والثأر للمسلمين الذين قتلوا على أيديهم». وأعلن أن هذا الجهاد واجب دينى.

وجدير بالذكر، أن الدعوة للجهاد تتضمن أيضا مهام استشهادية (عادة تعرف بالعمليات الانتحارية). وهى تعبر عن رغبة المسلم فى التضحية بنفسه فى سبيل الله وشرعه. كما أن الشهادة فى سبيل الله تمنح المسلم مزايا وحقوقا كثيرة فى الإسلام. ومنطق الجهاديين هنا، أن الموت قادم فى جميع الأحوال. إلا أن نيل شرف الشهادة يؤهل المسلم للفوز بالجنة. وطبقا للإسلام فإن الشهداء لا يموتون، «بل أحياء عند ربهم يرزقون». ومن الآيات التى يذكرها الجهاديون كثيرا فى هذا الشأن :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
(سورة آل عمران: الآية ١٦٩-١٧١)

والعديد من السور القرآنية يصف حياة الشهداء في الجنة والمنزلة التي يتمتعون بها عند الله ومنها، سورة الرحمن: الآية ٥٤ - ٥٦. وسورة الواقعة: الآية ١٢ - ٣٩. ويرر الجهاديون أنشطتهم القتالية أولاً بالدفاع عن الإسلام. وأن الاستشهاد بمثابة الواجب تجاه الدين، والذي يؤهلهم للمنزلة الرفيعة لدى خالقهم وللجنة الموعودة. ولا يتفق المعتدلون الإسلاميون مع مقولة العلمانيين، بأنه لا وجود لحياة الآخرة أو فكرة الحساب. وإنما أساس اختلافهم مع الجهاديين أنهم غير مؤهلين لإصدار فتاوى الجهاد. وأن الإسلام يرى من حركة الجهاد الكونى التى يرفعون لواءها باسمه. ثم إن الله هو الذى يقرر من يستحق الجنة وليس الجهاديون. ولا شك أن هناك وسائل أخرى يتقرب بها العبد إلى ربه غير القتال والاستشهاد. وطبقاً لفضل (٢٠٠٦)، فإن القرآن يشير في بعض آياته إلى القتال، ولكن يجب أن يكون مبرراً. ولا يشجع الإسلام الحروب أو يفضلها عن السلام، بأى حال. وكثير من الآيات تحث على السلام ونبذ الحروب والكراهية بين الناس. والتسامح لحقن الدماء بدلاً من إراقتها. تقول سورة الأنفال: الآية ٦١:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وحقيقة الأمر فإن فضل (٢٠٠٦) يؤكد أن الشريعة الإسلامية تجرم الاعتداء على المدنيين بغرض إشاعة الرعب أو الفوضى بين الناس. كما يجرم حوادث الاختطاف أو التعذيب وتعتبرها من جرائم «الحرب ضد المجتمع». وهى محرمة في الإسلام. ويزعم فضل «أن الإرهاب في العصر الحديث هو مثال لإشاعة الفساد في الأرض» ص ٢٣٧. تطورات حديثة:

ولا تزال أهداف الجهاديين الأساسية، إقامة الدولة الإسلامية في قلب العالم الإسلامى وإحياء نظام الخلافة ومجتمع السلف الأمثل. إلا أن نقطة تركيزهم الآن أصبحت تنصب أكثر على العدو «البعيد»، قبل العدو «القريب» ويذكر الظواهرى (٢٠٠٦) مبررات هذه السياسة فيما يلى:

«إن التحالف الصليبي بقيادة الولايات المتحدة لن يسمح لأية قوة إسلامية أن تصل إلى الحكم في الدول العربية... إن محاربة العدو الداخلي (في إطار الدول العربية) لم يحن وقتها بعد». (ص ٢٠١)

إن الجهاد حالياً قد أعلن الحرب المفتوحة الشاملة ضد الولايات المتحدة وحلفائها، إسرائيل وروسيا والهند وضد المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والمؤسسات الغربية متعددة الجنسيات والأنظمة الدولية للاتصالات وتبادل المعلومات، ووكالات الأنباء العالمية والقنوات الفضائية ومنظمات الإغاثة الدولية (الظواهرى ص ٢١٠-٢٠٦).

إلى جانب أن الجهاد لا يفرق بين المحاربين وغير المحاربين، برغم اعتراض أغلبية علماء الإسلام، على هذا السلوك الهمجى الذى لا يمكن أن يعبر عن تعاليم الإسلام. خاصة وأن الإسلام لا يحلل تلك الأنشطة الإرهابية التى ترتكب باسمه ضد الإنسانية بلا حدود أو قيود.

ولا يخفى أن من الأسباب الرئيسية لتركيز حركة الجهاد على «العدو البعيد»، هو قيادة الولايات المتحدة وحلفائها «لحرب معلنة ضد الإرهاب» وكذلك إدراكها أيضاً، للمعارضة على المستوى الداخلى لحركة الجهاد الكونى. وقد كان هناك عدااء واضح بين أسامة بن لادن والمجلس الأعلى للعلماء بالمملكة العربية السعودية برئاسة ابن باز، المفتى الأكبر سابقاً. فقد أصبح المجلس محل اتهام بن لادن منذ إصداره بياناً يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٤. اتهم فيه الباز بأنه «يسمح بالممارسات القمعية في المملكة» وأضاف موجهاً له البيان: «إن ما حدث كان بمعلمك ونتيجة متوقعة للسماح بسن لوائح تعزز هذه الممارسات» (بن لادن ٥: ٢٠٠٥). ومن المعروف أن الحرب لا تزال مشتعلة بين النظام السعودى والنخبة الدينية الوهابية في جانب وبين ابن لادن في جانب آخر.

أما في مصر، فقد أعلنت الجماعة الإسلامية المصرية هدنة من جانبها لأنشطة العنف التى كانت تمارسها ضد النظام المصرى باسم الدين عام ١٩٩٧. (الظواهرى ٢٠٠٦- سيجامان ٢٠٠٤) وكانت الجماعة قد بدأت حملتها العنيفة في السبعينيات على أساس

التكفير. وكان قائدها حينئذ هو أبو ياسر رفاعى أحمد طه، وهو من الموقعين على فتوى تكوين الجبهة الإسلامية العالمية (ابن لادن ص ٦٩-٢٠٠٥). وكانت السلطات المصرية قد ألقت القبض على ما يربو على ٢٠٠٠٠ ناشط من الجماعة في سنوات التسعينيات، بعد قيامهم بأعمال تخريب وعنف على نطاق واسع. وقد عارضت السلطات المصرية أولاً إجراء أى حوار مع أعضاء الجماعة، التى كانت قد كسرت شوكتها بعد القبض على قائدها وهجرة العديد من أتباعها خارج البلاد. إلا أن حواراً سلمياً بقيادة الأزهر الشريف قد أتى بشماره فى تحقيق الصلح بين الجماعة والسلطة المصرية. وقد أصدرت الجماعة بين عامى ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ مجموعة من أربعة كتب، تحت اسم «تعديل المفاهيم» أرسلت فيها دعائم فكر جديد ينبذ العنف وينادى بتبنى أسلوب مستحدث لحركة الجماعات الإسلامية. (سلوى ٢٠٠٦). وكان من المتوقع، فى ظل الظروف السائدة، أن يقف الظواهري (٢٠٠٦)، وهو أحد أقطاب الجهاد المصرى السابقين، موقف المعارض من تلك المبادرة السلمية، وهذا ما حدث بالفعل.

بعد عام ٢٠٠١، انضمت باكستان إلى تحالف «الحرب ضد الإرهاب» بقيادة الولايات المتحدة.

وقد كانت باكستان منذ سنوات طويلة، فى قبضة تحالف عسكرى. وكانت تساند الجهاد الإسلامى فى أفغانستان وكشمير. ولما انضمت إلى قوات التحالف، شن الجهاديون معارك انتقامية ضدها، حيث استهدفت ثلاث محاولات اغتيال الجنرال مشرف. ولكنها باءت جميعاً بالفشل. وبدأت حملة عنيفة ضد قوات الأمن بباكستان. خاصة فى منطقة القبائل الواقعة شمال غربى البلاد. والتى كانت حينذاك تحت سيطرة الطالبان. واتحدت فى هذه الأثناء الأحزاب المعتدلة واتفقت فيما بينها على استعادة الديمقراطية ولو بشكل جزئى وعلى محاربة الإرهاب.

ومن تداعيات الموقف فى ذلك الوقت استشهاد رئيسة وزراء باكستان، بنازير بوتو. وأعقب ذلك، دخول الأحزاب السياسية الدينية معركة الانتخابات العامة بباكستان عام ٢٠٠٨.

وفي ٢٥ فبراير عام ٢٠٠٨، عقدت دار العلوم ديوبند، وهي أكبر مدرسة إسلامية لتدريب فقهاء الدين في العالم، مؤتمراً، حضره ٦٠٠٠ إمام. وفي نهاية المؤتمر، أصدر الفقهاء فتوى أكدت أن الإرهاب ليس إسلامياً. وجاء فيه:

إن الإسلام هو دين الرحمة لكل الإنسانية. بل هو منبع السلام الأبدى والأمن والسكينة. وقد أثبت الإسلام اهتماماً عظيماً للإنسانية، حين اعتبر أن قتل النفس البشرية تقتل الناس جميعاً. والإسلام لا يميز بين البشر على أساس الجنس أو الدين. وتدعو تعاليم الإسلام إلى معاملة الجميع على أساس من المساواة والرحمة والتسامح والعدالة. إن الإسلام ليدين كل أشكال الظلم والعنف والإرهاب. ومن أعظم كبائره وذنوبه، القتل وإشاعة الفوضى وإعاقة الفساد في الأرض. (بيان مؤتمر الهند المناهض للإرهاب. ص ١).

وحقيقة الأمر، فإن الإسلام المتشدد لم ينل أبداً استحسان الجماهير. والمسلمون بصفة عامة لا يلتزمون بالتعاليم المتشددة التي يتبناها الأصوليون. حيث يجدونها مبالغة في تشدها. ويعتبرون أن الإسلام في الأساس، دين يسر لا عسر، كما هو معروف عنه. وكثير من المسلمين يميلون إلى الطرق الصوفية في الإسلام. ومن المظاهر الأخرى لتشدد الأصوليين، تحريم الغناء والرقص بأنواعه. واعتبار مشاهدة التلفاز من المحرمات، إلا إذا تناولت برامج الدين. كذلك يعتبرون قراءة القصص أو الذهاب إلى المسارح أو دور السينما غير إسلامي، لأنها من قبيل الأكاذيب. وكذلك يرون أن الوقوف احتراماً لأي شخص، مهما بلغت مكانته بدعة وكفرًا، فالمسلم لا يجب أن يبجل أحداً سوى الله. والتصفيق أيضاً غير محلل؛ لأنه يعتبر مديحاً وثناءً لغير الله. حتى الاحتفال بأعياد الميلاد بما فيها المولد النبوي بدعة غير مقبولة.

وجدير بالذكر أن النخبة الدينية أو علماء الدين بمن فيهم القائمون على علوم الدين من الأكاديميين. وكذلك الحكام السياسيون وأنخب الجيش، في مصر أو باكستان أو المملكة العربية السعودية، قد أعلنوا بالإجماع معارضتهم لتعاليم الجهاديين والأصوليين

ولمنهجهم المتشدد في الدين. وحتى الوهابيين والأزهريين وكذلك خريجي المدرسة الديوبندية للإسلام بباكستان، قد أعلنوا رفضهم للممارسات العنيفة التي ينتهجها الجهاديون، وذلك رغم أنهم من المحافظين. كما أنهم يعارضون تفسيرهم للقرآن. من المعروف أن هناك عدة تفسيرات للإسلام. وقد اختار أصحاب الجهاد الكوني تفسيراً معيناً مرتبطاً بظروف سياسية وتاريخية معينة وتبنوه منهجاً وارتضوه أسلوباً في زمن لم يعد يصلح فيه للتطبيق. والسؤال الآن لماذا يصبر بعض الأفراد على اتباع هذا الأسلوب العنيف في حين أن أمامهم بدائل أخرى لإثبات إيمانهم بالله وهو يتهم الإسلامية؟

ملاحظات ختامية:

هناك تناقض جلي بين ما يفسره الأصوليون من القرآن ويتبنونه كمنهج لسياستهم، وبين ما نصت عليه آيات القرآن وما عرف عن جوهر الإسلام عموماً. يزعم الجهاديون أنهم يفسرون القرآن وتعاليم الله من خلال قراءة مباشرة دون فلسفة تعتمد على وجهة نظر أو تتأثر بثقافة.

ولكنهم في الوقت نفسه، يختارون من القرآن آيات الجهاد ليبرروا بها اعتداءاتهم الهمجية وأنشطتهم الإرهابية ضد من يعتبرونهم أعداء الله من محاربين أو مدنيين على حد السواء. ويتجهالون آيات القرآن الأخرى التي تدعو إلى التسامح ونبد العنف والكراهية والمعروفة باسم آيات السلام. بل إن القرآن يدعو إلى العدل والمساواة بين الناس جميعاً بغض النظر عن الجنس أو الدين. وفي عرف الجهاديين، فإن القرآن يعتبر النساء وغير المؤمنين بصفة عامة، أدنى درجة من المؤمنين. بينما يتجاهلون تعاليم الشرع والشريعة الإسلامية التي تمجد مبادئ المساواة والعدل واحترام حقوق الإنسان. ويبدو في نهاية الأمر، أنهم، يختارون من القرآن ما يتماشى مع أهدافهم السياسية والجغرافية ليس أكثر.

وما سبق، يتضح أن الجهاديين يعيشون فترة العصور الوسطى من جديد، أو الفترة التي سبقت ظهور اليهودية. حينما كانت الأجواء السائدة أجواء يخيم عليها العنف

والقتال. مثل حقبة محاكم التحقيق التعسفية في إسبانيا على سبيل المثال. فلغة الخطاب الجهادى وأسلوب الحياة الذى يتبناه الجهاديون، يعود بنا إلى هذا الوقت من الزمان. ويختلف ذلك الوضع مع الحالة الأوروبية التى مرت بظروف العصور الوسطى، ولكنها اجتازتها إلى واقع يتماشى مع متطلبات النظام العالمى الجديد.

ومن المشاهد والموتق أيضا أنه خلال الربع الأخير من القرن السابق، قد حدث تنام ملحوظ للحركات الأصولية لعدة أديان. وأن ذلك قد تزامن مع أقول نجم الأيديولوجيات الملحدة، كالشيوعية على سبيل المثال. ومن الأمثلة المهمة لتنامي الأصولية، انتشار المجموعات المسيحية التى تؤمن بأن الله هو خالق الكون. وكذلك أيضا انتشار المجتمعات الأرثوذكسية بإسرائيل. إلا أن ما يميز حركة الجهاد الإسلامى بين هذه الحركات الأصولية، هو انتهاجها لأسلوب العنف بهدف إحداث تغيير شامل للدول الإسلامية يحولها إلى نظام يحكمه رجال الدين، أشبه بنظام الخلافة الإسلامية وقت السلف. حيث يزعم الجهاديون أن ضعف الدول العربية الملاحظ اليوم فى مواجهة تفوق الغرب العسكرى، نابع من نبذ النظام الإسلامى القديم وتعاليم ومبادئ السلف الصالح. وحقيقة الأمر فإن ما نشاهده اليوم يفند هذه الحجة كل التنفيذ. فالدول العربية التى شبت عن الطوق وبدأت تسلك طريق التقدم، هى التى نبذت العنف أسلوبا وتحدث لغة الجهاد.

ولاشك أن الأفراد قد يتأثرون بالدين فى شتى أمور الحياة اليومية. وهناك مجتمعات عصرية أكثر تدينا من غيرها. ونحن نزع من أن المجتمعات الإسلامية أكثر تدينا من المجتمعات الغربية فى العصر الحديث. ومع ذلك فالتدين والدفاع عن الدين، يختلف تماما عن تأييد الفكر الجهادى. فالمسلم، كما ذكرنا أعلاه أمامه عدة بدائل يثبت بها إيمانه بالله وهويته الإسلامية.

سؤالنا الأساسى إذا: لماذا يؤيد شباب المسلمين فتاوى الجهاد الإجرامية بينما يقدم لهم الإسلام طرقا أخرى متعددة للإيمان؟ فهل الإجابة عن هذا السؤال تأخذنا إلى المجال الشخصى (على سبيل المثال، تأثير العادات القبلية المرتبطة بالتأثر) التى قد تدفع

الشباب إلى قبول تلك التعاليم المتشددة؟ يبدو أننا لا بد ونحن بصدد بحث كيفية فك الاشتباك مع الإرهاب، أن نتطرق إلى النواحي النفسية والخطابية وتأثيرها في كشف النقاب عن جوانب جديدة في هذا العالم الغامض. لعلنا نجد فيها ما نبحث عنه.

- Adams, C. J. (1983). *Mawdudi and the Islamic State*. In J. L. Esposito (Ed.), *Voices of resurgent Islam*. New York: Oxford University Press.
- Al-Zawahiri, A. (2006). *His own words* (Trans. Laura Mansfield). USA: TLG Publications.
- Azzam, A. (2008). *Defence of the Muslim land: The first obligation after Iman*. Retrieved April 21, 2008 from www.religioscope.com/info/doc/jihad/azzam_defence_1_table.htm
- Bin Laden, O. (2005). *Messages to the world: The statements of Osama bin Laden*, edited and introduced by Bruce Lawrence. London: Verso.
- Coulson, N. J. (1994). *A history of Islamic law*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Esposito, J. L. (2002). *Unholy war: Terror in the name of Islam*. Oxford: Oxford University Press.
- Fadl, K. A. (2006). *The great theft: Wrestling Islam from the extremists*. New Delhi: HarperCollins Publishers India.
- Faraj, A. A. (1986). *The neglected duty*. New York: Macmillan Publishing Company.
- Gramsci, A. (1995). *Further selections from the prison notebooks*. London: Lawrence & Wishart.
- Gunaratna, R. (2002). *Inside Al-Qaeda: Global network of terror*. London: C. Hurst & Co. (Publishers) Ltd.
- Huntington, S. P. (1998). *The clash of civilizations and the remaking of the world order*. London: Touchstone Books.
- Iqbal, J. (1983). *Democracy and the Modern Islamic State*. In J. L. Esposito (Ed.), *Voices of resurgent Islam*. Oxford: Oxford University Press.
- Karawan, I. A. (1995). *Takfir*. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 4, pp. 178–179). New York: Oxford University Press.
- Kepel, G. (2006). *The trail of political Islam*. London: I. B. Tauris & Co. Ltd.
- Mawdudi, S. A. (1998). *Jihad in Islam*. Pakistan: Islamic Publication (Pvt.) Limited.
- Metcalf, B. D. (1995). *Deobandis*. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 1, pp. 362–363). New York: Oxford University Press.
- Nettler, R. L. (1995). *Ibn Taymiyah, Taqi al-din Ahmed*. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 2, pp. 165–166). New York: Oxford University Press.
- Newby, G. D. (2006). *Concise encyclopaedia of Islam*. Oxford: Oxford University Press.
- Qutb, S. (2007). *Milestones*. New Delhi: Islamic Book Service.

- Rashid, A. (2002). *Taliban: Islam, oil and the new great game in Central Asia*. London: I. B. Tauris & Co. Ltd.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Salwa, E. (2006). *The militant Islamic group in Egypt (1974–2004)*. Cairo: Maktabat al-Shuruq al-Duwaliyya.
- Schacht, J. (1991). *An introduction to Islamic law*. Oxford: Oxford University Press.
- Ziadeh, F. J. (1995). Sunni School of Law. In J. L. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopaedia of the modern Islamic world* (Vol. 2, pp. 456–462). New York: Oxford University Press.

الفصل الرابع

دراسة حالة: لغز الإرهابى فاهيم خالد لودهى من وجهة نظر غربية

بقلم : كليف وليمز

نبذة: لا يزال الإرهابيون الأفراد يشكلون مصدرا للقلق والتحدى لمحققى المخابرات، خاصة فى فترة ما قبل تنفيذ الجرائم. فالخيوط الرفيعة التى تقود إلى أولئك الإرهابيين لا تتكشف إلا من خلال تعقب وتتبع لعلاقة هؤلاء الأفراد بالآخرين أو عن طريق رصد لأنماط سلوكية محددة. فقد يساعد لجوؤهم إلى شراء مواد تستخدم فى أنشطة إرهابية فى الكشف عنهم. يقوم هذا المقال بعرض ودراسة لحالة المواطن الأسترالى فاهيم خالد لودهى. بهدف رصد مؤشرات معينة فى شخصيته وأنماط محددة من سلوكه قد تكون ذا نفع إرشادى يقودنا لأمثاله من الإرهابيين. ومن المقلق فى حالة لودهى أن سلطات مكافحة الإرهاب، لم تتمكن من التعرف عليه كإرهابى متطرف، يشكل تهديدا حقيقيا لأستراليا إلا بعد عدة سنوات من تورطه الفعلى فى الإرهاب.

المقدمة:

كان المهاجر الباكستانى فاهيم خالد لودهى، قد حكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاما فى أغسطس ٢٠٠٦ لتورطه فى الاشتراك فى ثلاث عمليات إرهابية. وقبل القبض عليه عام ٢٠٠٤، لم يكن لدى لودهى أية ملفات إجرامية تدينه فى باكستان أو أستراليا.

وأثناء الإجراءات التمهيدية للمحاكمة، أعرب الكثيرون عن دهشتهم لاتجاه لودهى إلى مثل هذه الأنشطة الإرهابية، خاصة وأنه قد خاطر بمستقبله الواعد في أستراليا، والذي كان زملاؤه يحسدونه عليه. (وجدير بالذكر أن الانفجارات التي وقعت مؤخرا في لندن وكذلك في مطار جلاسجو قد تورط فيها مهاجرون ومهنيون زائرون، ممن توفرت لهم ظروف معيشية ميسرة. أو كان في انتظارهم مستقبل واعد).

ويمثل لودهى حالة تختلف، عن مجمل المهاجرين الذين قدموا إلى أستراليا خلال الثلاثين عاما الأخيرة. ومعظمهم جاء من دول مثل باكستان أو فيتنام أو لبنان أو جنوب أفريقيا أو منطقة البلقان أو زمبابوى، بحثا عن الأمن والاستقرار. وأغلبهم كان قد فر من موطنه الأصلي، نتيجة لانتشار الاضطرابات أو الممارسات القمعية.

وجدير بالذكر أن مسألة الإرهاب والتطرف قد بدأت تظهر في أستراليا بعد سنوات التسعينيات على يد أبناء المهاجرين المسلمين الذين تلقوا تعليمهم الدينى على يد شيوخ متطرفين. أو عادوا إلى مواطنهم في بلاد كلبنان أو باكستان وتأثروا بالفكر المتطرف السائد في ذلك الوقت.. وكانت هناك أيضا مشكلة تعرض لها البعض من الجيل الأول المهاجر، خاصة ممن تلقى تعليما متواضعا، وفشل في الحصول على وظائف مرموقة فاضطر إلى قبول المتاح من أعمال دنيا في موطنه الجديد.

يحاول هذا المقال من خلال حالة المهاجر لودهى، أن يكشف عن بعض المؤشرات المبكرة لظهور التهديد الأمنى على يد عناصر من المهاجرين المهنيين من ذوى الأصول الإسلامية.

نشأة لودهى وخلفيته الثقافية

ولد فاهيم خالد لودهى، والذي يعرف أيضا بأبى حمزة، بين عامى ١٩٦٩-١٩٧٠ بمنطقة سيالكوت بإقليم البنجاب في باكستان. وهو ينحدر من عائلة طيبة. ميسرة الحال. والداه في العقد السابع من العمر. ولا زالا يعيشان بسيالكوت. وقد أحيل والده الآن إلى المعاش. وعمل أولا موظفا بمطار باكستان، ثم محاميا قانونيا بلاهور. ولدى لودهى ثلاث أخوات وأخوان. ويبلغ أحدهما التاسعة والثلاثين، ويعيش ويعمل مدرسا في

سيدنى بأستراليا، وكذلك له عم يعمل كهربائيا بمنطقة سيدنى. وقد أكمل لودهى تعليمه الثانوي بباكستان والتحق بجامعة لاهور لدراسة الهندسة المعمارية لمدة خمس سنوات. وقد تخرج فى الجامعة وهو فى الرابعة والعشرين من العمر. وبعد فترة قصيرة عمل خلالها فى شركة، كموظف بعقد، بدأ عمله الخاص بـ لاهور واستمر فيه حتى ١٩٩٧. وبعد زيارة قصيرة لسيدنى، قرر الهجرة إلى أستراليا. وكان ذلك عام ١٩٩٨. وقد حصل لودهى فيما بعد على الجنسية الأسترالية. وما إن وصل إلى أستراليا حتى بدأ خطة دراسية للحصول على درجات علمية تؤهله للعمل مهندساً معمارياً. وقد سجل نفسه فى مجلس الممارين بنىوساوث ويلز، كما التحق بجامعة سيدنى، ودرس خلال ثمانية عشر شهرا عددا إضافيا من المواد مكتته من الحصول على درجة البكالوريوس فى فن العمارة من جامعة سيدنى. تزوج لودهى عام ١٩٩٩ فى باكستان. وقد تم الزواج بالاتفاق بين الطرفين. ولم تنضم زوجته إليه فى أستراليا إلا فى عام ٢٠٠٠. وهى طبيبة بباكستان. ومنذ وصولها إلى أستراليا بدأت فى دراسات لممارسة مهنة الطب بنىوساوث ويلز. ولم يرزقا بأبناء من هذا الزواج. واستمر لودهى أيضا فى الدراسة المتخصصة بجامعة أولتيمو الفنية. وقام بدراسات فى الإدارة. وعندما قبض عليه فى أبريل ٢٠٠٤، كان بصدد استكمال درجة الماجستير فى إدارة البناء من جامعة نيو ساوث ويلز. عمل لودهى فى مكتب مهندسين معماريين يعرف باسم تومسون أديت وشركاه. كما التحق بالعمل لدى بيشوب هتشوك وإرفين وهى شركة هندسة معمارية بمدينة الإسكندرية بسيدنى. وقد كان يعمل هناك حينما تم القبض عليه.

وقد استمرت زوجته على ولائها ومساندتها له، بعد اتهامه وإلقاء القبض عليه. وقامت بزيارته كثيرا وهو فى السجن وكذلك زاره أخوه وعمه عدة مرات.

الصلة بالآخرين:

ويلى بريجيت

كان أساس قضية لودهى، هى التآمر مع مواطن فرنسى يدعى ويلى بريجيت. وكان بريجيت قد وجهت له فى فرنسا فى ١٥ مارس ٢٠٠٧، تهمة «الانضمام إلى مجموعة

لتنظيم نشاط إرهابي»، وقد حكم عليه بالسجن تسع سنوات. واتهمه المدعى العام بالتخطيط للهجوم على مبنى أبحاث لوكاس النووية بالإضافة إلى قواعد عسكرية تقع خارج مدينة سيدنى. وكان بريجيت قد وصل إلى أستراليا في السادس عشر من مايو ٢٠٠٣، ولكن تم ترحيله بعد خمسة أشهر فقط، على إثر انتهاكه لفترة الإقامة المحددة له في أستراليا.

ولم يكن لودهى وبريجيت قد التقيا قبل وصول لودهى إلى أستراليا. وقد دون في يومياته أوصاف بريجيت. إلى جانب رقم الطائرة ومعاد وصولها فكتب: «رجل فرنسى، ذو شعر أسود، ولحية، يرتدى نظارة» وكان لودهى فى انتظاره لحظة خروجه من بوابة الوصول بالمطار. وطبقا لوثائق المحاكمة، فقد كانت الخطوة، أن يتحلا أسماء مختلفة، للحصول على ١٠ أنواع من المواد الكيماوية لصناعة المتفجرات، إلى جانب القيام بجمع معلومات دقيقة عن بعض البنى التحتية الحيوية، مثل المنشآت العسكرية أو محطات الطاقة بالإضافة إلى الحصول على معلومات وخطط عسكرية مفيدة. وطبقا للوثائق التى قدمت رسميا إلى المحكمة، فإن البوليس يزعم أن لودهى - العقل المدبر لهذا الهجوم - قد كذب على منظمة المخابرات الأمنية الأسترالية. ١٩ مرة، قبل الاعتراف بما قام به من أنشطة. ويبدو أن لودهى قد أخبر المخابرات الأسترالية أنه قد التقى بريجيت بالمطار، ثم تكررت لقاءاتها حوالى عشر مرات. وطبقا لأقوال لودهى فقد كان يملك مفتاحا لشقة بريجيت، وأنها كانا يدرسان الخرائط معا. وأكد لودهى أنه اقترح عليه الزواج من سيدة أسترالية تدعى ميلانى بروان. كما قال للمخابرات إن اسم بريجيت الحركى «جبريل»، كما ادعى لودهى للمخابرات أيضا أنه قد نجح فى الوصول إلى صور لمنشآت عسكرية على شبكة الإنترنت. ولكنه قد تخلص منها فيما بعد. واستخدم اسما مختلفا لشراء خريطة تصور الشبكة الكهربائية كما اشترى محمولا. وأنه كان على اتصال هاتفى وكذلك من خلال الرسائل الإلكترونية مع ساجد مير. (وساجد مير هو الشخص الوسيط بين المسلمين الذين يعيشون فى الدول الغربية والمجموعة الباكستانية الإرهابية الأشقر الطيبة). كما أخبر لودهى المخابرات الأسترالية عن مقابلة تمت بين

بريجيت وعبد الرقيب حسن، الذى كان يعمل فى ذلك الوقت فى محل جزارة لبيع اللحم الحلال فى لاكمبا بسيدنى. وقد كان لودهى على اتصال فى باكستان بطالب فى كلية الطب فى سيدنى يدعى إظهار الحق. وكان قد اتهم من قبل فى عدة أنشطة إرهابية متفرقة. وقد قال الحق للبوليس: إن لودهى أكد له «أن الجهاد شىء جيد». وقد تم إخلاء سبيل الحق، حيث لم يؤخذ بمضمون تسجيلات المراقبة. أما بريجيت فقد أعطى له ساجد الباكستانى اسما جديدا ومحمولا خاصا. وكان قد التقى بساجد من قبل، عندما كان يتلقى تدريبه على طرق الجهاد فى باكستان، على أمل محاربة الأمريكين فى أفغانستان. وحينما تم ترحيله إلى فرنسا، نجح بريجيت فى التعرف على لودهى من بين عدة صور عرضت عليه من قبل السلطات الفرنسية.

وعلى مدى خمسة أشهر فى أعقاب مايو ٢٠٠٣، يبدو أن الرجلين قد التقيا بانتظام، بهدف التخطيط لهجوم إرهابى على موقع شبكة الطاقة الأسترالية. كما زعم المدعى العام. كذلك قام لودهى خلال هذه الفترة، بفتح رصيد جديد لهاتف المحمول الخاص به لتسهيل الاتصال ببريجيت. وطبقا للمدعى العام، فإن جلسات التحقيق مع بريجيت على يد السلطات الفرنسية قد كشفت أن هدف ذهابه إلى أستراليا كان أساسا، بهدف التخطيط للقيام بهجوم بالقنابل. كما أن المدعى العام قد زعم أن لودهى، كان قد تلقى تدريباً مع الجماعة الإرهابية المحظورة، الأشقار الطيبة بباكستان، وأنه كان العميل المحلى لبريجيت بأستراليا. إلا أنه لم يتم استدعاء بريجيت كشاهد. كما أنه لم يؤكد بصفة فردية على تلك الادعاءات. بل إن القاضى الذى حكم فى قضية لودهى قد قيل له إن بريجيت «غير متاح». وعلى ذلك فلم يتوقع أن يكون شاهدا متعاوناً.

إبراهيم أحمد الحمدي وعارف نهار الدين:

وافق القاضى على الأدلة التى قدمها الإرهابيون المحتجزون بسجون الولايات المتحدة وسنجاور، والتى شاهدها من خلال فيلم الفيديو. إلا أن أول الشاهدين، ويدعى أحمد الحمدي، قد أكد من خلال جلسات التحقيق معه، أن سلطات الولايات

المتحدة، لم تعد تستعين بشهادته في قضايا أخرى؛ لأنها لا تزال تعتبره غير مؤهل للشهادة. وقد أدلى الحمدي بأقواله من سجن بكتاكى، معترفا بأنه كذب حينما وصف ظروف الحياة في معسكر الأشقار الطبية بباكستان. ويقضى الحمدي، وهو يمنى الأصل، حكما صدر ضده بالسجن خمسة عشر عاما لحيازته الأسلحة وخرقه لمدة الإقامة المسموح بها. وكان قد تم اعتقاله في فبراير ٢٠٠٣، واتهم بالتآمر لارتكاب نشاط إرهابي بالشيشان. وقد أسقط مكتب التحقيقات الفيدرالى التهم الموجهة إليه بعد أن تقدم بالتماس، على أن يدلى بمعلومات تكشف عن الأنشطة الإرهابية التى ارتكبها مساعدوه السابقون. وفى محاولة للحيلولة دون منع الشاهد الثانى للفيديو، ويدعى عارف نهار الدين من الإدلاء بشهادته، تقدم محامى الحكومة، ويدعى هاوى، بطلب الحصول على شهادة بالمحافظة على السرية. وقد تمت الموافقة عليها، فى شكل شهادة خطية متضمنة القسم. ثم عرضت على محامى الدفاع بعد مرورها على الرقابة. كما تمكن هاوى من الحصول على «حصانة للمصلحة العامة» تحمى نهار الدين من الكشف عن تفاصيل التحقيقات التى خضع لها فى سنجابور - حيث قضى سنتين فى السجن دون أن توجه له أية تهمة. كما حصل على أمر بوقف أى استجواب علنى للشاهد. وقد قدم هاوى شهادتين «مفتوحتين» من ميك كيلتى، مندوب البوليس الفيدرالى ودينيس ريتشاردسون، المدير العام لجهاز المخابرات الأسترالية. وقد جاء بهما أن الاعترافات فى التحقيق لن تؤدى إلى الوفاء بالوعود، فى حالة تسرب تفاصيلها إلى محامى الدفاع التابع للودهى. إلا أن محامى لودهى أكد للمحكمة أن الحفاظ على سرية الاستجواب سوف يتحقق بفضل المعاملة الطبية التى سيتلقاها المتهم مثل كل المحتجزين الأمريكين.

إظهار الحق

تم اتهام لودهى من قبل بأنه كان وراء تجنيد إظهار الحق عام ٢٠٠٣ - وقد كان طالبا بكلية الطب فى الواحدة والعشرين آنذاك. فى صفوف جماعة الأشقار الطبية. وأنه قد أهمل الاستعلام عن هوية الجماعة واتجاهاتها الإرهابية. إلا أن هذا الاتهام قد أسقط فيما بعد.

وطبقا لأقوال البوليس، فإن لودهى قد أقنع الحق تدريجيا، بالذهاب إلى باكستان والتدرب في معسكرات الجماعة في لاهور. كما أنه قد دعاه لزيارة بيت العائلة. وأن علاقتهما قد تواصلت في أستراليا أيضا. وقد طلب منه لودهى أن يكتب شفرة لأرقام محموله.

وتكشف الوثائق أن لودهى قد أدلى باعترافاته أثناء التحقيقات التى أجراها معه جهاز المخابرات الأسترالية. وذلك في شهرى أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٣، وبعد ترحيل ويلي بريجيت.

ساجد مير

وقد نشرت صحيفة سيدنى مورننج هيرالد أول دليل على الصلة التى ربطت بين لودهى وبريجيت وساجد، بعد أن تقدمت بطلب من المحكمة المركزية المحلية. كما اتضح أنه حينما داهم البوليس الأسترالى شقة بريجيت، عام ٢٠٠٣، تمكن من وضع يده على صور لعدة مواقع مهمة بالولايات المتحدة الأمريكية، بجانب خريطة توضح مواقع مفاعلات نووية بأستراليا. بالإضافة إلى مناجم لليورانيوم وقواعد عسكرية. إلى جانب مقالات بالصحف عن خدمات الخطوط الجوية الأسترالية الخاصة بأفغانستان. وأخيرا وصل يثبت أن ساجدا قد أرسل لبريجيت مبلغ ألفين يورو.

ومن الواضح أن بريجيت قد اعترفت للمحققين الفرنسيين، أنه قد اشترك في التخطيط للقيام بهجوم إرهابى في أستراليا. وأنه قد تعرف على ساجد في معسكرات الأشغال الطبية بباكستان. ويبدو أن ساجدا، الذى لم تتمكن السلطات بعد من القبض عليه، كان هو المسئول عن تجنيد الجهاديين الأجانب في المعسكر.

شهادة يونج كى كون:

قام الشاهد يونج كى كون بالإدلاء بشهادته في قضية لودهى على شريط فيديو من الولايات المتحدة، تم عرضه أثناء جلسة لودهى بالمحكمة المركزية بسيدنى. وقال كون، الذى كان يقضى فترة الحكم الصادر ضده ومدته ١١ عاما، لاتهامه بارتكاب نشاط إرهابى. قال للمحكمة إنه قد تقابل مع بريجيت بمعسكرات الأشغال الطبية التدريبية بباكستان في أواخر عام ٢٠٠١. إلا أنه أكد أنه لم يقابل لودهى من قبل.

كما اتضح أنه قد طار إلى باكستان بعد فترة وجيزة من اعتداءات ١١ سبتمبر، «كى يتدرب على أساليب القتال في المعارك». وخلال تحقيقات المدعى العام معه، اعترف «أنه كان على استعداد لأن يفعل أى شيء في سبيل مساعدة المقاتلين المسلمين». وقد سافر إلى قاعدة الأشقار الطيبة بلاهور، وذلك قبل أن يلتقى ببريجيت بيجال باكستان. وذكر أن اسمه المستعار كان صلاح الدين. كما أكد له «أنه كان يسكن فرنسا، وأن كل إخوانه المسلمين قد تركوها». وأنه كان يقاسم بريجيت الحجرة بعد فترة من تعارفهما. وأضاف أن بريجيت قد أكدت له أنه يتطلع للجهاد، وكذلك «أن هناك شيخا واحدا، هو أسامة بن لادن». كما ذكر أنه تعرف إلى شخص آخر بأستراليا ولا يعرف سوى اسمه المستعار: أبو أسد، والذي كان يعتزم العودة إلى بلده. ومن حديثه:

أنه لكى يسمح له بالذهاب إلى معسكرات الأشقار الطيبة، كان لابد من الحصول أولا على جواب تزكية من شيخ بأستراليا... وأن عمه قد ذهب إلى هناك ثم عاد مرة أخرى. كما تذكر أنه رأى جماعة أبى أسد تتدرب على فنون الجهاد وبعض المناورات القتالية. وكان التدريب الأساسى ومدته خمسة وأربعون يوما يتضمن استخدام AK-١٦s و٤٧ وهي أسلحة وبنادق خفيفة، إلى جانب القنابل اليدوية بالدفع الصاروخى أو RPG.

وقال «كنا نتدرب على فك البنادق ثم إعادة تجميعها من جديد. وعلى التصويب الصحيح». كما كان على المتدربين، أيضا أن يتعلموا فنون الاستطلاع والتمويه، وإستراتيجيات الهروب. وكذلك الحديث بالشفرة، والتدرب العملى على إصابة الهدف. وأضاف كون: «كنا نصعد إلى أعالي الجبال ونتجسس على المعسكرات الأخرى التابعة للأشقار الطيبة، وفي بعض الأحيان كنا نخترق حدودهم دون أن يشعروا بنا. ثم نقدم تقاريرنا حين العودة».

وقد حاول محامى الدفاع فيليب بولتون ومستشار بالمحكمة، التشكيك في نزاهة أقوال كون. وتأكيد أنه قد كذب على السلطات الفيدرالية أثناء التحقيق معه بشأن تحركاته في مارس ٢٠٠٣. وقد اعترف الشاهد بالفعل بالكذب، وفيما بعد قدم التماسا

بتخفيف الحكم في مقابل إدلائه بمعلومات مفيدة للمحققين. وحين تم استجوابه أولا من خلال AFP عن صلته بالإرهاب في ديسمبر ٢٠٠٣، قال إنه يأمل من خلال تقديم أدلة في قضية لودهي وقضايا أخرى اشترك فيها أصدقاء له، أن يحصل على حكم مخفف من السلطات.

التحقيقات

تم فحص حاسوب لودهي قبل إلقاء القبض عليه بعدة أشهر، وذلك في مقر عمله بشركة الأعمال المعمارية بسيدني. واتضح طبقا لذلك أنه قد دخل على موقع تابع للتخطيط الحكومي بهدف الحصول على صور من خلال الأقمار الصناعية لأبنية بالمدينة وللبنى الأساسية لوسائل النقل. ويعتبر هذا الموقع، ويسمى iplan، متاحا للجميع من أجل تيسير عمل مخططي المدن والمهندسين المعماريين وغيرهم. وقد زعم المدعى العام، أن لودهي قد تخلص من الصور التي التقطها من الجو، لمنشآت سيدني العسكرية بما فيها قاعدة هولثورثي أيضا، بالقائها في صندوق قمامة بحديقة عامة، على مقربة من منزله. ويبدو أن أجهزة الرقابة قد تمكنت من عرض صور لودهي، وهو يحاول التخلص من تلك الصور في «مكان مهجور للنفايات».

و من ضمن التهم الموجهة إليه، أنه قد أرسل فاكسا لشركة كيمياويات، بهدف شراء محلول اليوريا نترات، ويعد من الكيماويات التي يصنع منها المتفجرات، مستخدما للتمويه اسم شركة واسما مزيفا للحصول على رقم محمول. وحينما داهم البوليس منزل لودهي ومكان عمله في شهر أكتوبر ٢٠٠٣، استولى على أسطوانة تتضمن تعليمات إرشادية عسكرية تابعة للولايات المتحدة خاصة بالأسلحة والمتفجرات، وأكثر من ٦٠٠ ملف يتعلق بالإسلام المتطرف، وبعض التوجيهات المكتوبة بخط اليد لشراء جواز سفر مزيف، إلى جانب أشعار تمتدح الشهادة في سبيل الله.

كما كشف جهاز المخابرات الأسترالي النقيب، عن العثور على خمس عشرة صفحة كتبت باللغة الأردنية بالدرج العلوي لمكتب لودهي. وقد اتضح من قراءتها، أن لودهي

قد تقدم بطلب كيمياويات، لتصنيع المتفجرات. كما أن تلك الصفحات، تشمل أيضا، طريقة توليد النار كيميائيا، وتصنيع القنابل من البترول، والسموم، وغاز السيانيد والخبر السرى وحامض السلفور والقنابل اليدوية، وجهاز موقوت للمتفجرات. كما تضمنت أيضا بعض الإجراءات الخاصة بالاستخبارات. وقد تم الكشف عن مواقع الأهداف التي كان لودهي يعتزم تفجيرها، وتشمل، الشبكة القومية لتوزيع الكهرباء. وثلاث منشآت دفاعية بسيدني، هي حواجز فيكتوريا، وقاعدة سيدني البحرية HMAS Penguin وحواجز هولثورثي.

اتهامات الإدانة والأحكام الصادرة

تم توجيه ثلاثة اتهامات أساسية للودهي:

- في الثالث من أكتوبر ٢٠٠٣، أو في تاريخ مقارب له، تمكن لودهي من الحصول على وثائق منها خريطتان تتعلقان بشبكة توزيع الطاقة الكهربائية بأستراليا. وكان الهدف من ذلك القيام بنشاط إرهابي، هو تفجير جزء من الشبكة الكهربائية الأسترالية. وهذه الاتهامات، أدت إلى إصدار أشد العقوبة ضده، وهي خمسة عشر عاما.

- وفي العاشر من أكتوبر ٢٠٠٣، أو في تاريخ مقارب له، سعى المتهم إلى الحصول على معلومات تساعد في القيام بنشاط إرهابي يتعلق بتوفير مواد لتصنيع المتفجرات أو أجهزة إشعال الحرائق. والعقوبة ضد هذه الاتهامات هي السجن مدى الحياة. وهي أقصى عقوبة.

- وفي السادس والعشرون من أكتوبر ٢٠٠٣، تمكن المتهم من الحصول على وثائق تحوي معلومات خاصة بمواد مثل السموم، والمتفجرات والقنابل إلى جانب أجهزة تفجيرية وطرق تصنيعها. وكلها بغرض القيام بأنشطة إرهابية. وقد صدر ضده عقوبة بالسجن لمدة خمسة عشر عاما جراء هذه الاتهامات.

وقد صدر الحكم النهائي على لودهى، بقضاء عشر سنوات عقوبة الاتهام الأول وعشرين عاما للثانى وعشر سنوات للاتهام الثالث. على أن يقضيها بشكل مترامن. وتمت تبرأته من تهمة رابعة موجهة إليه، تتعلق بالتقاطه صوراً من الجو لبعض المنشآت الدفاعية الأسترالية فى الرابع والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٣ أو فى تاريخ مقارب له.

الدوافع

وكان تعليق القاضى أنطونى ويلي على دوافع لودهى «أنه كانت لديه نية تنفيذ أجندة سياسية ودينية أو أيديولوجية خاصة بالجهاد الإسلامى العنيف، بغرض غرس بذور الرعب فى قلوب المواطنين الأستراليين حتى لا ينعموا بشعور الأمن والاستقرار. بل ليشعروا بالتهديد والخطر فى وطنهم».

الناحية النفسية لشخصية لودهى

جدير بالذكر أن لودهى لم يعترف علانية قط بإدانته، بل أصر على براءته طوال فترة المحاكمة. وقد أخبر الاستشارى النفسى للطب الشرعى، الدكتور تيم واطسون-مانرو، أنه يعتبر نفسه مسلماً ورعاً. وأن هذا الورع والإيمان والاهتمام بالدين قد جد على حياته وتزامن مع فترة زواجه. وأنه قبل ذلك «لم يكن مهتماً بأمر الدين على الإطلاق».

كما أخبر الطبيب النفسى أيضاً، أنه شعر بحاجة ملحة إلى إعادة هيكلة حياته والتركيز على الجانب الروحانى. فبدأ اهتمامه بالدين وتردده على الجامع بانتظام. وقد استمر اهتمامه بالدين بعد زيارته المهمة لباكستان بعد عام ٢٠٠٠. وقد أكد الطبيب النفسى واطسون مانرو، أنه لم يجد فى حياة لودهى أى حادث قريب أو بعيد الحدوث، يمكن اعتباره السبب الأساسى وراء اتجاهه إلى العنف. كما أنه، من حديثه معه، لم تتضح أية جوانب لشخصية غير اجتماعية أو حاقدة على المجتمع الذى يعيش فيه. بل إن لودهى قد أقر أنه جاء إلى أستراليا بمحض إرادته وبهدف تحسين مستوى حياته. وأنه لم يشعر قط بأية ميول عدوانية أو باستياء تجاه هذا البلد. كما اتضح أيضاً أنه لا يوجد أى مؤشر لإصابته بالاكتئاب أو بأى مرض يتعلق به، فى فترة التقييم النفسى.

وطبقا لما نرو فإن الحكم على مدى خطورة لودهى وتهديده للمجتمع حينما يطلق سراحه، يعتبر أمرا غير يسير؛ نظرا لإصراره على البراءة رغم الأحكام الصادرة ضده.

وقد ذكر الطبيب النفسى، أن هناك مؤشرات إيجابية بملف لودهى. حيث إنه لم يسبق له المشول أمام القاضى، ولم يتردد على أقسام الشرطة من قبل؛ لذا فسجله يعتبر خالياً من أية مخالفات. بل يشهد كل من تعامل معه أنه كان يميل إلى الاجتهاد فى العمل والمثابرة، وقد كان كل أفراد أسرته فى أستراليا يساندونه.

وقد شكالودهى للخير النفسى من احتجازه فى قسم الخطرين على الأمن والمصنفين «AA»، وأنه يعانى من ذلك. إلا أن الدلائل أشارت على الرغم من ذلك على تأقلمه الجيد مع هذا الوضع الجديد.

تعليقات القاضى الختامية

وقد أكد القاضى أنطونى ويلى، فى تعليقاته الختامية، قبل النطق بالحكم فى قضية لودهى، أن لودهى قد برهن طوال حياته العملية، على احترامه للعمل وأخلاقياته وأضاف:

إذا سمحتم لى، فسوف أنتقل الآن إلى الناحية الشخصية من حياة المتهم.

أولا، هناك حقيقة، أنه شخص قد قضى جزءاً كبيراً من حياته بشكل سوى، لا يمكن أن يلام عليه. بل إنه ينتمى إلى أسرة كريمة تسانده بقوة. كما أنه ليست لديه أي سوابق إجرامية على الإطلاق. هذه الملامح والجوانب الإيجابية من حياة المتهم الشخصية، لابد وأن تؤخذ فى الاعتبار، ونحن بصدد إصدار أحكامنا النهائية فى قضيته.

ولكن من ناحية أخرى، فنحن نعجز عن فهم الأسباب التى تجعل شخصا بمثل هذه الأخلاقيات والأصل الطيب، يخطط من أجل القيام بتنفيذ هذه الأنشطة الإجرامية، والتى أدت إلى مثوله اليوم أمام المحكمة.

وقد أصر المتهم على ادعاء براءته، ولا يزال مصرا عليها حتى هذه اللحظة. وحقيقة الأمر، فأنا ما زلت أجهل الدوافع الحقيقية وراء تحوله من رجل يحظى باحترام المجتمع إلى إرهابي خطير، يؤمن بأفكار أصولية متطرفة. ومن المحتمل أن اتجه المتهم إلى الناحية الدينية وقت زواجه قد أفضت به إلى تبنى أفكار المتطرفين الإسلاميين.

وقد لا تتعدى هذه الملاحظات مجرد تكهنات بحقيقة ما حدث، من وجهة نظري. ولكن حتى لو ثبتت صحتها، فنحن لا نزال نجهل أسباب تأجيج تلك الأفكار المتطرفة في ذهنه، إلى الحد الذي يسمح له بارتكاب تلك الأفعال الإرهابية الخطيرة.

إن الدين الإسلامى كما هو معروف عنه، دين مسالم لا يحض على العنف أو يشجع على قتل الأبرياء. بل إن الإسلام الحقيقى لا يلجأ إلى الحرب والقتال إلا حينما تستنفد كل الوسائل السلمية الأخرى. إن الجهاد الحقيقى كما ورد فى القرآن الكريم، هو جهاد النفس، ضد رغباتها الأنانية من أجل الوصول إلى حالة من السلام الداخلى.

ويبدو أن المتهم قد ضلل فى فهم معنى الجهاد الحقيقى فى الإسلام. فأفكاره المتطرفة لا تعبر عنه، بل على العكس، تعتبر تشويها بينا للإسلام الحقيقى ولتعاليمه السمحة. وكما قلت سابقا، فكل هذه الملاحظات أحاول بها أن أصل إلى الأسباب الحقيقية وراء السلوك الإجرامى الخطير لهذا المتهم الذى شهد له الجميع من قبل، بحسن السلوك والأخلاقيات الفاضلة.. إلا أننى لا يمكن أن أزعم بأى حال، أننى قد توصلت، ولو بقدر ضئيل لفهم أسباب اختياره لهذا الطريق. كما أننى لا يمكن أن أمنحه أى قدر من التسامح بحجة أنه نادم على ما اقترفه. حيث إنه، حقيقة الأمر، لا يشعر بأى ندم على الإطلاق.

إن المتهم كان من حقه أن يدعى براءته طوال فترة المحاكمة وفيما بعدها أيضا. وهذا لا يفاقم من التهم الموجهة إليه أو يشدد من الأحكام الصادرة ضده. ولكن

هذا لا يجعلنى من ناحية أخرى قادرا على منحه أى نوع من التخفيف فى الحكم بحجة الندم أو الإحساس بالذنب. ومن ناحية أخرى، فإن فرض المحكمة لعقوبات صارمة على المتهم، لا يضمن بأى حال، إصلاحه أو إعادة تأهيله ليصبح مواطنا صالحا عند خروجه من السجن.

لذا فإننى لا أجد هنا أفضل من تكرار الرأى الذى عبر عنه الدكتور واطسون مانرو فى تقريره، والذى يرجح أن عدم ممارسة المتهم لأية تصرفات أو أنشطة عنيفة من قبل إلى جانب تحليله بأخلاقيات حسنة اجتماعيا والمساندة القوية التى منحتها إياه أسرته تعد، عوامل إيجابية، تحسب لصالحه. وترجع إمكانية نجاح المحكمة فى إعادة تأهيله، وأن يتكفل الزمّن بتبديد اتجاهاته الفكرية المتطرفة.

إصدار الحكم

وفى يونية ٢٠٠٦ وجهت هيئة المحلفين بمحكمة new south wales العليا ثلاث تهم إرهابية للودهى من بين أربعة تهم. وفى الثانى والعشرين من أغسطس، حكم على لودهى بالسجن مدة عشرين عاما، على أن يقضى منها على الأقل خمسة عشر عاما. وسوف يكون من حق لودهى أن يغادر السجن لحسن سلوكه عام ٢٠١٩، وهو لا يزال من الناحية الأمنية، مصنفا سجين «AA» أى من الخطرين.

النتائج

يبدو أن استشارى الطب الشرعى النفسى، الذى أشرف على حالة لودهى، وكتب تقريراً بهدف تقييمه، لم يذهب بعيدا فى تحليله. واكتفى بالإطار التقليدى للكشف النفسى على أى متهم. وذلك على الرغم من خلفيته الاجتماعية وظروفه الخاصة من ناحية التأثير الدينى المتطرف الذى جد على حياته، وأدى إلى اتجاهه إلى الأنشطة الإرهابية العنيفة فى بيئته الجديدة بأستراليا.

ومن الصعب أن نتصور أن لودهى قد جاء إلى أستراليا، وهو مبيت لنية اغتنام الفرصة المواتية لممارسة هجوم إرهابى على موطنه الجديد.

إن الذى حدث للودهى تزامن مع زيارته المتكررة لباكستان، كما حدث للكثير من الشباب الباكستانى الذين يقطنون المجتمعات الغربية. (كارهابي لندن وتفجيرات ٧/٧). هؤلاء الشباب، تعرضوا لعمليات غسيل أدمغة على يد الجماعات الإرهابية بباكستان، فكانت «بداية جديدة» بالنسبة لهم. ونتيجة لذلك كان شاب مثل لودهى مستعدا للتضحية بكل ما بناه من مستقبل واعد، وحياة مهنية يحسده عليها الكثيرون، إلى جانب التوتر الذى شاب العلاقات الزوجية وعلاقاته الأسرية فى أستراليا من جراء إقباله على مغامرة غير محسوبة العواقب، سوف تقوده حتما إلى أعتاب السجون.

ولاشك أننا بحاجة إلى مزيد من الأبحاث الخاصة بالإسلاميين المتطرفين الذين يعيشون فى المجتمعات الغربية ويعملون بها، خاصة من ينعمون بحياة مهنية مستقرة. ويزعمون أنهم لا يضمرون أى عدااء أو يشعرون بكرهية تجاه المجتمع الذى يعيشون فيه، كما هو الحال بالنسبة للودهى. وذلك للوقوف على الأسباب الحقيقية وراء اتجاهاتهم العدوانية الجديدة تجاه أوطانهم الغربية.

ويمكن أن يكون من مجالات الأبحاث الجديدة فى المستقبل، مقارنة المهنيين المتورطين فى تفجيرات يونية ٢٠٠٧ فى لندن وجلاسكو بالمملكة المتحدة بقضية لودهى، حيث إن هناك تشابها كبيرا فيما بينهما، وذلك للبحث عن جوانب أو مؤشرات مشتركة.

المراجع

- Kapisthalam, K. (2006). The truth about Lashkar-e-Tiba. Retrieved June 10, 2009, from [www. hartwilliam.com/hd8/blog/2006_03_05_A%20Holy-Owned%20Subsidiary](http://www.hartwilliam.com/hd8/blog/2006_03_05_A%20Holy-Owned%20Subsidiary).
- New South Wales Supreme Court. R V. Ladhi (2006). NSWSC 691. Hearing dates 19/04/06-19/06/06; 13/07/06;13/07/06; Jugement date 23 August 2006.
- O'Brien, N., & S.Aymons, E-K. (2007). Aussie attack planner revealed. The Australian, 16 March.
- Willson. (2005). Lashkar-E-Tobia: New threats posed by an old organization. Terrorism Monitor, 3, 24 February. Retrieved June 10, 2009, from www.jamestown.org/single/?no_cache=1&tx_ttnews%5Btt_news%27599

الفصل الخامس

دور الظلم في نشأة الإرهاب السياسي المعارض

مقارنة بين منظمة الفتح، وفارك، وبيرا^(١)

جيفرى إيان روس

نبذة: يستعرض هذا الفصل الأسباب الديناميكية والهيكلية الخاصة بنشأة هذه المنظمات الإرهابية السياسية المعارضة، الفتح، وفارك وبيرا. وذلك من خلال استعراض الخلفية التاريخية لكل منظمة على حدة، ثم محاولة تطبيق عشرة أسباب هيكلية مسئولة عن نشأة تلك المنظمات. وقد كشفت النتائج عن قوة تأثير عامل التظلم في دعم استمرارية تلك المنظمات الإرهابية.

مقدمة

تعرف، خلال خمسة العقود الأخيرة، العديد من الباحثين والسياسيين والمتخصصين والنقاد، على عدة أنواع من الإرهاب. وفي محاولتهم لفهم هذه الظاهرة، استطاعوا أن يبلوروا أفكارا تصلح أن تكون إطارا لتعريف الإرهاب. ثم صاغوا من هذا التعريف نماذج تحليلية مفيدة، كانت بمثابة اللبنة الأساسية في بناء صرح ضخّم لدراسات متعددة في مجال الإرهاب.

(١) شكر خاص لديفيد كانتر، وكليز دليزل وجلين فيدر ودون ل. روث لتعليقهم على هذا الفصل.

فعلى سبيل المثال، أسهم ألكس شميدت في تطوير تعريف متفق عليه عام ١٩٨٣. وقام بتعديله فيما بعد. ويحظى هذا التعريف بقيمة كبيرة أكاديمية. (شميدت ويونجيان، ١٩٨٨) (روس، ١٩٩٣ وجور، ١٩٨٩).

ومن النماذج المهمة لتصنيف الإرهاب، نموذج ميكولوس (١٩٨١) الذى قام على أساس قياس مدى تدخل الحكومة، ودرجة امتداد أثره إلى أكثر من بلد واحد. ويعتبر نموذج متعدد الفوائد. ومن إنجازات نموذج ميكولوس الأساسية، تعريفه للإرهاب السياسي المعارض. حيث صنف هذا النوع من العنف السياسى إلى عدة أنواع، أولا المحلي، وثانيا الذى يتجاوز نطاق الدولة، وثالثا الدولى. ثم أخيرا الإرهاب الذى تدعمه الدولة. والذى تمارس فيه الحكومات العنف السياسى ضد شعوبها. وطوال الأربعة عقود الماضية، لم يقتصر الأمر على البحث فى المفاهيم المتعددة لظاهرة الإرهاب، بل طور الباحثون مجالات بحثهم لتشمل أسباب الإرهاب أيضا. ومع ذلك، فلم يحاول سوى عدد قليل منهم، أن يطور ما يمكن اعتباره نموذجا سببيا، أو نظرية تتعرض لأسباب الإرهاب السياسى المعارض. بل كان يمكن أن نرصد خلال السنوات الأخيرة معارضة ملحوظة، وصلت فى بعض الأحيان إلى حد رفض الاعتراف بوجود «أسباب جذرية للإرهاب» (نيومان، ٢٠٠٦). إلا أن تلك الدراسات التحليلية، فى نهاية الأمر قد أفرزت قاعدة ضرورية ومفيدة من المعرفة، قامت على أساسها دراسات أخرى. ونذكر من إنجازات الدراسات التحليلية، التعرف على متغيرات سببية مهمة، وتحديد عوامل أخرى محورية خاصة بتطور مراحل الإرهاب المتعددة. (كرنشو، ١٩٨١، جونسون، ١٩٨٢، الفصل الثامن). إلى جانب توصيف العناصر الفردية فى إطار تاريخى (تارج ١٩٧٩). والتطوير الجزئى للنموذج الخاص بالأسباب. (كرنشو، جونسون) والقدرة على التعرف على العوامل المسئولة عن أسباب الصراع، من داخل النظريات العامة. (هاملتون ١٩٧٨). بالإضافة إلى تحديد عمليات مساهمة. (جروس، ١٩٧٢) وإجراء اختبارات للعلاقات بين المتغيرات ثم التصنيف على أساسها. (هاملتون). وبناء نماذج للإرهاب على أساس أسبابها وتعاقب حوادثها. (جروس وهاملتون). ورغم فوائد

تلك الأبحاث والدراسات، فإنها، لا تشكل بأى حال نظرية متكاملة وشاملة أو ما يرقى إلى نموذج واضح لظاهرة الإرهاب. (روس، ١٩٩٣، ١٩٩٩).

الهدف

ولاشك أن توافر نموذج يفسر الأسباب التى تؤدى إلى حدوث الإرهاب السياسى المعارض، بشكل دقيق سوف يسهم فى زيادة فرص الخبراء فى تقليص حدوث هذا الشكل من أشكال العنف السياسى. أما إذا أردنا فهم ودراسة مسألة تعاقب تلك الأنشطة من العنف السياسى، فلا بد من دراسة الناحية الهيكلية، وهى أقل تكلفة من الناحية النفسية، التى تتطلب ضرورة إجراء مقابلات مع (الإرهابيين السابقين، أو المحتجزين بالسجن أو فى أماكن أخرى يصعب الوصول إليها لخطورتها).

وجدير بالذكر أن لكل شكل من أشكال الإرهاب أسبابه الخاصة. فالإرهاب يعتبر بشكل جوهري رد فعل لمجموعة من الأسباب غير الظاهرة، تتعلق بالناحية النفسية والهيكلية، التى تتفاعل مع بعضها البعض، وتستمر فى التطور. ويقوم بتنفيذها الإرهابيون الذين يتفاعلون مع المحيط المرتبط بتلك الحوادث (أى الضحايا، والجمهور، والمجتمع، والحكومة). وبالتالي فإن الأهمية النسبية لأى متغير من تلك المتغيرات، يتوقف بشكل أساسى على المضمون الذى يشمل بدوره صفات الإرهابى المنفذ، والنشاط الإرهابى، والهدف، والبلد، والجمهور، وأخيرا الإطار الزمنى. ومع التسليم بوجود تنوع كبير بين الإرهابيين والمنظمات التى يتمون إليها، وكذلك المحيط الذى يعملون به، فإن الوصول إلى نوع من التعميم لا يعتبر مستحيلا رغم ذلك. شرط أن يتجاوز المحللون إطار دراسات الحالة، ويقومون باختيار الفاعلين بشكل عشوائى. وقد بذل روس جهودا فى هذا الاتجاه أسفرت عن نموذج يمكن اعتباره هيكليا وسببيا للإرهاب السياسى المعارض. إذ تسمح درجة عموميته بإدراج مجموعة متنوعة من الإرهابيين الأفراد إلى جانب الجماعات الإرهابية، وكذلك مجموعة من المضامين التى يتفاعلون فى إطارها.

ويضم النموذج عشرة عوامل أساسية، ما بين القديم والمستجد، تتعاون فيما بينها لتفسير ظاهرة تنامي الإرهاب السياسى المعارض. وقد تم تطبيق هذا النموذج بشكل كامل أو جزئي، في حالة الإرهاب المرتبط بالحركة الانفصالية بمنطقة الكيبك (روس، ١٩٩٥) وكذلك في تحديد العلاقة بين المعارضة والإرهاب في نزاع / أزمة منطقة الخليج. (١٩٩٠-١٩٩١) (روس ١٩٩٥). كما أنه قد تم توسيع النموذج ليشمل عناصر نفسية أيضا (روس، ١٩٩٩).

وقد توصل الباحثون إلى نتيجة مفادها أن كثيرا من هذه المتغيرات يعد ضروريا، ولكن قد يكون غير كاف. كما أنه لا يشترط، من ناحية أخرى، أن تتوافر كل العوامل التى تم ذكرها، كى تقع الحوادث الإرهابية.. ونذكر فيما يلى تلك العوامل، بادئين بأقلها أهمية ومتتهين بأهمها على الإطلاق: الحداث، نوع النظام السياسى السائد، درجة التمدن أو التحضر، توفر الخدمات الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، درجة التنظيم والتنمية، وجود أشكال من الاضطرابات داخل المجتمع، المساندة، فشل المنظمات المناهضة للإرهاب، مدى توافر الأسلحة والمتفجرات، وأخيرا وجود أسباب للتظلم، وهذا العامل الأخير هو المحرك الأساسى لأى نشاط إرهابى، فهو الذى يدفع بالأفراد والجماعات إلى محاولة العثور على شبكة منظمة من المتطرفين، تمكنهم من التنفيس عن غضبهم أو حنقهم الداخلى ضد النظام. وقد أهمل كثير من الكتاب والمحللين الذين عنوا بمشكلة الإرهاب هذه الحقيقة، التى بدونها، لا يمكن أن نفهم فهما شاملا، ما يعترى الأفراد والجماعات من تغيير وتحول يدفعهم لخوض تجربة النشاط الإرهابى.

اختيار الحالة

فى هذا الفصل نشهد تطبيق المتغيرات الهيكلية للنموذج السببى على ثلاثة أنواع من الإرهاب السياسى المعارض. وقد تم اختيار هذه الأنواع الثلاثة، على أساس الاختلاف الجغرافى، وتقارب الأهداف بالإضافة إلى مدى شهرتها للرأى العام وخبراء مكافحة

الإرهاب والعلماء على حد سواء. كما أن المنظمات التي وقع عليها الاختيار، لا تزال ناشطة في مجال الإرهاب مع اختلاف في درجة كثافة عملياتها. ويعتبر الأسلوب الذي نطبقه أقرب لما يمكن أن نطلق عليه، «النموذج الأكثر تشابها» (ليجفارت، ١٩٧١، ١٩٧٥). وهذا الأسلوب يحد من إجراء المقارنات بين المجموعات التي تشترك في ملامح عامة، حتى يمكن الخروج بتعميم يعتد به نسبيا.

أولا، تمخض عن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني عدد من المنظمات الإرهابية منها الفتح، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والقيادة العامة، ومجموعة أبي نضال، وحماس. وجميعها كانت تحارب من أجل إنشاء وطن مستقل للشعب الفلسطيني. وتعد منظمة الفتح، من أول تلك المنظمات من ناحية النشأة وأكثرها شهرة وأيضاً أكبرها. (أو فتح للاختصار). وقد تأسست عام ١٩٥٧ وتزعّمها أولا ياسر عرفات. وقد أعلنت مسؤوليتها عن ٢٣٣ حادثاً أسفر عن ١٤٦٢ مصابا و٤٦٣ قتيلا (معلومات TKB تم الوصول إليها في ٢١ فبراير ٢٠٠٨).

ورغم أن فتح قد أعلنت من قبل بصفة رسمية اعتزامها البعد عن العمليات الإرهابية، فإنها لا تزال تساند العديد من الجماعات الإرهابية مثل كتائب الأقصى (والتي يطلق عليها، الجناح العسكري لفتح) وتقوم بالعديد من العمليات الاستشهادية.

ثانيا، الجيش الجمهوري الثوري لكولومبيا (فارك)، وقد تأسست عام ١٩٦٤، وهي أحد أقدم المنظمات الإرهابية بأمريكا الجنوبية. ومن أهدافها، استبدال الحكومة الحالية في كولومبيا بنظام حكم يقوم على أساس المبادئ الماركسية - اللينينية. ومنذ نشأتها، تورطت هذه المجموعة في ٦٥٦ حادثاً، أسفر عن ١٣٧٣ مصابا. بينما لقي ٧٠٣ أشخاص حتفهم. (طبقا لمعلومات TKB التي تم الوصول إليها في فبراير ٢٠٠٨).

وفي عام ١٩٨٤ قررت الحكومة التفاوض مع منظمة فارك، بعد تزايد ضحاياها من القتلى والمصابين خاصة بين قوات البوليس والجيش والمدنيين على حد سواء. وذلك

على أمل أن تتحول هذه المنظمة إلى حزب سياسى محترم ومسئول. وبينما تجاوب بعض الأعضاء مع مطالب الحكومة، تمسك البعض الآخر بمبادئه وخططه الأولى لمحاربة الحكومة. وكان من نتائج تلك الانفراجه أن بدأ بعض أعضاء الجيش الكولومبى، من المتمردين، حربا غير رسمية ضد أعضاء فارك الشرعيين. مما ترتب عليه استئناف فارك حملتها الإرهابية ضد الحكومة عام ٢٠٠٢. ومن المعروف أن عدد أعضاء تلك المنظمة وصل إلى ١٧٠٠٠٠ عضو. (هولمز، وجوتيريز دى بينيرس وكورتين، ٢٠٠٧).

ثالثا: فى منطقة شمال أيرلندا، حيث تعارض الأقلية الكاثوليكية من القوميين، شرعية الدولة، رفع الجيش الأيرلندى الجمهورى لواء الحرب المسلحة ضد النظام من ١٩٦٩-١٩٩٧. والجيش الجمهورى له تاريخ طويل فى مقاومة الوجود البريطانى فى أيرلندا. ولكن الكفاح الحقيقى لم يبدأ قبل عام ١٩٦٨ بعد بدء حركة الحقوق المدنية، حيث بدأت المنظمة فى مقاومة القوانين القمعية وعنف رجال البوليس والعداء ضد البروتستانت.

وقد قامت مجموعة الجيش الأيرلندى الجمهورى إيرا (بيرا) والتي تأسست، بعد انفصام عروة الجيش الأيرلندى الرسمى (إيرا) بعدة هجمات بمنطقة شمال أيرلندا وبنجلترا ومناطق أخرى، لتحفيز الإنجليز على هجر شمال أيرلندا.

وقد تمخض عن توقيع مبادرة السلام عام ١٩٩٣، استتباب عملية السلام فى أيرلندا. وشهد العقد الأخير توقيع اتفاقية يوم الجمعة الطيب إلى جانب نزع سلاح الجيش الأيرلندى المؤقت، كما شهد شكلا جديدا من أشكال انتقال السلطة وتقاسمها بين القوميين وممثلى الاتحاديين. ومنذ نشأتها الأولى، وجه إلى IRA اتهامات بارتكاب حوالى ٨٤ حادثا إرهابيا، (طبقا لمعلومات TKB). تم التوصل إليها فى ٢١ فبراير ٢٠٠٨. ورغم تأكيد معلومات TKB أن الأنشطة الإرهابية للجماعة قد أسفرت عن ١٤٠ إصابة و٢٩ حالة وفاة (طبقا لتقرير ٢١ فبراير ٢٠٠٨) وتأكيد ملف النزاع المتاح على شبكة المعلومات الإلكترونية، لنفس المعلومات، وطبقا لمالكولم ساتون (فهرس

حالات الوفاة نتيجة النزاع الأيرلندي ١٩٦٩-١٩٩٣). فقد وصل عدد القتلى في واقع الأمر إلى ٣٥٢٤ قتيلا، وما يقرب من ٣٠٠٠٠ مصاب (١٩٦٩-٢٠٠٠). وطبقا لساتون ١٩٩٤، فإن IRA تعتبر مسئولة عن نصف أعداد القتلى فقط.

تستعرض دراسة الحالة التي نقدمها في الجزء التالي، تاريخ تلك المجموعات الثلاث مع التركيز على المتغيرات الهيكلية التي تسببت في نشأتها.

الفتح

في يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، وافقت الأمم المتحدة على القرار رقم ١٨١، الذي تم بمقتضاه، تقسيم فلسطين (وكانت تحت الاحتلال البريطاني منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى، حوالى عام ١٩١٨) إلى دولتين: دولة يهودية، وأخرى فلسطينية للأغلبية من العرب الذين يعيشون في المنطقة. ورغم قبول الجانب اليهودي (المستول عن المفاوضات) لهذه الخطة، فقد رفضها الجانب الفلسطيني والدول العربية المجاورة، التي ساندت فلسطين في معارضتها لهذا القرار. ومنذ ذلك التاريخ، والعنف مشتعل على أرض فلسطين بين الطرفين. يوم ١٤ مايو ١٩٤٨، سحبت القوات البريطانية جيوشها، وحلت محلها الجيوش الإسرائيلية. التي عملت على توطيد مكانتها منذ وصولها. وبدأت في تنفيذ سياسة قمعية منهجية ضد الفلسطينيين الذين يعيشون داخل حدود الدولة اليهودية. (شومسكى، ١٩٨٣، مورييس، ٢٠٠١). مما أدى إلى انتقال أعداد كبيرة منهم إلى البلاد العربية المجاورة، مثل مصر، ولبنان، وسوريا والأردن.

وفي عام ١٩٥٧، كون ياسر عرفات ومجموعة تتألف مما يقرب من عشرين شخصا ينتمون إلى عدة مجموعات فلسطينية صغيرة، تعمل في السر، منظمة الفتح بالكويت. (هارت ١٩٨٤، إباد ١٩٨١، ميشال ١٩٨٦). وقد تأثرت هذه المجموعة بنجاح الثورة الجزائرية، التي اعتمدت في نضالها ضد المستعمر الفرنسي على حرب العصابات. وبمرور الوقت أصبحت فتح، «أكبر وأقدم وأكثر منظمات المقاومة الفلسطينية نفوذا وقوة» (لونج،

١٩٩٠، ص ٣٦). وكانت تعرف أيضا باسم حركة التحرير الفلسطينية. وتضم فتح ما بين ١٢ إلى ١٥ ألف مقاتل، إلى جانب العديد من المؤيدين والمساندين. (ليفنجستون وهاليفي، ١٩٩٠، ص ٧٢). وجدير بالذكر، أن فتح تركز على القومية الفلسطينية. فهي لا تنحاز إلى أى فكر أيديولوجى سياسى، أو معتقد دينى بعينه. وذلك رغم كون أغلبية قادتها من المسلمين. (لونج، ١٩٩٠، ص ٣٦). وقد حصلت على مساعدات مادية من «حكومات عربية، ومن اشتراكها فى أنشطة إجرامية، إلى جانب أرباح من مسئولياتها واسعة النطاق وأنشطتها المتعددة» (ليفنجستون وهاليفي، ١٩٩٠، ص ٧٢).

وقد كان لفتح، على مدى تاريخها الطويل، مكاتب فى العديد من دول العالم. خاصة فى الشرق الأوسط وأوروبا وآسيا. وفى وقت كتابة هذه السطور، فإن قيادتها الوحيدة المعروفة توجد فى الضفة الغربية. وهذه المنظمة الإرهابية تنقسم إلى عدة وحدات فرعية. إحداها الفرع الغربى «الذى كان يتزعمه أبو نضال حتى أبريل ١٩٨٨. وتعتبر كيانا لإدارة عمليات الكفاح المسلح فى الأراضى المحتلة. وقد كان مقرها الأساسى أولا عمان بالأردن قبل أن تنتقل إلى بغداد» وتتألف من ٤٠٠ عضو. ومنذ وفاة أبى نضال، تولى ياسر عرفات قيادتها بالكامل» (ليفنجستون وهاليفي، ١٩٩٠، ص ٧٣).

وفى عام ١٩٦٤ وبمساندة من الدول العربية الأخرى، تمكنت مصر من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) وكانت تعتبر حكومة الشعب الفلسطينى. وفى يونيو ١٩٦٧، شنت مصر والدول العربية المجاورة كلبان والأردن وسوريا هجوما عسكريا ضد إسرائيل. عرف فيما بعد بحرب الستة أيام. وقد تمكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة بالجيش العربى، بل وتمكنت من الاستيلاء على مزيد من الأراضى العربية، فاستولت على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان، إلى جانب القدس الشرقية والضفة الغربية (المعروفة أيضا بالأراضى المحتلة). وقد تمكنت فتح من السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٨ بعد نكسة حرب الستة أيام ومعركة الكرامة بالأردن فى مارس ١٩٦٨، والتي تمكنت خلالها من تحقيق عدة مكاسب عسكرية ضد الجيش الإسرائيلى المحتل.

وفي سنوات الستينيات والسبعينيات، قامت فتح بتدريب إرهابيين من منطقة الشرق الأوسط ومن أوروبا وآسيا وأفريقيا، وذلك من أجل زيادة مواردها المادية وخدمة الأهداف السياسية في نفس الوقت. وكانت فتح، تنفذ عمليات إرهابية دفاعا عن قضيتها الوطنية وقضايا الآخرين أيضا. وفي ذلك الوقت كان العديد من الدول العربية يمد فتح بالمساعدات المادية مثل المملكة العربية السعودية والكويت ودول أخرى خليجية.

وفي سبتمبر من عام ١٩٧٠، قام الملك حسين، العاهل الأردني بطرد الكوادر الفلسطينية التي كانت تقطن الأردن، وذلك خشية من ضياع مركزه السياسي. ويعتبر الفلسطينيون والأردنيون متقاربين جدا من ناحية العرق. إلى جانب أن الكثير من الفلسطينيين المقيمين في الأردن كانوا بالفعل مواطنين أردنيين. وقد انتقل أغلبهم إلى جنوب لبنان، حيث أعادت فتح تأسيس قيادة قوية تمكنت من شن هجمات عنيفة على المستوطنات الإسرائيلية في الشمال.

وعلى مدى سنوات وجودها، قامت فتح بعدة أنشطة إرهابية، سواء بمفردها أو من خلال أحد فروعها، ضد أهداف إسرائيلية. فعلى سبيل المثال، قامت منظمة سبتمبر الأسود (أيلول الأسود) والتي تأسست على أنقاض الفلسطينيين المرحلين من الأردن، بعدة عمليات إرهابية، منظمة، أشهرها قتل ١١ رياضيا إسرائيليا، في دورة ميونخ الأولمبية عام ١٩٧٢، وكذلك اغتيال دبلوماسيين أمريكيين، هما السفير كليو نوال ونائبه كيرتس موور بالخرطوم في مارس ١٩٧٣ (لونج ص ٣٨-١٩٩٠). وبعد فترة قصيرة من قيام حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣، والتي انتهت بفشل مصر وسوريا، بمساندة تحالف من دول عربية أخرى، في استرداد الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ من أيدي الإسرائيليين، فقد العديد من المنظمات الفلسطينية الإرهابية ثقته في مصر وسوريا كحلفاء مساندين لها، وأعلنت فتح، في تصريح لها أنها سوف تقلع عن القيام بعمليات إرهابية دولية، خاصة عمليات الاختطاف، حيث إنها لا تخدم قضيتها. كما وجهت اللوم والتوبيخ لفروعها التي قامت بعمليات متفرقة بعد هذا التصريح. (هاليفي

وليفنجستون، ١٩٩٠). وفي مبادرة دالة على بدء انتهاجه طريق الشرعية الدولية، ألقى ياسر عرفات خطاباً بالأمم المتحدة، تزامن مع حل منظمة أيلول الأسود (دوبسون، ١٩٧٤).

وفي منتصف السبعينيات، أسس الإسرائيليون، بدعم من قوات الأمم المتحدة، منطقة آمنة في لبنان على الحدود الشمالية لإسرائيل. وقد استمرت من ١٩٧٥، وحتى عام ١٩٩٠. وبدأت في هذه الفترة حرب أهلية دموية في لبنان. وقد نشبت بين فصائل لبنانية مثل المسيحيين الموارنة والمسلمين الشيعة، وحزب الله، والدروز وأعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية من جانب آخر.

وفي عام ١٩٧٩، قامت حكومة إسرائيل والحكومة المصرية بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد بوساطة الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. وفيها اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بأن عليها أن تتعامل مع إسرائيل بشكل مباشر وأن تقبل ببعض التنازلات.

وفي يونيو ١٩٨٢، ونتيجة للهجمات المتكررة من جانب حزب الله والفصائل الفلسطينية على حدود إسرائيل، قامت إسرائيل باحتلال لبنان، متتهكة منطقة الأمان المتفق عليها. وفي غضون أيام قليلة، كانت الدبابات الإسرائيلية في طريقها إلى بيروت. وأثناء الاحتلال، تمكن، الفيلق، وهو حزب لبناني سياسى يتكون من ميليشيات من الموارنة المسيحيين، الذين يعملون لحساب الجيش الإسرائيلي، من اقتحام مخيمات اللاجئين بصبرا وشتيلا، بيروت بحجة القضاء على المسلحين الفلسطينيين. إلا أن ما حدث حقيقة الأمر، كان مذبحة مروعة، تراوح عدد ضحاياها بين ٤٦٠ و ٨٠٠ قتيل. من بينهم ٣٥ طفلاً وامرأة.

وفي مايو ١٩٨٣، لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دور الوسيط لفض الأزمة. وتمخض عن ذلك رحيل الفلسطينيين والإسرائيليين من لبنان. حيث حلت مكانهم، قوات حفظ السلام متعددة الجنسيات التى تعمل تحت مظلة الأمم المتحدة. وتتكون من الفرنسيين والأمريكيين والإيطاليين من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار. وقد أعيد

توطين المقاتلين الفلسطينيين في بلاد متعددة كالجزائر والعراق وتونس واليمن، وغيرها من بلاد منطقة الشرق الأوسط. (ميشال، ١٩٨٦). و«انتقل ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس» (لاكور، ص ١٠٢-٢٠٠٣). ورغم بعد المنظمة عن الهجمات الإسرائيلية بانتقالها إلى تونس، فإنها في الوقت ذاته، قد نأت بنفسها عن نبض الشارع الفلسطيني وهمومه. مما مهد الطريق لأول انتفاضة في تاريخ الشعب الفلسطيني. وكانت تعد حركة نابغة من الشعب ومعبرة عن حنقه واستيائه من العيش تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي.

وقد اشترك العديد من النشطاء الفلسطينيين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة في تلك الانتفاضة، بدءاً من عام ١٩٨٧. (شيف وياآرى ١٩٨٩). وكان الشباب يهاجمون فيها الجنود الإسرائيليين في قطاع غزة والضفة الغربية، بالترشق بالحجارة. وقد سجلت وسائل الإعلام، مشاهد للجيش الإسرائيلي، يهاجم فيها بشراً هؤلاء الشباب الذين لا يملكون سوى الحجارة ليردوا بها على هجوم الجيش الإسرائيلي الذي تسبب في العديد من حوادث القتل أو الإصابة. وسط هذه الأجواء المشتعلة، خرجت حماس إلى الوجود. وهى فى الأصل، جماعة إسلامية أصولية (تعتبر جناحاً لجماعة الإخوان المسلمين). وحينما تأسست أولاً عام ١٩٧٢، لم يكن دورها يتعدى (توفير الخدمات الاجتماعية والخيرية للمحتاجين من الشعب الفلسطيني). إلا أنها بدأت التورط في أعمال إرهابية منذ عام ١٩٧٧. (ميشيل وسيل، ٢٠٠٢). ومنذ ذلك الوقت تقوم حماس والجهاد (وهى منظمة أخرى أصولية إرهابية، يرجع اسمها إلى الجهاد الإسلامى أو «الحرب المقدسة»). بشن هجمات استشهادية ضد الجيش الإسرائيلي والمدنيين الإسرائيليين فى كل أنحاء الأراضي المحتلة وفى قلب إسرائيل أيضاً. وجدير بالذكر، أن هاتين المنظميتين تعتبران جزءاً من جماعة الإخوان المسلمين، وتريدان تأسيس دولة إسلامية فى هذه المنطقة ولا تعترفان بحق إسرائيل كدولة ذات سيادة.

(http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/middle_east/978626.stm)

وتشكل الجماعتان تهديدا ليس فقط لإسرائيل، بل لمنظمة التحرير الفلسطينية نفسها بالإضافة إلى العديد من البلدان العربية، وذلك لتبنيهما منهجا أكثر عنفا وعدم مرونتهما في إجراء المفاوضات.

وفي عام ١٩٩٣، وقعت كل من منظمة التحرير والحكومة الإسرائيلية، على اتفاقية أوسلو. بهدف إحراز بعض التقدم على مسار السلام بين الطرفين. بما من شأنه أن يفضي إلى تطبيع العلاقات بين الجانب الإسرائيلي وبقية الدول العربية. ومن ضمن التنازلات التي تحققت بموجبها أن تمتنع فتح عن ممارسة الأنشطة الإرهابية، مقابل أن يسمح الجانب الإسرائيلي بإقامة حكم فلسطيني ذاتي محدود في قطاع غزة والضفة الغربية. وقد حصل إسحاق رابين وياسر عرفات على جائزة نوبل للسلام، لتوصلهما إلى توقيع هذه الاتفاقية، وتطبيق الحكم الذاتي الفلسطيني المحدود. ثم تأسست السلطة الفلسطينية الوطنية (PNA or PA) عام ١٩٩٤ لإدارة قطاع غزة والضفة الغربية بقيادة ياسر عرفات.

وبرغم هذا الاتفاق، فقد زعم أن فتح لا تزال تساند ماديا وسياسيا بعض الفصائل العسكرية، مثل القوة ١٧ ومجموعة الهواري والتنظيم، وكتائب الأقصى. وفي عام ١٩٩٨، لاح أمل جديد للسلام بالمنطقة. إذ نجح الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، في التوسط بين الجانبين لتوقيع اتفاقية واي ريفر بين عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو. ومن ضمن نصوصها الأساسية، أن يضع الفلسطينيون حدا للإرهاب في مقابل إعادة إسرائيل الأراضي المحتلة إلى الفلسطينيين، وأن يعود السجناء الفلسطينيون إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. وقد عرفت فيما بعد «باتفاق الأرض مقابل السلام». ولكن نتيجة لتصاعد عوامل التوتر بين الجانبين، اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠، وقد شهدت العديد من العمليات الانتحارية، خاصة في الأماكن المزدحمة من المدن الإسرائيلية، كالأسواق أو داخل الحافلات.

وطبقا لنيومان (٢٠٠٣)، «فإن حماس والجهاد يتحملان مسئولية الهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين بالضفة الغربية وداخل المدن الإسرائيلية» في الملاهي الليلية،

والمطاعم ومحطات الحافلات، والمجمعات الشرائية. (ص ١٥٥). وقد تسببت ردود الأفعال الإسرائيلية على هذه الهجمات في مقتل العديد من الأفراد. ويشير نيومان «أنه طبقا لأغلب الإسرائيليين، فإن عرفات يعتبر متورطا في هذه الهجمات، لفشله في وقف الأنشطة الإرهابية لحماس والجهاد. بما يعد موافقة ضمنية على استمرارها... وقد يكون ذلك صحيحا في بداية انتفاضة الأقصى. إلا أن عرفات قد فقد تدريجيا، السيطرة على الفصائل الفلسطينية المسلحة؛ وبالتالي القدرة على الحيلولة دون وقوع العمليات الانتحارية. كان ذلك هو الوضع وقت وقوع اعتداءات ٩ / ١١. بالولايات المتحدة.» (٢٠٠٣، ص ١٥٥). لدرجة أنه في صيف ٢٠٠١ كانت فتح والسلطة الوطنية الفلسطينية قد فقدت شعبيتها بشكل نهائي وكامل لدى الشعب الفلسطيني. وفي المقابل، برزت شعبية الجماعات الإسلامية الأصولية وغيرها من الجماعات القومية الفلسطينية (نيومان، ص ١٥٦-٢٠٠٣).

وفي مارس ٢٠٠٢، احتلت قوات الدفاع الإسرائيلية، الضفة الغربية وحاصرت مدينة رام الله (الضفة الغربية). كما أنها فرضت حصارا أيضا على مقر إقامة ياسر عرفات، الذي تأثر كثيرا بالقصف. وقد تمكنت القوات الإسرائيلية من اغتيال عدة كوادر من مجموعة كتائب الأقصى وحماس، بينما فشلت في محاولات أخرى للاغتيال. وشهدت الفترة بين عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٤، عدة عمليات انتحارية داخل إسرائيل، كانت تمارس بشكل منتظم. إلا أنه منذ بداية ٢٠٠٥، حدث تقلص واضح في ممارسة تلك العمليات. وقد تم إحباط بعضها، ثم أصبحت تمارس بشكل غير منتظم.

وفي ١١ نوفمبر ٢٠٠٤، تم نقل ياسر عرفات لأحد مستشفيات فرنسا للعلاج من وعكة معوية ألت به، إلا أن القدر لم يمهل أكثر من أسبوعين، حيث دخل في غيبوبة، ثم وافته المنية.

وقد عبر العديد من زعماء العالم عن أملهم في تجديد عملية السلام بين الجانب الإسرائيلي والفلسطيني بعد ذلك. ومنذ ذلك الحين حدثت تغييرات عديدة بالمنطقة،

خاصة فيما يخص القيادات على الجانبين. ففي السادس من يناير ٢٠٠٦، أصيب أرييل شارون بسكتة دماغية شديدة. لم يكن من المتوقع أن يتعافى منها. وقد شغل مكانه إيهود أولمرت وكان نائبه. وفي ٢٦ يناير من نفس العام، فازت حماس في الانتخابات العامة، للبرلمان الفلسطيني، حيث حصلت على ٧٦ مقعدا في مقابل ٤٣ مقعدا لفتح. بينما توزع ١٣ فردا بين الأحزاب الأخرى أو المستقلين.

بعد وفاة ياسر عرفات، تولى قيادة فتح، فاروق قدومى، ويعتبر من الكوادر المخضرمة للمنظمة منذ عام ١٩٦٠. وكان قد تمكن من تنفيذ معظم عملياته من مقره في المنفى (خارج قطاع غزة والضفة الغربية). كما كان قد تولى عدة مناصب قيادية في منظمة التحرير. إلا أنه كان دائم المعارضة لاتفاقية أوسلو. وكثرت خلافاته مع السلطة الوطنية الفلسطينية.

الجيش الثورى المسلح في كولومبيا (فارك)

تعمل بـكولومبيا ثلاث مجموعات إرهابية تدعى (narco-terrorist) وهى: مجموعة قوات كولومبيا المتحدة للدفاع عن الذات (AUC)، وجيش التحرير الوطنى (ELN)، ومجموعة القوات المسلحة بـكولومبيا (FARC) وتعتبر فارك أكبرها جميعا وأفضلها تدريباً وأكثرها ممارسة لأعمال العنف وأشدّها فتكا بأعدائها. وهى منظمة يسارية متطرفة، ذات اتجاهات شيوعية. ويتراوح عدد أعضائها بين ١٢ و ١٨ ألف عضو بشكل رسمى (سيمونسن وسبيندلوف، ٢٠٠٤، ٣٤١، www.facep.org) وقد تأسست هذه المجموعة عام ١٩٦٤، بقيادة مانويل مارولاندا (و المعروف رسميا باسم بيدرو أنطونيو مارين تيروفيجو) وهو فى السبعين من عمره، إلى جانب ستة أشخاص آخرين بمن فيهم القائد العسكرى جورج بريسينو، ومونو جوجوى. وتعتبر النشأة الأولى لهذه المنظمة غير واضحة، إلا أنها بدأت تلفت أنظار الجماهير إليها، منذ عام ١٩٦٦، وذلك «باعتبارها الجناح العسكرى للحزب الشيوعى الكولومبى» (سيمونسن وسبيندلوف، ٢٠٠٤، ص ٣٤١).

ومن أسباب الشعبية التي تتمتع بها فارك، مساعدتها للفقراء، خاصة الفلاحين وأهل البلد الأصليين، الذين يقطنون الأماكن النائية والمناطق الريفية. (ستاورد وبالا سيوس، ٢٠٠٢).

ويمكن أن نعتبر فارك منظمة تعتمد على حرب العصابات لتحقيق أهدافها، إلا أن قتلها للأبرياء من المدنيين، يضعها في مصاف المنظمات الإرهابية. وقد تجمعت لها إمكانيات مادية كبيرة من جراء تجارة المخدرات (مثل الكوكايين والأفيون والماريجوانا) حيث كانت تقوم بزراعة هذه النباتات أو تعمل على تأمين أسباب الأمن لمهربيها (إيرينفيلد، ١٩٩٢). وتعتبر الإطاحة بالحكومة الكولومبية، هدف فارك الرئيسى، يليه بعد ذلك استتباب العدل، والتخفيف من حدة البطالة، واستصلاح الأراضي الزراعية، ووضع حد للخصخصة، وإعادة توزيع الثروات. وفارك تعادى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعتبرها دولة مستعمرة لتدخلها في شئون كولومبيا الداخلية.

ومن المفارقات، أن فارك تطالب بالسماح بشرعية المخدرات. حيث تؤكد أن ذلك الإجراء سوف يقلص من حجم العنف السائد وغيره من الآثار السلبية لتلك المواد غير الشرعية.

وجدير بالذكر أن لفارك اتصالات وعلاقات واسعة مع عصابات الجريمة في كل من الإيكوادور وبنما وبنما وفينيزويلا، والتي تعمل في مجال تهريب المخدرات.

ومن المعروف أن فارك لا تتورع عن القيام بأنشطة الخطف والابتزاز وسرقة البنوك وتهريب المخدرات، كوسيلة لتمويل المنظمة. أما فيما يتعلق بالأنشطة الإرهابية فقد تورطت في اغتيالات وانفجارات وكذلك اختطاف طائرة. وتستهدف فارك دائرة واسعة النطاق من الشخصيات قد تشمل رجال البوليس، والجيش، والسياسيين والمدنيين أيضا. وقد أدت اعتداءات فارك المتكررة على الأهداف الحكومية إلى نشأة فرق الموت والمنظمات شبه العسكرية التي تقوم بأعمال إضافية لمهامها تتضمن القتل أو الاختطاف، إلى جانب القيام بأعمال التعذيب لأعضاء الجماعة الفعليين أو المشتبه فيهم

أو من يشك في تعاطفهم مع المنظمة الإرهابية. وجدير بالذكر أن فارك تمارس أنشطتها الإرهابية من داخل حدود كولومبيا. ونادرا ما تقوم بأية أنشطة خارج حدودها.

وفي نهاية الثمانينيات، أسست فارك الاتحاد الوطني، وهو حزب سياسى. إلا أن فرق الموت ذات الاتجاه اليميني، التى يمولها تجار المخدرات وبعض من أعضاء الجيش الكولومبى قتل ما يقرب من ثلاثة آلاف عضو. بل ومرشح الرئاسة، لعام ١٩٩٠، بيرناردو جراميللو أوسا أيضا. / <http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/lamericas/1746777.stm>

وفي عام ١٩٩٨، قدم الرئيس الكولومبى أندريس باسترانا، بعض التنازلات، حينما منح فارك ٤٢٠٠٠ كيلومتر من الأراضى الآمنة. كانت تشكل فى الأصل قاعدة لأنشطتها. لبدء مفاوضات سلام معها. إلا أن المفاوضات كانت تتقدم ببطء. بينما كانت فارك تكس موارد من خلال (نشاط إنتاج الكوكا إلى جانب تجارة السلاح، والتهرب... إلخ).

وفي هذه الأثناء قامت المنظمة بخطط واغتيال عدة سياسيين، منهم إنجريد بتنكورت، وكان مرشحا للرئاسة ومحبوبا من الجماهير. وفى عام ٢٠٠١ واصل باسترانا مرة أخرى محاولته استئناف مفاوضات السلام مع منظمة فارك. «إلا أن المفاوضات تعثرت مرة أخرى، مما حدا بحكومته إلى التهديد بوقف مكاسب الصفقة الأولى المبرمة مع فارك. والتى حصلت بموجبها على منطقة متروعة السلاح» (سمسون وسبندلوف ٢٠٠٤، ص ٣٤١) وفى فبراير ٢٠٠٤، حسمت الحكومة أمرها، وقامت بوقف المفاوضات مع فارك، وسحبت منها امتيازات الصفقة الأولى. كما أعطت الضوء الأخضر لبدء اعتقال زعمائها. وأصدرت أوامرها للجيش الذى شن هجوما على معقل فارك مستخدما الطائرات والمروحيات، فيما عرف بـ «عملية القط الأسود».

وقد اشتدت حملات البوليس والجيش ومداهماته ضد فارك بين الأعوام ٢٠٠٢ و٢٠٠٤. بأوامر من الرئيس ألفارو يوريب فيليز. وطبقا لمعلومات من أسوسيتد برس،

«فقد نجحت القوات الكولومبية، في القبض على الزعماء الإقليميين للمنظمة وقتلت بعضهم ومنهم النجرو أكاسيو (اسمه الحركي) والذي كان يشرف على أغلب عمليات تجارة الكوكايين للمنظمة، ومارتن سومبرا (اسمه الحركي) والذي كان يقوم بحراسة الرهائن، ومنهم ثلاثة مقاولين أمريكيين. ومارتن كابليرو (اسم حركي). وفي عام ٢٠٠٨، صدر حكم على زعيم المنظمة ريكاردو بلميرا والمعروف باسم سيمون ترينيداد بستين عاما من السجن. (ميوز، ٢٠٠٨).

وفي شهر فبراير ٢٠٠٨، هاجم الجيش الكولومبي أعضاء من منظمة فارك داخل حدود الإكوادور. وأثناء الغارة قتل راوول رايس ويعتبر الرجل الثاني في قيادة المنظمة بالإضافة إلى ١٧ من أعضاء المنظمة. وعلى مدى سنوات وجودها التي تتعدى الأربعين عاما، كونت فارك أعداء خارج نطاق حكومة كولومبيا الوطنية، مثل منظمة جيش التحرير الوطني ELN وتعتبر المنظمة الصغرى من بين منظمين ماركسيين من المنظمات الإرهابية بكولومبيا.

ولا تحظى فارك بمساندة دولية إلا في حدود ضئيلة للغاية؛ لذا تعتمد في توفير مواردها المالية، على أنشطتها غير الشرعية، بشكل كامل. ([www.ict.org.il/inter_ter/org.\(cfm;http/www.farcep.org/pagina_ingles](http://www.ict.org.il/inter_ter/org.(cfm;http/www.farcep.org/pagina_ingles)

الجيش الجمهوري الأيرلندي المؤقت (PIRA)

يرجع كفاح منظمة الجيش الأيرلندي الجمهوري إلى قرون من الزمن (بيل، ١٩٩٧، توليس، ١٩٩٧) وحتى نفهم طبيعة هذا النزاع، لابد من الرجوع إلى الخلفية التاريخية إلى جانب الدور السياسي والاقتصادي لأيرلندا. فقد مر هذا الصراع بعدة مراحل، واشتدت جذوته في بعضها، بينما خفتت في فترات أخرى. وكانت رغبة الأيرلنديين الكاثوليك في الانفصال عن الحكم البريطاني تبدو نابعة من أسباب دينية في بعض الأحيان، أو من تطلعات اقتصادية وسياسية في أحيان أخرى (كخضوع الكاثوليك للبروتستانت والحكم البريطاني) وما ترتب عليه من ظلم. ومن هنا تعامل بعض

المحللين مع أزمة أيرلندا على أساس كونها عرقية أكثر منها دينية. (بروس، ١٩٩٣، ١٩٩٥).

وهناك مع ذلك بعض المؤشرات التي يمكن أن نستدل بها على حقائق الأمور. تأسست جمهورية أيرلندا (وكانت تعرف آنذاك بالدولة الأيرلندية الحرة) عام ١٩٢١، في أعقاب تمرد شعبي قادته شخصيات معروفة من أمثال مايكل كولينز وضمت هذه الدولة ٢٦ إقليما من بين ٣٢، حيث تم تجزئة الأقاليم الشمالية وبقيت تحت الحكم البريطاني. وسميت بأيرلندا الشمالية. (وأطلق عليها الاتحاديون والقوميون، ألستر). ويرجح ألستر أنها في الأصل مقاطعة تتكون من تسعة أقاليم بما فيها، إقليم موناغان/ وكافان، ودونيجال. أما الأقاليم الأخرى التي تكون أيرلندا الشمالية، فهي: فيرماناج، وأرماج، وتيرون، وديري، وأنتريم، ودون.

وبصفة عامة فإن الجمهوريين / القوميين يسمون أيرلندا الشمالية «الستة أقاليم» أو «الشمال» أو «شمال أيرلندا» أما نظراؤهم من الاتحاديين فيطلقون عليها «أيرلندا الشمالية» أو «ألستر». (وجدير بالذكر أن الجمهوريين، لا يعترفون بشرعية الدولة، لذا فهم لا يسمونها أيرلندا الشمالية).

ومنذ نشأتها عام ١٩٢٠، عانت الأقلية الكاثوليكية التي تقطن أراضي أيرلندا الشمالية من ظروف معيشية متردية، مثل أزمة توافر السكن، ونسبة البطالة المرتفعة إلى جانب الحرمان من الحقوق الدستورية. (وايت، ٢٠٠٣، ص ٨٦). ومنذ عام ١٩٦٨، لقي ما يقرب من ٣٦٠٠ شخص مصرعهم في هذا النزاع. وقد ضمت قائمة الضحايا، أفرادا من الجيش البريطاني إلى جانب ضباط شرطة (خاصة القائمين منهم على خدمة الملك في ألستر) بالإضافة إلى مواطنين أبرياء. (ساتون، ١٩٩٤).

وخلال الستينيات، تأثر الكاثوليك والبروتستانت، بحركة الحقوق المدنية بالولايات المتحدة الأمريكية، فهبوا يطالبون الحكومة بتحسين ظروفهم المعيشية، خاصة الإسكان وفرص التعليم. إلا أن الإجراءات القمعية التي مارستها حكومة أيرلندا الشمالية فاقمت

من الصراع. «فالكاثوليك لم يمنحوا حق التظاهر، وعند كل محاولة لهم، كانت عناصر من الحكومة تتعرض لهم، وذلك على مرأى ومسمع من قوات حفظ الأمن والقوة الاحتياطية، المعروفة باسم قوة «ب» الخاصة، ومعظمهم يتألفون من البروتستانت. لذا أثروا عدم التدخل. في نفس الوقت لم تبذل أية جهود لوقف التظاهرات البروتستانتية؛ وقد كان الكاثوليك على قناعة من تحالف قوات الأمن الملكية والقوات الاحتياطية مع الاتحاديين المناهضين للكاثوليك في الشمال» (وايت، ٢٠٠٣ ص ٨٧). واستمر السجال المستعمر بين الكاثوليك (القوميين) والبروتستانت (تالبوت، ٢٠٠٣ ص ٣٣٥)

وفي أغسطس عام ١٩٦٩، اندلعت الاضطرابات في بلفاست ولندن/ ديري، (ديري، كما يطلق عليها القوميون ولندن ديري كما يطلق عليها البروتستانت) ولم تتمكن قوات الشرطة من السيطرة على هذه الاضطرابات، مما دفع الحكومة البريطانية إلى زيادة عدد الضباط المتمركزين حول مناطق الاضطرابات. وانضمت قوات الجيش إلى الجانب البروتستانتى بحجة أن ما يحدث يعتبر حربا استعمارية. مما ألهب الصراع وساعد على تعبئة الجماهير (هوكنج، ١٩٨٨).

كما انضمت قوات من الجيش البريطانى إلى قوات الأمن الخاصة دون أدنى اعتراض. وحاصرت الأحياء الكاثوليكية، محطة الأبواب، وملقبة بالقنابل المسيلة للدموع وأخرى ذات الأدخنة الكثيفة. وذلك بغرض القضاء على الإرهابيين والمتعاطفين معهم. وكان الكاثوليك يريدون ألا يتدخل الجيش، إلا أن الكثير من البروتستانت، شعروا أن لديهم حصانة تحميهم في صراعهم ضدهم مما قوى من شوكتهم. (وايت، ٢٠٠٣، ص ٨٨). وكانت هذه الصراعات الأهلية، هى السبب في إعادة تنظيم الجيش الجمهورى الأيرلندى لصفوفه ومواصلة أنشطته الإرهابية. وفي ديسمبر ١٩٦٩، انقسم إلى «الجيش الرسمى» و«المؤقت». مما فاقم من الارتباك، حيث إن كليهما كان لديه أجنحة عسكرية وسياسية. (سيلك، ١٩٩٩). ومن الأحداث التى زادت من حقن الأيرلنديين الكاثوليك وعبأتهم ضد الوجود البريطانى في أيرلندا الشمالية، ما عرف باسم يوم الأحد الدموى، حيث قتل جنود بريطانيون من سلاح المظلات ١٣ مواطنا مدنيا أعزل، بينما أصيب ما يقرب من ١٤ آخرين وذلك أثناء مسيرة سلمية بلندن.

وفي صيف ١٩٧٢، أعلنت منظمة PIRA «الرسمية» وقف إطلاق النار. وقررت توظيف طاقتها وجهودها في مساندة حزب سياسي جديد، يدعى سين فين، كان قد تأسس للمطالبة باستقلال أيرلندا الشمالية عن بريطانيا العظمى. ومنذ ذلك الحين أصبحت PIRA ترمز إلى المنظمة المنبثقة من «المؤقتة» (سيمونسن وسبيندلاف، ٢٠٠٤ ص ٧٨).

وفي عام ١٩٧٣، وافقت الحكومة على قانون الطوارئ لأيرلندا الشمالية، وبموجبه اكتسب الجيش نفوذا كبيرا ومزيدا من الصلاحيات. فكان يحق له اقتحام المنازل للبحث عن الإرهابيين المشتبه فيهم في أى وقت من النهار أو الليل دون إذن تفتيش رسمى. وقد ردت PIRA بقصف مناطق كثيرة في عمق المدن البريطانية مثل برايتون وجيلدفورد ولندن أيضا في نفس السنة.

ومنذ ذلك الوقت والعنف يتصاعد فيما يشبه الموجات المنتظمة: في عام ١٩٧٢، و١٩٧٤ وفي بدايات الثمانينيات وفي نهايتها، وفي بداية التسعينيات. (تالبوت، ٢٠٠٣، ص ٣٣٥).

وطبقا لتالبوت فقد فتح البروتستانت نيران العنف الطائفي، مهاجمين قوات الأمن الملكية والجيش. كما قاموا باغتيال بعض الزعماء الجمهوريين. وفي الفترة الأولى من الحرب الطائفية، استهدفت PIRA بشكل أساسى نواب الدولة البريطانية إلى جانب قوات الأمن الملكية والجيش والاتحاديين والساسة البريطانيين وأعضاء الأسرة المالكة البريطانية. «إلا أنه منذ بدايات التسعينيات، تحول الصراع بين الجمهوريين والبروتستانت إلى حرب ميليشيات، أساسها الثأر والانتقام» (تالبوت، ص ٣٣٥-٢٠٠٣).

وكانت PIRA قد حصلت على مساعدات مالية وأسلحة ومعلومات استخباراتية من دول كليبيا، وإسبانيا والاتحاد السوفيتى سابقا، إلى جانب دول الكتلة الشرقية الشيوعية سابقا. كما حصلت على تمويل مالى من منظماتها في الولايات المتحدة الأمريكية. (آدمز، ١٩٨٦)، وأيضاً من مصادرها القديمة غير الشرعية كالابتزاز وسرقات البنوك.

كما مكنتها من تأمين مكانة في أوروبا. وفي عام ٢٠٠٢ كشف النقاب عن تدريبها لأعضاء من منظمة فارك الإرهابية على تقنية تصنيع القنابل.

وعلى مدى العقد والنصف الماضيين، تحققت عدة خطوات إيجابية في تاريخ هذا النزاع الطويل (دينجلي ١٩٩٩) ففي عام ١٩٨٥ وقعت المملكة المتحدة وجمهورية أيرلندا اتفاقية سلام فيما يخص إدارة أيرلندا الشمالية. عرف باسم اتفاق السلام الأنجلو أيرلندي «ويهدف الاتفاق بصفة أساسية إلى وضع حد للممارسات الإرهابية، من خلال تأسيس حكومة في مناطق الصراع».

(وايت، ٢٠٠٣ ص ٩٠) وفي عام ١٩٩٨ وقعت (PIRA) على اتفاق سلام مع بريطانيا العظمى عرف باتفاق يوم الجمعة الطيب. (بلفاست). وفي العام التالي قام البرلمان الجديد على أساس مبدأ المشاركة في حكم أيرلندا الشمالية. وفيما عدا قيام لندن بسحب تفويضها للسلطة من البرلمان في مناسبتين منذ نشأته، فقد استمر يعمل حتى عام ٢٠٠٧. وجدير بالذكر أن وقف التفويض الثاني قد تم بناء على اتهام (PIRA) باستمرار التورط في تهريب الأسلحة، وكذلك اتهامات بالتجسس على معارضيها السياسيين. وفي عام ٢٠٠٢، بدأت PIRA في وقف استخدام الأسلحة. وبناء عليه تم منح مارتن ماكجينس، من PIRA وجيرى أدامز من سين فين، مقعدين في البرلمان البريطاني. إلا أنهما رفضا المقعدين، حيث إن موافقتها كانت تعنى حلف اليمين والتوقيع عليه أمام الملكة، وهو ما رفضوه بشدة. ثم بدأت الأمور تتدهور تباعا، حيث تم اتهام PIRA في ديسمبر ٢٠٠٤ بسرقة ٥٠ مليون دولار من بنك في بلفاست، وفي يناير ٢٠٠٥، تورطت PIRA في طعن رجل كاثوليكي، أثناء شجار في إحدى حانات بلفاست، حيث توفي متأثرا بجراحه.

وفي ٢٠٠٥، وبعد فترة قصيرة من الانفجارات الانتحارية التي وقعت بأنفاق لندن، على يد أصوليين إسلاميين. أعلنت PIRA رسميا لأول مرة، وسط تشكك البروتستانت الأيرلنديين عن عزمها، التخلي عن ثلاثة عقود من الكفاح المسلح ونبذ

العنف من أجل الاتحاد مع جمهورية أيرلندا . والعمل على تحقيق أهدافها من خلال الوسائل السلمية (فرانكل ٢٠٠٥).

المقارنة:

ولاشك أن عقد مقارنة بين المنظمات الثلاثة، ليس بالشىء الهين؛ نظرا لاختلافها من الناحية الأيديولوجية، ومن ناحية قدرات وإمكانيات كل منها، فضلا عن البعد الجغرافى، إلى جانب الظروف السياسية المختلفة. فعلى سبيل المثال، بينما تعتبر PIRA والفتح منظمين قوميتين انفصاليين، فإن فارك، من ناحية أخرى، تعد منظمة ذات اتجاهات ماركسية لينينية. ومع ذلك فيمكننا الوصول إلى بعض الأفكار المثيرة للاهتمام من خلال عقد تلك المقارنة، ومعرفة إلى أى مدى تلعب الأسباب الهيكلية التى تم الإشارة إليها من قبل دورا فى نشأة كل منها.

الظروف المتاحة:

١- درجة الحداثة: (من المعروف أن توافرها يسهل الوصول إلى الأهداف الصعبة. وإلى الأسلحة المدمرة، والتكنولوجيا الحديثة، ووسائل الإعلام، ووسائل التجنيد، والجمهور، والصراع مع المجتمعات التقليدية، وتقدم شبكات وسائل الانتقال).

ولاشك أن الدول التى كانت تلك المنظمات تعمل من خلالها لم تكن تملك نفس درجة الحداثة والتقدم. وإن كان تحديد درجة حداثة كل منها ليس أمرا يسيرا. (هانتينجتون، ١٩٦٨). وما يمكن أن نجزم به هنا، هو أن تلك المنظمات لم تستخدم الأسلحة الكيميائية، أو البكتيرية أو الإشعاعية أو النووية. ولكنها رغم ذلك حاولت استخدام التقنية الحديثة سواء من ناحية الأسلحة أو وسائل الاتصال. ومعظم هجماتها قد وقعت فى المدن المحلية. ويتميز زعماءها جميعا بالحنكة والاحتراف المهنى، وأغلبهم حاصل على درجة متقدمة من التعليم.

٢- نوع النظام السياسى (يعمل الإرهاب بكفاءة عالية فى ظل الديمقراطيات المتقدمة) وجدير بالذكر، أن أغلب الفلسطينيين، (بما فيهم فتح) يعيشون ظاهريا فقط

في ظل نظام برلمانى ديمقراطى. أما فلسطينيو الضفة الغربية فهم يعيشون تحت وطأة الأحكام العرفية التى يفرضها عليهم الإسرائيليون. وفلسطينيو الشتات، يعيشون متفرقين فى شتى بلاد العالم تحكمهم أنظمة سياسية متباينة. أما منظمة PIRA، فتعيش فى ظل ديمقراطية برلمانية بريطانية وإن كان بشكل غير متكافئ. (فلاتزال هناك بعض الآثار الرمزية المتبقية من الحكم الملكى). ومنذ بداية ٢٠٠٥ تخضع لقانون صارم ضد الإرهاب (مثل قانون منع الإرهاب لسنة ١٩٧٤ و١٩٨٩).

أما النظام السياسى بكولومبيا، فيعيش حالة من التغير (ستافورد وبالا سيوس ٢٠٠٢). ورغم توقيعها على دستور جديد عام ١٩٩١، يتيح مزيداً من المشاركة فى الحياة السياسية، فلا يزال نظام المحسوبية يسود كولومبيا. وإن كانت تعتبر نظاماً جمهورياً يخضع رئيسها لانتخابات مباشرة.

٣- درجة الحضرية (توفر المدن (مناطق حضرية) تسهيلات وخدمات للإرهابيين لا توفرها المناطق الريفية غير المتحضرة).

تعمل هذه المنظمات فى مناطق تتفاوت فى درجة تحضرها. فمجموعة FARC قامت بأغلب عملياتها فى المناطق الريفية، وبصفة عامة المناطق النائية منها. كما قامت بتجنيد كثير من مقاتليها من هذه المناطق. ولكنها من أخرى، نفذت كثيراً من عملياتها فى المدن خاصة مدينة مديلين. وطبقاً لهولمز، (٢٠٠٧) «فى نهاية القرن العشرين، كانت لفارك ٦٧ جبهة فى الريف وأربع جبهات فى الحضر» (ص ٢٥٠). أما PIRA وفتح، فمن المعروف أن أغلب أنشطتهما قد تركزت فى المدن، وفى حالة فتح، فقد كانت تجند مقاتليها من مخيمات اللاجئين التى انتشرت فى عدة مناطق من بلدان الشرق الأوسط إلى جانب الأراضي المحتلة). وكانت المنظمات الثلاثة تستقطب أيضاً أتباعها ومناصرها من البلدات الصغيرة والقرى المنتشرة فى ربوع بلادها.

الظروف الملحة:

١- الظروف الاجتماعية، والثقافية والتاريخية (كالمواقف المشتركة، والمعتقدات، والعادات والتقاليد والأساطير، ووجهات النظر، والقيم. وكلها عوامل تسمح بتنمية

الشعور بالقومية، أو بالتعصب، ثم اندلاع العنف والإرهاب وانتشاره في جزء من المجتمع).

بحكم استمرار كفاح الحركات الإرهابية لفترة طويلة من الزمن، فقد تكون لديها مخزون من التجارب التاريخية والظروف الاجتماعية والعادات الثقافية التي تشكل بالنسبة لها قاعدة تركز عليها لمواصلة رحلة الكفاح. فمنظمة PIRA لا يمكن أن تحو من ذاكرتها تجربة جمهورية أيرلندا في العنف السياسى وما يمكن أن يتحقق من خلاله. بالإضافة إلى أن بعض أعضائها أصبحوا إرهابيين دوليين (مثل بوبى ساندروز وتجربة المضربين عن الطعام في الثمانينيات).

أما فارك فقد ولدت من رحم الحرب الأهلية الدموية التي شهدتها كولومبيا أثناء الخمسينيات والتاريخ الصاخب للحزب الشيوعى الكولومبي. بل إن هولمز يؤكد أن بدايات فارك ترجع إلى بدايات العشرينيات والثلاثينيات. حينما اندلع النزاع بين المزارعين الفقراء وأصحاب الأراضي من الإقطاعيين. (ص ٢٥٠). وبالنسبة لمنظمة فتح، فيرجع تاريخها إلى وقت التفويض البريطانى (أى احتلال فلسطين في بداية القرن العشرين) وما تبعه من إخفاق البلاد العربية الحليفة في مساعدتها للحصول على استقلالها. كما شهد عليه التاريخ في هزيمة حرب سيناء عام ١٩٦٧. وقد تمكنت كل هذه المنظمات على مدى تاريخها الطويل من نشر عدة إصدارات إلى جانب إنشاء محطات إذاعية ومواقع على الشبكة الدولية الإلكترونية (الإنترنت). وذلك بغرض الترويج لقضيتها وخدمة أهدافها الدعائية، ونشر معلومات تهم أنصارها وأعضاءها. (وبالرغم من أن PIRA ليس لديها موقع على الإنترنت، فإن سين فين، حزبها السياسى، لديه موقع شامل).

٢- الانفصال داخل المنظمة، وتداعياته (مثال الخلافات الداخلية التي تنشأ بين الفصائل المعتدلة والأكثر تشددا في المنظمات المناهضة للحكومة).

رغم أن فتح لم يسبق لها الانفصال عن أى منظمة أكبر منها من قبل. فإنها بالتأكيد كانت السبب في انفصالات كثيرة ليس فقط داخل المنظمة نفسها، بل في منظمة

التحرير الفلسطينية. ومن جانب آخر فقد أدت مواقف بيرأ، إلى (وفى) حدوث تشققات داخل المنظمة. «بحيث إنه مع انتهاء عام ١٩٩٧، وتوقيع اتفاقية يوم الجمعة الطيب، وافق فصيل بيرأ على الاتفاق، بينما واصل فريق إيرا مقاومته المسلحة ضد الاحتلال البريطاني لأيرلندا الشمالية». (سيمونسن وسبندلاف، ٢٠٠٤، ص ٧٤-٧٥) ثم كان هناك أيضا، فصيل «إيرا المستمرة» وله علاقة جد معقدة بالحزب السياسى سين فين. ومن هنا كانت صعوبة فهم برامج تلك الفصائل وتتبع أهدافها. أما العلاقة بين «إيرا المستمرة وإيرا الأصلية، فتعتبر فى أضيق الحدود. وطبقا لحزب سين فين السياسى، فهم جميعا جمهوريون، إلا أن فصلى إيرا المستمرة وإيرا الأصلية مختلفان عن سين فين، فى كون الأخير أكثر التزاما بالسير فى الطريق السياسى، وحده بينما الفصيلان لا يزالان يتمسكان بالمقاومة المسلحة منهجا. أما فارك، فقد كانت نتاج إعادة تنظيم بين الليبراليين والشيوعيين، فى أعقاب الحرب الأهلية التى شبت فى كولومبيا بين عام ١٩٤٨ و١٩٥٨. وقد قامت فارك فيما بعد على التحفيز لنشأة عدة منظمات إرهابية ونموها، إلى جانب مجموعات يسارية أخرى، مثل (أل ن) و(إ ب ل).

٣- وجود أشكال أخرى من الاضطرابات (مثال، مدى توافر فرص التعليم، إجازة ممارسة الأنشطة الإرهابية، وتصعيد التظلم).

اجتاح كولومبيا، كما كان الحال فى أيرلندا الشمالية، عنف إجرامى، نتيجة البطالة والمشاكل الأخرى الخاصة بالعمل. وطبقا لمركز هيننج لعلاقات العمل، فقد قتل ما يقرب من ٣٨٠٠ رئيس اتحاد وناشط نتيجة لموجات العنف التى سادت البلاد منذ منتصف الثمانينيات. على يد منظمات عسكرية غير شرعية تنتمى لأقصى اليمين. (www.henning-center.berkeley.edu/gateway/colombia.html) كما تعرضت كولومبيا أيضا لموجات من العنف وانتهاكات لحقوق الإنسان على يد منظمات أخرى يمينية. وبالمثل يعانى الفلسطينيون من اضطرابات كثيرة بسبب مشاكل العمل، مثل انخفاض الأجور، حيث يشكلون مصدرا مهما للعمالة الرخيصة بالنسبة لبعض الإسرائيليين من رجال الأعمال الذين يقومون باستئجارهم.

٤- المساندة (من خلال، توفير الموارد المالية، والتدريب، والمعلومات الاستخباراتية، وتوفير الوثائق المزورة، والحصول على المنح، وبيع الأسلحة، والمتفجرات، وتوفير الملاذ والسكن الآمن، والحملات الدعائية، والتبرير الأيديولوجي، والرأى العام، والخدمات القانونية، والمد المستمر بالمجندين).

من المعروف أن فتح كان يساعدها العديد من الأثرياء الفلسطينيين، إلى جانب بعض الدول العربية، ودول الكتلة الشرقية، والاتحاد السوفيتى السابق. أما فارك فقد توافرت لها الإمكانيات المادية من خلال عمليات الاختطاف، والاعتقالات والعمل لحساب تجار المخدرات والدفاع عنهم. وقد شاع مؤخرا أن حكومة هوجو شافيز في فنزويلا كانت تقدم يد العون لمنظمة فارك. أما بيرا، فيبدو أنها قد حصلت على العديد من المساعدات والتدريبات من ليبيا. كما تورطت في أنشطة الخطف وسرقة البنوك ومكاتب البريد لتمويل أنشطتها. كما يذكر أن فتح أيضا، كانت قد تورطت في بعض الأعمال الإجرامية، مثل تهريب المخدرات، وأعمال الابتزاز إلى جانب توفير خدمات الحماية.

٥- فشل منظمات مكافحة الإرهاب

كانت الجهات الأمنية بما فيها الوطنية والاستخباراتية المسؤولة عن إحباط أنشطة الإرهابيين أو مراقبتهم. في كل من كولومبيا وبريطانيا وإسرائيل، تفشل في بعض الأحيان في الكشف عن خلاياهم أو إحباط عملياتهم... ومع كل حالة فشل، كانت تلك الجهات تحاول مرة أخرى التحسين من أساليبها أو تحديث إستراتيجياتها لتعويض الفشل. وعلى الجانب الآخر، فإن المنظمات الإرهابية بدورها، كانت تسعى جاهدة للعثور على ثغرات في النظام الأمنى، تمكنها من تنفيذ مخططاتها الإجرامية.

٦ - توافر الأسلحة والمتفجرات، ومواد أخرى

في السنوات الأخيرة تم اتهام فتح، بأنها تقوم بتصنيع قنابلها بنفسها، في حين يتم سرقة وتهريب أسلحة أخرى من إسرائيل أو مصر. وطبقا (للافي ٢٠٠٧)، فقد حصلت فتح على «صواريخ قذائفية ومدافع الهاون، إلى جانب أسلحة رشاشة». ومن المعروف

حاليا، أن حماس تقوم بتصنيع صواريخ الكاتيوشا لقصف إسرائيل. على أنه غير معروف على وجه اليقين، إذا كانت حماس تنقل هذه التقنيات إلى فتح وفصائلها المختلفة. والثابت أن كتائب القسام تقوم بالقصف الصاروخي من غزة إلى أماكن مثل سیداروت. وغالبا تستهدف إسرائيل.

وهناك مصادر موثوق فيها تؤكد التعاون الجارى بين FARC و PIRA وذلك في مجال تبادل الخبرة في تصنيع القنابل (روان، ٢٠٠٢) وفيما عدا ذلك، فقد شاع أن هناك عصابات تعمل في بلاد أمريكا الوسطى، وتساعد في عمليات تهريب الأسلحة إلى FARC.

أما PIRA فمن الثابت حصولها على الأسلحة من عدة مصادر. بعضها متعاطف مع قضيتها. والبعض الآخر من عصابات تجارة السلاح المتعطشة لتحقيق الأرباح في الولايات المتحدة أو في القارة الأوروبية. إلى جانب حكومة معمر القذافي في ليبيا.

٧- عامل التطلعات

قد يبدو العامل الجغرافي معقدا بعض الشيء أحيانا، كما في حالة الشعب الفلسطيني الذي يريد تأسيس وطن مستقل ودولة ذات سيادة يحكمها الفلسطينيون، بينما تقع دولة إسرائيل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحتل الشعب الفلسطيني منذ تقسيم المنطقة. أما FARC فتريد ثورة شيوعية شاملة في كولومبيا. ومنظمة PIRA بدورها، تريد أن يغادر الجيش والحكومة البريطانيان، أيرلندا الشمالية. حتى يتسنى للأيرلنديين القوميين تأسيس دولتهم المتفصلة. والحركة الجمهورية (حزب سين فين PIRA) تريد وضع حد للوجود البريطاني على أراضيها. ولكن من خلال العمل السياسى الذى يحقق وحدة أيرلندا وليس من خلال الانفصال. ولا شك أنه على مر تاريخها، تمكنت هذه المنظمات من الحصول على بعض المكاسب من الدول التى تعمل على أراضيها، وإن كان بدرجات متفاوتة. كما يمكن أن تكون قد نالت مساعدات من دول أخرى لمساندتها. ورغم ذلك فإن ما تشعر به من ظلم وقهر كان دافعا مؤججا لاستمرار كفاحها وتعزيز بقائها عبر فترات طويلة من التاريخ.

الخلاصة:

من خلال استعراض تاريخ هذه المنظمات الإرهابية الثلاث والدوافع المختلفة لنشأتها لاحظنا تشابهات واختلافات فيما يخص أسباب النشأة. كما وجدنا أيضا، وإن كان بدرجات متفاوتة، عناصر مشتركة من العوامل العشرة التي ذكرناها سابقا في كل من هذه المنظمات الثلاث.

ففى حالة فتح، يبدو أن استمرار التظلم الذى تزامن مع استمرار الاضطرابات السياسية بين إسرائيل والأطراف العربية المتجاورة، بالإضافة إلى دائرة العنف المستمرة على الأراضي المحتلة بين الجانبين، خاصة في فترة الثلاثين عاما الأولى من نشأتها، قد ساعد على بقاء هذه المنظمة واستمرارها، بالإضافة إلى استمرار مساندة جمهور من النخبين لها باختلاف مشاربهم. أما في حالة FARC فقد أدى استمرار الأزمة فضلا عن سهولة الحصول على الأسلحة والمتفجرات نتيجة لمساندة عدة جهات لها، إلى تمكنها من مواصلة مشوار كفاحها على الرغم من محاولات الحكومة الكولومبية المتعددة للإطاحة بها. والشىء نفسه يمكن أن يقال على منظمة PIRA الأيرلندية، حيث إن سهولة الحصول على السلاح والمساندة التي حظت بها، قد لعبت دورها في استمرارها، رغم المقاومة البريطانية لها والانقسامات الداخلية التي كادت تعصف بها.

واختصارا، ما نريد أن نؤكد هنا من خلال هذا التحليل، أن العامل الأساسى والمشارك بين هذه المنظمات الثلاث، هو استمرار شعورها بالظلم والقهر. وهو حقيقة الأمر، يعتبر، أقوى الدوافع التي تعمل على استمرارها ومواصلة كفاحها على الإطلاق. والتظلم قد يكون، من جراء اضطهاد عرقى أو دينى أو ثقافى من بين أسباب أخرى. وكذلك طول فترة الظلم واستمراره دونما أمل في الوصول إلى حلول في المستقبل القريب يصعد من حالة العنف كوسيلة للمقاومة. قد شكل إذا هذا العامل، مصدرا قويا لاستمرار نضال تلك المنظمات رغم تبدل القيادة، والأجيال والأنظمة في البلاد التي تعمل بها. ومن المتوقع أن تستمر هذه المنظمات في كفاحها المسلح، وربما تفاقم

من عنفها. وما دام الظلم وأسبابه باقيين دونما تغيير ملموس. فسوف تواصل أجيال جديدة الكفاح، وسوف يكون هناك ضحايا وخسائر في الأرواح من الجانبين بالإضافة إلى تدمير الممتلكات، وغيرها من الخسائر المادية الجسيمة.

- Adams, J. (1986). *The financing of terrorism*. New York: Simon & Schuster.
- Bell, J. B. (1997). *The secret army: The IRA* (3rd rev. ed.). New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.
- Bruce, S. (1993). Fundamentalism, ethnicity, and enclave. In M. E. Marty, & R. S. Appleby (Eds), *Fundamentalisms and the state* (pp. 50–67). Chicago: University of Chicago Press.
- Bruce, S. (1995). Paramilitaries, peace, and politics: Ulster loyalists and the 1994 truce. *Studies in Conflict & Terrorism*, 18, 187–202.
- Chaliand, G. (1983). *Guerilla strategies: A historical anthology from the Long March to Afghanistan*. Berkeley: University of California Press.
- Chomsky, N. (1983). *The fateful triangle: The United States, Israel, and the Palestinians*. Boston: South End Press.
- Crenshaw, M. (1981). The causes of terrorism. *Comparative Politics*, 13, 379–99.
- Dingley, J. (1999). Peace processes and Northern Ireland: Squaring circles. *Terrorism and Political Violence*, 11, 32–52.
- Dobson, C. (1974). *Black September*. New York: Macmillan.
- Ehrenfeld, R. (1992). *Narco-terrorism*. New York: Basic Books.
- Frankel, G. (2005, July 29). IRA says it will abandon violence. *The Washington Post*, p. A1, A18. Retrieved May 18, 2009, from www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2005/07/28/AR2005072800427.html
- Gross, F. (1972). *Violence in politics: Terror and political assassination in Eastern Europe and Russia*. The Hague: Mouton.
- Hamilton, L. C. (1978). *Ecology of terrorism: A historical and statistical study*. Unpublished doctoral dissertation, University of Colorado.
- Hart, A. (1984). *Arafat: Terrorist or peacemaker?* London: Sidgwick & Jackson.
- Hocking, J. J. (1988). Counter–terrorism as counterinsurgency: The British experience. *Social Justice*, 15, 83–97.
- Holmes, J. S., Gutierrez de Pineres, S. A., & Curtin, K. M. (2007). A subnational study of insurgency: FARC violence in the 1990s. *Studies in Conflict & Terrorism*, 30, 249–265.
- Huntington, S. P. (1968). *Political order in changing societies*. New Haven, CT: Yale University Press.
- Iyad, A. with E. Rouleau (1981). *My home, my land*. New York: Times Books.
- Johnson, C. (1982). *Revolutionary change*. Stanford, CA: Stanford University Press.

- Laqueur, W. (2003). *No end to war: Terrorism in the twenty-first century*. New York: Continuum.
- Lavie, M. (2007, June 8). Fatah seeks weapons deal with Israel. *The Independent*. Retrieved February 28, 2008 from www.independent.co.uk/news/world/middle-east/fatah-seeks-weapons-deal-with-israel-452250.html
- Lijphart, A. (1971). Comparative politics and the comparative model. *American Political Science Review*, 65, 682–93.
- Lijphart, A. (1975). The comparable-cases strategy in comparative research. *Comparative Political Studies*, 8, 158–75.
- Livingstone, N. C., & Halevy D. (1990). *Inside the PLO*. New York: Quill/William Morrow.
- Long, D. E. (1990). *The anatomy of terrorism*. New York: Free Press.
- Marighela, C. (1971). *Handbook (mini-manual) of urban guerrilla warfare*. In C. Marighela (Ed.), *For the liberation of Brazil*. London: Penguin.
- Mickolus, E. (1981). *Combating international terrorism: A quantitative analysis*. Unpublished doctoral dissertation, Yale University.
- Mishal, S. (1986). *The PLO under Arafat*. New Haven, CT: Yale University Press.
- Mishal, S., & Sela, A. (2002). *The Palestinian Hamas: Vision, violence and coexistence*. New York: Colombia University Press.
- Morris, B. (2001). *Righteous victims: A history of the Arab-Zionist conflict, 1881–2001*. New York: Vintage.
- Muse, T. (2008, March 1). Senior Colombian rebel commander killed. *Associated Press*. Retrieved May 18, 2009, from www.usatoday.com/news/world/2008-03-01-colombia_N.htm
- Newman, D. (2003). The consequence or the cause? Impact on the Israeli-Palestine peace process. In M. Buckley, & R. Fawn (Eds), *Global responses to terrorism: 9/11, Afghanistan and beyond* (pp. 153–164). New York: Routledge.
- Newman, E. (2006). Exploring the ‘root causes’ of terrorism. *Studies in Conflict & Terrorism*, 29, 749–772.
- Ross, J. I. (1993). The structural causes of oppositional political terrorism: Towards a causal model. *Journal of Peace Research*, 30, 317–329.
- Ross, J. I. (1995a). The rise and fall of Québécois separatist terrorism: A qualitative application of factors from two models. *Studies in Conflict & Terrorism*, 18, 285–297.
- Ross, J. I. (1995b). The relationship between domestic protest and oppositional political terrorism in connection with the Gulf conflict. *Journal of Contemporary Criminal Justice*, 11, 35–51.
- Ross, J. I. (1999). Beyond the conceptualization of terrorism: A psychological-structural model of the causes of this activity. In C. Summers, & E. Markusen (Eds), *Collective violence: Harmful behavior in groups and governments* (pp. 169–194). Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
- Ross, J. I., & Gurr, T. R. (1989). Why terrorism subsides: A comparative study of Canada and the United States. *Comparative Politics*, 21, 406–426.

- Rowan, B. (2002, June 13). Analysis: Colombia and the IRA. *BBC*. Retrieved March 4, 2008, from http://news.bbc.co.uk/1/hi/northern_ireland/2043323.stm
- Schiff, Z., & Ya'ari, E. (1989). *Intifada: The inside story of the Palestinian uprising that changed the Middle East equation*. New York: Touchstone.
- Schmid, A. P. (1983). *Political terrorism: A research guide to concepts, theories, data bases and literature*. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.
- Schmid, A. P., & Jongman, A. J. (1988). *Political terrorism: A new guide to actors, concepts, data bases, theories, and literature* (Rev. ed.). New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

الفصل السادس

دراسة حالة

مجموعة ١٧ نوفمبر: آخر مجموعات أوروبا الثورية الإرهابية

بقلم: جورج كاسيميرس

نبذة: وتنتمي إلى المنظمات الماركسية، وقد أعلنت عن نفسها يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٣. وتعرف باسم N ١٧ وهو آخر يوم من أيام انتفاضة التطبيقين بأثينا عام ١٩٧٣. وقد قتلت ٢٣ شخصا، في ١٠٣ هجمات على دبلوماسي الولايات المتحدة وأثينا، وأوقفت أعمالها في عام ٢٠٠٢، في أعقاب انفجار قنبلة قبل موعدها. مما كشف عن تورط أحد أعضائها. وتظهر المحاكمة التي يستعرضها هذا الفصل بعضا من سمات هذه المنظمة.

اعتزال المنظمة N17

في الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة، من يوم السبت ٢٩ يونيو ٢٠٠٢، توقفت أخيرا عن العمل أكثر الجماعات الأوروبية مراوغة، المجموعة الثورية ١٧ أو مجموعة نوفمبر ١٧. في هذه الساعة من تاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٢، سمع دوى انفجار شديد بالقرب من مكتب تذاكر مراكب النقل، الدرافيل الطائرة بميناء بيربوس. حيث انفجرت قنبلة كان يحملها رجل، وتسببت في إصابته شخصا بإصابات بالغة في الوجه، واليدين والصدر. ويبدو أن القنبلة التي تم إعدادها بواسطة منبه الساعة، قد انفجرت قبل ميعادها. مما أسفر عن انفجار الديناميت، وقد بلغت قوة شحنتها تسعة فولتات. هرع على إثر الانفجار رجال شرطة الميناء إلى مكان الحادث، ونقلوا المصاب إلى مستشفى تسنيو القريب.

وقد كشفت التحقيقات الأولى في الحادث أن الرجل المصاب، وكان يحمل القنبلة، ربما يكون عضواً في جماعة إرهابية صغيرة، مثل الخلايا الثورية أو المقاومة الشعبية، والتي كانت نشيطة نسبياً في ذلك الوقت. ولكن بعد ثلاثة أيام، أعلن رئيس البوليس العثوري على حقيقة بالقرب من موقع الانفجار، حيث وجد أيضاً المصاب وبداخلها (مسدس ٣٨ وقنبلتان يدويتان) وكان من نفس النوع الذي قد سرق من ضابط البوليس المقتول ليلة عيد الميلاد عام ١٩٨٤. مما أثار العديد من الشكوك. تم التعرف على اسم المصاب، (حامل القنبلة) وهو سارفاس كسيروس. وقد تبين فيما بعد أن نفس السلاح كان قد استخدم في قتل صاحب مركب يدعى كوستا بيراتي كوس وأيضاً المدعو كوستا أندرو ليداكس. إلى جانب حوادث أخرى تورطت فيها نفس المجموعة. وقد وضعت هذه الحادثة حداً لنشاط مجموعة الأشباح، كما كان يطلق عليها البوليس. حيث تمكنت من المواجهة والهروب من العقاب مدة ٢٧ عاماً كاملة.

ويعتبر القبض على سارفاس كسيروس بداية النهاية لتلك المجموعة. إذ إنه قد أدلى باعترافات مثيرة، شكلت حجر الزاوية في القضية التي رفعتها الدولة ضد المجموعة فيما بعد. فقد كشف كسيروس، وهو رسام للأيقونات، ويعتبر أيضاً، من قناصى المجموعة الرئيسيين، وهو على فراش المستشفى، عن معلومات خطيرة ومفصلة عن المجموعة للمحقق المسئول عن استجوابه. مما مكن الشرطة من مداجمة أعضاء الجماعة والقبض على عدد كبير منهم.

وقد أسفر ذلك عن تفككها في أقل من شهر^(١). وقد ادعى كسيروس فيما بعد أنه كشف عن هذه المعلومات أثناء تناوله مخدراً، بالإضافة إلى تعرضه للتعذيب، كى تنتزع

(١) قادت المعلومات التي أدلى بها كسيروس إلى الكشف عن ترسانة أسلحة الجماعة، بثلاث شقق في أثينا. وإحدى هذه الشقق - يستأجرها كسيروس نفسه، وقد وجد بها ٦٠ صاروخاً مضاداً للدبابات قد تم سرقها من قاعدة حرية بشمال اليونان عام ١٩٨٩. وآلة كاتبة لكتابة بيانات الجماعة، وعلم المجموعة الذى يحمل خمس نجوم، بالإضافة إلى قنابل يدوية، وشعر مستعار، فضلاً عن بيانات وصور لشى جيفارا، وكارل ماركس وبطل يونانى من المقاومة الشعبية أثناء الحرب العالمية الثانية يدعى أريس فيلويثس. إلى جانب السلاح الذى قتلت به الجماعة آخر ضحاياها، وهو ملحق الدفاع البريطانى فى أثينا، ستيفن سوندرز. وقد تم قتله فى يونيو ٢٠٠٠ بينما كان يقود سيارته إلى مقر عمله.

منه تلك المعلومات. وفي ديسمبر ٢٠٠٣، وبعد محاكمة مراثونية دامت تسعة أشهر، وتعتبر أطول المحاكمات في تاريخ اليونان الحديث، أصدرت محكمة كوريدالوس والمتكونة من هيئة تضم ثلاثة قضاة حكمها في القضية. حيث أدانت ١٥ عضوا من المجموعة، بينما تم تبرئة ساحة أربعة متهمين آخرين لعدم كفاية الأدلة. عقدت المحاكمة في صالة خصصت لهذا الغرض بأكبر سجن بأثينا وأكثر السجون حراسة. وقد صدقت المحكمة على توصيات المدعى العام بالحكم بفترة ٢١ عاما و ٢٥ عاما من السجن على زعيم الجماعة وعقلها المدبر، ألكسندروس جيوتوبولوس. وبثلاثة عشر عاما و ٢٥ عاما من السجن على مدير إدارة عملياتها ديمتري كوفودينا. وبالسجن لمدة ٢٥ عاما أيضا على كسيروس. بينما حكم على أخيه بـ (١٠ أعوام). و (٤ أعوام) لفاسيلي تسورتاساتسوس. بينما حصل كوستارس على (٤ أعوام). وقد حصل خمسة أعضاء آخرون من الجماعة على أشد الأحكام أي ٢٥ عاما. وكان تيليوس الذي سلم نفسه، هو المتهم الوحيد الذي حصل على حكم مع وقف التنفيذ، نتيجة إصابته بمرض نفسى. وقد ترك حرا، على أن تستأنف محاكمته بعد النقض.

وقد طلب منه أن يتصل بصفة شهرية بقسم البوليس التابع لمنطقة سكنه. ومنع من مغادرة البلد. ولم يحصل سوى أربعة من المتهمين على أحكام مخففة، هم: توماس (١٧ سنة) وديونيسي (٩ سنوات) ونيكوس وبافلس (٨ سنوات).

من هم هؤلاء الإرهابيون، في حقيقة الأمر؟

لاشك أن حجم المنظمة يلعب دورا مهماً، في القدرة على اختراقها ومعرفة خباياها. ففي حالة مجموعة N17، وتعتبر بالمقارنة بمنظمة مثل الألوية الحمراء الإيطالية مثلا، مجموعة متناهية الصغر. صفوفها وهيكلها واضحان لا يحتاجان لأي بحث أو تنقيب؛ لذا فإن الكشف عن خبايا المنظمة وأسباب وجودها واستمرارها وماهى أعضائها، أسئلة يمكن الإجابة عليها من خلال استجواب ثلاثة أو أربعة من أعضائها، على الأكثر. ورغم ذلك، فإن ظروف نشأة هذه الجماعة لا تزال غامضة حقيقة الأمر. وذلك

رغم الاستماع إلى ما يقرب من ٥٠٨ شهادات، واستمرار المحاكمة لأكثر من ٩٠٠ ساعة^(١). والسؤال الآن ما الذي حافظ على بقاء تلك المجموعة واستمرارها وقتاً طويلاً من الزمن؟ ومن أين جاء أعضاؤها؟ ومن هم حقيقة الأمر؟ وهذه الأسئلة، في الواقع، شديدة التداخل فيما بينها. إن دراسة المنظمات الأوروبية الأيديولوجية في العصر الحديث، تكشف أن مثل هذه المنظمات تعتمد في بقائها وتماسكها على روابط عاطفية وتضامنية، بالإضافة إلى إيمان قوى وراسخ بأيديولوجية المجموعة، يكاد يماثل الإيمان بالمعتقد الديني. (انظر على سبيل المثال: فرانسيسيني ١٩٨٨ وجميسون، ١٩٩٠). وفي حالة مجموعة N17، فقد كان ثلاثة من أعضائها إخوانا، واثنان أولاد عم، وكان عضو منهم أبا روحيا لأعضاء آخرين من الجماعة. أى أن روابط الدم (وهي مهمة جدا في المجتمع اليوناني) عززت الثقة والتضامن بين أعضاء هذه المجموعة. مما يفسر استمرارها وصعوبة اختراقها نتيجة لقوة مقاومتها. ولكن من ناحية أخرى، فإن صغر حجم المجموعة، وقوة ارتباط أعضائها بعضهم ببعض، عجل من ناحية أخرى من نهايتها. فما إن اهتز الهيكل بسبب بعض اعترافات لأعضائها، حتى انهارت المجموعة بأثرها، «كبيت من الورق». (دنيس بلاشينسكى)^(٢).

وقد كتب بلاشينسكى ما يلي، متنبأ في بداية التسعينيات :

إن نقطة ضعف مجموعة N17 يكمن في غياب أى قاعدة قوية تتكى عليها أو مساندة من شخصية معروفة. تشد من أزرها. فهي على عكس منظمات مثل RAF، DEV SOL، لم تستطع أن تلم شملها بعد أن بدأ البوليس سلسلة القبض على أعضائها. بل وبدأ الأمر وكأن البوليس قد هزمها «بالضربة القاضية». وهي في ذلك تشبه مجموعات AD وCCC. إن مجموعة 71N غالبا لا تتألف من أكثر من خلية واحدة وتعتمد على نفسها فقط. وقد تبرهن على سرعة اهتزاز ثقتها

(١) انظر N17: القضية لم تعط إجابات كافية في كامبيريلى ٣٠ ديسمبر.
(٢) «كما قال لي بلاشينسكى: «لم أر قط جماعة إرهابية تنهار بمثل هذه السهولة».

بنفسها، فسرعان ما تتفكك مع بدء مدامه البوليس لها والقبض على عضو أو اثنين من أعضاء الجماعة (ألكسندرو بلاشينسكى، ١٩٩٢).

وقد تحققت نبوءته بالفعل، إذ إن هذا ما حدث على وجه التحديد، يوم ٢٩ يونيو ٢٠٠٢. حينما خذلت القنبلة التي كان يحملها كسيروس في بيريس آمال الجماعة في الاستمرار.

ألكسندروس جيوتوبولوس

«لم تكن حقيقة الأمر محاكمة عادلة، بل أشك أنه يمكن اعتبارها محاكمة من الأساس. ربما كانت أقرب إلى المسرحية. والجزء الخاص بمحاكمتي قد فرضه الأمريكيون على المحكمة».

أصدر المدعى العام حكماً ضد ألكسندروس جيوتوبولوس بالسجن لمدة تصل إلى ٢٤١٢ سنة. وكانت التهمة المنسوبة إليه أنه «زعيم الجماعة وعقلها المدبر». وقد وصفه المدعى العام «بأنه أساس الشر كله، سواء قبل أو بعد القبض عليه». وقد تمسك فريق دفاعه بعدم كفاية الأدلة المادية ضده. وأن اتهمه قد بنى على شهادة المتهمين الآخرين، أعضاء مجموعة N17 عما يعتبر انتهاكا للقانون الجنائي باليونان، الذي لا يعتبر شهادة المتهمين كافية لإدانة المتهم^(١).

وقد درس جيوتوبولوس بباريس، وهو ابن باحث معروف من تروتسكايت، وناشط في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية. وقد تزامنت دراسته في باريس مع حكم زمرة مسيطرة من الجيش. وساعد عام ١٩٦٩ في تأسيس المجموعة الراديكالية «مايو ٢٩» والتي كانت تنادى بثورة مسلحة ضد النظام العسكري باليونان. وطبقاً لأندرى ستايكوس وهو صديق لجيوتوبولوس وزميل داخل المجموعة نفسها، فإن مجموعة ٢٩ مايو كانت متأثرة بشكل واضح بمجموعة ٢٢ مارس ومؤسستها كون

(١) في قضية الدفاع، انظر: الإضافة الخاصة - وقت الحكم المحاكمة الكبرى لمجموعة N17.

بنيديت وتتألف من ستة أعضاء.. وقد تكونت في الأساس بهدف التآمر للإطاحة بالديكتاتورية باليونان^(١). وفي عام ١٩٧١ أُلقت السلطات اليونانية القبض على جيوتوبولوس وزميله ستايكو، بتهمة تأسيس جماعة مسلحة. وصدر حكم غيابي بحبسهما مدة خمسة أعوام. وبقي جيوتوبولوس في باريس. وأنشأ مجموعة جديدة أسماها الكفاح الشعبي المسلح (LEA) والتي انقسم أعضاؤها منذ البداية حول طريقة إدارتها وتوجيهها^(٢). وقد كان جيوتوبولوس من أنصار الكفاح المسلح وحرب العصابات، لذا انشق مع بعض الأعضاء وكونا مجموعة صغيرة. وقد وصفه صديقه ستايكو، «بأنه كان يتميز بعقل مرتب وبالحجة المقنعة وقدرة خطابية عالية. كما أن معلوماته عن النظرية الثورية الماركسية كانت ممتازة. وقد اعتمد عليها كمصدر للرزق»^(٣).

وبعد عودته إلى أثينا عقب سقوط حكم جنرالات الجيش، عام ١٩٧٥، وطبقا لمصادر البوليس اليوناني^(٤)، اتصل جيوتوبولوس بمجموعة معروفة تنتمي إلى عصابات المدن، وهي مجموعة الكفاح الثوري الشعبي. وقد حاول إقناعها بالمشاركة في تنفيذ خطة اختطاف رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا ريتشارد ويلش. إلا أن مساعيه لإقناع أعضاء المجموعة قد باءت بالفشل.

وقد وجد ويلش فيما بعد مقتولا بطلقات نارية خارج منزله يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٧٥، على يد مجموعة N17. وقد أنكر جيوتوبولوس تورطه في هذا الحادث أثناء محاكمته. رغم تأكيد البوليس عثوره على بصمات لأصابعه في معقلين لمجموعة N17 بأثينا.

وقد أكد جيتوبولوس من ناحية أخرى، وهو بصدد إنكار ٩٦٣ تهمة موجهة إليه، «أن الأمريكيين والبريطانيين وعملاءهم بأثينا، هم السبب الأساسي لوقوفه

(١) مقابلة أندرياس ستايكوس مع أخبار أثينا، ٢ أغسطس ٢٠٠٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) مقابلة الكاتب مع مسئول من مكافحة الإرهاب، بأثينا، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢.

خلف القضبان، وأن زعم انتماؤه إلى جماعة ١٧ نوفمبر، يعد من قبيل التلقيق المحبوك، ليس أكثر»^(١). كما أكد «ضلع المدعى العام اليوناني ورئيس قسم البوليس المسئول في هذه المؤامرة. كما أضاف أن شهادة كسيروس ضده تعتبر باطلة، إذ إنها ليست أكثر من اعترافات نزيل وحدة الرعاية المركزة وتمت تحت تأثير أدوية مخدرة، ويحتمل أنه قد تعرض أيضا للتهديد»^(٢)

كما استمر أيضا في إنكار أن يكون ما وجده البوليس في أحد معاقل المجموعة من تصحيحات لمسودة بيان خاص بالمجموعة هو بالفعل خط يده . وكذلك أنكر ما أكدته المدعى العام من وجود بصمة لإبهام يده اليسرى على هاتف المحمول. وقد تم نقل هذه الأشياء إلى حيازة البوليس.

وبذل جيوتوبولوس جهدا كبيرا، في إقناع الجميع أن مجموعة N17 مجموعة تعمل بلا قائد، وأنها ذات أهداف سياسية. مما يقتضى ضرورة استخدام الأسلحة في الحياة اليومية. ومن وجهة نظره فإن المجموعة ليست إرهابية. «وإنها تمثل نوعا من الكفاح السياسى المسلح بهدف الإطاحة بالنظام الرأسمالى السائد، والعمل على استتباب حكم اشتراكي غير بيروقراطي، تنتقل من خلاله السلطة إلى الشعب»^(٣). كما كان أيضا على قناعة أن اللجوء إلى العنف المسلح، يعتبر مبررا في حالة مواجهة بعض الظروف الاجتماعية والسياسية. بل كان يرى في المعارضة المسلحة الطريق الوحيد الفعال لممارسة نوع من الضغط السياسى ضد الهيمنة الأمريكية وضد نظام لا يستجيب لمطالب الشعب. وطبقا لتحليل جيوتوبولوس :

فإن ما دفع الشباب إلى حمل السلاح ضد ممثلى المؤسسات المسئولة، واستهداف بعض الرموز. والالتحام في صراع عنيف مع الأنظمة القمعية، يرجع لعدة

(١) غرف سجن محكمة كوريدالوس، ٦ مارس ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المقابلة التى سبقت محاكمة جيوتوبولوس مع جريدة اليونان المركزية في ٥ أكتوبر ٢٠٠٢

أسباب أهمها: استمرار اعتماد النظام الحاكم على الهيمنة الأمريكية، وسيادة نظام اقتصادى غير عادل، بالإضافة إلى غياب كامل لدور دولة الرفاهية، فضلاً عن انخفاض أجور العمال واختفاء الدخل من الزراعة^(١).

إن تحليل جيوتوبولوس الذى يربط بين الهيمنة الأمريكية واستمرار المشاكل المحلية باليونان، يذكر بيان مجموعة N17، والذى يطلق عليه بيان ولش، حيث أكد فيه كتاب المجموعة، العلاقة بين الوجود الأمريكى على التراب الوطنى واستمرار حالة ضعف النمو فى اليونان^(٢).

كما هاجم جيوتوبولوس «اليسار الرسمى» كما أطلق عليه، لفشله فى إيجاد حل لبعض المشاكل الاجتماعية، النابعة من الصراع الأساسى بين الطبقة المسيطرة والطبقة الفقيرة التى يتم استغلالها فى اليونان. كما اتهمه بالإفلاس وعدم المصادقية وأضاف: إنه لا يزال غير قادر على التعبير عن آمال مئات الآلاف من الشعب المكافح... لذا فلم يكن من الغريب أن تجد تنظيمات مثل مجموعة N ١٧، الطريق ممهدا والظروف مواتية للنمو، معتمدة فى الأساس على غياب بديل يسارى يحظى بمصادقية الشعب^(٣).

وقد استخدم جيوتوبولوس أسلوباً متعالياً فى الحديث، وشن وابللاً من الإهانات على عدة شخصيات عامة، منها المدعى العام كريستوس لامبرو، الذى وصف بدوره جيوتوبولوس «بالنفاق والتزيف، لإنكاره الحقائق، وأكد أنه وراء كل الحوادث» كما أكد المتهم باتروكلوس تسيلنتيس، فى شهادته «أنه زعيم المجموعة، وعقلها المفكر، بل هو الذى قام بالإعلان عن نشأتها»^(٤) ومن ناحيته، نعت جيوتوبولوس باتروكلوس،

(١) نفس المصدر.

(٢) نص بيان ويلش. أن «الولايات المتحدة، هى المستعمر والعدو الأول للشعب» ديسمبر ١٩٧٥. كما حملها مسؤولية «عقود من الإهانة والكوارث والجرائم» التى ارتكبت بحق الشعب اليونانى.

(٣) مقابلة جيوتوبولوس مع لامياكوس تيبوس.

(٤) انظر المحاكمة وشهادة باتروكلوس تسيلنتيس.

«بالتفاهة وأنه مثير للرثاء» لاختياره التعاون مع السلطات والإدلاء بالأكاذيب الباطلة، للحصول على المكافأة السخية التي وعدته إياها السلطات طبقا لقانون مكافحة الإرهاب^(١).

وجدير بالذكر، أن شهادة جيوتوبولوس لم تكشف النقاب عن عدة نقاط مهمة، مثل بداية نشأة المجموعة، أو الدوافع والأهداف، أو مفهوم القوة السياسية من وجهة نظرها. وذلك رغم ما تميز به حديثه في المرات القليلة التي تحدث فيها، بجرأة لم يتفوق فيها عليه سوى ديمتريس كوفوديناس. وحينما سأله رئيس القضاة إذا كان بإمكانه، أن يجد الشجاعة الكافية للاعتراف بالتهمة الموجهة إليه وتحمل المسؤولية مثل زميله المتهم كوفوديناس، جاء رده مرة أخرى عاكسا لشخصيته المتعالية العنيدة والمتصلبة، إذ قال «هذا بالطبع ما كنت سأفعله إذا كنت بالفعل زعيما للمجموعة»^(٢).

ولاشك أن موقف جيوتوبولوس، كان مثيرا للدهشة والسخرية معا، إذ تمسك بموقفه المتعالى حتى نهاية المحاكمة، مؤكدا أنه ضحية مؤامرة أنجلو أمريكية، بسبب أنشطته المعارضة للديكتاتورية بأثينا من ١٩٦٧-١٩٧٤، كما وصف المحاكمة «بأنها غير عادلة، بل مثيرة للسخرية».

كما أضاف بأسلوب متشدد ورنان، أن «أثينا اليوم، ليست سوى مستعمرة حديثة للولايات المتحدة الأمريكية». وكان الانطباع السائد طوال المحاكمة، أنه يريد إضفاء جو من الغموض والتحدى على أقواله، وكان هذا كافيا لتنفيذ الاتهامات الموجهة إليه. وقد تمسك جيوتوبولوس حتى النهاية بأسلوب متصلب، غير مرن، كما تمسك بأيديولوجيته. وتميزت «لغة خطابه» بمحاولة الترويج لأفكار جماعته وإثبات وجودها على الساحة السياسية، وبإضفاء شرعية كاذبة عليها، وكأنها تمثل المجتمع اليوناني بآثره.

(١) نفس المصدر.

(٢) غرف سجن محكمة كوريدالوس، ١٦ مارس ٢٠٠٣.

ديمتريس كوفوديناس

«إن سلاحنا الأساسي هو الحقيقة. والحقيقة محفزة للثورة»

إن تاريخ مجموعة N17 قد انتهى حقيقة الأمر، يوم سلم رئيس عملياتها نفسه للبوليس. في الخامس من سبتمبر ٢٠٠٢. وذلك بعد هروبه لمدة شهرين. كان كوفوديناس قد قرر الهرب في أعقاب الانفجار الذي وقع في ميناء بيربوس. وفي الخامس من سبتمبر، خرج من سيارة أجرة في الثانية وخمس وثلاثين دقيقة، يرتدى الجينز وفنلة سوداء ويضع غطاء على رأسه. ثم توجه إلى قسم البوليس، واعترف بأنه «ديمتريس كوفوديناس، وأنه يسلم نفسه» وذلك أمام دهشة الضابط المسئول، الذي صحبه بعد ذلك إلى الطابق ١٢، حيث فرقة مكافحة الإرهاب. وقد أبلغ كسيروس الشرطة فيما بعد أنه قد نصح كوفوديناس بالهروب بعد الحادث.

وقد لجأ كوفوديناس للهروب أولاً إلى أحد معاقل الجماعة بنجراتى، وهناك قام بالتخلص من الأدلة التي كانت ضده قبل أن يواصل الهروب^(١). حيث كانت لديه أكثر من ٢٤ ساعة، قبل أن يكتشف البوليس صلة كسيروس بالمجموعة. وفي تصريح، تمت قراءته أمام محامى الدفاع، أعلن كوفوديناس أنه قام بتسليم نفسه بإرادته، وطبقاً له:

كسى أتحمّل وحدى المسئوليات السياسية عن المجموعة N17. كما أرفض التهم الموجهة إلى، بالصورة التي وردت بها في نص الاتهام. لقد كان إيماني بالمقاومة الثورية، كطريق لبناء المجتمع الاشتراكي، هو الذى حدد مسلكى في الحياة. وأريد أن أعبر عن تضامنى مع كل المحتجزين، سواء أكان حبسهم عادلاً أم غير عادل. وذلك لأننى أعتبر الكرامة هى أعز ما يملك المقاتل على الإطلاق، بل هى وسام شرف يتحلى به^(٢).

(١) مقابلة الكاتب مع ضابط مكافحة الإرهاب، بأثينا في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢

(٢) رد فعل الإعلام في اليونان لتسليم كوفوديناس غير المتوقع لنفسه. انظر: كاثيميرينى وتانيه، ٦ سبتمبر ٢٠٠٢. كيريكاتيكي وتوفينا ٨ سبتمبر ٢٠٠٢. انظر أيضاً «ديكا أباتيسيس جيا تو جريفو كوفودينا» (عشر إجابات على لغز كوفودينا) ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ «أكثر المطلوبين في اليونان يسلم نفسه» (الجاردان ٦ سبتمبر ٢٠٠٢).

ولد ديميتريس كوفوديناس عام ١٩٥٨ ببلدة تربنى، وهى على بعد ٤٥ كم من مدينة سيرس بشمال اليونان. وبلدة تربنى، تعتبر صورة نمطية لبلدة بشمال اليونان. وتفخر بمحافظتها على التقاليد اليونانية القديمة وبأخلاق سكانها الدثة. وحينما بلغ الثالثة عشرة، انتقلت عائلته للعيش بأثينا العاصمة. وكانت أثينا في ذلك الوقت، تعاني من الاضطرابات بسبب الحكم الديكتاتورى للجنرالات. وقد تأثرت نشأة كوفوديناس السياسية بانتقال الحكم فى اليونان من الديكتاتورية إلى الديمقراطية عام ١٩٧٤.

ولابد من الإشارة إلى أن التحول من حكم الجنرالات الديكتاتورى إلى المرحلة الديمقراطية، لم يحدث دفعة واحدة، وإنما حدث على مراحل تخللتها مفاوضات وتنازلات عديدة جرت بين النخبة السياسية والجيش. وكان لهذا التحول، الذى كانت المجموعة تشير إليه تحت مسمى «ميتابوليتفسى، أو الزمرة المسيطرة»، كما كان يحلو للبعض الآخر تسميته، أثره الكبير فى التكوين السياسى لكوفوديناس. وكانت المدرسة الثانوية هى بداية اشتراكه فى أنشطة سياسية. ويشهد على ذلك انضمامه كعضو فى مجموعة PASOK الاشتراكية وحركة PAMK للشباب. وقد التحق بجامعة أثينا عام ١٩٧٧ لدراسة الاقتصاد. وشهدت هذه الفترة تكثيف أنشطته السياسية. وقد أظهرت شهادة زميل دراسته الثانوية نيكوس جيانوبولوس إعجاب أصدقائه بنضجه السياسى وعمق ثقافته وفكره السياسى. وقال نيكوس عنه: «إنه لو كان قد استمر فى نشاطاته السياسية، لكان قد ضمن لنفسه مكانة مرموقة على الساحة السياسية أو فى الحكومة اليونانية»^(١). وقد قال عنه صديق آخر من أيام الدراسة: «إنه كان شخصية هادئة، وخطيباً يملك شجاعة كبيرة وأيديولوجية واضحة»^(٢). كما كان محبوباً أيضاً بين أهله وأقاربه الذين وصفوه بأنه «كان شخصاً حساساً وحريصاً على شعور الآخرين»^(٣). وقد قطع كوفوديناس، علاقاته بالعائلة، عام ١٩٨٣، أى ما يقرب من عام قبل محاولة الاغتيال التى تعرض لها الرقيب الأمريكى روبرت جرد، والتى تعتبر

(١) نيكوس جيانوبولوس فى شهادته بالمحكمة، سجن كوريدالوس، ٢٥ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) مجلة ميترو، شهادة نيكوز فافيديس بالمحكمة، سجن كوريدالوس، ٢٦ يوليو ٢٠٠٣.

(٣) ذكرت فى إلفيتروتيبيا، ٩ سبتمبر ٢٠٠٢.

بداية كوفوديناس الحقيقية في إدارة عمليات المجموعة N17.. وفقا لما وجه إليه من تهم^(١).

ولا تنطبق على كوفوديناس الصورة النمطية للإرهابي المتطرف^(٢). فلم يحدث طوال محاكمته التي استمرت تسعة أشهر، أن احتد في حديثه أو رفع نبرة صوته عن الوتيرة الطبيعية للحديث. بل كان مسيطرا سيطرة كاملة على مجمل حديثه وحركاته. ورغم أن كبير القضاة، مارجاريتس، قد طلب منه عدة مرات «أن يكون أكثر وضوحا في إجاباته عن الأسئلة الموجهة إليه، لكشف النقاب عن معلومات تهم المحكمة والمجتمع اليوناني بأثره»^(٣)، فإنه كان حريصا طوال المحاكمة على عدم الكشف عما قد يؤدي أعضاء المجموعة أو يتسبب في أن توجه إليهم التهم. كما حرص على عدم البوح بالعمليات الداخلية للمجموعة^(٤).

وطبقا لشهادة كوفوديناس:

أؤكد لكم جميعا، أنني لن أفعل ما تريدون. ويجب أن تعلموا أنني لا أشارككم نفس المنطق. فأخلاقيات المجموعة التي أنتمى إليها لا تسمح لي بإفشاء أسرارها، أو التعاون معكم. وبناء عليه فلن أصرح بأية معلومات خاصة بما اشتركت فيه من عمليات. كما أنني لن أبوح بأي سر عن زملائي، أعضاء المجموعة. وسوف أتحمل مسئولية هذا القرار حتى النهاية، ومهما كانت تكلفته الشخصية^(٥).

(١) وقد هاجم جد في إشارة مرور رجلين يقودان دراجة بخارية، بينما كان يقود سيارة بها شحنة من البريد الدبلوماسي إلى قاعدة جوية أمريكية بمطار هيلينيكون بأثينا. وقد أوقف الرجلان دراجتهما البخارية بجانب السيارة، ووجه كوفوديناس سلاحه عيار ٤٥، مفرغا خزائنه خمس مرات. أما جد فقد سرع من قيادته، ونجا من محاولة الاغتيال.

(٢) انظر: «الرجل الذي تحمل المسؤولية» كيرياكاتيكي، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣. و«أنقذ شرفهم» في تانيا ٨ ديسمبر ٢٠٠٣.

(٣) محاكمات سجن كوريدالوس ٢٣ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) «يُنيل إلى أنه يعرف كثيرا من المعلومات التي قد تؤذي معظم المتهمين في القضية» معلق سياسي يوناني كان يقوم بتغطية صحفية لمحاكمة أعضاء جماعة N17

(٥) محاكمات سجن كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

وقد تحمل كوفوديناس، أمام المحكمة مسئوليته عن كل عمليات المجموعة. وكان العديد من أعضاء المجموعة قد وصفوه بأنه كان بمثابة الوصلة الأساسية بين القيادة التاريخية للمجموعة وعملياتها التنفيذية. إلا أنه رفض على مدى المحاكمة، أن يعترف بخطأ المجموعة فيما يخص تحليلها لآمال المجتمع اليونانى. بل إنه أعلن ثقته في أن النصر سوف يكون حتما هو مصير المجموعة في نهاية المطاف. فطبقا له نهاية العمليات، لا تعنى انتهاء المجموعة أيديولوجيا. وأكد مجددا «إنه من وجهة نظر تاريخية، وطبقا لما تشهد به الحركة الثورية باليونان، فإن نهاية المجموعة N17 لم تأت بعد»^(١). واستمر كوفوديناس في إيمانه بأن فكر المجموعة لا يزال يمثل الفكر الماركسى اللينينى في أنقى صورته. كما أصر على رفضه لوصف المجموعة بالإرهاب، أو اتجاه المحكمة إلى وصف أعمالهم بالبربرية، وأنها تخلو من أى مضمون سياسى. وقال في ذلك «إن هذه المحاكمة لا يمكن اعتبارها عادلة للمجموعة N17، لأنها لا تشهد بالحقيقة»^(٢). وفي رأيه، «إن هذه المجموعة، تمثل مجموعة من المقاتلين البسطاء المتمين لهذا الشعب. وأن الحركة نابعة من آمال الشعب وتطلعاته، ولم تعبر إلا عن مصالحه ولم تخدم سوى أهدافه الحقيقية»^(٣).

محاربة الاستعمار والرأسمالية

حينما تطرق الحديث إلى بدايات تسليح المجموعة عام ١٩٧٥، واغتيال رتشارد ويلش، رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا، تكلم كوفوديناس عن دوافع المجموعة وأسباب تحركاتها. (انظر كاسباريس ٢٠٠١ ص ٧٢-٧٥، للاطلاع على تطور المجموعة من الناحية الإستراتيجية والأهداف ونمو العمليات بين ١٩٧٥ و ١٩٨٠).

«في ديسمبر ٧٥، قررت مجموعة من المقاتلين داخل المجموعة، التخلص من رئيس المخابرات الأمريكية بأثينا» وطبقا لكوفوديناس، «فقد كان الهدف واضحا ومبررا. فرئيس المخابرات الأمريكى، كان ولا يزال يمثل اليد الطولى

(١) خطاب إلى جريدة إلفيتوروتيبيا، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢

(٢) محاكمات سجن كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣

(٣) نفس المصدر

للسياسة الأمريكية في بلادنا. فهو يدير ويتحكم وسيطر على مجموعة من الموظفين داخل الحكومة والدولة البيروقراطية والجيش والأحزاب السياسية، والإعلام. كما أنه يوجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلادنا وفقا لأهواء ومصالح الولايات المتحدة. إن الشعب اليوناني يدرك جيدا الدور الذي تلعبه المخابرات الأمريكية في حياتنا. بدءاً من دورها في الحرب الأهلية، ثم، في التلاعب في الانتخابات وإثارة العنف، خاصة انتخابات عام ١٩٦١، وكذلك دورها في اغتيال لامباركس، رئيس البرلمان اليوناني. ودورها مع زمرة الجيش، بالإضافة إلى ملف قبرص. ثم لماذا لم يفتح هذا الملف حتى الآن؟ وأين الديمقراطية والعدالة في هذه القضية؟ ثم من المسؤول عن عدم معاقبة عصابة الجيش على أعمال التعذيب التي مارسوها؟ على من تقع هذه المسؤولية؟ العدالة الموقرة؟ أم الشعب؟ نعلم جيدا أن الشعب اليوناني يدرك جيدا الهدف من اغتيال رئيس المخابرات الأمريكية. ولكنهم لا يعرفون على وجه اليقين من وراء الحادث. ويرجع ذلك إلى حملات التعتيم والتضليل التي تقوم بها الحكومة والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام. إن هذه الحملة انطلقت منذ أعلنت المجموعة عن نفسها ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا»^(١)

وطوال المحاكمة، كان كوفوديناس يحاول أن يخفى وينكر، أن المجموعة كان لديها اتجاهات أو كان بإمكانها تنظيم ثورة جماهيرية. وقال في ذلك «إن المجموعة كانت تتمتع ببساطة الطبقة البروليتارية، ولم تعتبر نفسها قط محورا للثورة، كما أنها لم تزعم أبدا أن أنشطتها وحدها كانت هي الأنسب»^(٢). وهكذا يكون قد نفى، في حالة وجود ثورة فعلية في اليونان، أن يكون للمجموعة يد فيها. بما أنها تفتقر إلى التنظيم الذي يسمح لها بذلك، فليس لديها استعدادات قتالية، كما أنها لا تملك أيضا مقومات حركة شعبية سياسية فعالة.

(١) دعاوى قضائية بغرف سجن محكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

ومع ذلك، فقد وصف كوفودينس المجموعة بأنها مجموعة ثورية يسارية، وهى تؤمن بأن النظام الاجتماعى السائد، لا يمكنه أن يصلح من حالة عدم المساواة السائدة فى المجتمع؛ لأنه ببساطة، السبب فى حدوثها. بل إنه يكرس هذه الحالة، بأساليب متعددة. كما لا يمكنه أن يحل مشكلة البطالة، إذا كان هو الذى يصنعها، وله مصلحة فى ذلك. أما الحروب فليس له أيضا مصلحة فى وضع حد لها، حيث إنه يتغذى على الحروب والصراعات. ثم هو نظام لا يسمح أو يشجع الدول النامية أن تأخذ فرصتها العادلة فى تحقيق التنمية، بما أنه يعمل على استغلال ضعفها وتخلفها لمصلحته الخاصة. وهو نظام لا يهتم بمعالجة الخلل البيئى الذى يتعرض له كوكب الأرض. ثم هو نظام عنصرى، لا يحترم اختلاف الثقافات والأجناس؛ لأنه لا يحترم سوى المال والريح^(١).

وطبقا لذلك يؤكد كوفوديناس «أن نظاما يمثل هذا السوء، لا يمكنه أن يصبح أكثر ديمقراطية، أو أكثر إنسانية، بل لابد من الإطاحة به من خلال ثورة اجتماعية شاملة^(٢)». وأكد فى نفس الوقت «أن العثور على الطريق السياسى الصحيح كان نقطة التركيز الأساسية لليسار خلال القرنين الماضيين ونقطة النزاع الأساسية بين المصلحين والجناح اليسارى الثورى»^(٣).

وكان من الملاحظ تمسك كوفوديناس بالفكر اليسارى، بوصفه مرشداً للعمل السياسى. وقد سيطر ذلك على شهادته أمام المحكمة طوال فترة محاكمته. كما حاول أن يدافع عن العنف الثورى ويبرره كوسيلة لتحقيق الهدف، وهو رفض الراديكالية أو الإصلاح. وقد أعلن سخطه عن «كل من تخلى عن النشاط الثورى بغرض استغلال الفرص والانتهازية أو الجنوح إلى الرأسمالية»^(٤).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وفي تحليل كوفوديناس «فإن الفارق بين من اختاروا طريق الثورة والذين لم يختاروه ليس فارقا نظريا أو مجردا»، حيث إن اختيار طريق الثورة يعنى، اختيار طريق الكفاح من أجل الفقراء والضعفاء والمستغلين»^(١). وفي محاولة لإضفاء بعد تاريخي لنشاط المجموعة وفلسفتها، أكد كوفوديناس:

إن اليسار الذى تنتمى إليه المجموعة، هو يسار لينين ونشى جيفارا وفيلوشيو تيس. وهو يسار ثورة أكتوبر والثورة الإسبانية والصينية والكوبية. ويسار ثورة الجزائر وفيتنام ضد الاستعمار. وهو يسار مايو ٦٨ ونوفمبر ٧٣. وأخيرا يسار حرب العصابات داخل المدن»^(٢).

ومن الموضوعات التى سيطرت على محاكمة كوفوديناس، بشكل واضح طوال فترة تسعة أشهر «كفاح المجموعة ضد الاستعمار الأمريكى». وقد تناول هذا الموضوع بلهجة المحارب، حيث اعتبر نشاط المجموعة ضد الأهداف الأمريكية، نوعا من التحدى للبربرية الأمريكية ومحاولات الاستئساد على التربة اليونانية، بل والمنطقة بأثرها. وطبقا له فإن الاستعمار الأمريكى لم يأت سوى بالفوضى. وهو سبب انتشار المذابح ليس فقط باليونان، وإنما فى كل أنحاء الأرض. ولم يترك أى خيار لشعوب العالم سوى تبنى أسلوب «حرب العصابات»^(٣) غير المتناسبة مع أساليبه المتطورة». ومن وجهة نظره كزعيم للعمليات، فإن ممارسة هذه الحروب قد تسببت فى حدوث نوع من الضغط النفسى، بالإضافة إلى تداعياتها المدمرة. إلا أنه يعتبرها من قبيل المقاومة، التى قد تأتى بثمارها فى المدى القريب. ويستدعى فى هذا السياق، «حرب فيتنام التى حققت انتصارات باهرة على الإمبراطورية المتغترسة، ذات الأسلحة المتطورة الفتاكة»^(٤).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وفي نفس السياق، أكد كوفوديناس، أن المجموعة قد جعلت «محاولة النيل من سمعة المخابرات الأمريكية الأسطورية، وإذلالها، وتحطيم صورتها اللامعة، كما تظهر في أفلام هوليوود، هدفها الأساسى، على طول السبع وعشرين عاما الأخيرة. وأضاف «أن هذا هو تفسير حنقهم المبالغ فيه تجاهنا، ومحاولاتهم المتعددة للتأثر والانتقام من أعضاء المجموعة»^(١). وتعتبر لهجة كوفوديناس المتعالية، التى وصف بها المخابرات الأمريكية، مماثلة لللهجة التى استخدمت من قبل، فى البيان المستفز الذى نشرته المجموعة، عام ١٩٩٩، وجاء فيه «فلتقبضوا علينا، إن استطعتم بالفعل». وكان ذلك بعد أسبوع واحد من نشر المخابرات الأمريكية، خبرًا بالإعلام اليونانى، أعلنت فيه، أنها قد أمدت الحكومة اليونانية بقائمة تتضمن جميع أعضاء المجموعة N17^(٢).

وكان من الواضح أن اليونان بالنسبة لكوفوديناس لم تتغير كثيرا أيديولوجيا، عن أيام الحرب الأهلية فى الستينيات. وطبقا له «لا يجب أن يكون المرء مؤرخا لتاريخ اليونان الحديث حتى يدرك، حالة الخلل التى أصابت المجتمع اليونانى اليوم. والاستنزاف الصارخ للطبقات الكادحة لصالح قلة تكسب الأموال من خلال نظام ضرائبى غير عادل وأنظمة بنكية رأسمالية. مما أدى إلى وصول البلاد إلى حالة التدهور الاقتصادى الذى نشهده اليوم، والذى أصاب التصنيع فى مقتل»^(٣). ولم يعد هناك شك على الإطلاق، أن كوفوديناس يتهم الطبقة السياسية الحاكمة، بأنها وراء نهب البلاد. كما وجه اتهامه إلى «الأحزاب اليسارية التى باعت القضية الأساسية، واستنكر ميلها إلى الطبقة السياسية الحاكمة، وتبديدها لمكاسب العقود السابقة»^(٤).

(١) نفس المصدر.

(٢) «ليس لدينا سوى إجابة واحدة لكل هذه التقارير» طبقا للبيان من ٨ صفحات بالجريدة «فلتقبضوا علينا إن استطعتم» ١٦ مارس ١٩٩٩. وأخبار أثينا ١٧ مارس ١٩٩٩.

(٣) دعاوى قضائية بغرف سجن المحكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) نفس المصدر.

من ماركس إلى فيلوشويتس

إن اللجوء إلى العنف طبقا لكوفوديناس كان الحل المنطقي والمحسوب لمواجهة نظام كان يفترض أن يكون يساري الاتجاه، والتطبيق، إلا أنه، قد أثبت هزيمة وفشلا. وذلك، بعد تخليه عن مبادئه ونكوصه عن الوفاء بوعوده. ولكنه أكد «قيام نظام يساري، مواز. وهو اليسار الذي يقف ضد النظام السائد بكل مفسده. يسار يرفض الخضوع والاستسلام للسلطة الحاكمة. يسار يؤمن بأن الثورة هي طوق النجاة الوحيد للإفلات من أوضاع متدهورة سياسيا واجتماعيا وثقافيا»^(١). وقد استعان كوفوديناس بأقوال كارل ماركس في كتابه «رأس المال والبيان الشيوعي» لتبرير استخدام المجموعة لأساليب العنف محاولا أن يخلع عليها ثوب الشرعية؛ لكونها قد مورست تحت ظروف استثنائية؛ لذا فهي لا تعتبر من قبيل الأعمال الإرهابية..^(٢).

وقد أوضح كوفوديناس أنه قد استخدم في حرب العصابات التي قادها ضد الحكومة، إستراتيجيات التوباماروس، بأمريكا اللاتينية. وهي من مجموعات حروب العصابات المعروفة. جاء ذلك، في سياق تأكيده أهمية استخدام القوة العسكرية المنظمة كسياسة فعالة.

وكان من رأيه أن استخدام القوة العسكرية شريطة استخدامها بذكاء، أي لتحقيق الضغط النفسى على العدو، يمكن أن تصبح سلاحا محفزا وإستراتيجيا، لتحقيق الأهداف السياسية للمجموعة، كما أضاف «إن مجموعة N17 قد أثبتت أنها ليست فقط أفضل مجموعة وإنما أيضا، أكثرها استعدادا، بما تملك من إمكانيات عسكرية هجومية ودفاعية لخوض اشتباك ثورى مسلح، فقد تمكنت القوات الفدائية للمجموعة من اقتحام قسم الشرطة بفيروناس والمتحف الحربى الوطنى، والتسلل خلسة، بأسلحة مضادة للدبابات وصواريخ البازوكة. وكذلك تمكنت من سرقة ٦٠ صاروخا من

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

مخزن سيكوريا العسكري، بالإضافة إلى قنابل يدوية ورصاص وغيرها من المتفجرات. وذلك دون الحاجة إلى اللجوء إلى اشتباك مسلح»^(١).

وقد أكد كوفوديناس مرارا «أنه مهما قيل عن المجموعة، فقد أثبتت من خلال أنشطتها كفاءة عالية، تضاهي كفاءة المقاومة اليونانية»^(٢).

ورغم أن كوفوديناس، كان من أشد المعجبين بأريس فيلوشيو تيس، زعيم حرب العصابات الكاريزمي، الشهير، ومؤسس (منظمة جيش الشعب اليوناني التحرري) أو ELAS. فإنه لم يحاول أن يشبه نفسه به، أو يظهر وكأنه نموذج عصري له. ورغم ذلك فقد استشهد بأنشطته وتصرفاته البطولية، واعتبرها مثالا وقدوة للعمل الفدائي كما ينبغي أن يكون. وفي ذلك قال: «حينما دخل أريس البلدة وألقى كلمته في ميدانها على مرأى ومسمع من قوات الجيش الألماني، وكان برفقة أتباعه المسلحين، فقد أثبت أن المقاومة الشعبية ممكنة، بل يمكن الاستعانة بها لتمهيد الطريق لمزيد من الأنشطة الفعالة»^(٣). وكان من الواضح أن استشهاده بمقاومة أريس تهدف إلى عقد مقارنة بين الظروف التي تواجهها جماعة N17 ووضع اليونان في ذلك الوقت. مما يستدعي كفاً مسلحاً «يعد من قبيل المقاومة والدفاع عن النفس خاصة في ظل معاناة شعب اليونان من المهانة، والعزلة، والإرهاب الذي تمارسه الدولة، بالإضافة إلى النفوذ المطلق لحكومة الأثرياء؛ فضلاً عن تسلط الشرطة والمحاكمات العسكرية»^(٤).

وأضاف كوفوديناس:

إن مجموعة N17، كانت تستهدف رموز الاستعمار والرأسمالية. نعم، لقد كنا في غاية الفخر أننا قد تمكننا من إرهاب وترويع الولايات المتحدة الأمريكية. حيث إنها قد اضطرت أن تنفق على إجراءات الأمن الخاصة بسفارتها بأثينا أكثر

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

مما تنفق على سفاراتها في أى مكان آخر. كما أن دولاً غربية عديدة، استمرت في إرسال خبراء للأمن وعرض مكافآت غاية في السخاء لمن يدلى بمعلومات تفيد في القبض علينا. بل إننا نجحنا في ترويع كبار رجال الصناعة ورجال الأعمال باليونان أيضاً. حيث أصبحوا يتحصنون في قصورهم الشبيهة بالقلاع، محاطين بإجراءات أمن وحماية مبالغ فيها. كما أحاطوا أنفسهم، بحراس خصوصيين على أعلى مستوى من الكفاءة والتدريب^(١).

وقد أنكر كوفوديناس بشدة التهم الموجهة إلى المجموعة بأن حملة العنف التي قادتها، كانت هى السبب في «أن أغلب اليونانيين لم يغمض لهم جفن ليلاً، خوفاً من تعرض حياتهم للخطر على يد المجموعة N17» مؤكداً أن إرهاب الدولة كان هو السبب في ترويع المواطنين، من خلال آليات الأمن التابعة للدولة التي أدت إلى شعورهم بالغربة داخل بلدهم وتسببت في إذلالهم^(٢). كما اتهم الدولة بأنها استغلت لفظ «الإرهاب» الذي وصفت به المجموعة، «لتبعد عن نفسها تلك التهم، وتنكر ما مارسته من عنف ضد المواطنين، محاولة النيل من شعبية المجموعة وموقفها ضد العنف»^(٣).

كما أكد قائد عمليات المجموعة أيضاً أن السيطرة على الجيش، كانت ستؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً، فيما يتعلق بتحقيق الأهداف السياسية للمجموعة. وأضاف أن المجموعة عرفت «باتجاهاتها المعتدلة»، بالإضافة إلى أنها لم تبالغ في تقدير إمكانياتها الحقيقية، مما يفسر عدم تخطيطها قط لشن حرب على جميع الجبهات^(٤). ومع ذلك، فقد أكد من جانب آخر، «أن المجموعة لم تستغل في الواقع كل ما لديها من إمكانيات، لأنها لم تكن تريد استباق الأمور، أو الخلط بين أهدافها وظروف الوضع السياسى الحالى»^(٥).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

وبهذا المنطق، وطبقا لكوفوديناس «لم تحاول المجموعة القيام بهجمات في قلب الدولة اليونانية، مما كان سيتبعه، بالضرورة، حالة من الاستقطاب المبالغ فيها»^(١). كما كان سيؤدي غالبا، إلى تفكك المجموعة، كما حدث للألوية الحمراء بإيطاليا. (وهو ما لم يفصح عنه كوفوديناس صراحة)^(٢).

«الدعاية المسلحة» و«العنف الثوري» و«النتائج السياسية»

تأثرت قيادات المجموعة N17 بوجهة نظر وقناعات مجموعة الألوية الحمراء BR فيما يخص العمل المسلح باعتبار «أنه بمثابة الدعاية المسلحة، كما أنه يمهد الطريق لتحقيق الأهداف السياسية، بما فيها تحقيق قدر من الاعتراف السياسي». (موس ص ٨٥-١٩٨٣). ولقد كان الأمر دائما واضحا بالنسبة لكوفوديناس في هذا الخصوص، إذ كان يؤمن بأن كل نشاط مسلح يشكل خطوة فعالة، تحقق مزيدا من الدعاية للمجموعة، وتعطي أيضا دفعة قوية في الترويج من أجل الحصول على مساندة شعبية قوية ومستمرة. كما كان يؤكد أن حجم الدعاية وقيمتها يتحدد بأهمية العملية وطبيعتها. «فكلما عبرت العملية عن مطالب الشعب، اقتربت المجموعة من تحقيق أهدافها»^(٣). ومتحدثا عن إستراتيجيات تلك العمليات، أكد كوفوديناس «أن وضع الخطط الإستراتيجية، الخاصة بأهداف العمليات، يجب أن يراعى مصالح العمال والطبقات الكادحة، حتى لا يصيبهم أى ضرر مادي أو سياسى من جراء تنفيذها، مع الكشف في نفس الوقت عن نقائص وعدم شرعية النظام الحاكم»^(٤). وفي وصفه لأهداف أنشطة المجموعة، قال:

إنها شديدة الارتباط بمشاكل الشعب اليومية، لذا كانت الغارات وحملات العنف موجهة إلى أهداف مثل النظام الضريبي للدولة الذى يستغل الشعب. أو لأطباء المستشفيات الحكومية الذين يجبرون المواطنين المحتاجين، من فرط

(١) نفس المصدر.

(٢) في بيان مجموعة N17 الصادر عام ١٩٩٢، اعترف كاتب البيان، أن المجموعة قد استفادت من تجربة منظمة الألوية الحمراء في الاستمرار وتجنب القبض على أعضائها. انظر البيان بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٩٢.

(٣) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس، ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٤) نفس المصدر.

جشعهم وانحطاط أخلاقياتهم إلى اللجوء إلى مستشفياتهم الخاصة أو عياداتهم وإنفاق مبالغ لا طائل لهم بها. كما أن أنشطة المجموعة كانت أيضا تستهدف رموزا تمثل السلطة والنفوذ، وذلك على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية: مثل ممثلى مؤسسات الدولة المختلفة وأتباع الهيمنة الاستعمارية والرأسمالية الاستغلالية. وكذلك السياسيين والموظفين الفاسدين، الذين ينهبون أقوات الشعب وممتلكاته^(١).

وقد عبر كوفوديناس عن تعاطفه مع النتائج السياسية لأنشطة المجموعة واعتبرها «مجرد دفاع اجتماعى» ضد قلة من الأثرياء المسيطرين على الحكم وعملائهم الذين يعملون ضد المصلحة الوطنية للشعب. و«أن اللوم، فى حقيقة الأمر، يجب أن يقع على هؤلاء المتسببين فى الخسارة الاجتماعية»^(٢). وقد وجه إلى القضاة أثناء المحاكمة سؤالاً ساخراً عن المسئول عن الدفاع عن حقوق أبناء الشعب، فهل تقع هذه المسئولية على الأفراد أم المجتمع؟ خاصة إذا تقاعست أجهزة الدولة ومؤسساتها عن القيام بهذا العمل^(٣) وطبقاً له، فإن مجموعة N17 «قد حاولت أن تعدل كفة الميزان لصالح الشعب، وضد هذا النظام المستبد وتعبر فى الوقت ذاته عن تأصل المقاومة بين أبناء هذا الشعب^(٤)». بل إنه يرى «أن أنشطة المجموعة أعادت لهذا الشعب بعضاً من كرامته المهدرة»^(٥). وأن الشعب اليونانى، لا يعتبر هذه الأنشطة إرهاباً، بل مقاومة تعبر عن الشعب، ونابعة منه، ضد ما تعرض له من قمع وظلم واستغلال. من هنا كان ترحيب الشعب بها، وقبولها كحركة اجتماعية شعبية عادلة»^(٦).

وقد رفض عدة مرات، وصف الإعلام للمجموعة، بأنها ليست أكثر من مجموعة من الأيديولوجيين المعتوهين. الذين يخوضون حرباً بلا طائل أو أدنى أمل فى تحقيق النصر.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

ولكن بالنسبة لكوفوديناس، فقد كان الأمر واضحاً «المتنرد أو الثورى المسلح، ليس معتوها يحمل السلاح ويهوى العنف، أو القتل لمجرد القتل»^(١). بل إن «اللجوء إلى السلاح رد فعل مباشر يعقب التحليل السياسى»^(٢). وأن الثورى ما إن يختار طريقه، حتى يجب عليه أن يواصله إلى نهايته، وذلك بافترض صدقه مع نفسه، واتساقه مع أفكاره»^(٣). وقد صور كوفوديناس «الثورى المسلح على أنه شخص يختار حقيقة الأمر، طريقاً قد يتعارض مع مصلحته الشخصية»^(٤). وهو شخص يقاوم حبه للبقاء، مقترباً من عالم يختلف عنه بيولوجياً. ذلك أنه يضجى بحريته، بل بحياته فى أية لحظة، ناهيك عن تعرضه لمخاطر أخرى كثيرة»^(٥).

وكان غريباً بعض الشئ ألا يشير كوفوديناس إلى أهمية الانتماء إلى المجموعة حتى يكتمل النضوج الثورى لدى الفرد. من خلال الانضمام إلى مجموعة تسانده وتعزز شعوره بالانتماء. ولكنه بدلاً من ذلك أكد «أن حياة الثورى تبدأ فى أخذ منعطف مهم، حينما يتغلب على حبه للحياة وعلى حرصه على البقاء فى سبيل قضية يؤمن بها ويتمسك بها أكثر من حياته»^(٦).

ويؤكد أن لذلك بالطبع ثمناً يدفعه الفرد. إلا أن المكافأة تفوق الثمن وتتجاوزته، حين يشعر الثورى «أنه جزء من كفاح ضد العنف اللاإنسانى، الذى يمارس ضده والذى يسلبه آدميته ويهوى به إلى غياهب البربرية»^(٧).

لم يحاول ديمترى كوفوديناس، وهو من زعماء المجموعة وقائد عملياتها، أن ينكر مسئولياته الكاملة عن كافة ما يخص أنشطة المجموعة N17، كما فعل مثلاً، زميله

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

المفكر الرئيسي للمجموعة، ألكسندروس جيوتوبولوس. كما أنه حاول أن يدافع عن المجموعة، بل أن يضعها في الإطار السياسي والتاريخي لهذه الفترة من تاريخ اليونان. وصمم حتى النهاية على أن أنشطة العنف التي مارستها المجموعة، كان لها ما يبررها نتيجة غياب الديمقراطية الحقيقية عن اليونان. ولم يقدم أى اعتذار عما أزهقته المجموعة من أرواح. بل برر ذلك بأن القضية سياسية الجوهر والاتجاه وليست أخلاقية في المقام الأول. وأنه لذلك، «لا يعتبر المجموعة من القتلة أو السفاحين. بل إن هذا الوصف بعيد عنهم، وعن أنشطتهم»^(١).

سافاس كسيروس

«إننى جد آسف، ونادم، على كل جريمة اشتركت في ارتكابها، وعلى كل الدموع التي أذرفت على الضحايا وكل حالات الحداد التي كنت سببا فيها».

جاءت شهادة سافاس مختلفة تماما عن شهادة كوفوديناس، الذي حاول منذ البداية، أن يبرر أنشطة المجموعة المرتبطة بالعنف، بإيمانها بفلسفة سياسية وتصور لعالم أفضل. أما كسيروس فقد أنفق معظم وقته المحدود، نتيجة إصاباته المتعددة، محاولا إقناع الجميع، داخل وخارج المحكمة، أن ما تعرض له بالمستشفى من وسائل تعذيب ومنها إجباره على تناول العقاقير المخدرة، كانت السبب في الكشف عن أنشطة معظم المتهمين من أعضاء المجموعة، وبالتالي في توجيه اتهامات لهم من قبل المحكمة^(٢). وجاء في شهادته، أمام المحكمة، أنه كان مضطرا أمام إصرار سلطات مكافحة الإرهاب إلى أن يشي بأسماء ويكشف عن عمليات خاصة بالمجموعة التي كان يعمل بين صفوفها. وأضاف «أنه قد تم احتجازه أربعين يوما متواصلة، وذلك في انتهاك واضح للقانون،

(١) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس ٢٤ يوليو ٢٠٠٣.

(٢) وفي شهادته بالمستشفى، صرح كسيروس: «إننى أعتبر نفسى من اليوم خارج المجموعة N17. بل أعد نفسى ضحية لهذه المنظمة. وإننى إذا أسهبت في تفاصيل خاصة بهذه المجموعة، في شهادتى، فإننى أتطلع إلى حكم مخفف من المحكمة، وأعتبر شهادتى هذه بمثابة الاعتراف أمام الله والشعب. وأطلب العفو من كل من تسببت في آلامهم، خاصة عائلات الضحايا، وأشعر، حقيقة الأمر، أن الاعتذار، ليس كافيا».

وأنهم قد أجبروه على البقاء مستيقظا لأيام عديدة من أجل استجوابه تحت ظروف غير إنسانية. إذ كانت يدها مكبلتين بالأغلال وكانوا يجبرونه على تناول العقاقير المخدرة، مما يعد من قبيل ممارسة الاعتداء النفسى ضده، وذلك من أجل مواصلة استجوابه دون أن يشعر بعنصر الزمن. كما قاموا بتهديده بتسليمه إلى الولايات المتحدة في حالة عدم تعاونه معهم»^(١).

ومن المفيد في هذا السياق، تسجيل أقوال الطبيب الذى عالج كسيروس بمستشفى إيفانجيليموس، وأنقذ حياته، فقد كان حكمه على الأمور مختلفا. وطبقا له:

«لقد كانت الإجراءات الأمنية داخل وخارج المستشفى غاية في الصرامة، بل كانت غير مسبوقة. حيث كانت الشرطة تحيط بالمستشفى، وكأنه سجن محكم الحراسة، وليس مستشفى عاما. وكنا نخضع للفتيش الذاتى يوميا، حيث كانوا دائمي التحقق من شخصياتنا، والمهام الطبية الموكلة إلينا. ومتابعة أوقات دخولنا أو خروجنا. والحق أننا قد بذلنا جهودا حثيثة حتى نحصل على ثقة فرقة مكافحة الإرهاب، خاصة في الأيام الأولى، حيث كنا جميعا في عداد المشتبه فيهم. وحينما جاء سافاس كسيروس إلى المستشفى أولا، وتم وضعه في قسم العناية المركزة، لم نكن نعلم على وجه اليقين إلى أى جماعة إرهابية ينتمى.

لقد مكثنا عدة أيام غير مدركين هوية هذا المريض على وجه التحديد. حتى تيقنا أخيرا من شخصيته من التلفزيون، وعلمنا أنه عضو بمجموعة ١٧ نوفمبر.

(١) (نفس المصدر) وقد شكك محامى كسيروس في شرعية إجراءات احتجازه بمستشفى إيفانجيليموس بالحجرة ١٠٣، حيث تم استجوابه بدون حضور محام يمثلته أو قاض يستمع لشهادته. وطبقا له «فإن دستورنا، ينص على أنه، منذ القبض على الفرد المتهم بارتكاب جريمة ما، يجب أن يمثل أمام قاض في خلال ٢٤ ساعة. وإذا كان المتهم مصابا، فلا بد من حضور القاضى بنفسه إلى المستشفى. بينما في هذه القضية، لم يحضر القاضى سوى بعد ٧٠ يوما من دخول المتهم إلى المستشفى. وهذا يعنى أن الاستجواب الذى تم في غير حضوره أو حضور محامى الدفاع لا يعد شرعيا». مقابلة تمت بين الكاتب ومحامى المتهم جيورجوس أجيوتراتيس بأثينا، ١٤ أكتوبر ٢٠٠٢.

لقد شعرت كطبيب معالج لكسيروس بوطأة الحمل الملقى على عاتقى. لقد كان من واجبي أن أتأكد من بذل قصارى جهدى حتى يتلقى أفضل علاج، وأن يتم اتخاذ كل ما يلزم بالفعل، حتى يتماثل للشفاء. حيث إنه في مثل هذه الظروف، قد يتشكك كثيرون في أن الأطباء قد بذلوا بالفعل كل ما في وسعهم لإنقاذ المريض.

إن أهم شىء في مثل هذه الظروف، هو التمسك بالحياد الكامل، وعدم التفرقة. ومنذ اللحظة الأولى اعتبرت المريض الذى بين يدي إنسانا عاديا، وليس إرهابيا. ولا بد من محاولة إنقاذ حياته. وحقيقة الأمر، فإن ما يدعيه كسيروس، ليبرر موقفه أمام زملائه من المجموعة، بأنه تكلم تحت تأثير العقاقير المخدرة، ليس صحيحا. فمثل هذه العقاقير غير موجودة من الأصل. بل إنه كان يخشى على حياته. وقد حاولت عدة مرات تهدئته وطمأنته. وأتذكر أنه كان يسألنى: «هل انتهى الأمر هكذا بالفعل؟ أم أنها فقط البداية؟»

وحقيقة الأمر فإنه كان يتحدث طويلا ودون توقف، مع المدعى العام لمكافحة الإرهاب، يانيس ديوتيس ومع رئيس فرقة مكافحة الإرهاب. وحاولت عدة مرات التدخل، حتى أجعله يتوقف قليلا، ولكنه كان يصصر ويقول لى: «بل اتركنى أكشف عما يحتم على صدرى»^(١).

وقد تقدم كسيروس بالتماس من المحكمة، يطالب ببراءته، في الرابع من مارس ٢٠٠٣، تعاطفا معه، بسبب تأثر نظره من جراء وقوع الانفجار. وتعرضت المحكمة على إثر النطق بالالتماس، لهجوم، من أبناء أحد قساوسة الأرثوذكس من سالونيك. حيث أكد «أنه يعتبر المحكمة غير عادلة في الحكم في هذه القضية؛ لأن الحكم يجب أن يكون على الأفعال السياسية، وأن الشعب والتاريخ هما الأقدر على الحكم في هذه

(١) مقابلة الكاتب مع بيتاريدس باليونان في ١٩ مايو ٢٠٠٣.

القضايا»^(١). وفي شهادته، التي أعدها من قبل، أكد كسيروس أيضا «أن هدف المحكمة الأساسية في هذه القضية، هو تشويه كفاحنا، وكل صور الكفاح الاجتماعي وإرهاب كل من تسول له نفسه، أن يسلك طريقنا في الكفاح في المستقبل»^(٢).

ولاشك أن محاولة اختراق تفكير عضو إرهابي متورط فيما يقرب من ٨٥ نشاطا إرهابيا، على مدى ١٧ عاما، ليس بالأمر الهين. بالإضافة إلى أن محاكمته قد أخذت طابعا مأسويا داخل محكمة كوريدالوس. وذلك لأنه كان ضحية لما تملكه من شعور بالذنب نتيجة التورط في إفشاء أسرار زملائه، متسببا في القبض على أغلب الأعضاء. وقد سيطر على شهادته في المحكمة هذا التوتر الواضح والتخبط بين الذنب والواقع. بالإضافة إلى شعوره شخصيا بالندم على ما اقترفته يده من جرائم. والحقيقة أن شهادته لم تكن مقنعة، لخلطه بين الواقع والخيال، وبين الماضي والحاضر. ومنذ اللحظة التي اجتمع فيها مع كوفوديناس وبقية أعضاء المجموعة في سجن كوريدالوس، وهو يحاول أن يتخلص أو يمحو واقع اشتراكه أو تورطه في نشاط المجموعة، من خلال حديث مفصل عن مخططاتها، أو ما تعرض له بالمستشفى من تهديد، ناهيك عن قصة إجباره على تناول العقاقير المخدرة، إلا أن هذا المجهود المضني، الذي أراد به أن يظهر بصورة مغايرة للواقع ولمكانه الحقيقي كعضو داخل مجموعة N17، لم يلبث أن تحول إلى انهيار كامل وتوسل لطلب التوبة والعفو من عائلات الضحايا. وقد صرح رسام المحاكمة في خطاب وزع على وسائل الإعلام باليونان، في اليوم الذي حصل فيه كسيروس على ستة أحكام بالمويد بأنه قد أعلن «ندمه وأسفه على كل جريمة ارتكبتها، وكل دمعة ذرفت على ضحاياه، وكل الآلام والحداد التي يعتبر نفسه مسئولاً عنه»^(٣).

(١) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس في ٤ مارس ٢٠٠٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مزيد من التفاصيل عن اعترافات كسيروس، والفترة العvisية التي قضاها في غرف سجن محكمة كوريدالوس، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣.

باتروكلوس تسيلنتس

«منذ بلغني خبر إصابة سافاس، تيقنت أنه قد قضى على المجموعة. ومنذ تلك اللحظة، وجدت نفسى مستعدا وقد اتخذت قرارى. وأدركت، أن جزءا من حياتى قد انهار وولى بلا رجعة».

عرف باتروكلوس داخل المجموعة بلقب «فيلم» لحبه للتصوير الفوتوغرافى والسينما. وقد تم القبض عليه فى الخامس والعشرين من شهر يوليو ٢٠٠٢. ومنذ ذلك الحين، أصبح أكبر واشٍ لمجموعة N17 أو ما يعرف ببيتيتو Pentito^(١). وذلك بعد أن تراجع كسيروس عن اعترافاته الأولى فى المستشفى. و Pentito فى عرف اليونان، شخص يدلى باعترافات كاملة عن كل الجرائم التى ارتكبها، بل يساهم مساهمة حقيقية، فى وقف الأعمال الإرهابية القادمة. وقد كانت اعترافات تسيلنتس للشرطة، وشهادته أمام المحكمة أساسية فى توجيه المحكمة الاتهام ضد كوفوديناس وجيو توبولوس. وهما عضوا المجموعة الأساسيان. وقد جاء فى أقواله: «إن كل خطوة أو نشاط قد قامت به المجموعة كان من إعداد وتخطيط كل منهما»^(٢). وكان تسيلنتس وكوفوديناس زملاء بالجامعة. وقد قام كوفوديناس بتجنيد كعضو فى المجموعة، عام ١٩٨٣، حيث استمر بها حتى خريف عام ١٩٨٨. وقد اشترك بإحدى عشرة عملية. كان آخرها الغارة التى شنتها المجموعة على قسم الشرطة فى أغسطس ١٩٩٨.

(١) كما هو الحال فى إيطاليا، فإن قانون مكافحة الإرهاب باليونان يشجع التعاون التطوعى والتنسيق مع السلطات واستنكار الأهداف والوسائل الإرهابية. فى إيطاليا. تم إدخال قانون العقاب فى مايو ١٩٨٢. وحتى يستفيد منها الواشى أو Penito.

كان عليه أن يدلى باعترافات كاملة عن الجرائم التى ارتكبها. وثانيا هو/ هى عليه أن يساهم إيجابيا فى وقف الأنشطة الإرهابية.

وكانت السلطات التشريعية هى التى تقرر فيها بعد قيمة وفائدة هذه الاعترافات، وعلى أساسها يتم تحديد التخفيض فى سنوات السجن. كان باترسىو بيسى، أكبر واشٍ فى جماعة الألوية الحمراء الإيطالية. وفى كتابه (أنا، ذلك الخسيس) ذكر كل الأسباب التى دفعته إلى ذلك.

(٢) إجراءات المحاكمة بسجن محكمة كوريدالوس فى ٣٠ يوليو ٢٠٠٣.

وأثناء محاكمته، كان حديث تسليتنس معبرا عن ندمه وأسفه تجاه حوادث الاغتيالات الإرهابية^(١) التي اشترك فيها مع باقي أعضاء المجموعة. مما دفع المدعى إلى الثناء عليه لقيامه بالإدلاء باعترافات تظهر مدى تعاونه مع السلطات. قائلا في ذلك: «إن اختيارك لجانب الصواب والقانون، زادك شرفا، وسوف يجنبك عذاب تأنيب الضمير، ويحقق لك الرضا والراحة لبقية سنوات حياتك»^(٢).

إن أغلب الأفراد بمن فيهم الإرهابيون، لا يلجئون إلى توبيخ النفس والدخول في حالة الندم، إلا بعد محاولة لتبرير أفعالهم. وطبقا لتسليتنس، فإنه قرابة نهاية عام ١٩٨٧، لم تعد هناك فائدة، من محاولة تبرير أى نشاط قامت به المجموعة. وأصبح لا يجد أى جدوى لاستمرار أنشطته داخل المجموعة؛ مما أصابه بخيبة أمل^(٣) وتسبب في «تناقص حماسه» بشكل واضح، على حد تعبيره. وقد صرح للمحكمة:

لقد أصبح الأمر غاية في الوضوح بالنسبة لى، حينما لم يعد للبيانات الصادرة عن المجموعة تأثيرها الأول. وعلى ذلك أصبحت المبادرات التي نتخذها، وعلى عكس المأمول منها، تبعدنا عن إيجاد الحلول الملائمة. كما لاحظت أيضا أن المجتمع يتغير، بينما أنا وبقية الأعضاء لانزال متعلقين بماض لم يعد له وجود. ومشكلتي الأساسية كانت، حقيقة الأمر، أنني لم أعد أجد أى مبرر لممارسة أنشطة العنف، التي أصبحت تشكل هوسا غير مبرر بالنسبة للمجموعة. وهو ما يعبر عنه اليسار «بالكفاح المسلح». وقد كانت هناك بالفعل حاجة قوية لاستمرار هذا العنف. وسيطر ذلك بوضوح على أنشطة المجموعة، ولكن دون أى مبرر قوى أو حجة موضوعية تستوجبها في الواقع^(٤).

(١) أول كلمات تسليتنس عند الإدلاء بشهادته بمحكمة كوريدالوس، في ٣٠ يوليو ٢٠٠٣: سيدى رئيس المحكمة، السادة القضاة، والسادة المدعين، أطلب أولا وقبل كل شىء الصفح من المجتمع، ومن الذين تعاونوا معى ووثقوا بى، ومن أحبوني.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وقد حاول تسلنتيس، أن يشرح للمحكمة أسباب تقاعسه عن تسليم نفسه، برغم تصريحه «بأن المجموعة قد فقدت مصداقيتها لديه»^(١). قائلا بهدوء وثقة: «هناك إجابة واحدة فقط عن هذا السؤال»^(٢) وهى «إن أى عضو بمجموعة كمجموعتنا، يشعر أنه يفعل الصواب وهو ما يمليه عليه ضميره.. كما يشعر أن جزءاً كبيراً من المجتمع يتغاضى عن تصرفاته ويغفر له»^(٣).

وقد كانت حساسيته المفرطة واضحة في حديثه، وكان شد ما يحشاه، أن يعتبره أعضاء المجموعة وأشيا أو خائناً. وأكد أنه ما كان ليضع نفسه أبداً في هذا الموقف. حيث إنه ما تحلى قط عن عودته أو مبادئته من قبل. وقال مؤكداً «إنك لا يمكن أن تخون أناساً أو أفراداً على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل ما يؤمنون به، حتى إن لم تعد تتفق معهم»^(٤). وواصل حديثه مؤكداً أن عدم اتفاقه مع زملائه بشأن إستراتيجيتهم أو مدى واقعية أهدافهم لا يجعله يوافق على تسليمهم إلى «سلطة البوليس التى لا تتمتع بشعبية أو ثقة المواطنين»^(٥).

ولم يحاول تسلنتيس أن يتجنب الحديث الشائك عن الأخلاقيات في هذه القضية. خاصة عند إجابته على سؤال خاص باشتراكه في العديد من الاغتيالات، في حين أنه لم يجد في نفسه الشجاعة الكافية لوضع حد لذلك. فكانت إجابته دون تردد: «لقد كان الجبن هو السبب. وحاولت أن أدفع ثمن أخطائي في الماضى. وأن أكون مواطناً مثالياً للتكفير عما ارتكبته من جرائم. فحاولت مساعدة كل من استطعت مساعدتهم»^(٦). «والتحقت بالجيش»، كما «تزوجت وحاولت أن أبدأ حياة طبيعية من جديد»^(٧).

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

وعلى عكس كوفوديناس أو جيوتوبولوس، فقد أدلى تسلنتيس بتفاصيل خاصة بإعداد وتنظيم خطط عمليات الهجوم التي قامت بها المجموعة. وفي تصريحاته، ذكر أن أعضاء المجموعة كانوا يلتقون في الرابع من كل شهر في أماكن مختلفة كالكاثيريات مثلا، لمناقشة الإستراتيجيات والخطط الخاصة بأهدافهم المستقبلية. وكانت فلسفة اللقاء في أماكن صاخبة وعامة، هي عدم لفت النظر إليهم بقدر الإمكان. وأنه كلما كان المكان مزدحما والضجيج عاليا، قلت احتمالات الاشتباه فيهم. «أو التقاط أحاديثهم»^(١). وجاء أيضا في الملخص المختصر عن نظام المجموعة في حديثه إلى المحكمة: «أن كل هجوم كان يستغرق حوالى ستين في المتوسط للإعداد. على أن البيان الخاص بالعملية كان يتم مناقشته بالتفصيل، بين أعضاء المجموعة، لمدة تستغرق من ثلاثة إلى أربعة أسابيع قبل تنفيذ العملية»^(٢). وطبقا لتسلنتيس، فقد كان للمجموعة عدة أوكار (أكثر من ثلاثة أوكار في الوقت نفسه) مزودة بالأسلحة والمتفجرات. وكان العضو المكلف بمسئولية أحد الأوكار لا يعلم أى تفاصيل عن الأوكار الأخرى. وقد تحدث تسلنتيس أيضا وبإسهاب عن شخصيات كل من ألكسندروس جيوتوبولوس وديمتريس كوفوديناس. ووصف جيوتوبولوس بأنه شخص «على مستوى رفيع من التعليم والثقة بالنفس، وأنه يتحلى بشخصية قوية ومهارات خطابية متميزة». وأنه «نال احترامى منذ التقيت به أول مرة»^(٣). وحينما سأله المدعى عن أسباب تورط شخص مثله في أنشطة إرهابية، وما هي دوافعه الحقيقية، أجاب تسلنتيس «أنه لا يشك على الإطلاق، أن الرجل الذى التقي به في ذلك الوقت فعل ما فعل لأسباب خاصة بإيمانه بأيديولوجية معينة».

وأضاف «ومع ذلك، فإن القوة والنفوذ في أى شكل من أشكالها، غالبا ما يقودان إلى التكبر، ثم بدء التدرج نحو الانهيار»^(٤). وقد أوضح معارضته لموقف جيوتوبولوس

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

المتعنت. وقال في ذلك: «لقد لمست بنفسى كيف كان متمسكا بآرائه، ورافضا الاعتراف بأن نظرتة إلى كثير من الأمور لم تكن صائبة أو واقعية»^(١). وحينما طلب منه عقد مقارنة بين الرجلين، مفكر المجموعة، ومخطط عملياتها، أكد تسلنتيس أنها كانا شديدا الاختلاف. فجيوتوبولوس «مثقّف وينتمى إلى الصنفوة، وذو أخلاقيات متميزة، بينما كان كوفوديناس، بسيطا، ومجتهدا ومتقنا لعمله، ويتحلّى بأخلاقيات ومبادئ مثلى، جعلته في شبه عزلة اجتماعية ولديه صعوبة في مخالطة الناس»^(٢). ولكن في نهاية الأمر فإن الفارق بين الرجلين، ظهر واضحا وجليا من خلال رد فعلهما تجاه شهادة تسلنتيس التى أضرت بمعظم الأعضاء. فبينما اتسمت لغة جيوتوبولوس في الرد عليه بالتعالى المقصود واصفا إياه «بالرجل الصغير المثير للشفقة»، توجه كوفوديناس إلى تسلنتيس بلهجة عتاب شديدة، واصفا إياه «بالمقاتل والزميل السابق، الذى اختار طريق التعاون»^(٣) مع السلطات. وقد جاء في أقواله أمام المحكمة، بلهجته المتعالية المألوفة:

«باتروكولوس تسلنتيس، وجد نفسه بين يدي المؤسسات التى طالما قاتل ضدها كعضو في مجموعة 71N، فقرر أن يتعاون معها، ويسمعها ما تريد سماعه، مشوها سمعة المجموعة وواشيا بأعضائها، زملاء الأمس. ولكنه قريبا سيكتشف أنه قد اختار طريقا لا رجعة فيه. وذلك بعد كشفه عن أسرار المجموعة والإضرار بها كل الضرر. فلن تلبث السلطات أن تستغنى عنه وتلفظه، فيجد نفسه كقطعة الليمون المعصور، مستنفذ الفائدة. وعندئذ سوف يجد نفسه في مواجهة مجتمع يشعر تجاهه بكل الاحتقار والازدراء»^(٤).

وقد ركز تسلنتيس على نقطة معينة وكررها بشكل يكاد يكون آليا، وهى أنه في عام ١٩٨٨، حينما قرر أن يترك المجموعة، لم يحاول أحد من الأعضاء أن يقنعه بتغيير رأيه. بالإضافة إلى محاولته تنفيذ رأى كوفوديناس، متحديا تمسكه بأن الكفاح المسلح الذى انتهجته المجموعة، كان بغرض الدفاع عن النفس. أكد في ذلك:

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

ما أريد أن أقوله، حقيقة الأمر، إن هذا الأسلوب لم يكن هو الأنسب. ومثل هذه الممارسات كانت من شأنها أن تقضى إلى تداعيات مأسوية. فلقد عزل أفراد المجموعة أنفسهم عن المجتمع الذى يعيشون فيه. وقد كان لاتخاذهم قرارات تضر المجتمع وتستعزى بقيمه، بالإضافة إلى حياتهم فى كنف منظمة تأمرية، انعكاسات سلبية، ليس فقط على المجتمع، بل على أنفسهم كأفراد. لقد كان سافاس كسيروس حالته مأسوية ونفس الشئ ينطبق على كوفوديناس. فقد وقعوا جميعا ضحايا للممارساتهم بالإضافة لما تسببوا فيه من وقوع ضحايا^(١).

الإرهاب بوصفه منهجاً للحياة

سألت دورا باكويانيس (عمدة أثينا فى ذلك الوقت، وأرملة بافلوف باكويانيس) وهو أحد ضحايا مجموعة N17، الذى قتل ١٩٨٩، كوفودينس، عقل المجموعة المفكر وزعيم عملياتها: «لماذا قتلتم زوجى؟» كان رده: «أقرئ بيان المجموعة، فهو يتضمن بشكل واضح الأسباب»^(٢). ويعتبر هذا الرد المقتضب، صورة معبرة عن فلسفة المجموعة. التى تأخذ القصاص بنفسها. حيث إن الساحة السياسية ليست مجالاً للجدال أو لمناقشة الاتجاهات والأهواء المختلفة. بل إن الساحة السياسية تمثل مجموعة من المبادئ الثابتة التى يجب أن تكون مصدر ولاء الجميع والتزامهم.. فهى فى منزلة الدستور الذى يحكم المجتمع بأثره. لقد كانت فلسفة الكفاح المسلح هى الفلسفة التى بنت عليها المجموعة مبادئها، وتطبعت بها جميع عملياتها، وذلك على مدى ثلاثة عقود كاملة، متجاهلة «حقيقة أن الكفاح المسلح لا يجب أن يطمس الهدف السياسى الأسمى» (باريت، ١٩٨٦، ص ٢٠٠). وقد استمرت المجموعة فى استهداف الشخصيات العامة فى المجتمع فأصاب وتقتل العديد منهم. متخذة من هذا الطريق منهجاً فعالاً لها، بحجة أنها تعبر عن مشاعر الجماهير ضد النظام الحاكم وتمثل ضمير الأغلبية المقهورة.

(١) نفس المصدر.

(٢) جلسة محاكمة سجن كوريدالوس ١ أبريل ٢٠٠٣.

ولكن كيف سيذكر التاريخ مجموعة N17؟ طبقا لمحامى دفاع جيو توبولوس، يانيس راشيوتيس، «فإن المجموعة، تعد شديدة الاختلاف» عن غيرها من منظمات اليسار أو المجموعات المسلحة الأخرى التى تعمل فى منطقة غرب أوروبا^(١). وأضاف «أن بقية المجموعات اليسارية التى عرفتها اليونان، قبل ظهور N17 كانت فى وضع دفاعى»^(٢) وفى تعبير يميل إلى لغة اليسار، أكد راشيوتيس: «إن مجموعة N17، ترمز إلى اليسار المهاجم هذه المرة وليس المدافع. أى أن اليسار المطارد، قد قرر أخيرا أن يصبح هو المهاجم. وذلك بهدف استعادة التوازن ووضع الأمور فى نصابها الصحيح»^(٣).

ومع ذلك فإن التاريخ، سوف يرى أن مجموعة N17 كانت تنظيها فاشلا، وذلك رغم قراءات راشيوتيس الكثيرة، أو محاولات أعضائها وضعها فى إطار التطور التاريخى لليسار باليونان. أو التركيز على أن هدفها كان تحقيق الاستقلال الوطنى أو القومى. فهذه المجموعة لم تكن مطلقا مجموعة ثورية بالمعنى الحقيقى. بل كانت مجموعة محبطة، تعمل فى السر وتبنى العنف المسلح أسلوبا. ولم تكن ثورية سوى فى لغة الخطابة المنمقة التى كانت كوادرها تستخدمها، لإقناع الشعب بأهدافها وتبرير لأنشطتها الإرهابية. التى أصبحت فى نهاية الأمر غاية فى حد ذاتها. إن شهادة كوفوديناس، قد أكدت ورسخت لجميع الحضور حقيقة ثابتة، وهى أن المجموعة وأعضائها كانوا يعيشون فى عزلة عن المجتمع وتطوراته، وقد أصبح الإرهاب عالمهم الذى لم يستطيعوا أن يتحرروا من أغلاله^(٤). فقد كان تعنت كوفوديناس وتعالیه طوال فترة محاكمته، ورفضه مواجهة الواقع أمرا واضحا. وقد حاول إقناع الحضور أن كل حياته كانت تدور حول مصيره الذى اختارته له الأقدار وميزته به. وأن عليه المحافظة عليه، حتى يسلم الأمانة فى وقت لاحق لمن يستحق هذا الشرف العظيم.

(١) جلسة المحكمة بسجن كوريدالوس ١٣ مارس ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وبهذا المنطق، يظهر بوضوح، انفصال فلسفة المجموعة عن منطق الحياة السياسية باليونان، حيث إن الحرب التي قادوها ضد المؤسسات اليونانية والوجود الأمريكي كانت حرباً عبثية وبلا جدوى، حيث كان مصيرها الفشل في كل الأحوال. وكانت نقطة تركيز المجموعة هي إظهار قدرتها على «التدخل» و«المقاومة».

ولكن لا بد من الاعتراف، بأن الظروف التي كانت سائدة في اليونان في ذلك الوقت، قد ساعدت مجموعة N17 على استغلالها لصالحها، مؤكدة بذلك فشل الشرطة وعجز سلطات المخابرات اليونانية في مكافحة الإرهاب. فلا يخفى أن جهود اليونان لمكافحة الإرهاب، ولفترة لا تقل عن عقدين من الزمان، كانت تمارس في ظل حالة من الاستقطاب والمنافسة التي سيطرت على أجهزة الشرطة والمخابرات. وكذلك سيطرت على الحكومة والمعارضة وغيرها من قطاعات المجتمع اليوناني. (انظر كاسيمارس: عن الجهود الضعيفة لمكافحة الإرهاب باليونان، ص ١٥٢-١٩٨-٢٠٠١). ولم يكن هناك أى تعاون أو تنسيق قومي أو حلول وسط لحل المشاكل التي سيطرت على القطاعات المختلفة في البلاد. ومع ذلك لم يبلغ الأمر في اليونان، ما بلغه في إيطاليا. حيث أثار تنظيم الألوية الحمراء الذعر بالبلاد. وسادت حوادث اختطاف الرهائن والمطالبة بالفدية. ولكن لاشك أن مجموعة N17 قد نجحت في تقويض الديمقراطية التي عاشتها البلاد مدة ثلاثين عاماً بعدما أنجزته عام ١٩٧٤. حيث نجحت في إذلال الدولة، ووضعها في موقف ضعيف وقليل الحيلة في مواجهة الإرهاب. وفي الواقع، فإن هناك عدة دروس يمكن استخلاصها من هذه المغامرة الفاشلة، سواء على مستوى اليونان كدولة، أو كمجتمع. وتصلح اليونان بامتياز نموذجاً لدراسة حالة لما يجب على الدولة وهي بصدد مكافحة الإرهاب.

ولكن، هل يمكن لمجموعة مثل N17 أن تعود مجدداً؟ كان كوفودينوس، رئيس عمليات المجموعة، على حق حين أعلن أن المجموعة قد انتهت كمنظمة إرهابية. ولكنه أيضاً كان على حق حين أكد «أنه، يمكن أن تدب فيها الحياة من جديد، ربما بعد عشرة أو خمس عشرة سنة، في شكل جيل جديد من المقاتلين الشباب، يرفع راية كفاح المجموعة

ثانية^(١). ولا شك أن تفكك المجموعة لوجستيا ونضوب مواردها المالية، قد ساهم في انهيارها من الناحية الأيديولوجية أيضا. إلا أن هذا لا يعنى بأى حال انتهاء موجات الإرهاب باليونان. أو أفول نجمها بصورة نهائية. فالتجربة بأوروبا تثبت عكس ذلك. حيث تظهر في أعقاب انهيار بعض المجموعات الأساسية والمؤثرة، مجموعات أخرى من الشباب تحمل الراية من جديد وتواصل الكفاح. وعادة ما تفتقد تلك المجموعات الجديدة للخبرة العملية أو القدرة التنظيمية، رغم محاولات التشبه بالمجموعة الرمز أو المجموعة الأم. إلا أن هذا لا يجعلها أقل خطورة منها.

وحقيقة الأمر فقد ظهرت باليونان مجموعة جديدة تطلق على نفسها الكفاح الثورى^(٢)، وذلك منذ أكتوبر ٢٠٠٤ (أى بعد مرور أقل من سنة على إصدار الحكم على المجموعة N17 وهى تستخدم في هجومها أسلحة شبيهة بالمجموعة N17؛ وهو ما يثبت أن الإرهاب يواصل طريقه عبر الأجيال، ما دام هناك معاناة وظلم تشعر به مجموعات الشعب، وما دام هناك رفض لاحتخاذ الوسائل التقليدية سبيلا في إحداث تغييرات في المجتمع أو تغيير في نظام الحكم. ومن المؤسف حقا أن اليونان قبل أحداث ١١/٩/٢٠٠١، كانت قد فشلت في مواجهة الإرهاب؛ لأنها كانت تفتقد الإرادة السياسية اللازمة لمواجهته والقضاء عليه. مما أتاح الفرصة أمام مجموعة مثل N17، أن تثبت وجودها وتعززه. ليصبح شبه أمر واقع وراسخ في المجتمع اليونانى. وهذا ما لا يجب أن نسمح بتكراره ثانية.

(١) جلسات محكمة سجن كوريدالوس ٢٤ يولية ٢٠٠٣.

(٢) انظر: «عودة الإرهاب إلى اليونان» جريدة وول ستريت جورنال أوروبا، ٢٤ يونيه ٢٠٠٥. و«الإرهاب الجديد، ونفس الأخطاء السابقة» ٢٥ يناير ٢٠٠٧.

المراجع

- Alexander Y., & Pluchinsky, D. (Eds) (1992). *Europe's red terrorists: The fighting communist organizations* (p. 48). London: Frank Cass.
- Franceschini, A. (1988). *Mara Renato ed Io: Storia dei fondatori delle BR*. Milano: Armando Mondatori Editore.
- Jamieson, A. (1990). Identity and morality in the Italian Red Brigades. *Terrorism and Political Violence*, 2, 508–20.
- Kassimeris, G. (2001). *Europe's last red terrorists: The Revolutionary Organization 17 November* (pp. 72–75). New York: New York University Press.
- Moss, D. (1983). Analyzing Italian political violence as a sequence of communicative acts: The Red Brigades 1970–1982. *Social Analysis*, 3, 85.
- Paret, P. (1986). Clausewitz. In P. Paret (Ed.), *Makers of modern strategy: From Machiavelli to the nuclear age* (p. 200). Oxford: Oxford University Press.

الفصل السابع

الإرهاب والجريمة المنظمة:

بعدا نظريا^(١)

ديباك ك. جويتا^(٢)، وجون هورجان وأليكس ب. شميدت

لا يكون الإرهابى إرهابيا بدون قضية واضحة. على الأقل بالنسبة له.
(كونراد كيلين)^(٣)

نبذة: أجريت دراسات متعددة بهدف وضع تعريف يفرق بين الإرهاب والجريمة المنظمة. على أساس أن تكون المقارنة بينهما من الناحية السلوكية. وتمخض عن ذلك نموذج مصغر، يسمح بتسجيل عدة ملاحظات مستنبطة من الواقع أو البيئة المحيطة وفي إطار تحليلي. وأفضى ذلك إلى دراسات متعددة للحالة، رسمت لنا صورة واقعية، للارتباط القائم بين الجريمة المنظمة والإرهاب. أما النموذج الذى نحاول نحن تقديمه فى هذا المكان، فيعتمد على التفتيش بصورة أعمق فيما يخص التكلفة والمنفعة فى محاولة للوصول إلى نمط يعتمد عليه، فى الوصول إلى أسباب الارتباط بين الجريمة المنظمة والإرهاب من الناحية السلوكية. أملين أن تقودنا الأبحاث المبينة على اختبار الفروض بشكل موضوعى وغير متحيز، إلى تكوين منظومة من المعايير التى يمكن الاعتماد عليها فى المستقبل.

(١) دراسة تم تمويلها جزئيا من منحة معهد الولايات المتحدة للسلام.

(٢) إنني مدين بالكثير لكرستوفر كلاج لمساعدته. أما الأخطاء المتبقية فهي أخطاؤنا.

(٣) كيلين (١٩٨٤، ص ١٠) تم اقتباسها من هوفمان (١٩٩٨، ص ٤٣).

في التصور العام، فإن الارتباط بين الجماعات الإرهابية والجريمة المنظمة، واضح، بل بديهي. هذا التحالف المشؤوم، يفتح الباب على مصراعيه أمام احتمالات مفزعة. ويعكس الإعلام الصحفي، هذه الصورة القائمة التي تنذر بمزيد من القلق والخوف من مستقبل مجهول العواقب والتبعات^(١).

وحقيقة الأمر، فإن بحثاً سريعاً في بيانات حاسوبات الصحف عن التعبيرين: «إرهاب» و«جريمة منظمة» يكشف عن مدى التداخل الذي حدث مؤخرًا بينهما^(٢). وعلى مدى العقد الأخير، ومع تزايد حوادث وتهديدات الإرهاب عبر دول العالم، سيطر الخوف والقلق على العديد من أجهزة الأمن والمخابرات، بالإضافة إلى السياسيين وصناع القرار في العالم أجمع، تجاه ظاهرة تفاقم حوادث الإرهاب، بالإضافة إلى ما طرأ على كارتتي عصر العولمة: «الجريمة المنظمة» و«الإرهاب»، من تحول وتقارب. وقد عبرت الأمم المتحدة بوضوح، عن ذلك التقارب من خلال مجلس الأمن بعد أحداث ١١/٩/٢٠٠١. حينها عبر قرارها عن «القلق المتزايد من تصاعد التقارب بين الإرهاب الدولي، والجريمة المنظمة خارج حدود الدول، وفي أنشطة غير مشروعة مثل تجارة المخدرات، وغسيل الأموال، وتجارة الأسلحة، والانتقال غير الشرعي بين دول العالم، للمواد النووية والكيماوية والبيولوجية وغيرها من المواد القاتلة....»^(٣).

وعلى الرغم من هذا الكم المذهل من الإصدارات الخاصة بهذا الموضوع، فإننا لا يمكننا بعد أن نستخلص محاولات جادة يمكن أن تقود إلى نظرية تتناول البعد السلوكي. وحقيقة الأمر، فقد كان هناك العديد من الدراسات التي بذلت الكثير من الجهد، ولكنها انتهت إلى مجرد تخمين وجود علاقة ما بين الإرهاب والجريمة المنظمة. ثم تبعتها دراسات أخرى أكثر دقة، انتهت إلى وجود فارق بسيط جداً بين الظاهرتين.

(١) كان البحث عن معلومات خاصة «بالإرهاب» و«الجريمة المنظمة» في موقع أكاديمي خاص باجرائات والمجلات الشعبية، قد نتج عنه ٢٠٠٠ طلب منذ سبتمبر ٢٠٠١. خاصة من الجرائد والمجلات الشعبية. كما أن بحثاً على الجوجل، كشف عما يقرب من خمسة ملايين طلب.

(٢) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ (٩/٢٨/٢٠٠١)

إن الغرض من هذه الدراسة، هو تطوير نموذج سلوكي بسيط يحكم أسباب وعوامل التورط في أحد النشاطين. ومن خلاله، سوف نحاول استنباط مجموعة من الفروض التي سيتم تقييمها في ضوء المادة المتاحة بعد خضوعها للاختبارات والملاحظة عن الإرهاب ومجموعات الجريمة المنظمة.

من البديهي، أن أية محاولة جادة للوقوف على طبيعة وأسباب العلاقة بين التنظيمين غير الشرعيين، لا بد وأن تبدأ بعد الاتفاق على تعريف يحدد الفارق بينهما تحديدا كافيا. ورغم وجود العديد من التعريفات والمحاولات الجادة مثل محاولة (شيمدت ويونجمان ١٩٨٨) فإن الاتجاه العام، يميل إلى التسليم بأنه من الصعب الوصول إلى تعريف عالمي متفق عليه للإرهاب. ومع ذلك يمكننا وبناء على إصدارات كثيرة أن نصل إلى تعريف تتفق عليه أغلب الكتابات التي صدرت في هذا الشأن. ويتضمن ملامح أساسية تميزه، مثل، وجود هجوم على شعب مدني من قبل مجموعة منظمة، بهدف تحقيق هدف سياسي أو ديني. ويقوم بالهجوم أفراد لا يمثلون الدولة. (انظر: هوفمان، ١٩٩٨) وبالمثل وبرغم اختلافات عديدة في الآراء، فإنه بإمكاننا أن نصل إلى تعريف فيما يخص الجريمة المنظمة (انظر: نيلر، ١٩٩٧، ص ٦، ونيلر ٢٠٠٢ ص ١٤-١٨، رويتر، ١٩٨٣، ص ٧٥). فقد تم الاتفاق على أن الجريمة المنظمة، يتم تنفيذها من خلال مساعدين يعملون داخل نظام يأخذ شكل التسلسل الهرمي^(١).

ومما يميز النشاط وجود استمرارية في التنظيم، والانخراط المنتظم في الأنشطة الإجرامية من أجل تحقيق كسب مادي أو الوصول إلى مناصب، تحقق القوة والنفوذ لأعضاء التنظيم الأساسيين^(٢).

(١) من المهم أن نوضح الفارق بين المجموعات المنظمة والجماعات العنقودية.
(٢) من أجل مناقشة أكثر تفصيلا بشأن قضية التعريف، انظر: مركز الأمم المتحدة لمنع الجريمة الدولية (٢٠٠٢) (ص ٦-٧). وفي هذا الصدد فمن المهم الإشارة إلى أهمية الفارق بين المجموعة المنظمة والعنقودية. فالمجموعة العنقودية تتكون من مجموعات صغيرة وعادة ما يتم التعامل معها على أنها مجموعة واحدة، إلا أنها في حقيقة الأمر عدة مجموعات صغيرة، وعلى سبيل المثال، مجموعات المافيا الروسية والمافيا الصقلية. وعادة ما تدب الخلافات فيما بينها. إلا أنه بالنسبة لهذه الدراسة، لا تعتبر هذه التفرقة بالغة الأهمية.

ولغرض هذه الدراسة، فسوف نقبل بالتعريفين السابقين، مع إضافة فارق سلوكى مهم بينهما. فكلاهما يشكل هيكلا تنظيميا داخل المجتمع، إلا أنها خارج حدوده الشرعية. وكذلك هناك اختلاف فى الدوافع بينهما. يشير هوفمان (١٩٨٨، ص ٤٣) إلى أن «الإرهابى لا يعتبر أنانياً فى الأساس، بل يعتقد أنه يتصرف من واقع إيمانه بالمصلحة العامة : لأنه يؤمن بقضية أساسية وعلى استعداد للتضحية من أجلها. وفى اعتقاده أنه يقدم خدمة جليلة لجمهور واسع... أما المجرم، فهو لا يخدم أى قضية على الإطلاق. ولا يسعى إلا إلى تحقيق الإشباع المادى الذاتى». كما يؤكد جاميسن (٢٠٠٥ ص ١٦٥): «أن الجريمة المنظمة والإرهاب يشكلان ظاهرتين مختلفتين. فالإرهابى، شخص ثورى، لديه أهداف سياسية واضحة، قد تكون الإطاحة بنظام سائد أو تحريك وضع راهن من خلال مجموعة من الوسائل والإستراتيجيات لتحقيق الأهداف. أما ناشطو الجريمة المنظمة، فهم بطبيعتهم محافظون، إذ يميلون إلى مقاومة أى تغيير سياسى، بل وعلى العكس يشجعون الاستمرارية والوضع الراهن، خاصة إذا كان يشكل بيئة مناسبة، لممارسة أنشطتهم الإجرامية». ومن هنا، فإن الأنشطة التى يقوم بها الإرهابيون، تنعكس على المجتمع بأثره. وليس فقط الشخص الذى اشترك فى تنفيذ النشاط الإرهابى^(١). ومن هنا كانت طبيعة الأهداف التى تضعها الجماعات الإرهابية نصب أعينها، أهدافاً غير أنانية، إذ إنها تحقق الصالح العام (من وجهة نظرهم). أما نشطاء الجريمة المنظمة، فهم لا يتحركون بفعل إيمان بقضية محددة، بل على العكس تماماً، فإن الدافع الأساسى هو الحصول على الممتلكات الخاصة أو/ وشبه العامة التى يتقاسمونها فيما بعد بين أعضاء المجموعة.

(١) إن مفهوم السلع العامة تم إدخاله على يد سامولسون (١٩٦٥) وهو وثيق الصلة بصفتين مهمتين: الاستثناء والاستنفاد. فالسلع العامة متوفرة لكل أعضاء المجتمع، بغض النظر عن اشتراك الأفراد أو مساهمتهم فى توفير هذه السلع. وعلى هذا الأساس، فإذا تكفلت أموال الضرائب بتوفير ثمن الهواء النقى الذى تنتفسه فى المجتمع، فإن الجميع سوف يستنشق ويستفيد منه. الغنى والمعدم على حد سواء. ثانياً: الانتفاع بالسلع العامة لا يستند بزيادة عدد المستفيدين منه. وعلى ذلك فإن ولادة طفل جديد لا تعنى، بأى حال، تناقص حظ المجتمع من الهواء النقى. (انظر: بومول وبليندر، ١٩٨٥، ص ٤٤٣-٤٤٤).

إذا تناولنا طبيعة الإستراتيجية التى تتبناها كل مجموعة فى تحقيق أهدافها، فسيظهر بوضوح حجم الاختلاف بينهما. فالمجموعة الإرهابية تتبنى أنشطة تتسم بالعنف من أجل الاتصال بقاعدتها أو بأعدائها، أو بالعملاء. (شميدت ودى جراف، ١٩٨٢). ومن هنا كان المزيج الذى تتسم به معظم عملياتها، مزيجاً من العنف والدراما. والعمل الإرهابى، يعتمد فى الترويج لنفسه على الدعاية التى تحقق له الشهرة التى يسعى إليها. ومثل ذلك جماعات المعارضة السياسية، التى تعلن مسئولياتها عن الحوادث بعد القيام بها، تحقيقاً للدعاية. منجزة لهدف أساسى من أهدافها، وهو «الدعاية من خلال النشاط الإرهابى» Propaganda of the deed.

وعلى النقيض من ذلك، تحاول مجموعات الجريمة المنظمة أن تعمل سرا وبمناى عن أى دعاية ممكنة. بل تحاول الهروب باستمرار من أعين ورقابة أجهزة الدولة. ومن هنا يؤكد جاميسون (٢٠٠٥)، أنه بينما تسعى المجموعة الإرهابية إلى تغيير الوضع السياسى الحالى من خلال أعمال العنف والفوضى التى تتسم بها أنشطتها الإرهابية، فإن جماعات الجريمة المنظمة الحديثة والمحكمة تسعى للعمل مع الأنظمة القائمة، محاولة اختراقها من خلال تقديم الرشاوى أو من خلال أساليب التهديد والابتزاز. ومن هنا فإنها تجد مصلحتها فى الإبقاء والمحافظة على النظام القائم كما هو. خاصة إذا كان يروج لأعمالها ومصالحها. وهى فى ذلك لا تختلف عن أى مشروع تجارى ناجح. إلا إذا كان هذا النظام يستهدفها بطبيعة الحال.

وبما أن أهداف التنظيمين مختلفة، فإنه من المتوقع بطبيعة الحال، أن يكون تعامل الدولة معهما مختلفاً. فإذا تناولنا الإرهاب وما يشكله بالنسبة لنظام الدولة، نجده أكثر خطورة. إذ يكون بمثابة التهديد العام والسياسى فى نفس الوقت. وأعماله تتسم بالعنف وترمى إلى الإثارة ولفت الانتباه. كما أن أنشطته تكون عشوائية، مما يتبعه حالة من زعزعة الاستقرار والشعور بالأمن بين أفراد المجتمع بآثره. أما الجريمة المنظمة، فهى تستهدف عادة قطاعات محددة غالباً ما تكون قطاعات بعيدة عن المركز، أو تكون على حافة المجتمع. ومن هنا، كان من المتوقع أن يكون رد فعل الدولة وأجهزتها تجاه حوادث الإرهاب وتهديداته أكثر صرامة وشدة منه فى حالة الجريمة المنظمة.

تحديد مجالات الارتباط :

على الرغم من اختلاف الأهداف، فإن هناك مجالات مشتركة تربط بين أنشطة المجموعتين. ومن هنا يحدث تعاون فيما بينهما لتحقيق الهدف النهائي. ويمكننا بشكل عام أن نحدد مجالات التعاون فيما بين المجموعات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة فيما يلي:

- ١ - من المتصور أن تتورط الجماعات الإرهابية في أنشطة إجرامية غير سياسية، من أجل دعم أهدافها النهائية. ومن ذلك قيامها بالاشتراك في حوادث سرقات البنوك، أو تهريب الأسلحة، أو جرائم الاتجار بالبشر، أو تجارة المخدرات.... إلخ.
- ٢ - وقد تتعاون جماعة إرهابية بشكل عرضي مع الجريمة المنظمة بغرض شراء أو تأمين نقل الأسلحة (بما فيها أسلحة الدمار الشامل) أو/ والعلماء.
- ٣ - كما أنه من المحتمل أن يحدث تنسيق بين المجموعة الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة، بغرض تحقيق التدعيم والتعزيز المادى من أجل تنفيذ أجندتها السياسية.
- ٤ - وقد تتحول جماعات الجريمة المنظمة في بعض الأحيان إلى جماعات سياسية، حينما تشترك في التنسيق مع الجماعات الإرهابية، للقيام بأعمال عنف لتحقيق هدف سياسى.

وتقوم العديد من الدراسات بعملية جمع المعلومات الخاصة بهذه المجالات الأربعة للتعاون بين المجموعتين. وفي هذا الصدد نود أن نقترح نموذجاً سلوكياً يساعدنا على التنبؤ باحتمالات حدوث هذا التعاون.

النموذج

ولتلخيص ما تقدم، فقد أكدنا، أنه على الرغم من وجود نقاط مشتركة بين مجموعات الجريمة المنظمة والإرهاب، فإن الهدف النهائي لكلا المجموعتين يظل مختلفاً. ويشكل نقطة فارقة بينهما. فالهدف الأساسى لأى منظمة إرهابية، يكون بطبيعته سياسياً، مثل محاولة تغيير الحكومة، أو تحقيق الاستقلال لجزء من الدولة، أو إقامة نظام اجتماعى جديد على أساس اتجاه سياسى أو دينى مختلف. وتعتبر هذه سلماً عامة بطبيعتها، بمعنى

أنه إذا تحقق الهدف، فسوف تنعكس الاستفادة على كل أفراد المجتمع، بمن فيهم الذين قد شاركوا في توفيرها.. وعلى النقيض من ذلك، فإن جماعات الجريمة المنظمة لا تهتم بالحصول على السلع العامة، حيث إن اهتمامها ينصب على الحصول على السلع شبه العامة، والتي لا يستفيد منها سوى أعضاء المجموعة وحدها. ويشكل ذلك اختلافاً مهماً بين المجموعتين، مما حدا بديشان (ص ٤٦-٢٠٠١) أن يقول: «إن طريق النجاح بالنسبة لبارونات المخدرات والقادة الثوريين ليس واحداً».

سوف نفترض الآن أن مجموعة معينة، يمكنها أن تشترك في نوعين من الأنشطة. أول نشاط الهدف منه توفير السلع العامة، التي تحقق الاستفادة للجميع. أما النشاط الثاني فالهدف منه توفير السلع شبه العامة التي يستفيد منها أفراد المجموعة وحدهم. كما أننا سنفترض أيضاً أن الحصول على السلع العامة قد تم من خلال أنشطة إرهابية نفذتها الجماعة، وليس لغرض تحقيق للاستفادة الذاتية، بينما السلع شبه العامة، قد تم الحصول عليها من خلال الاشتراك في أنشطة إجرامية.

$$\text{Max } U = Np(P) + Nq(Q) \quad (1)$$

ترمز U إلى المنفعة التي تعود على مجموعة من الاشتراك في نوعين من الأنشطة. ترمز P إلى السلع العامة (وتحقق منفعة لكل المجتمع بغض النظر عن المشاركة). ترمز Q إلى سلع شبه عامة (وتحقق منفعة لأعضاء الجماعة وقيادتها). ترمز Np إلى القيمة النسبية التي يمثلها توفير السلع العامة (P) للمجموعة. ترمز Nq إلى القيمة النسبية التي يمثلها توفير السلع شبه العامة (Q) للمجموعة. وبما أن أي مجموعة يمكنها الاشتراك في إتاحة كل من السلع العامة وشبه العامة، فإنه يمكننا بالتالي أن نكتب: $Np + Nq = 1$

وبما أن المجموعة الإرهابية تعول أساساً، على إتاحة السلع العامة، يمكننا أن نقول إنه بالنسبة لها فإن $Np > Nq$. 5. ويزعم جوبتا (٢٠٠٥) أن القيمة النسبية المزعومة بالنسبة للأهداف الأيديولوجية ليست واحدة بالنسبة لكل المنظمات الإرهابية. فبينما تضع منظمات مثل حماس والقاعدة أهمية كبرى على الأهداف الأيديولوجية، فإن

منظمات أخرى مثل أبو سيف وفارك بكونلومبيا، تهتم أكثر بتحقيق مزيد من الثراء لأعضائها الأساسيين. ومن هنا فإن المجموعات النادرة، التي تعتبر أيديولوجية بشكل خالص يمكن أن نرمز لها كما يلي $Np=1; Nq=0$

ونحن نعرف أن بالنسبة لمجموعات الجريمة المنظمة، فإن $Np < Nq$

أما المجموعات إجرامية النشاط بشكل خالص فيمكن أن نرمز لها كما يلي: $Np=0; Nq=1$

والمجموعات التي تحركها دوافع مختلطة، فسوف تكون القيمة النسبية لكلتا السلعتين أكثر من 0.

وبما أنه من المستحيل أن تكون أي مجموعة (غير أنانية) بشكل خالص (أندريوني ١٩٩٠)، يمكننا أن نخمن إذا أن المجموعات الإرهابية قد تحركها دوافع مختلطة ($1 > Np > .5$)

أما بالنسبة لأغلب مجموعات الجريمة المنظمة، فإن هذا الاحتمال يكاد ينعدم، بما أن الأهداف تكون واضحة وغير قابلة للبس. ومن هنا يتضح أيضا، أن القيمة النسبية لأيديولوجية المجموعات الإرهابية تعكس أهمية أنشطتها. وهذا يوضح سبب الحرص الشديد من جانب القيادات الإرهابية في حالة التورط في أنشطة إجرامية مع جماعات الجريمة المنظمة. حيث يكون لزاما عليها، أن تحسن موازنة المخاطر التي قد تتعرض لها، إن هي فقدت شرعيتها السياسية التي تعول عليها في الأساس. وذلك على الرغم من المكاسب المادية، التي قد تعود على أعضائها من جراء الاشتراك في أنشطة الجرائم المنظمة، بالإضافة إلى قلة مخاطرها إذا ما قورنت بالأنشطة الإرهابية^(١).

(١) إن مساندة القاعدة الشعبية لها أهمية خاصة ومعترف بها في أدب هذا الفرع المعرف. ويؤكد بلوم (٢٠٠٤) العلاقة الوثيقة بين المساندة الشعبية للعمليات الاستشهادية بين الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتساعد الانفجارات الانتحارية على أيدي حماس وPIJ وغيرها من جماعات المعارضة. وبالمثل يؤكد كالفاس، وسانشاز كونيكا (٢٠٠٥) أهمية أن تبنى مجموعة ما إستراتيجياتها على أساس يتفق ثقافيا ودينيا وسياسيا مع ميول واتجاهات القاعدة الشعبية التي تساندها.

حينما تشترك أى مجموعة فى أنشطة إضافية غير قانونية، فإنها تتعرض للاعتقال والعقاب، ويرمز لذلك بالمعامل المسمى (C). وتعطى هذه الرموز للمجموعات الإرهابية كنتيجة لسياسة تتبعها السلطات الحكومية وتنفيذها وكالات ومؤسسات تطبيق القانون وكذلك الجيش. وهكذا بالنسبة لنوعى الأنشطة، فإن المجموعة تواجه التكلفة النسبية التى نرمز لها بالمعامل المسمى (TC).
أى:

$$TC = cpP + cqQ = C \quad (2)$$

نفترض أن المجموعة لديها القدرة (C) لتحمل قدر محدد من التكلفة الناتجة عن اشتراكها فى أنشطة قانونية إضافية^(١). هذه التكلفة تتضمن العقوبات السلبية التى تفرضها سلطات الدولة.

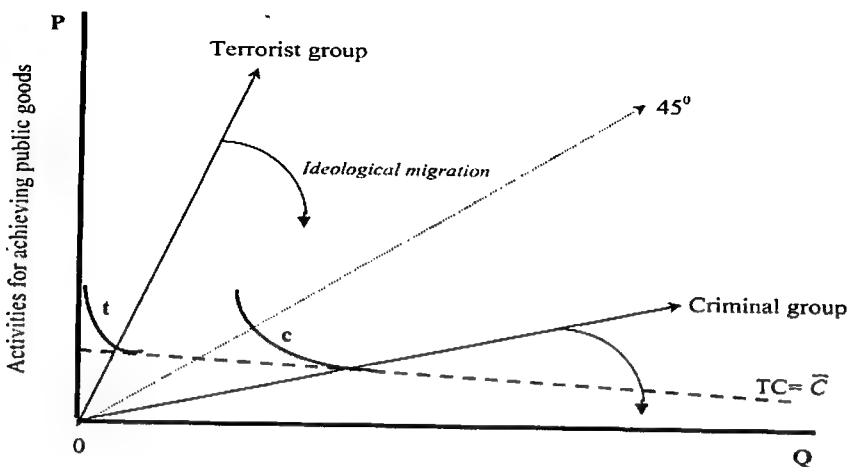
وهكذا، وبناء على مناقشتنا، يمكننا أن نكتب الحد الأعلى كما يلى:

$$\text{Max } U = NpP + NqQ + n(C - cpT - cqQ) \quad (2)$$

ويكشف ذلك عن تفضيل بالنسبة لنوعى الأنشطة لدينا:

$$\frac{\partial U}{\partial P} = Np - ncp = 0 \quad (3)$$

(١) بغرض افتراض مماثل، انظر: أندروز وساندلر (ص ٣٦ - ٢٠٠٥).



(الشكل ١, ٧) التحول الواقع على المجموعات

$$\frac{\delta U}{\delta Q} = \pi_q - \lambda C_q = 0$$

هذه المعادلة توضح مبدأ التعظيم المعروف، والخاص بالمنفعة الهامشية لنشاط حيث تتعادل فيه المنفعة مع التكلفة الهامشية. وينتج عنه، القدرة على تطوير عدد كبير من الفرضيات التي قد تساعدنا في فهم النتائج المعقدة لبعض دراسات الحالة. و(الشكل ١, ٧). يوضح لنا التصور الهندسي للنموذج المقترح. في هذا الرسم البياني، يقيس المحور الرأسى المنفعة التي تعود على المجموعة من الحصول على السلع العامة، بينما المحور الرأسى يوضح منفعة السلع شبه العامة. أما الخط الممثل لدرجة ٤٥ فيوضح تساوى المنافع بالنسبة للسلعتين. (٥). وهذا يعنى أن أى مكان فوق هذا الخط يوضح تعاظم المنفعة بالنسبة لمجموعة عن الأخرى، فيما يتعلق بالسلع العامة عنه في حالة شبه عامة. أما المكان أسفل الخط فيوضح العكس. وللتذكرة، فقد افترضنا أن المجموعة تحصل على السلع العامة من جراء ممارسة الأنشطة الإرهابية، بينما تحصل على السلع شبه العامة نتيجة، الانخراط في أنشطة الجريمة المنظمة. وهكذا فإن المجموعة الإرهابية

المفترضة، سوف تتجه إلى الموقع الذى يرمز له الرسم (t) الذى يوضح حالة من عدم الاكتراث.

ومن المتوقع أن تختار مجموعة الجريمة المنظمة موقعها فى نقطة على الرسم (c) الذى يوضح حالة من عدم الاكتراث.

أما الخط TC فيمثل حدود ميزانية تختار كل مجموعة فى إطارها المزج المناسب من النشاطين الذى يعظم منفعتها. ومن الممكن أن نخلص إلى أن درجة ميل منحني تكلفة الدولة سوف يرتفع فى حالة الأنشطة الإرهابية.

الفرضيات والأدلة التجريبية

إن هذا النموذج البسيط، يقدم لنا أفكاراً مثيرة للاهتمام فيما يتعلق بالمشكلة موضوع البحث. تعتبر الطبيعية السرية للمجموعتين من المشكلات الأساسية التى تواجه الباحثين، وهم بصدد كشف أسرار التعاون بين الجماعات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة. فضلاً عن محاولة المنظمات الإرهابية الظهور بمظهر غير مثير للشبهات، معتمدين على أن أهدافهم ذات طبيعة سياسية فى المقام الأول. ولكن من ناحية أخرى، فإن منافسيهم إلى جانب الحكومة والمعارضين السياسيين يحاولون النيل من سمعتهم والتركيز على عدم شرعية أنشطتهم، مثلهم فى ذلك مثل مجموعات الجريمة المنظمة. وعلى هذا، فلا بد من الاعتماد على مصدر آخر لتعزيز نموذجنا، وهو التقارير المنشورة. ومن خلاله يمكن استنتاج الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى:

نتيجة لاحتياجها للإمكانيات المادية، لتمويل أنشطتها السياسية، فإن المجموعة الإرهابية، تتحرك بفعل دوافع مختلطة وبدرجات متفاوتة من الالتزام بالحصول على السلع العامة والسلع شبه العامة.

وقد أوضح جونارتنا (٢٠٠١) من قبل أن كل المجموعات الإرهابية كى تستمر وتؤمن لنفسها الدعم المادى اللازم، لابد أن تنخرط فى أنشطة متنوعة قانونية وغير

قانونية. والمنظمة الإرهابية المحنكة، مثل أى منظمة متقدمة لابد أن تقوم على مبدأ تقسيم العمل. ولابد من وجود موظفين قائمين على توفير التمويل المادى داخل الهياكل التنظيمية لهذه المجموعات. وتنطبق هذه الفرضية حتى على أكثر المجموعات الإرهابية تمسكا بالأيديولوجية. ومن هنا كان تعاظم احتمالات اتجاه المجموعة الإرهابية إلى منحدر الجريمة.

الفرضية الثانية:

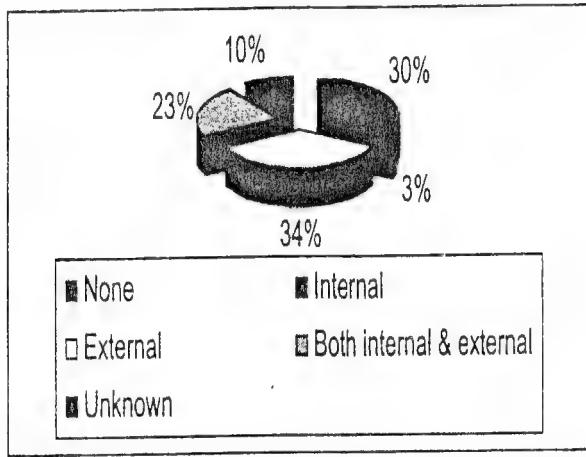
على الرغم مما يثيره تعاونها من مخاوف، فإن المجموعتين، لا تتعاونان حقيقة الأمر، سوى فى القليل النادر، وإذا تم بالفعل الاتصال أو التنسيق فيما بينهما، فإنه يكون فى الأغلب بشكل عرضى وليس مستمرا، أو على المدى الطويل.

وفى عام ٢٠٠٢، قام مركز الأمم المتحدة لمنع انتشار الجريمة الدولية (CICP) بإجراء دراسة طلب فيها من حكومات ٤٠ دولة أن تكشف الدلائل عن تعاون بين المجموعتين (Dandaurand & Chin، ٢٠٠٤)، وأظهرت النتائج أن ٢٢٪ فقط من المجموعات تنخرط بالفعل فى أنشطة مشتركة مستمرة محليا وخارجيا. بينما ٣٠٪ من المجموعات لم تظهر أى نوع من التعاون على الإطلاق (انظر الشكل ٢، ٧). وبناء على هذه النتيجة فقد خلصت الدراسة فى (ص ٢٨) «أن طبيعة التعاون بين المجموعتين، يكون فى الأساس تمويليا أو لوجستيا؛ مما يكشف عن مجرد تحالف مؤقت يخدم المصالح المشتركة. وحتى فى الحالات النادرة نسبيا لقيام أى ارتباط أيديولوجى أو سياسى فهو يحدث على مستوى العملية الواحدة»^(١).

ومن هنا خلص شميدت (ص ٨-٢٠٠٥) إلى أنه «لا يجب خلط الإرهاب، ذلك المزيغ العجيب من العنف والسياسة والدعاية، مع الجريمة المنظمة التى يحركها فى الأساس تحقيق الربح.

(١) إيفون داندوراند وفيان شين (أبريل، ٢٠٠٤): الارتباط بين الإرهاب وأشكال أخرى للجريمة. تقرير مقدم إلى وزارة خارجية كندا. فانكوفر: المركز الدولى لإصلاح قانون الجريمة وتحقيق العدالة.

إن العلاقة غير الواضحة بين الإرهاب والمخدرات، قد تقودنا إلى الخلط بين «الحرب ضد المخدرات» و«الحرب ضد الإرهاب» قد يفضى إلى وضع خريطة مضللة، ومبالغة في التبسيط لمواجهة مشكلة الإرهاب. «من هنا تظهر الحاجة، إلى تعريف أكثر وضوحاً..» كما يؤكد ديشمان (ص ٤٥-٢٠٠١)، «أنه في الواقع، تكاد لا توجد أى مؤشرات لاهتمام مجموعات المافيا بالتعاون أو التنسيق مع المجموعات الإرهابية، في مجال التهريب أو مجال جرائم أخرى».



(الشكل ٢، ٧) يوضح التعاون بين المجموعات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة.

الفرضية الثالثة:

حينما يضعف الوازع الأيديولوجي، فإن المجموعة تميل إلى الاتجاه إلى الأنشطة الإجرامية، أو إلى الحصول على السلع شبه العامة.

لاشك أن الأيديولوجية القوية تحافظ على تماسك المجموعة ومكانتها بوصفها منظمة تعمل على تحسين الوضع القائم في المجتمع الذي يمثل قاعدتها الشعبية. أما إذا

تغير الواقع السياسي، فسوف تفقد المجموعة هذه المكانة مما يدفعها إلى الجريمة المنظمة كوسيلة للمحافظة على وضعها.

في هذه الحالة، غالباً ما توجه هذه المجموعات عنفها إلى مجتمعاتها نفسها، من خلال الانخراط في أنشطة الجريمة المنظمة.. وثبتت صحة هذه الفرضية، حالة IRA، ITA، (ألكسندر، سويتنام وليفاين، ٢٠٠١) فحينما تغير الواقع السياسي للإقليمين، اتجهت المجموعتان إلى العمل في صفوف لجان الأمن الأهلية إلى جانب الأنشطة الإجرامية. (سيلكه، ١٩٩٨، ١٩٩٩) (هورجان، وتيلور، ١٩٩٩، ٢٠٠٣).

الفرضية الرابعة:

غالباً ما تتجه المجموعة الإرهابية إلى مصادرهما الداخلية الخاصة من أجل التمويل، مفضلة ذلك عن التورط مع منظمة إجرامية معروفة حفاظاً على سمعتها.

شهدت حقبة انتهاء الحرب الباردة تقلصاً واضحاً في الصراع الدائر بين القوتين العظميين. والذي كانت من مظاهره المألوفة تقديم يد المساعدة للمجموعات الإرهابية في القطب المنافس، لإضعاف الحكومات. وقد دقت أحداث ٩/١١ ناقوس الخطر، ورفعت من وعي كثير من الدول، محذرة من «استمرار اللعب بالنار». مما جعل من مساندة الجماعات الإرهابية بالنسبة للعديد من الدول، مغامرة غير مضمونة العواقب.

ومن أمثال تلك الدول، المملكة العربية السعودية، وليبيا. وغالباً باكستان أيضاً^(١). وأصبح لزاماً على معظم المجموعات الإرهابية، التي كانت تعتمد في تمويلها على تلك الدول أن تغير قبلتها إلى الداخل. مما ترتب عليه الانخراط في أنشطة إجرامية «داخلية» (ديشمان، ٢٠٠١، انظر أيضاً هورجان وتيلور، ١٩٩٩، ٢٠٠٣).

(١) انظر: حفاني (٢٠٠٥) لمزيد من التفسير في مسألة شكوكنا بالنسبة لباكستان.

الفرضية الخامسة:

ما لم تكن قيادة المجموعة الإرهابية في حالة يقظة، فإن هناك احتمالات قوية للانزلاق إلى هوية إغراءات التورط في أنشطة إجرامية. ويكون ذلك بالطبع على حساب، مصداقية المجموعة وشرعيتها السياسية لدى جمهورها أو قاعدتها الشعبية.

يحدث في حقيقة الأمر، أن تتجه المجموعات الإرهابية في بعض الأحيان إلى ممارسة أنشطة إجرامية سعياً وراء الإغراءات المادية التي تعود عليها، فتتحول إلى منظمة إجرامية. ومن الأمثلة القوية على ذلك، ما حدث لمجموعة أبي سياف بالفلبين (روجرز، ٢٠٠٤). وذلك على الرغم من ولائها المعلن لقضية الإسلام وإعلاء كلمته. مما قربها بعض الوقت من منظمة القاعدة. إلا أن أنشطتها المشبوهة، سرعان ما كشفت عن نفسها. ويؤكد ساجمان (ص ٤٤-٢٠٠٤) أنه ما إن أدرك أسامة بن لادن الهوية الحقيقية لتلك المجموعة، حتى أسرع بقطع صلاته بها. وهو ما يظهر لنا أهمية عامل اليقظة في تدارك إمكانية الانزلاق إلى تلك الهوية.

الفرضية السادسة:

في ظل حكومة قوية ومستقرة، حيث يكون الفارق بين التكلفة وبين كبرى (طبقاً للرسم البياني ١، ٧)، حينما تبدأ مجموعة ما نشاطها على أساس أيديولوجي، ثم تلجأ إلى تطوير أنشطة داخلية بغرض التمويل، فإنها عادة ما تنقسم إلى عدة مجموعات صغيرة، ويصبح النشاط الإجرامي هو تركيز كثير من هذه المجموعات. أما حينما تكون سيطرة الحكومة ضعيفة، أي في حالة الدول الفاشلة، فإن تكلفة النشاطين تصبح واحدة، بالنسبة لها، وبالتالي يأخذ الفارق بين المجموعتين في التناقص.

ومع الأخذ في الاعتبار التفضيل النسبي للسلع العامة عن السلع الخاصة وشبه العامة، فإن حافز التعاون المستمر بين المجموعتين يصبح ضئيلاً.

الفرضية السابعة:

من النادر جدا أن تتحول مجموعة نشاط إجرامي إلى مجموعة إرهابية، تسعى لتحقيق السلع العامة. وحتى مع افتراض أنها في وقت ما قد تتجه بأهدافها إلى تحقيق السلع العامة، فإنها غالبا ما تعود مرة أخرى إلى نشاطها المعتاد.

على الرغم من كونه أمرا نادرا، فإنه محتمل الحدوث، فمجموعة الجريمة المنظمة قد تنخرط في بعض الأحيان في أنشطة موجهة للغير (أي نشاط غير أناني المصالح). مثل روبن هوود مثلا، الذي يعطينا خير مثال لازدواجية الأهداف. وكذلك في السنوات القريبة أيضا، فإن كارتل مدلين، بزعامة بابلو إسكوبار، قد شهد له ببذل مجهودات كبيرة لتحسين مستوى معيشة الفقراء في المنطقة التي تخضع لسيطرته. إلا أن هذه الجهود لم تستمر طويلا. وكذلك مجموعة كوزا نوسترا الإيطالية، يمكن أن تمثل نموذجا آخر يدعم هذه الفرضية. فبعد احتلال جزر سيسيليا على أيدي الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، قدرت الجهود التي بذلتها مافيا سيسيليا في هذه الحرب، حيث أصبح يسمح لهم بحمل السلاح، بل وبالاشتراك في العمل السياسي أيضا. بل تم اختيار العمدة من بين صفوفهم، وكذلك مسئولين آخرين يعملون على تطبيق القانون في منطقة غرب سيسيليا. ولاشك أن هذه الشرعية السياسية، ساعدت على نموهم في الفترة التي أعقبت الحرب ليس فقط في إيطاليا، بل أيضا في الولايات المتحدة. (جاميسون، ص ١٦٧ - ٢٠٠٥). ولكن هذه الفرصة النادرة التي حظوا بها ليصبحوا جزءا من العملية السياسية في بلادهم، ما لبثوا أن فرطوا فيها لصالح جمع الثروات وتنميتها كما كان الحال من قبل. وأصبح يشار إليهم كمجموعة جريمة منظمة، أهدرت فرصتها في أن تصبح جزءا من سياسة بلادها وتحصل على شرعية لم تكن لتحلم بها.

الفرضية الثامنة:

في حالة أن يكون هدف مجموعة الجريمة المنظمة المجتمع بأكمله، فإن ما تتطلع إلى الحصول عليه سوف يظل كما هو: أي الحصول على السلع الخاصة أو شبه العامة. دون أي تغيير في الوضع السائد. ولكن يستبعد بصفة عامة أن تلجأ

مجموعات الجريمة المنظمة إلى هذا الأسلوب، إلا اضطرارا، وذلك في حالة أن تكون الحكومة قد حسمت أمرها لتصنيفتها نهائيا.

وكمثال لحدوث ذلك في بعض الأحيان، لجوء جماعات المافيا بإيطاليا إلى شن هجمات إرهابية ضد الحكومة، كما حدث في حملة تفجير السيارات عام ١٩٩٣، حيث تم استهداف شخصيات عامة، تعمل في مجال الإعلام المرئي. بالإضافة إلى تفجير القطارات، وزرع القنابل والعبوات الناسفة في أماكن متفرقة، متسببة في خسائر مادية وأضرار باهظة الثمن، لرموز ثقافية مثل متحف الأوفيزي بفلورنس. هذه المظاهر التي تشبه العنف الإرهابي، لا تتجاوز القشرة الخارجية فقط، حيث إن هدفها لا يكون تغيير المجتمع أو النظام السياسي. بل إرهاب الحكومة لوقف أنشطتها القمعية ضد المجموعات الإجرامية؛ لذا لا يمكن أن نطلق عليها أنشطة إرهابية. فحين تمارس جماعات الجريمة المنظمة العنف الإرهابي، فإن هدفها قد يكون وقف تحقيق مجريه معها المسؤولين أو وقف أنشطة تعقيبية تمارسها الحكومة ضدها. (ويليامزو سافونا، ١٩٩٥).

مناقشة النتائج السياسية

مما سبق الإشارة إليه، يتضح، أن العلاقة بين المنظمات الإرهابية، والجريمة المنظمة، تدخل أكثر في الحيز الأسطوري، حيث تفتقد إلى الدقة أو الفهم الصحيح. كما أنها وليدة تفكير لحظي ومنطوق غير متأن. تجنب معظم الحكومات إلى عدم التفرقة بين الجريمة المنظمة والمعارضين السياسيين في محاولة للنيل من شرعية المعارضين السياسيين. ومن ناحية أخرى، فإن هناك منظمات جريمة تحاول أن تخلع على نفسها شرعية سياسية من خلال ارتداء قناع سياسي مزيف.

حاولنا في هذا الفصل، أن نوضح الفارق بين المجموعات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة، من خلال تعريف يفرق بينهما على أساس طبيعة سلوكيات كل مجموعة. ومن هذه التفرقة، توصلنا إلى صياغة نموذج يعتمد على الأدوات المعيارية للاقتصاد المصغر microeconomics. ولا يخفى أن من مميزات استخدام النموذج النظري، هو

القدرة على إخضاع الملاحظات الواقعية، المتنوعة للتحليل. إن هذا النموذج استطاع أن يدرس بدقة حقيقة العلاقة بين المجموعتين من خلال البحث العميق في الدوافع الأساسية للتعاون الذي ينشأ بينهما، على أساس من مبدئي المنفعة والتكلفة. ويعتبر هذا التحليل مخالفا لما زعمته عدة دراسات حالة من قبل. حيث حاولت هذه الدراسات، تقديم تصور أكثر تعقيدا للطبيعة العلاقة بين المجموعتين، زاعمة تعاوننا وارتباطا بدا في أغلب الأحيان غير بديهي. أما الميزة الثانية للنموذج التحليلي الذي اعتمدنا عليه، فهو القدرة على مدنا بفرضيات يمكننا إخضاعها للتجربة والاختبار. ونحن في هذا الصدد، نوصي بإخضاع الفرضيات المقترحة لمزيد من التجارب والملاحظة بهدف التأكد من دقتها. ولا يخفى أنه كثيرا ما اعتمدت سياسات محلية أو دولية على سيناريوهات غير دقيقة، سرعان ما ثبت عدم صوابها. ومن هنا تتضح أهمية الميزة الثالثة لهذا النموذج. إذ يمكننا من صياغة سياسات مناسبة ذات أبعاد صحيحة ودقيقة؛ لأنها تستند على أسلوب علمي يعتمد على الملاحظة والاختبار.

- Alexander, Y., Swetnam, M. S., & Levine, H. M. (2001). *ETA: Profile of a terrorist group*. Ardsley, NY: Transnational Press.
- Andreoni, J. (1990). Impure altruism and donations to public goods: A theory of warm-glow giving. *Economic Journal*, 100, 464–77.
- Baumol, W. J., & Blinder, A. S. (1985). *Economics: Principles and policy* (3rd ed.). San Diego, CA: Harcourt Brace Jovanovich.
- Bloom, M. (2004). Palestinian suicide bombing: Public support, market share and outbidding. *Political Science Quarterly*, 119, 61–88.
- Combs, C. (2006) *Terrorism in the Twenty-First Century* (3rd ed.). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.
- Dandaurand, Y., & Chin, V. (2004, April). *Links between terrorism and other forms of crime*. A report submitted to Foreign Affairs Canada. Vancouver: International Centre for Criminal Law Reform and Criminal Justice Policy.
- Dishman, C. (2001). Terrorism, Crime, and Transformation. *Studies in Conflict & Terrorism*, 24, 43–59.
- Enders, W., & Sandler, T. (2005). *The political economy of terrorism* (p. 36). Cambridge: Cambridge University Press.
- Gunaratna, R. (2001). The lifeblood of terrorist organizations: Evolving terrorist financial strategies. In A. P. Schmid (Ed.), *Countering terrorism through international cooperation* (pp. 182–85). Milan: ISPAC.
- Gupta, D. K. (2005). Toward an integrated behavioral framework for analyzing terrorism: Individual motivations to group dynamics. *Democracy and Security*, 1.
- Haqqani, H. (2005). *Pakistan: Between mosque and military*. New York: Carnegie Endowment for International Peace.
- Hoffman, B. (1998). *Inside terrorism*. New York: Columbia University Press.
- Horgan, J., & Taylor, M. (1999). Playing the 'green card' – Financing the Provisional IRA: Part 1. *Terrorism and Political Violence*, 11, 1–38.
- Horgan, J., & Taylor, M. (2003). Playing the 'green card' – Financing the Provisional IRA: Part 2. *Terrorism and Political Violence*, 15, 1–60.
- Jamieson, A. (2005). The use of terrorism by organized crime: An Italian case study. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism: Myths, reality and ways forward* (pp. 164–177). London: Routledge.

- Kalyvas, S., & Sanchez-Cuenca, I. (2005). Killing without dying: The absence of suicide missions. In D. Gambetta (Ed.), *Making sense of suicide missions* (pp. 209-232). Oxford: Oxford University Press.
- Kellen, K. (1984). *On terrorists and terrorism*. N-1942-RC. Santa Monica, CA: RAND Corporation, December 1982.
- Naylor, R. T. (1997). Mafias, myths, and markets: On the theory and practice of enterprise crime. *Trans-national Organized Crime*, 3, 2-18.
- Naylor, R. T. (2002). *Wages of crime: Black markets, illegal finance and the underworld economy*. Ithaca: Cornell University Press.
- Reuter, P. (1983). *Disorganized crime: Illegal markets and the Mafia*. Cambridge: MIT Press.
- Rogers, S. (2004). Beyond Abu Sayyaf. *Foreign Affairs*, Jan-Feb, 15-28.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Samuelson, P. A. (1965). *Foundations of economic analysis*. New York: Athenium Press.
- Schmid, A. (2005). *Links between terrorism and drug trafficking: A case of 'narco-terrorism'*? Paper presented at the International Summit on Democracy and Security, 8-11 March, Madrid.
- Schmid, A. P., & de Graaf, J. (1982). *Violence as communication: Insurgent terrorism and the Western news media*. Beverly Hills, CA: Sage Publications.
- Schmid, A. P., & Jongman, A. J. (1988). *Political terrorism: A new guide to actors, authors, concepts, data bases, theories, and literature*. New Brunswick, NJ: Transaction Books.
- Silke, A. (1998). The lords of discipline: The methods and motives of paramilitary vigilantism in Northern Ireland. *Low Intensity Conflict & Law Enforcement*, 7, 121-156.
- Silke, A. (1999). Rebel's dilemma: The changing relationship between the IRA, Sinn Fein and paramilitary vigilantism in Northern Ireland. *Terrorism and Political Violence*, 11, 55-93.
- UN Centre for International Crime Prevention (2002). *Glossary of money laundering terms*. Available at www.unodc/money_laundering_glossary.html#m/
- Williams, P., & Savona, E. U. (1995). Introduction: Problems and dangers posed by organized crime in the various regions of the world. *Transnational Organized Crime*, 1, 25.

Further Reading

- Akerlof, G. A., & Kranton, R. E. (2000). Economics and identity. *Quarterly Journal of Economics*, 125, 715-54.
- Anderson, B. (1983). *Imagined communities*. London: Verso.
- Anderson, T. S. (2004). Transnational organized terror and organized crime: Blurring the lines. *SAIS Review*, 24, 50-52.

- Banerjee, S. (1980). *In the wake of Naxalbari: A history of the Naxalite movement in India*. Calcutta: Subarnarekha.
- Boorman, S. A., & Levitt, P. R. (1980). *The genetics of altruism*. New York: Academic Press.
- Collier, P. M., & Hoeffler, A. (2004). Greed and grievance in civil war. *Oxford Economic Papers*, 56, 563–584.
- Coogan, T. P. (2002). *The IRA*. New York: St. Martin's Press.
- DeNardo, J. (1985). *Power in numbers: The political strategy of protest and rebellion*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Ghosh, S. (1975). *The Naxalite movement*. Calcutta: Firma K. L. Mukhopadhyay.
- Gupta, D. K. (1990). *The economics of political violence: The effects of political instability on economic growth*. New York, NY: Praeger.
- Gupta, D. K. (2001). *Path to collective madness: A study in social order and political pathology*. Westport, CT: Greenwood Publishing.
- Gupta, D. K. (2002). Economics and collective identity: Explaining collective action. In S. Grossbard-Shechtman, & C. Clague (Eds), *The expansion of economics: Toward a more inclusive social science*. Armonk, NY: M. E. Sharpe.
- Gupta, R. K. (2004). *The crimson agenda: Maoist protest and terror*. New Delhi: Wordsmith.
- Huergensmeyer, M. (2000). *Terror in the mind of God: The global rise of religious violence*. Berkeley: University of California Press.
- Kenney, M. (2003). From Pablo to Osama: Counter-terrorism lessons from the wars on drugs. *Survival*, 45, 187–206.
- Konet, R. (2001). Sexual fantasies of a suicide bomber. Retrieved January 14, 2005, from www.israelinsider.com
- Korgan, R. (2002). The demon lover syndrome. *MS*, 13, 17.
- Kost, J. (2005). The socio-cultural underpinnings of terrorist psychology: When hatred is bred in bones. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism: Myths, reality and ways forward* (pp. 54–69). London: Routledge.
- Kapoor, D. (1992). Terrorism. In M. Hawkesworth, & M. Kogan (Eds), *Routledge encyclopedia of government and politics* (Vol. 2, p. 1067). London: Routledge.
- Kay, R. (2002). *The Naxalites and their ideology* (2nd ed.). New Delhi: Oxford University Press.
- Kobins, R. S., & J. Post (1997). *Political paranoia: The psychopolitics of hatred*. New Haven, CT: Yale University Press.
- Kenderson, T. M. (2004). Transnational terror and organized crime: Blurring the lines. *SAIS Review*, 24, 49–61.
- Katz, D., & Ferejohn, J. (1994). Rational choice and social theory. *Journal of Philosophy*, 91, 71–87.
- Kim, A. P. (1996). The links between transnational organized crime and terrorist crimes. *Transnational Organized Crime*, 2, 40–82.
- Kolm, A. K. (1977). Rational fools: A critique of the behavioral foundation of economic theory. *Philosophy and Public Affairs*, 6, 317–344.

- 1, A. (1980). *An approach to Naxalbari*. Calcutta: Institute of Scientific Thought.
- ter, P. J. B. (1994). *Behaviour and evolution*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

الفصل الثامن

الشبكات الإرهابية

سيكولوجية المجموعات الصغيرة

سام مولينز

نبذة: في خطوة أولى على طريق تأسيس نموذج يرصد التطورات التي تمر بها الجماعات الإرهابية عبر فترة استمرارها، نقوم هنا بوصف الأساليب التي نعتمد عليها في قياس التغيير الذي يطرأ على الأنماط السلوكية والبيان الاجتماعي لهذه الجماعات. ويعتبر عمر هذه الجماعات، هو أساس تركيزنا، معتمدين على التفسير النظري في فهم السلوك الإرهابي لتلك الجماعات.

في مجال دراسات الإرهاب، فإن تعبير «شبكة» يستخدم في الأساس للإشارة إلى المستوى التنظيمي (ماكاليستر، ٢٠٠٤، ميشيل وروزيتال، ٢٠٠٥) للجماعات الإرهابية.. وكثيرا ما أصبح يستخدم التعبير أيضا لإعطاء فكرة عامة عن طبيعة تنظيم القاعدة أو الإرهاب الإسلامي بشكل عام. والذي يتميز بطبيعة غير مركزية أو هرمية التدرج hierarchial. وهذا يؤكد لنا مرة أخرى، أن مثل هذا التنظيم الضخم ذا التغيير المستمر. ليس لديه في الأساس، هيكل موضوعي. بينما في أقصى نقطة على نفس المنحنى، وعلى المستوى الفردي من التحليل، فإن حالة الإرهاب الفردي، تكون شديدة الفردية، بحيث تكاد تكون منعدمة الفائدة من الناحية العملية. وعلى هذا، فإن المستوى التحليلي للمجموعة الإرهابية، يمثل التحدي الحقيقي. وهو يفسر كون المجموعة الإرهابية

ذات الحجم الصغير نسبياً، هي أساس جهود مكافحة الإرهاب من قبل مؤسسات تطبيق القانون والهيئات الأمنية بشكل يومي.

إن المعنيين بالجانب العملي، وكذلك الأكاديميين، يدركون حقيقة الدور الذي تلعبه البيئة الاجتماعية في تيسير التحول إلى التطرف أو اتخاذ قرار المشاركة في الأنشطة الإرهابية. وجدير بالذكر أن أماكن اجتماعية مثل الجوامع، ونوادي الشباب، إلى جانب صالات ممارسة الرياضة قد ذكرت بشكل متكرر، في التقرير الرسمي المتعلق بتفجيرات لندن، التي وقعت في السابع من شهر يوليو ٢٠٠٥. (مجلس النواب، ٢٠٠٦) مما يفترض «أن المعلمين بهذه الأماكن، يحددون أولاً العناصر التي يمكن أن تستقطب وتتحول إلى عناصر متطرفة، من بين مجموعات الشباب التي ترتاد هذه الأماكن. ثم يقومون بتدريبها سرا في شكل مجموعات صغيرة، تشرب من بعضها البعض ملامح التطرف.» (ص ٣١). ويشير ساجمان، (٢٠٠٤) إلى أن الروابط الاجتماعية تسبق الالتزام الأيديولوجي، كما يؤكد أنه إذا صاحب العزلة الاجتماعية، تماسك وتربط على مستوى المجموعة، فإن هذا المزج يساهم في نمو وترسيخ الأيديولوجية لدى هؤلاء الشباب. وعلى جانب آخر، فإنه من الضروري وجود عناصر من خارج المجموعة، تقوم بدور «الجسر» بين هؤلاء الشباب والمنظمات الإرهابية فيما يتعلق بتجنيد وتدريب العناصر المستقطبة إلى جانب التمويل.

لقد أصبح واضحاً، الآن أكثر من أي وقت مضى، أن العنصر الحيوي الذي يساهم في تحول هؤلاء الشباب إلى إرهابيين قد يكون التواصل التلقائي بين بعضهم بعضاً، أكثر منه، تخطيطاً مسبقاً يعتمد على عملية تلقين أو «غسيل أدمغة». ولا شك أن إتاحة وسائل التعارف بين الشباب عبر شبكة الإنترنت الدولية، تعزز من روابط التعارف والتواصل فيما بينهم، وتوفر لهم تبادل المعلومات الأيديولوجية والعملية، بما يغنيهم عن ضرورة الاتصال الرسمي بالمنظمات الكبرى. (كيري، ٢٠٠٧).

وعلى الرغم من وصولنا إلى هذه القناعة، فإننا لانزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات التفصيلية، الخاصة بطبيعة المجموعات أو الخلايا الإرهابية الناشئة.

أى مزيد من المعلومات الخاصة بالبنية الاجتماعية للمجموعة بهدف الوقوف على أنماط التفاعل بين أعضاء الشبكة الذى يؤثر بدوره على سلوكيات أعضاء الجماعة. (وسيرمان وفاوسن ١٩٩٤). والتي تقودنا إلى نقطة فى غاية الأهمية وهى دراسة هيكل هذه المجموعات.

وفضلا عن ذلك، ورغم أهمية الوصول إلى البنيان النهائى للجماعة الإرهابية فى الوقوف على كيفية سير العمليات. (كريبز، ٢٠٠٢)، فإن التغيرات الديناميكية التى يتعرض لها بنيان المجموعات عبر فترات تطورها المختلفة، تقابلها بشكل مؤقت ومرحلى، مجموعة من التغيرات النفسية التى يتعرض لها الأفراد والمجموعات؛ لذا فمن الأهمية بمكان أن يجرى تحليل منتظم للبنية الاجتماعية لتلك المجموعات، لفهم سيكولوجية التطرف التى تتحكم بدورها فى الأنماط السلوكية للمجموعة. ولا شك أن ذلك سيخدم سياسات وإستراتيجيات مكافحة الإرهاب. تحاول هذه الدراسة أن تضع أسس أسلوب جديد يعتمد على استخدام أدوات التحليل بشكل أكثر ديناميكية. وتطبيقه على مجموعتين معروفتين للإرهاب الإسلامى بهدف رصد التطور الذى طرأ عليها.

منهج البحث

تم الاستعانة برنامج Excel لتكوين مصفوفات تعبر عن مستوى الارتباط. بالإضافة إلى مصفوفة واحدة تمثل التغير فى البنيان الاجتماعى. وتم استخدام ثلاثة مستويات من الترابط:

صفر، للتعبير عن عدم الارتباط، و ١ للتعبير عن التعارف/ الصداقة و ٢ للتعبير عن وجود صداقة قوية، أو صلة عائلية. وقد تم قياس قوة الارتباط بناء على عوامل كمية وكيفية. وقد أخذنا فى الحسبان المعايير النفسية، والتأثيرية، والبرجماتية وكذلك طول فترة الارتباط. إذ إن قوة الارتباط يمكنها أن تتغير لعدة أسباب. كما يمكن أن تتفاعل مع الوقت فتثمر عدة درجات من الارتباط. معتمدة على طول هذه المدة. وقد تم تحليل المصفوفات بالاعتماد على Ucinet. (بورجاتى، أفيريت، وفريمان، ٢٠٠٢).

لإنتاج سلسلة من الشبكات في صورة أشكال بيانية، خاصة بالمجموعتين ، قامت بدور المساعدات البصرية ، وقد اعتمدنا عليها في إمدادنا بالتفسيرات النظرية . أما الشكل الانتشاري ، فقد تم تحديده بالاعتماد على Ucinet بالإضافة إلى نقاط تقاطع تمثل عدة مواقع، يسهل تعديلها يدويا، لتحقيق الإحساس الإدراكي للتعاقب الزمني .

ويلاحظ عدم اعتمادنا على أدوات القياس السابقة للشبكات، حيث إن ارتفاع درجة الاتصال فيما بينها الآن، يجعل الأدوات القياسية السابقة محدودة النفع بالنسبة لنا. أما «المركز السلوكي» فيشير إلى الأفراد/ الأماكن التي برزت، كأجزاء مكملية وأساسية في عمل المجموعة. ومن هنا كان الحكم على أهمية موقع ما بالإشارة إلى كونه «مركزي السلوك» أي، يتم التردد عليه أكثر من مواقع أخرى، وبالمثل، يمكن للفرد أن يصبح مركزي السلوك إذا اكتسب حضورا محوريا داخل المجموعة.

الخطة الألفية

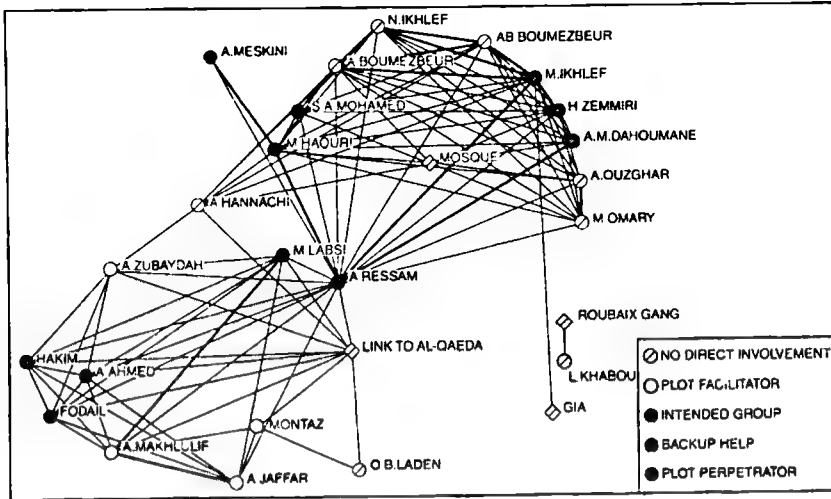
(ساجمان، ٢٠٠٤) كانت «الخطة الألفية» تدبر مخططا لتفجير مطار لوس أنجلوس. وقد تم الكشف عنها، حينما ضبط شخص يدعى أحمد ريسام وفي سيارته متفجرات. وذلك، أثناء محاولته دخول الأراضي الأمريكية عبر كندا. والشكل (١، ٨) يقرب لنا الموقف الاجتماعي لريسام ومدير آخر للخطة، ويدعى مصطفى لابسى، وقد دخل كل منهما بشكل منفرد إلى مدينة مونتريال بكندا، منذ ستة سنوات، في بدايات عام ١٩٩٤.

إن الهجرة إلى بلد جديد، يمكن أن تكون بمثابة مرحلة إعادة بناء للذات. ولاشك أن الروابط الاجتماعية مهمة في هذه العملية. (انظر كيدويل، ودانهام، وباكو وباستورينو، وبورتنس، ١٩٩٥). ولم يكن من الغريب بأى حال أن يندمج ريسام مع شباب من نفس المجتمع. وكذلك مع آخرين من خلال التردد على جامع المنطقة. وكما أشار كارنى (١٩٩٠)، فإن زيادة أواصر الاتصال بين الشباب تعمل على تحقيق مزيد من التقارب من خلال تبادل المعلومات. وقد كان هؤلاء الشباب متورطين في عملية إجرامية ثانوية الأهمية نسبيا، وقد شعر ريسام أولا بالإثارة لتورطه معهم. ولكن، سرعان ما تبين له أن

هذا النشاط الإجرامى كان بهدف دعم نشاط إرهاب إسلامى. وكان التحالف الذى نشأ بين ريسام ومصطفى لابسى ذا أهمية كبيرة بالنسبة للمجموعة، حيث إن صداقتهما الوثيقة قد عززت ثقة المجموعة بهما. إلى جانب عدم انتباههما، إلى مجموعة أخرى. مما جعل دخولهما كأعضاء فى هذه المجموعة أمرا متاحا ومقبولا. كما يسهل الاتصال والتفاعل الاجتماعى مع بقية أعضاء المجموعة. (فوسى، ٢٠٠٦). وكانت عملية تقبل عادات وقيم المجموعة سهلة وميسرة، من خلال وضع اجتماعى مشجع، حيث كانا محاضرين، بكوادر عالية الخبرة، ومنهم زعيم المجموعة، فاتح كامل، وزملاؤه من الوسنة. إلى جانب أعضاء آخرين من المجاهدين، وعلى المستوى المركزى من الشبكة. مما كرس إعجابهما بأعضاء المجموعة بشكل كبير.

ومن العجيب. أن ريسام ولابسى، وعلى الرغم من إدراكهما مبكرا للطبيعة الإرهابية للمجموعة، فإن ذلك لم يردعهما. وهذا يعنى أحد أمرين، إما تعاطفهما مع المجموعة. أو عدم اكتراثهما بالنشطة الجهادية والعنف المرتبط بها. خاصة وأنهم فى هذه المرحلة لم يكونا قد كونا بعد هوية جماعية. وإن كانا قد أدركا ما تتمتع به المجموعة من قيمة ومكانة. وحقيقة الأمر فإن ريسام ولابسى، قد تم تصنيفهما كمسلمين، من خلال ملمح غير دينى. حيث إنهما قد اشتركا مع بقية أعضاء المجموعة فى معاداة من هم خارجها. ونعتقد أنهما كانا يعتبران أنفسهما عضوين بالمجموعة. وبما أن الأعضاء فى أى مجموعة إسلامية يعتبرون أخوة للمسلمين جميعا، كمبدأ أساسى فى أيديولوجية الإسلام، فنحن نفترض أنهما لابد وقد تشبعا بهذه الهوية تدريجيا. ومن ناحية أخرى، فإن تمتعهما بمكانة مركزية نسبيا فى المجموعة، وإن كانت بدون خبرة حقيقية، كانت هى الحافز الذى دفعهما إلى تشرب مزيد من الفكر الأيديولوجى للمجموعة، يجعلهم أهلا بهذه المراكز المهمة، من خلال سرعة اكتساب الهوية الجماعية. ولاشك أنه مع كثرة التداول اللفظى لقيم المجموعة، المثلة فى شعارات ومبادئ، تتعزز عملية الاندماج الذاتى والانصهار الكامل فى هوية المجموعة، وبترسخ الإيثار الفعلى بها، مما يؤمن استمرار عضويتهم.

وجدير بالذكر، أن ريسام ولابسى، لم يبذلا أى مجهود يذكر للاشتراك في أنشطة إرهابية، قبل ظهور عبد الرؤوف حنشى، الذى غير النظام الاجتماعى داخل المجموعة. وكان حنشى قد جاء في وقت سابق إلى مونتريال، ثم ذهب إلى معسكر تدريب للقاعدة في أفغانستان. ثم عاد أخيرا إلى مونتريال عام ١٩٩٧. وكان حنشى يمثل تناقضا بالنسبة لللابسى وريسام، إذ إنه لا يتمتع بمركز قيادى داخل المجموعة، ولكن من ناحية أخرى، فإن تدريبه في أفغانستان قد أكسبه مكانة خاصة إذ أهله لمركز قيادى أكثر منها. ومن هنا كان إعجابهما به. مما حفزهما على محاولة الوصول إلى مكانته، أى في صدارة المجموعة. وكان هذا الحافز وراء قبولهما عرض حنشى بالسفر للحصول على تدريب عسكرى في معسكرات أفغانستان. وقد صاحبهما عضو آخر، هو كريم سعيد عثمانى، وكانت له خبرة سابقة أيضا، مما رفع من ثقتهم فتطلعا إلى المغامرة وترتب على سفرهما إلى أفغانستان انفصال حلقة من حلقات المجموعة.



الشكل رقم (١، ٨)

في بداية عام ١٩٩٤، وصل كل من ريسام ولابسى إلى مونتريال. وكانت هناك بالفعل عدة علاقات واتصالات بين أعضاء المجموعة. وكان الجامع آنذاك بمثابة حلقة الاتصال

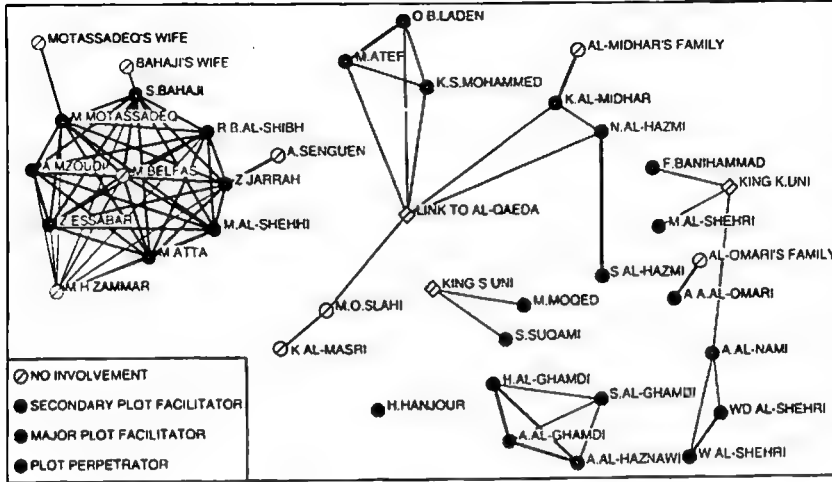
غير المباشرة بين أفراد المجموعة.. ومن المرجح أنه أصبح بعد ذلك حلقة اتصال مباشرة للأفراد الذين انضموا فيما بعد للجماعة.

وفيا بعد ترك عثمانى ريسام ولابسى، حيث تم القبض عليه. مما أخرجه من المعادلة. ووجد الصديقان أنفسهما فيما بعد يعملان في خلية تتكون من خمسة أفراد أثناء التدريب. حيث شاركهما الخلية، كل من، حكيم، وفضيل وأبى أحمد. والتنظيم بهذا الشكل ربما يكون قد تسبب أولاً في وقوع بعض الخلافات أثناء التدريب وفي مرحلة الاستعداد للتنفيذ. (تاكمان، ١٩٦٥). إلا أن التدريب المشترك في حد ذاته، في معسكرات أفغانستان النائية، لمدة أحد عشر شهراً، والاشتراك في هدف سرى يسعى الجميع إلى تحقيقه، قد حقق ارتباطاً وثيقاً فيما بينهم. بل حولهم من مجموعة إلى فريق يعمل معاً بشكل أكثر تكاتفاً. وحقيقة الأمر فإن ما مروا به من ظروف أثناء فترة التدريب في تلك المعسكرات، يكاد يطابق فكر المجموعة، من حيث القيادة المباشرة، والتمسك القوى بين الأفراد، الذى يفضى إلى المغالاة في الإحساس بالقوة والجنوح إلى الاختيارات المتطرفة. (جانيس، ١٩٨٢) ويعتبر هذا الفكر محفزاً ومرغوباً فيه في حالة تدريب الإرهابيين.

وبعد أن تلقى تدريبه بأفغانستان، وجد ريسام نفسه في عزلة. إذ فرضت على بقية أفراد فريقه قيود تمنعهم من السفر. ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه. بل استعان بأعضاء مجموعة مونتريال، واختار استكمال العملية. هذا القرار يجب أن نفهمه ليس فقط من منطلق الالتزام الأيديولوجى بفكر المجموعة، وإنما باعتباره نتيجة طبيعية، لشعوره المتزايد بالعزلة الاجتماعية، والتهديد. مما ضخ من شعوره بالهوية الاجتماعية وحالة التحيز داخل / خارج المجموعة. وكان حافزاً له في تكوين التحالفات مع الغير للتغلب على الشعور المتزايد بالتهديد. (نفاريت، كورزبان، فيسلرو كيريكباتريك، ٢٠٠٤). سيكولوجية التحالف إذا، يمكن أن تكون حافزاً مثل الالتزام بالأيديولوجية، إذا تمكنت من إعادة الحياة مرة أخرى إلى الشبكات الإرهابية بعد توقفها عن العمل.

أصبح ريسام يلعب دور المنسق المركزى للخطة داخل المجموعة، وقد تقاسم مع زملائه المشتركين في العملية معلومات كثيرة. وأصبح شكل المجموعة النهائى أشبه

بالبنیان التنظيمی فی شكله التقليدي. (انظر: الشكل ٢، ٨) وعلى رأسه ريسام، وذلك طبقا للمعايير التقليدية لقياس المركزية.



الشكل ٢، ٨. فبراير ١٩٩٩ - ديسمبر ١٩٩٩: وجد ريسام نفسه في عزلة عن فريق، فاستعان بمساعدة معارفه القدامى.

وقد يبدو من سير الأمور أن ريسام قد جعل من تنفيذ الخطة الألفية مطلبه الأساسي وضالته المنشودة. وبدا وكأنه، بعد فترة من الزمن، قد اندمج بالكامل داخل هوية المجموعة وأصبح التزامه خالصا لقضيتها. (روجرز، ١٩٦١). إلا أن الواقع قد يكون مغايرا لبعض الشيء. إذ تشير الدلائل إلى أن هذا التحول الكامل، لم يحدث حقيقة الأمر لريسام. إذ من الملاحظ أن ريسام قد نمت روابط متعددة مع أفراد أغلبهم أعلى مكانة منه، وإن كان قد وصل، في ذلك الوقت، إلى مكانة تعتبر مركزية إلى حد ما، داخل المجموعة. مما جعله مسئولا قانونيا عن الاتفاقيات، وفي نفس الوقت عرضه للضغوط الاجتماعية. وقد اتضح فيما بعد أن السلطات الكندية، لم تعر هذه المجموعة أى اهتمام خاص، بل اعتبرتهم «حزمة من الصبغة» كان هذا الاسم ما أطلقته عليهم. (ساجان،

ص ١٠١ - ٢٠٠٤). ولم يكن من المخطط لهذه العملية أن تكون عملية انتحارية. بل إن ريسام كان يعتزم العودة بعد انتهاء المهمة إلى الجزائر مرة أخرى، وكأنه قد تغيب عنها فترة من الوقت، لقضاء مهمة سريعة. ولكن يمكن القول أيضا، إن الارتباط بالعملية، كان غير متوقع. فحنشى، مثلا قد تغيب بعض الوقت حين تلقى تدريبه في أفغانستان ثم ما لبث أن عاد ثانيا لمجتمعه. وكان ذلك بعد حصوله على مكانة أعلى. إذا، فعلى الرغم من أن ريسام وبقية أعضاء المجموعة قد تحملوا مسؤولية الخطة بالكامل، فإنهم لم يدركوا عواقب ونتائج مثل هذه العملية إدراكا كاملا. كما أن حالة ريسام توضح لنا أن الإرهاب قد يتخذ شكلا غير شخصي، بشكل يجعله غير مبال بهوية العدو. وهو ما يعتبر عنصرا جاذبا للشباب غير مستقطب أو مؤمن بمذهب أو معتقد. وكل ما يهمه، هو توجيه ضربة لعدو لا يكثر كثيرا بأمره. ثم ينتهي الأمر على ذلك. كما أن حالة ريسام أيضا تكشف النقاب عن أن عملية اتخاذ القرار، قد تكون تراكمية في بعض الأحيان. فعلى الرغم من الأهمية الحيوية للقرار النهائي في تنفيذ العملية الإرهابية، فإن هذا القرار، قد يكون، جزءا من مجموعة من القرارات الصغيرة التي أفضت إليه في نهاية الأمر.

مجموعة الحادى عشر من سبتمبر أو مجموعة هامبورج

ثلاثة أفراد من بين ١٩ فردا من مختطفى طائرات حادث اعتداء ٩/١١، كانوا ينتمون لمجموعة أخرى، تتكون من ثمانية أفراد، ومقرها هامبورج. وقد كانت هناك عدة نقاط مشتركة بين هذه المجموعة ومجموعة مونتريال. أولا أن جامع المنطقة كان مقر اجتماعاتهم في المراحل الأولى من تكوين المجموعة. إلى جانب أن معظم أصدقاء مجموعة هامبورج كانوا قد انتقلوا إليها مهاجرين وطلابا في الجامعة. إلا أن نقطة الاختلاف المهمة بين المجموعتين. تمثلت في مجموعة هامبورج، حيث كانت منذ البداية متدينة، وبالتالي لم تلفت النظر إليها أولا كمجموعة غير تقليدية أو منحرفة بشكل ما.

أما فيما يتعلق بمنطق التغيير أو الإيمان بأيدولوجية جديدة، فعلى الرغم من أن معلم المجموعة، محمد بلفاس، الذى كان متمكنا من العقيدة، وخبريا فيها، وبالتالى تعتبر تعاليمه، وتصريحاته مصدرا موثوقا به، فإن طلابه كانت لديهم عقيدتهم الراسخة من قبل أن يأتوا إليه. وما كانت تعاليمه سوى تعميق لعقيدة مستقرة بالفعل. كانت مجموعة هامبورج تتمتع بخصائص المجموعة التقليدية مع بعض التحالفات الداخلية، نتيجة لوجود عدد من السمات المشتركة بين أفراد المجموعة، مما ساهم في هذا التقارب. وتميز معدل نمو المجموعة بالتزايد المنتظم. وكان الأعضاء ينضمون إليها بشكل فردي. ومن مظاهر اختلاف المعاملات داخل المجموعة، أن العضو رامزى بن الشبح مثلا، كان يتبادل المعلومات مع بقية أفراد المجموعة على أساس من المساواة الاجتماعية. في حين، كان سعيد بهاجى، وزكريا الصبار، يمثلان للطاعة، سعيا لنيل القبول الاجتماعى داخل المجموعة. أما الوقت اللازم لقبول العضو داخل المجموعة، فكان يعتمد على قدرة العضو على التعامل مع زملائه، إلى جانب فترة اختبار يخضع لها الأعضاء حتى يتم قبولهم. مما عزز من الاستقرار والشعور بالأمان داخل المجموعة. وكانت فكرة فترة الاختبار، ذات أبعاد مهمة بالنسبة لسياسة الاختراق التى قد تتعرض لها المجموعة. ولاشك أن استقرار بنية المجموعة، يعمق من شعور الأعضاء بتقاسم هوية مشتركة. وانصهار الهوية الشخصية لكل فرد في المجموعة، داخلها. هذا الاستقرار الاجتماعى لبنان المجموعة يساعد على تكريس الأيدولوجية المشتركة بينهم. مما يعزز الطاعة. ويزيد من التطرف أيضا. ومن الطبيعى، أنه في ظل بيئة منغلقة على نفسها اجتماعيا، فإن المعتقدات البديلة، والمؤثرات الأخرى يتم تجنبها بشكل عام. وبما أن التواصل بين الأفراد في حاجة إلى معلومات جديدة («مبدأ المعلومات» أولسون وزانا، ١٩٩٣) فإن هذا يخلق ضغوطا من أجل حدوث تقدم أيدولوجي. هذا التقدم البنائى قد يتوازى معه تقدم في الأيدولوجية أيضا. فيشمر ادورة من الراديكالية: فتصبح المعتقدات أكثر تطرفا، وتفاقم من انعزالية المجموعة. ويواكب ذلك أيضا تعاظم أهمية

الانضمام إلى عضوية المجموعة.. ومن هنا كان تصاعد الأهمية الأيديولوجية متوقفا على زيادة حالة العزلة ونمو عنصر الالتزام لدى أفراد المجموعة. وإن كان يعنى أيضا تزايد وتراكم حالة من الضغط تفصح عن نفسها في شكل تزايد الحاجة إلى التعبير عن هوية المجموعة.

وبعد الوصول إلى مرحلة مهمة من التطور والنضج، وقرابة نهاية عام ١٩٩٩، سنحت لمجموعة هامبورج الفرصة للتعبير عن هويتها وقوة إيمانها - وكما حدث لمجموعة مونتريال. تم تقسيم الأدوار داخل المجموعة. فسافر كل من، عطاء، والشيخى، وابن الشبح، وجراح، في أول رحلة لهم إلى أفغانستان، حيث تم اختيارهم سريعا «لعملية الطائرات» (لجنة تقرير ٩/١١).

ورغم أن هذا التقسيم الأول كان لأسباب عملية بحتة، فإنه ترتب عليه حدوث تصدع دائم في صفوف المجموعة. أهمها ما حدث بين أعضائها ومعلمهم بلغاس. حيث اضطروا إلى الابتعاد عنه لأسباب تتعلق بالأمن. ومن المعروف أنه حينما تبتعد مجموعة عن معلمها، فإن ذلك يكون مؤشرا لبدء المرحلة النهائية، على منحني تطورها، حيث تنتقل المجموعة من مرحلة الامتثال والطاعة إلى مرحلة «التحول».

ولاشك أن مرحلة التقسيم، قد تعرض أفراد المجموعة لضغوط نفسية، نتيجة لما يعانونه من عزلة وانفصال عن بقية الأعضاء. وهذا يمكن أن يفسر لنا، ما انتاب زياد جراح من حالة نفسية، كادت تجعله ينسحب من العملية المكلف بها. إذ انزل عن زملائه المقرين وافترق مساندتهم الاجتماعية أثناء بقاءه في الولايات المتحدة. ويرجع الفضل في عدم انسحابه من العملية، إلى مقابله الشخصية ورمزي بن شبح الذي كان قد قدمه إلى المجموعة. وبالمثل تعرض نواف الحازمي من المملكة العربية السعودية، وهو أحد محتظفي الطائرات، لموقف مشابه، حينما تركه زميله خالد المضار، لزيارة عائلته في وقت لاحق، مما عرض أمن العملية للخطر، من خلال تبادل المعلومات مع أفراد

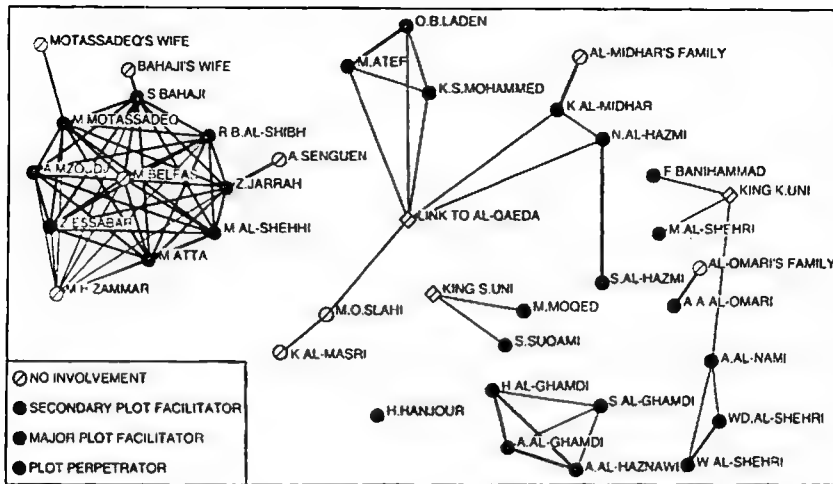
من خارج المجموعة. كذلك فإن ارتباط جراح، وهو عضو آخر بالمجموعة، بحييته أيسال سنجوين، قد عرض أيضا أمن المجموعة للخطر، وقلص من حجم مساندته الاجتماعية للمجموعة، خاصة وأنه ارتباط قوى ودائم، خارج إطار المجموعة. مما يشكل عامل انجذاب قوى يبعده عن المجموعة وأهدافها. ويعتبر المضار وجراح هما المختطفان الوحيدان اللذان تعرضا لمثل هذا الانجذاب خارج إطار المجموعة. وكان جراح قد أظهر هذا الاتجاه بعد تعرضه للفشل في كلية الطيران. إلا أنه حينما كان عليه الاختيار بين البقاء مع أسرته أو إنقاذ ماء وجهه والموت وسط زملائه لجأ للخيار الثاني. ولا شك أن لجوء كثير من مختطفى طائرات ٩/١١ إلى الاتصال بعائلاتهم قرب موعد تنفيذ العملية (تقرير لجنة ٩/١١، ص ٢٤٥) دليل على بقاء هذا الارتباط العائلي على درجة كبيرة من القوة، هذا على الرغم من أن المظاهر قد تدل على عكس ذلك. وهذا يعنى أن هذه الروابط تكون بمثابة «الدرع الحامية» وقت الشدائد. ولكن من ناحية أخرى، فإن متانة الروابط الاجتماعية السائدة بين زملاء المجموعة تحافظ على صلابتها، ما دام نظام المساندة الاجتماعية باقيا داخل المجموعة على درجة عالية من الفعالية.

وجدير بالذكر، أنه على الرغم من أهمية اكتساب أفراد المجموعة للهوية المشتركة إلى درجة يحدث معها «انصهار كامل لهوية كل فرد داخلها»، وخير دليل على ذلك، (الالتزام، بل والحرص على الشهادة في سبيل أهداف المجموعة)، فإنه من المشاهد أيضا، أن بعض الصداقات الشخصية بين أعضاء المجموعة تظل على درجة عالية من الولاء والإخلاص. ولهذه النقطة أهمية خاصة، تظهر في التقسيمات الداخلية للمجموعة، كما تشهد عليه العلاقات الوثيقة التي تكونت بين زملاء داخل مجموعة هامبورج. ثم الاختيار النهائي لفريق المختطفين الذى نفذ عملية ٩/١١. حيث كانت أواصر الصداقة والروابط العائلية، هى، حقيقة الأمر، أساس تقسيم كل فريق من المختطفين، أكثر منه التزاما بمعايير موضوعية في الاختيار. وبهذا يتضح قوة الدور الذى تلعبه روابط الصداقة والروابط العائلية كجزء من الروابط الاجتماعية، خاصة وأنه قد تم الاعتماد عليها بشكل أساسى، في تشكيل فرق من الإرهابيين الانتحاريين على أعلى مستوى من «المهنية».

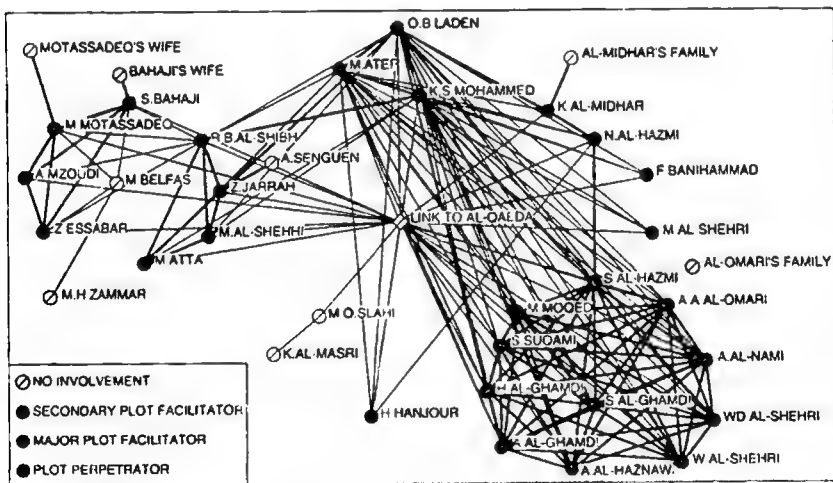
ومن المؤسف حقيقة الأمر، أنه لم يتوافر لدينا مزيد من المعلومات عن الظروف الاجتماعية التي عاشها المختطفون السعوديون، والتي أفضت إلى رحيلهم إلى أفغانستان، ثم إلى اشتراكهم في فترة لاحقة في عملية ٩ / ١١. وغالبا أن ما حدث، لأغلبهم، هو أنهم قد تلقوا تعليمهم على أيدي شيوخ متشددين أو أصوليين. وقد يكون ذلك مفسرا لرحيلهم بعيدا عن بلدتهم. إلا أن هذا التصور لا يمكن اعتباره مفيدا بشكل خاص. ويبدو أن أغلبهم قد وصل إلى أفغانستان في شكل مجموعات صغيرة، تلقت تدريبها هناك، ثم عملت معًا بعض الوقت، قبل أن يتم اختيارها على يد ابن لادن شخصيا، لهذه المهمة بالغة الأهمية.

ولاشك أن اختيار شخصية مؤثرة وكاريزمية مثل ابن لادن لهؤلاء الأفراد، قد خلق تجانسا شديدا، فيما بينهم، وعمق من روح الزمالة التي تربطهم. إلا أنه من المشاهد أيضا، أن المجموعة كانت دائمة التقسيم، والانتقال من منطقة إلى أخرى، والدليل على ذلك غلبة التقسيم الثنائي كشكل سائد للمجموعة، وذلك على امتداد مراحل عملية ٩ / ١١ وحتى الشكل النهائي للفريق.

وجدير بالذكر أيضا، أن المجموعة الجديدة التي وصلت إلى الولايات المتحدة ولحقت بالأعضاء القدامى الذين كانوا قد مكثوا عاما هناك قبل بدء تنفيذ العملية، قد أعطت شحنة قوية من الحماس وقوة العزيمة لزملائهم، ساعدت في تحفيزهم. كما أكد ساجمان (ص ١٥٦ - ٢٠٠٤) أنه، على الرغم من عمق الشعور بهوية المجموعة، فقد كان عاملا مؤثرا، في تكوين التوجه العام داخلها، إلى كره الغرب الذي يمثل «المجموعة الخارجية». ولكن ما دفع ١٩ رجلا إلى قتل ٣٠٠٠ شخصا أجنبيا، وقتل أنفسهم أيضا، في نفس العملية، يرتبط أيضا بشعور الزمالة والصدقة التي ترسخت في أعماق كل فرد منهم.



(الشكل ٨، ٣) نهاية ١٩٩٨-١٩٩٩: مجموعة هامبورج (الجزء الشمالي من الرسم). تطورت إلى وحدة شديدة التماسك، تلتزم بالعمل الجهادي. ومع ذلك هناك مظاهر لتحالفات داخلية مهمة.



(الشكل ٨، ٤) صيف ٢٠٠٠ - وبداية عام ٢٠٠١: بدأ تصدع يظهر داخل مجموعة هامبورج، حين بدأ عطا، والشهبي، وجراح، يتدربون بالولايات المتحدة، وكان ابن الشيخ يلعب دور الوصلة فيما بينهم. وهناك صداقات خاصة تكونت داخل المجموعة السعودية (الجزء الأيمن من الرسم) وبالنسبة للأغلبية تباعدت العلاقات الأسرية.

مقارنة بين المجموعات

تبدو من أول وهلة، أوجه تشابه عديدة بين المجموعتين (انظر: الجدول ١، ٨). وذلك من منظور وقت التطور الذى مرتا به، إلى جانب التأثير النسبي لضعف الارتباط فى بعض الفترات وانعكاساته على النظام الاجتماعى داخل كل مجموعة، فضلا عن درجة مساهمته فى تعميق الأيديولوجية. ومن أوجه التشابه أيضا، عدد أفراد المجموعتين. وإن كانت مجموعة مونتريال تعتبر جزءاً من شبكة أكبر قليلاً. هذا فيما يتعلق بالاختلافات الكيفية بين المجموعات. (انظر: الشكل ٢، ٨).

وهناك نقطة اختلاف مهمة جداً بين مجموعتي مونتريال وهامبورج، وتعلق بنقطة بداية التركيز الأيديولوجى لكل مجموعة. فهل كانت البداية إجرامية أم دينية؟ فهل تكون على النقطة المتطرفة من منحنى السلوك الإجرامى، مرتفع المخاطر، أم على النقطة المتطرفة من منحنى النشاط الدينى السياسى. وهذا بدوره يؤثر على تطور كل مجموعة، من ناحية هويتها الاجتماعية. فالجريمة من ناحية، تتطلب إقامة علاقات كثيرة خارج المجموعة. ولا يكون لها أهمية فى التأثير على هوية أى مجموعة. فى حين أن الدين يساعد على تطوير هوية مشتركة للمجموعة. كما يسمح بعزلة اجتماعية أكبر. وهناك نقطة أخرى تتعلق بهيكل المجموعة. وهى الاتصالات أو الروابط الأولى لكل مجموعة عند بداية فترة تطورها ونموها، والتى كان من الممكن أن نرصدها بوضوح أكثر بالنسبة لمجموعة مونتريال. هذه الاتصالات، تحدد سرعة النمو بالنسبة لكل مجموعة على مر الوقت. فقد تتراوح بين نمو متقطع إلى نمو تدريجى ومنتظم مع فترات من الاستقرار قد تطول أو تقصر، قبل بدء الحاجة إلى تجنيد أعضاء جدد. إذا فطبيعة وبنيان كل مجموعة فى فترة بداياتها يمكن أن تؤثر على شكل وطبيعة تطورها فيما بعد. وبالتالي على الشكل الهيكلى، مع مرور الوقت. فقد تأخذ المجموعة شكلاً عنقودياً أو تتجه أكثر للشكل الفردى. وكل العناصر السابقة تؤثر فى نهاية الأمر، على السرد الشخصى لأفراد المجموعة، ومجمل نظرهم لأنشطتهم الإرهابية، مما يؤثر بدوره على الهوية المشتركة للمجموعة.

من الناحية الهيكلية، فإن المجموعتين قد أظهرتا اتجاهات لتعاون داخلي على المستوى العام للمجموعة. وهو عنصر مهم في عملية التحول الراديكالي. ولكن على الرغم من هذا التماسك العام، فقد أظهرت المجموعتان أيضا مؤشرات لبعض التحالفات الداخلية، التي كانت تحكم عملية التقسيم النهائي قبل تنفيذ العمليات.

وقد كان لأعضاء المجموعتين أيضا، معلم. فبالنسبة لمجموعة مونريال، كان كامل هو المعلم. بينما كان بلفاس معلما لمجموعة هامبورج. وقد أدت كثرة غياب كامل، في حالة مجموعة مونريال إلى تقسيم دور المعلم بين مجموعة من الأعضاء الآخرين، ممن يتمتعون بمكانة خاصة، ويعتبرون قدوة بين أعضاء المجموعة. أما بلفاس فقد كان له في البداية دور أساسي ومؤثر في تطور المجموعة. ثم ترك للأعضاء مهمة التطوير التلقائي لأفكاره وتعاليمه. وحينما يسمح للمجموعة بذلك، فإنهم يكونون أكثر التزاما بها وحرصا على نشرها. وسواء انتهى الأمر بالتخطيط للقيام بعملية انتحارية أم لا، فإنه من المرجح أن الإقبال على تلك العمليات بكثرة، يعد مؤشرا كاشفا عن عمق التماسك الداخلي للمجموعة. وبالتالي دليلا على قوة الأيديولوجية واكتمال العناصر الهيكلية.

Table 8.1. Quantitative comparison of the Millennial and Hamburg groups

(الجدول ٨, ١) مقارنة كمية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج.

Group Features	Millennial Plot	Hamburg Group
No. In Immediate Group>	7-14	8
No. In Operation From Group	1	4
No. Intended From Group	3	4-8
Total No. Intended	6	20
Total Operation No.	3 (50%)	19 (95%)
Average Joining Age	{28}	22.5
Age Of <Mentor>	34	50
Age Of WTD	47	37

Time 1: 1st Contact To Train	4 years	4 years
Time 2: 1st Contact To WTD	3 years	>3 years
Time 3: From Full To WTD	1 year	Few months
Time 4: From WTD To Train	<1 year	1 year
Time 5: Time in Afghanistan	11 months	2-3 months
Time 6: From Train To Op.	1 year 8 months	1 year 10 months
Time 7: End Train To Op.	9 months	1 year 7 months
Time 8: 1st Contact To Op.	<6 years	<6 years

* يتوقف حجم المجموعة على أساس ما تعطيه من معلومات خاصة بها. بالنسبة لمجموعة مونتريال غير معروف أعمار كل الأعضاء. لذا تم الاعتماد على أعمار ثمانية أعضاء للشبكة.

** فترات ضعف في الروابط بين أفراد المجموعة. مقارنة كمية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج

بالنسبة لمجموعة مونتريال فإن أعمار الأعضاء ليست كلها معروفة لذا تم الاعتماد على أعمار ثمانية أعضاء بالشبكة مقارنة نوعية بين مجموعة الألفية ومجموعة هامبورج *** فترات ضعف في العلاقات.

Table 8.2. Qualitative comparison of the Millennial and Hamburg groups

الجدول (٢, ٨) مقارنة نوعية بين مجموعة الألفية وهامبورج

Group Features	Millennial Plot	Hamburg Group
Recent immigrants	Yes	Yes
Education	High school/colli	University
Original group setting	Criminal	Religious
Social influence	Distributed	Distilled
Pre-existing associations	Yes	No
Growth	Sporadic	Gradual
Full-clique structure	Yes	Yes

Internal alliances	Yes	Yes
Overall structure over time	Clustered	Singular
DPA>>	Yes	Yes
Religious by time of op.	Yes	Extremely
Suicide/intended	No	Yes
Success	No	Yes

استنتاجات نهائية

إذا أردنا أن نفهم سلوكيات هذه المجموعات، وكذلك سلوكيات أفرادها، فلا بد أن يكون لدينا أولاً تقدير صحيح لعمرها، لما له من تأثير قوى على ذلك، وكذلك التغيرات المتعلقة بالبنيان الاجتماعى لتلك المجموعات. بالإضافة إلى أهمية أن يكون لدينا نموذج يمثل تطور المجموعة على مر عمرها، بما يساعدنا في التفسير النظرى لملاحظاتنا، ويكون بمثابة أداة مفيدة لتعزيز فهمنا لسلوك الإرهابى. وتمثل الدراسة الحالية خطوة استكشافية في اتجاه تطوير هذا النوع من البحث. والاستنتاجات الآتية قد تم التعرف عليها. أو تكررت؛ لذا تعتبر ذات دلالة خاصة:

- العلاقة بين الأيديولوجية والبنيان. (الهيكلى).
- توزيع التأثير الاجتماعى (نموذج معلم واحد/ أو عدة معلمين).
- عملية النمو (تدرجية منتظمة أو غير منتظمة).
- التركيز على الهيكل عبر فترة من الزمان (فردى أو عنقودى).
- بنيان يمثل تفاعل بين كل أفراد المجموعة. أو وجود حالة عزلة لبعض الأعضاء .
- التحالفات الداخلية.
- WTD (عنصر فترات الضعف) وتأثيره على قوة الأيديولوجية وكدافع للمشاركة فى الأنشطة الإرهابية.
- DPA (أو التقسيم الذى يسبق العملية) وتزايد الحساسية.

وبصفة عامة فإن هذه الاستنتاجات، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مجالات متداخلة

من البحث:

- نقاط بداية المجموعة.

- النمو والتطور.

- والإعداد للتنفيذ.

وكلما سنحت لنا فرصة دراسة المجموعات الإرهابية على هذا "نسق، مع الأخذ في الاعتبار السياق الأكثر عمومية، شكل ذلك فائدة وفرصة، لعقد مقارنة بين المجموعات بهدف التعميم أولاً ثم القدرة على التنبؤ فيما بعد. ولاشك أن التوصل إلى مؤشرات أساسية لتلك المجموعات مثل المراحل المحددة للتطور، أو أنماط الإعداد للعمليات. يفتح لنا المجال لمديد العون والمساعدة للجهات المسؤولة عن عمليات مكافحة الإرهاب وتقييم الأخطار. ثم التدخل أخيراً على أساس معرفي سليم. وبالطبع فإن كل ذلك يعتمد على قدرتنا على الوصول إلى منهج للبحث، يمكن تطبيقه، على الأقل على الأحداث السابقة. ومن المسائل الحيوية لحدوث مثل هذا التقدم، الوصول إلى معايير الحكم على بعض اللقاءات. والقدرة على تحديد وقياس «العزلة الاجتماعية» ومركزية السلوك» وإجراء مزيد من التحريات بشأن شروط ومقاييس الشبكات الموجودة. وأخيراً فإن تطبيق منهج البحث، يعتمد على المعلومات المتاحة، التي تتباين بشدة من ناحية الكم أو الكيف. إلا أن التطبيق الديناميكي للتحليل الاجتماعي الخاص بشبكات المجموعات الإرهابية، يعتبر مبشراً وواعداً بمزيد من الفهم للإرهاب وسلوكياته بشكل عام. وبالتالي القدرة على مكافحته.

المراجع

- Borgatti, S., Everett, M., & Freeman, L. (2002). *Ucinet 6.109 for Windows: Software for social network analysis*. Harvard, MA: Analytic Technologies.
- Carley, K. (1990). Group stability: A socio-cognitive approach. *Advances in Group Processes*, 7, 1–44.
- House of Commons (2006). *Report of the Official Account of the Bombings in London on 7th July 2005*. Ordered by the House of Commons to be printed 11 May 2006. London: The Stationery Office.
- Janis, I. (1982). *Groupthink: Psychological studies of policy decisions and fiascos* (2nd ed.). Boston, MA: Houghton-Mifflin.
- Kidwell, J., Dunham, R., Bacho, R., Pastorino, E., & Portes, P. (1995). Adolescent identity exploration: A test of Erikson's theory of transitional crisis. *Adolescence*, 30, 785–793.
- Kirby, A. (2007). The London Bombers as 'Self-Starters': A case study in indigenous radicalization and the emergence of autonomous cliques. *Studies in Conflict & Terrorism*, 30, 415–428.
- Krebbs, V. (2002). Mapping networks of terrorist cells. *Connections*, 24, 43–52.
- McAllister, B. (2004). Al-Qaeda and the Innovative Firm: Demythologising the network. *Studies in Conflict & Terrorism*, 27, 297–319.
- Mishal, S., & Rosenthal, M. (2005). Al-Qaeda as a Dune Organisation: Toward a typology of Islamic terrorist organisations. *Studies in Conflict & Terrorism*, 28, 275–293.
- Navarette, C., Kurzban, R., Fessler, D., & Kirkpatrick, L. (2004). Anxiety and intergroup bias: Terror management or coalitional psychology? *Group Processes and Intergroup Relations*, 7, 370–397.
- Olson, J., & Zanna, M. (1993). Attitudes and attitude change. *Annual Review of Psychology*, 44, 117–154.
- Rogers, C. (1961). *On becoming a person*. Boston: Houghton Mifflin.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Tuckman, B. (1965). Developmental sequence in small groups. *Psychological Bulletin*, 63, 384–399.
- Voci, A. (2006). Relevance of social categories, depersonalization and group processes: Two field tests of self-categorization theory. *European Journal of Social Psychology*, 36, 73–90.
- Wasserman, S., & Faust, K. (1994). *Social network analysis*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

الفصل التاسع

دراسة حالة - عصابات الشباب والإرهاب بالشيكان:

التجنيد والأنشطة والشبكات^(١)

مايكل فيشنفيسكى

نبذة: في هذا الفصل نحاول تحليل ظاهرة اشتراك شباب الشيشان في أنشطة إرهابية. ومن خلاله نتعرف على كيفية تحول مجموعتين من الشباب، تتراوح أعمارهما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة إلى التورط في أنشطة إرهابية. وما هي أنواع الأنشطة التي اشتركوا فيها، بالإضافة إلى مراكزهما داخل الشبكة الإرهابية. وقد تم دراسة العوامل التي شجعت على تورطهما في هذه الأنشطة، بالإضافة إلى محاولة استكشاف الدور الذي يلعبه العنف داخل عصابات الشباب، والعلاقة بين عصابات الشباب وعصابات الجريمة المنظمة. وقد تم جمع المعلومات، بالاعتماد على مصادر غير سرية، وأثناء إجراء أنشطة ميدانية بروسيا. وقد كشفت النتائج أن أنشطة المجموعتين قد تباينت من ناحية درجة العنف الممارس والدوافع المحفزة على القيام بها. وكذلك تأثرت بشكل واضح بالصلات التي تربطها بالمجموعات الكبيرة من الإرهابيين الأكبر سناً.

(١) أود أن أوجه شكرى وتقديرى إلى البروفسور، الدكتورة سوزان كارشيتيد، المشرفة على بحثى. لتعليقها على هذا الفصل. وكذلك إلى البروفسور هانز-يورج -ألبريشت مدير معهد ماكس- بلانك للقانون الجنائى الأجنبى والدول بفرينبورج بألمانيا. وكذلك بروفيسور يورى أنتونيان، رئيس الأبحاث بمعهد موسكو للتعليم الإنسانى، وأشكره على مساندته بحثى.

تقديم

تشن حكومات العالم، حالياً، ما يعرف «بالحرب على الإرهاب». وذلك واضح في دول مثل الولايات المتحدة وروسيا. إلا أن هذه الحرب مع الأسف قد أسفرت عن انتشار مزيد من التطرف والراديكالية بين الشباب. وتشهد على ذلك أنشطة العنف والإرهاب، التي ما زالت تمارس على نطاق واسع. ومن هنا يتضح أن للإرهاب القدرة على المحافظة على عناصر قوته، بل وتجديدها، متجاوزاً إجراءات مكافحته. بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن إرهاب اليوم قد نما وازدهر مقارنة بإرهاب الأمس. ومن المؤشرات ذات الدلالة القوية، بناء قواعد أكبر لتجنيد عناصر إرهابية جديدة في المستقبل. ولا يخفى أن الإرهاب يعرض حياة آلاف من الشباب الذين يشتركون في الأنشطة الإرهابية للخطر. كما أنهم لا يحققون نمواً كاملاً لشخصياتهم. إن فهم وإدراك هذه الأخطار الجسيمة التي يتعرض لها شباب اليوم، جراء انخراطه في تلك الأنشطة، تعتبر ضرورة حيوية، بل وملحة، من أجل تقليص أخطار الإرهاب، مع الأخذ في الاعتبار، ما ساهمت فيه «الحرب على الإرهاب» من تداعيات سلبية، نحصد آثارها اليوم.

يدرس هذا البحث، تورط شباب منطقة الشيشان، وتعد من مناطق الحرب، في الأنشطة الإرهابية. وذلك بهدف التعرف على الوسائل التي استخدمت لتجنيدهم، والأنشطة التي اشتركوا فيها، وعلاقاتهم بالشبكات الإرهابية الأكثر اتساعاً. وموضوع هذا البحث ينحصر في مجموعتين من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، والذين انخرطوا في أنشطة اتسمت بكثير من العنف والدموية خلال فترة وجيزة من الوقت. إلى جانب أنشطة إرهابية أخرى بالشيشان عام ٢٠٠١. وكما سبقت الإشارة إليه من قبل، فإن المعلومات قد تم استيقاها من مصادر غير سرية، كالصحف ووثائق وجدت بأرشفات المحكمة. وجدير بالذكر، فإن نتائج هذا البحث يمكن أن تساهم في فهم سياقات مماثلة عندما يتعلق الأمر بالحرب ضد الإرهاب. ويبدأ هذا البحث بنبذة مختصرة عن ظروف اشتراك شباب صغير في حوادث العنف المنظم، كالحروب، وغيرها من النزاعات، كما يتناول العصابات المنتشرة في دول العالم. وهدفنا من ذلك أن نضم اشتراك الشباب في جرائم ذات طبيعة إرهابية إلى إطار نظري أشمل

يتناول اشتراك الشباب في العنف بشكل عام. ثم نعقب ذلك، بتقديم نبذة تمهيدية عن تاريخ الإرهاب في منطقة الشيشان، بالإضافة إلى معلومات عن الحرب على الإرهاب، كخلفية للبحث.. وأخيرا يتم التعريف بمجموعتي الشباب محل البحث وتحليلهما طبقا للعوامل التي تم تطويرها.

جنود صغار، وإرهابيون، وعصابات من الشباب العنيف

يتراوح عمر الشباب الذي ينخرط في الصراعات المسلحة عادة بين العاشرة والثامنة عشرة (بريت وسبيشت، ٢٠٠٤، دودني، ٢٠٠٥). ويشكل صغار الإرهابيين مجرد فرع من فروع صغار السن الذين ينخرطون في أعمال أخرى للعنف. والذين عادة ما يمارسون أنشطتهم في غياب الحروب. (بيركو، ٢٠٠٤). ويطلق على صغار السن الذين يشاركون في حروب حقيقية أو في صراعات محلية تشبه الحروب، «الجنود الأطفال». ولكن في مناطق الصراعات، وحيث الفروق بين حالة الحرب وحالة السلام غير واضحة أو ضبابية إلى حد بعيد، مثل الشيشان، فإن الفوارق بين صغار الإرهابيين وصغار الجنود قد لا تكون محددة المعالم بشكل واضح.

ويلاحظ، عادة، أن الخلفية التي ينحدر منها هؤلاء الجنود الأطفال تنسم بفقر الأسرة المصحوب بكثير من المشاكل، كما في حالة الأسر ذات العائل الوحيد، أو التي يسيطر عليها العنف الأسري. كما أن العلاقة بين الأطفال وذويهم لا تكون جيدة أو وثيقة. ويلاحظ أيضا أن المراهقين الشباب لا يحصلون على حقهم في التعليم المنتظم قبل وبعد الانضمام إلى المجموعات المسلحة، وبدء تورطهم في أعمال العنف. كما أنهم يعانون أيضا من ظروف اقتصادية قاسية، أبرزها الجوع والحرمان من عناصر الحياة الإنسانية. كالتكدس في منازل شديدة الكثافة السكانية. (بريت، وسبيشت، ص ٤١ - ٢٠٠٤، دودني، ص ٦٦-٦٩-٢٠٠٥).

وطبقا لبريت وسبيشت (٢٠٠٤)، وقد درسا حياة الشباب الصغير الذي يشارك في الصراعات المسلحة، فإن هناك عدة عوامل تحفز هؤلاء الشباب على الاشتراك في أنشطة

العنف أو التورط فيها بمناطق الحروب. ومنها انعدام الشعور بالأمن جسدياً، نتيجة لوجود الشباب في قلب اضطرابات العنف. فيبدؤون أولاً بالانضمام إلى المجموعات المسلحة، ثم يتحولون إلى جنود لحماية أنفسهم. (بريت وسيشت، ص ٤٠-٤١، ٢٠٠٤)، انظر أيضاً (دودنى ص ٧٩-٢٠٠٥). وهناك أيضاً الدافع الاقتصادي الذي يدفعهم إلى هذا الطريق، حيث إن الجنود يتمتعون بامتياز نسبي وقت الحروب متمثل في حصولهم على الطعام، وبالتالي يحمون أنفسهم من خطر المجاعات، التي كثيراً ما تتعرض لها الشعوب في مناطق الحروب. (بريت، وسيشت، ص ٤١-٢٠٠٤)، (دودنى، ص ٧٩، ٢٠٠٥).

بالإضافة إلى أن هناك شباباً ينضم إلى المجموعات المسلحة مدفوعاً بقناعاته الأيديولوجية، أو الرغبة في محاربة نظام قمعي (بريت وسيشت، ص ٢٧، ٢٠٠٤). وفي حالات أخرى يتبع الشباب أصدقاءهم أو أفراد عائلتهم المنخرطين في أنشطة العنف. كما أن تجربة المغامرة، تعتبر مصدر جذب وإغواء للشباب، خاصة في السن الصغيرة.

وقد أجرى بركو (٢٠٠٤)^(١) مقابلات مع عدة مجموعات من الشباب الفلسطيني، ينتمون إلى أعمار مختلفة، ممن كانوا قد تم تدريبهم ليصبحوا انتحاريين، أو استشهاديين، ولكنهم فشلوا في تنفيذ هذه المهام. وقد تم تحديد عدة عوامل تعتبر محورية في عملية اختيار هؤلاء الشباب وتجنيدهم للقيام بالمهام الانتحارية. أول هذه العوامل، الرغبة الانتقامية لدى هؤلاء الشباب. أي الرغبة في الانتقام من الإسرائيليين. كما أن إظهار الشجاعة الذكورية أيضاً من الأسباب الأخرى التي تدفع الشباب إلى تلك الأنشطة. إلى جانب العامل الديني، الذي يعول عليه كثير من الشباب من الجنسين، حيث إن الاستشهاد، يعني دخول الجنة، التي يطمناها الجميع، رجالاً ونساءً.

ويصف بركو حالتين، إحداهما، لصبي في الحادية عشرة، والأخرى لصبي في الخامسة عشرة. كان من المفترض أن يصبحا استشهاديين. (بركو، ص ١٨٤-١٩،

(١) قام الكاتب بالترجمات من العبرية ومن اللغة الروسية.

٢٠٠٤). وقد طلب إرهابي من ذوى الخبرة السابقة فى الأنشطة الإرهابية من الصبى الأول، أن ينقل قنبلة إلى منطقة متاريس إسرائيلية. أما الحالة الثانية فهى تكشف أن المسئولين عن تجنيد الشباب من صغار السن، قد يكونون هم أنفسهم فى مثل أعمارهم فى بعض الأحيان.. حيث إن طالبًا فى المدرسة الثانوية ويبلغ الخامسة عشرة قد تم تجنيده على يد زميل له فى الدراسة كان على اتصال بمجموعة إرهابية. وحينما طلب منه زميله أن يصبح استشهاديًا، وافق الصبى، فما كان من الآخر إلا أن أثنى عليه، ممتدحا شجاعته. وبسؤال الشاب المسئول عن التجنيد عن عزوفه هو شخصيا عن القيام بالعمليات الاستشهادية، أجاب إن خوفه من الاستشهاد هو العائق. وقد حصل هذا الشاب على مكافأة مالية من المجموعة الإرهابية مقابل مهمة التجنيد التى قام بها، كما حصل المجند للمهمة على ٣٠ دولارا، جراء تنفيذه المهمة.

يكشف أيضا البحث الذى أجراه بيركو أن تجنيد الشباب فى سن صغيرة جدا فى الأنشطة الإرهابية كان أمرا اعتيادى الحدوث. وأن القدرة على تجنيد هؤلاء الشباب كانت هى المحدد الأساسى لتنفيذ تلك العمليات. وطبقا له «فى عملى الميدانى بالشيشان، تقابلت مع عقيد متقاعد من الجيش الروسى قضى ثمانية أعوام فى الخدمة العسكرية بالشيشان أثناء الحرب. وقد كان على رأس وحدة مخبرات خاصة، ومن ضمن القصص التى شهدتها، قصة صبى صغير، طلب منه أن يضع قنبلة عند أحد متاريس الجيش الروسى بالشيشان. وجاء على لسانه:

... رأيت ذلك بعينى فى الشيشان، هذا الطفل كان فى السنة الثالثة بالدراسة.... أطفال لا يعثون بشيء... لقد كنت. أنا العدو بالنسبة له.. ولا شيء غير ذلك يهم. أعطيته قطعة من الشكولاتة..... كما كان مألوف الحدوث فى أول حرب نشبت بيننا. فقد كان من الشائع أن نطعم هؤلاء الأطفال، ونقدم لهم معلبات اللحم والشكولاتة. جاء إذا هذا الصبى إلى أحد مواقعنا، وقد فرحت به مجموعتنا وقالت، «ها قد حضر موسى!» كان طفلا، ربما لم يتجاوز عمره الثامنة... وقد اتضح فيما بعد، أنه كان يحمل قنبلة يدوية!. سأل أولا عن القائد،

وقال إنه يريد أن يشكره بنفسه. فتقدم القائد إلى الأمام، وحينها، انفجر كلاهما، القائد والطفل معا!! الأطفال هنا يجرون في كل مكان. وقد يضع بعضهم الألغام أسفل العربات المصفحة التي تنقل الجنود، وغير ذلك من أعمال...

مر الغرب، خاصة الولايات المتحدة، بتجربة العنف، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من أنشطة عصابات الشباب. وهناك عدد ضخم من الأبحاث التي توفر معلومات عن وسائل تجنيد الشباب وتدريبهم وعلاقاتهم بالمجتمع الكبير. وجدير بالذكر، أنه لا يوجد اتفاق حتى الآن على تعريف موحد لما يقصد من مفهوم كلمة «عصابة». وحقيقة الأمر، فهناك العشرات من التعريفات (بال وكاري، ١٩٧٧، ديكر وفانونيكل، ١٩٩٦، سبرجل، ١٩٩٥).

ومن ضمن التعريفات، تعريف شبكة الأبحاث يوروجانج، وطبقاً لها، «عصابة الشوارع»، هي كل مجموعة تستطيع التكيف بصفة مستمرة مع الشارع ويعتبر ضلوعها في أنشطة غير قانونية جزءاً من هويتها كمجموعة». (فان جمرت وفليشر ص ١٢-٢٠٠٥) وتركيزنا هنا ينصب على صفات أساسية مثل: ١- قوة التحمل، ٢- حجم تورط المجموعة في الأنشطة الإجرامية، وذلك بغض النظر عن درجة العنف الممارس. كما يرى كلين، (١٩٩٥)، أن تعريف عصابة الشارع يجب أن يتضمن عنصر الإجرام الممارس في أنشطة العصابة. ويؤكد أن تركيز بحثه هو عصابات الشوارع، رغم وجود أنواع أخرى من العصابات أيضاً. وهو يذكر على سبيل المثال، مجموعات حليقي الرؤوس، والمجموعات العنصرية، ومجموعات الدراجات، بالإضافة إلى المجموعات الإرهابية، وكلها مجموعات تختلف في صفاتها عن مجموعات عصابات الشوارع. (كلين، ص ٢٢-١٩٩٥). كما يشير كلاين، إلى عصابات الدراجات البخارية التي كان يستأجرها كارتل ميدلين للمخدرات بكولومبيا، لقتل الأفراد، ويذكر أنهم اعتادوا إطلاق الرصاص، على ضحاياهم والفرار سريعاً. ويعتبرهم كلاين، عصابات إرهابية. (هيو من رايت واتش، ص ٢-١٩٩٤). وجدير بالذكر، أن كولومبيا، كانت في ذلك الوقت، في حالة حرب ضد تكتل عصابات المخدرات، أو كارتل المخدرات، كما كانت على أعتاب حرب

أهلية، وبالتالي فإن البيئة الاجتماعية، التي كان هؤلاء الشباب يمارسون فيها أنشطتهم، لم تكن بعيدة عن الموقف في الشيشان.

ويكون أعضاء العصابات، عادة من الذكور صغار السن، وهم ينحدرون من أصول متدنية اجتماعيا واقتصاديا. (أوميه III، ١٩٩٧، سبرجل، ١٩٩٥). وغالبا ما ينحدرون من أصول عرقية، مختلفة ويشكلون أقليات، وغالبا من مجتمعات المهاجرين. كما حدث في الولايات المتحدة، خلال النصف الأول من القرن العشرين، حينما برزت عصابات من العرقيات الأيرلندية، واليهودية والبولندية، والإيطالية. (جرينان، بريتس، رش، وبركر، ٢٠٠٠، كلاين، ص ٧٠-١٩٩٥). وعادة ما يتكون أعضاء هذه العصابات من المراهقين أو من الشباب صغار السن (ديكر وفان وينكل، ١٩٩٦). وقد يستمرون فترة طويلة في نفس العصابة. فقد يمتدون حتى بلوغهم الثلاثين، وأحيانا أكثر من ذلك في نفس المجموعة. (ديكر وفان وينكل، ١٩٩٦، كلاين ١٩٩٥، سبرجل، ١٩٩٥). ولا شك، أن أسباب الانضمام إلى تلك العصابات يختلف من شخص لآخر. وطبقا لبحث أجرى يشتمل على أقوال بعض الأعضاء الفعليين في هذه العصابات، فإن الحصول على الحماية من بطش العصابات الأخرى، من ضمن هذه الأسباب. إضافة إلى تأثير آراء زملائهم أو أفراد مجتمعاتهم، ممن يحظون بمكانة خاصة لديهم. ومن الأسباب أيضا، التمسك بفضيلة الشرف، وكذلك الفرص المادية، التي لن تكون متاحة إلا بالانضمام إلى عضوية العصابة.

(ديكر وفان وينكل، ١٩٩٦، إسبنسن وبيترسون-لينسكى، ٢٠٠١، ليان، ٢٠٠١) وعلى الرغم من تعدد الأسباب، فإنه مما يسهل عمليا انضمام هؤلاء الشباب، إلى عصابة ما، هو وجود قريب أو زميل لهم في هذه العصابة. وطبقا لإسبنسن وبيترسون-لينسكى، (٢٠٠١)، فإن ٣٠٪ قد أصبحوا أعضاء؛ لأن إخوانهم أو أخواتهم كانوا أعضاء فعليين بالعصابة، بينما ٤٦٪ منهم قد انضموا؛ لأن صديقا لهم عضو بها. ويقدم لنا كلاين، عدة عوامل يمكن من خلالها أن نتنبأ باحتمال انضمام الشباب لتلك العصابات، منها، تدنى مستوى الثقة بالنفس، ووجود حالة من التحدى ضد الأهل، وصعوبة أو فشل

التواصل مع البالغين من الأسرة، وإدراك معوقات الحصول على وظيفة أو غيرها من الفرص. (كلابن، ص ٨٠-١٩٩٥).

ومن ضمن الأسباب المتعلقة بالخلفية، والتي تساعد على ظهور وتكون هذه العصابات، يشدد سبرجل، (١٩٩٥) على عامل الفوضى الاجتماعية، إلى جانب الفقر، بالإضافة إلى انتشار تقاليد أو عادات عرقية خاصة بثقافة معينة. هذه الفوضى الاجتماعية، قد تكون بسبب الهجرة أو حدوث نوع آخر «الحراك أو التغير الجماهيري». (سبرجل، ص ٦٩-١٩٩٥) ويؤكد ليان أهمية المجتمع في عملية ظهور العصابات. وطبقاً له «فإن العصابات، تعتبر نوعاً من التأثير الجانبي لمجتمع محلي يعاني من خلل ما» (ليان، ص ١٧١-٢٠٠١) ويتفق أندرسون (١٩٩٨) مع سبرجل في أن ظروف البيئة مثل حالة الفقر إلى جانب ندرة المشروعات المستقبلية، تعتبر من العوامل المهمة، التي تدفع صغار الشباب بالولايات المتحدة من ساكني الأحياء الفقيرة بالمدن الأمريكية إلى أحضان تلك العصابات.

الأنشطة الإجرامية للعصابات

وحقيقة الأمر، فإن بعض أنشطة العصابات، وليست كلها، تعتبر غير قانونية. فحقيقة الأمر أن أغلب أوقاتهم كانوا يقضونها في المشاركة في أنشطة قانونية. والتردد على أماكن تجمع الشباب، أو تناول الخمر، أو لعب الرياضة. ولكن كانت الأنشطة الإجرامية رغم ذلك، تشكل جزءاً مهماً من حياة العصابة. ومن الأنشطة المعتادة: الدخول في مشاحنات وشجارات مع العصابات الأخرى، والتي تفضي غالباً إلى استخدام أنواع مختلفة من الأسلحة، وكذلك ارتكاب بعض الجرائم مثل (سرقة المحال التجارية) وبيع المخدرات أو العقاقير. وطبقاً لكلابن، (١٩٩٥)، فإن أعضاء العصابات، «تتنوع جرائمهم بشكل كبير، كما تتفاوت نسبة استخدامهم للعنف بالمقارنة بالمجموعات الأخرى (ص ٧٥)». «ولكن ما يجب أن يكون واضحاً، هو أن أغلب سلوكهم كان غير إجرامي، وأغلب جرائمهم لم تكن تتسم بالعنف» (ص ٢٩). ومن هنا يتضح أن الجرائم

بالنسبة للعصابات تعتبر استثناء وليست قاعدة، وخاصة الجرائم التي تشوبها مظاهر العنف. ومع ذلك فإن تلك الاستثناءات لا بد من مراقبتها ورصدها، حيث إنها قد تكون من عوامل تحول ذلك الشباب إلى الأنشطة الإرهابية.

وللتلخيص، فإن ارتكاب الجرائم بانتظام، يعتبر جزءاً أساسياً من حياة عصابات الشباب. ويجمع الفقهاء بين صغار الجنود وأعضاء تلك العصابات. حيث إن كليهما ينضم إلى العصابة أو يجند نتيجة لأسباب اقتصادية، أي تطلع إلى تحسين وضعه الاقتصادي. كما أن الأسباب الأيديولوجية قد تلعب أيضاً دورها لدفع صغار الجنود إلى المشاركة في أنشطة العنف. أما عامل الانتقام فقد يكون حاسماً بالنسبة لشباب الإرهابيين أو صغار الجنود أو أعضاء العصابات. وكذلك تعتبر علاقات الصداقة من العناصر الميسرة إلى الانضمام لأي من تلك المجموعات. فضلاً عن أن وجود المجموعات المسلحة يفتح الطريق أمام الشباب الصغير للانضمام إلى الجيش النظامي أو القوات غير النظامية. وهناك العديد من الأمثلة، لتجنيد مجموعات الجرائم المنظمة، لصغار الشباب، بغرض القتل أو للقيام بمهمة الحارس الخاص. وجدير بالذكر، أن صغار الجنود والإرهابيين، قد يعملون في خدمة المجموعات المسلحة. فقد ينضمون إلى القوات غير النظامية للدفاع عن عصابات المخدرات أو ما يعرف بالكارتل أو الميليشيات المختلفة، أو مجموعات الإرهاب. كما نؤكد أن من الظروف الأساسية التي تمهد لظهور تلك العصابات، سيادة الفوضى الاجتماعية، وحالة مجتمع «يعانى من خلل». مما سبق، يتضح، أن هناك عناصر مشتركة تجمع بين صغار الجنود والإرهابيين وأعضاء العصابات، وأن هذه العناصر التي يشترك فيها هي السبب في تورطهم في نهاية الأمر في أنشطة عنف غالباً ما تفضي إلى تورطهم في الإرهاب.

الإرهاب، والحرب ضد الإرهاب بالشيثان

الحرب بين روسيا والشيثان

كانت العلاقة بين روسيا والشيثان، تتميز دائماً بالعنف، والصراع والقسر. وكان السبب الأساسي لذلك الصراع هو التوسع الروسي في منطقة القوقاز (أحمدوف،

٢٠٠٦ وسيلي ٢٠٠١). والذي بدأ منذ القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، ثم استمر في القرن العشرين أيضا. في عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتي. وتلا ذلك حصول خمسة عشر عضوا من أعضاء جمهوريات الاتحاد السوفيتي على استقلالهم، مثل روسيا، وأوكرانيا، وكازخستان. إلا أن الجمهوريات التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي كان لها وضع قانوني مختلف، داخل الاتحاد السوفيتي. أي أنها كانت تعتبر جزءا لا يتجزأ من روسيا، ومنها الشيشان. وطبقا لخطط حكومة روسيا، فإن كل البلاد الحاصلة على الحكم الذاتي داخل الفيدرالية الروسية، تبقى كما هي داخل الفيدرالية. وتعتبر جزءا من الدولة الروسية المستقلة أو الفيدرالية الروسية. وكانت الشيشان، هي الجمهورية الوحيدة داخل الفيدرالية الروسية التي أعلنت استقلالها عن روسيا ١٩٩١.

وفي عام ١٩٩٤، أرسلت حكومة الرئيس يلتسين قوات إلى الشيشان، لإجبار الجمهورية، على العودة مرة أخرى إلى الفيدرالية. وكانت هذه هي بداية الحرب الأولى بين روسيا والشيشان. والتي استمرت من ١٩٩٤ وحتى ١٩٩٦. وقد حاربت الشيشان، من أجل استقلالها تحت قيادة الرئيس ذوخار دوديف. وانتهت الحرب عام ١٩٩٦ باتفاقية خزافجفورت للسلام، التي نصت على تأجيل البت في الوضع الرسمي للشيشان، لمدة خمس سنوات إضافية. أي حتى عام ٢٠٠١. إلا أن الخطة لم تنفذ. ثم اندلعت الحرب الثانية بين روسيا والشيشان، من جديد في سبتمبر عام ١٩٩٩. وقد بدأ الأمر بسلسلة من الانفجارات لعدة أبنية سكنية. كما وقعت الانفجارات بمدن بوجناكس بداجستان وفولجودونسك وموسكو بروسيا. وقد اتهم الإرهابيون الشيشان بارتكاب هذه الاضطرابات التي أودت بحياة ٣٠٠ شخص وأصاب ٧٠٠ آخرين. وفي نفس الشهر، قامت قوة من الشيشان والدجستانيين، ومسلحين أجانب، باحتلال داجستان. وقد قاد هذا الاحتلال، شامل بازاييف وسمير صالح عبد الله السويلم، وخطاب. بهدف تأسيس دولة إسلامية راديكالية بالشيشان وداجستان. وكانت هذه الاضطرابات الإرهابية، إلى جانب احتلال داجستان، وراء بدء الحرب الروسية الشيشانية الثانية. في سبتمبر ١٩٩٩. وفي عام ٢٠٠٠ أعلنت الحكومة الروسية انتصارها العسكري. ولكن في نهاية الحرب،

تحول القتال العسكرى إلى عملية لمكافحة الإرهاب، ولا تزال مستمرة حتى اليوم. ومما يؤسف له، أن الحرب ضد الإرهاب شابهة عدة انتهاكات لحقوق الإنسان، مورست ضد المواطنين على يد القوات الروسية الفيدرالية. ومنها قصف القرى بدون تمييز، إلى جانب القبض العشوائى على الرجال وممارسة وسائل التعذيب أو قتل المحتجزين. كما كانت فرق الموت تقوم بقتل المواطنين، وسرقة أو تدمير أملاكهم، ناهيك عن اقتحام ديارهم، واستباحة الاعتداء على النساء والرجال (بوليتيكوفسكايا، ٢٠٠٧) حالياً، تحكم الشيشان حكومة شيشانية، موالية لموسكو وتعتبر جمهورية الشيشان جزءاً من الفيدرالية الروسية. وهى منطقة محظورة داخل روسيا، مما يعنى أن هناك قيوداً مفروضة على التغطية الإعلامية إلى جانب إجراءات مقيدة للزيارات.

ولا تزال التعديات والانتهاكات تمارس ضد المواطنين الشيشان. وإن كانت هذه المرة، تمارس برعاية الحكومة الشيشانية الجديدة ومساندتها (هيو من رايت واتش، ٢٠٠٦، بوليتيكوفسكايا، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧)

الإرهاب بالشيشان

وطبقاً لمورفى (٢٠٠٤)، فإن هناك ثمانية أنشطة إرهابية ارتكبت على يد إرهابيين من الشيشان بين عامى ١٩٩١، و١٩٩٤. هذه الأنشطة استخدمت التكتيكات والوسائل الإرهابية. خاصة اختطاف الرهائن والمطالبة بالفدية، بالإضافة إلى اختطاف الطائرات والحافلات وعلى متنها مسافرون. وقد أسفرت تلك الأنشطة عن وفاة أربعة أفراد وإصابة تسعة عشر آخرين. بالإضافة إلى ملايين الدولارات، التى دفعت للمختطفين كفدية. ومن هذه الأنشطة الإرهابية، اختطاف طائرة مدنية فى نوفمبر ١٩٩١، وقد نفذت العملية احتجاجاً على الوجود الروسى بالشيشان. وهناك العديد من حوادث الاختطاف الأخرى، كان الغرض الأساسى منها المطالبة بالفدية. وهناك أكثر من ٦٠ نشاطاً إرهابياً داخل وخارج الشيشان قد تم ارتكابه على يد الإرهابيين الشيشان، بين عامى ١٩٩٥ وعام ١٩٩٩، بالإضافة إلى ما يربو على ٨٠ حادثاً إرهابياً تم ارتكابه بين

عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠٤. (مورفى، ٢٠٠٤) ويذكر مورفى مايزيد عن ١٥٠ حادثا إرهابيا، متنوعا، وكلها حوادث تشير إلى تورط الشيشان بشكل أو بآخر. وقد وقعت بين عامى ١٩٩١ و٢٠٠٤. وجدير بالذكر أن أخطر هذه العمليات الإرهابية على الإطلاق، حادثا حصار مسرح دويوفكا بموسكو فى أكتوبر ٢٠٠٢، وعملية اختطاف الرهائن بمدرسة فى بسلان، شمال أوستيا فى سبتمبر ٢٠٠٤. وقد حظيا بتغطية واسعة من وسائل الإعلام الدولية. وقد بدأت العمليات الانتحارية فى عام ٢٠٠٠. ولا زالت مستمرة منذ ذلك الحين. وطبقا لسبيكهارد وأخميدوفا (ص ١٣-٢٠٠٦)، فإن ٢٨ حادثا انتحاريا، قد وقعوا بالفعل بين عامى ٢٠٠٠ و٢٠٠٥. بعد تحول القتال العسكرى الروسى بالشيشان إلى عمليات حربية ضد الإرهاب، بدأت الحركة الانفصالية فى التحول هى الأخرى. حيث بدأت القوات الفيدرالية والمحلية التابعة للحكومة فى مطاردتها ودفعها إلى منطقة الجبال. ومنذ ذلك الحين والحركة تعمل فى سرية. وحاليا يتكون الإرهاب بالشيشان من شبكة تسمى «بالجماعات»، وهى مجموعات تعمل فى سرية، وتتكون عادة من إسلاميين مسلحين أو من وهابيين. ولها اتصالات بجماعات خارج الشيشان، فى داجستان، وإنجوشيتيا، وكراشايفو - شركسيا وغيرها من جمهوريات شمال القوقاز (انظر: الموقع السرى kavkazcenter.com)

وضع الشباب بالشيشان

لا شك أن الحروب التى تعرضت لها منطقة الشيشان، أسفرت عن خسائر فادحة للشعب الشيشانى، كما أنها دمرت البنية التحتية للجمهورية. وتشهد الصور التى التقطت للعاصمة جروزنى بعد آثار التدمير التى عاشتها أثناء الحرب الأولى والثانية على ذلك. وقد غطت الصحافة الدولية هذه الأحداث تغطية شاملة. انظر: موقع bbc.co.uk، ٢٠٠٠

وطبقا لعدة تقديرات، فإن الخسائر فى الأرواح التى تعرض لها الشعب بالشيشان، أثناء الحروب، تتراوح بين ٦٥٠٠٠ و ٧٧٠٠٠ فرد. وذلك من واقع تعداد يقرب

من ١٠٠٠٠٠٠ قبل الحروب. (شيركازوف ٢٠٠١، نوافياجازيتا ٢٠٠٥)، مما أثر على العديد من الأسر والعائلات؛ وبالتالي على الأطفال والشباب. كما ترتب على ذلك أيضا تفاقم في حالة البطالة - إذ بلغت ٢، ٧٤٪ عام ٢٠٠٥ (شيرباكوف، ٢٠٠٧). وفي أعقاب حروب الشيشان، تعرضت البلاد لخلل كبير في العملية التعليمية والمخزون من الأدوية. وانتاب شعب الشيشان حالة من الصدمة النفسية (سبكهارد وأحمدوفان، ٢٠٠٦). ونشأ جيل من الأطفال لم يعرف سوى العنف منذ أن فتح عينيه على العالم. (بايف ودانيلوف ٢٢٤، شيكوشيكين، ٢٠٠٣). وطبقا للبحث الذي أجرته منظمة اليونيسف، فإن ٧٣٪ من الأطفال الذين شاركوا في البحث «قد تعرض أغلبهم لعوارض الصدمة» و ٦٢٪ «يتذكر الحرب معظم الوقت» و ٥٩٪ «يرتعد خوفا، عند سماع أصوات مفاجئة» (اليونيسف ٢٠٠٦).

وكمناطق الحروب الأخرى، فإن ما تعرضت له منطقة الشيشان نتيجة للحروب الدائرة وحالة العنف، وما ترتب عليه من تدهور لظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية، قد كان له تأثيره الملموس على العائلات والأفراد، وخاصة صغار السن منهم. (بريت وسبيشت، ٢٠٠٤ ودوندى، ٢٠٠٥) حيث يعاني الجميع من انعدام الأمن والحاجة إلى الحماية الجسدية. بالإضافة إلى قصور التعليم الذى أصبح غير متاح في ظل هذه الظروف. وانتشار مظاهر الفقر والجوع. وطبقا للإحصائيات الرسمية لوزارة العمل في الشيشان، فإن هناك ١٣٨١ يتيما، و ١٩٥٣١ شبه يتيم و ٢٤١٥٧ معاقا ومبتور الأعضاء. غير ٢٤٦ طفلا تم بتر أحد أعضائهم، أثناء عمليات مكافحة الإرهاب التى تواصلت منذ عام ٢٠٠٠ (ريجمن. رو، ٢٠٠٧). وقد أكدت الحكومة الشيشانية «أن هناك جزءا كبيرا من الشعب الشيشانى يعيش فى حالة من الفقر» تنعكس، بطبيعة الحال، سلبا على مستوى حياة الأطفال (رجمن. رو، ٢٠٠٧). وقد أعدت الحكومة الشيشانية العديد من البرامج التى تهدف إلى تقديم الخدمات والمساعدات، للأطفال وصغار السن. وتتكون من البرامج التالية، «الحماية الاجتماعية للأطفال مبتورى الأعضاء»، «تحسين وضع

الأطفال الأيتام والذين لا يخضعون لأية رقابة عائلية»، «التربية والتعليم»، «منع الجرائم التي يرتكبها الشباب». وواقع الأمر، فإن اضطلاع الحكومة الشيشانية، بنفسها بهذه المسؤولية، يكشف لنا عن حجم المشكلة التي يعاني منها صغار السن في هذه المنطقة. ومنها تورط عدد كبير منهم في أنشطة إجرامية. وقد تم تأكيد ذلك من قبل جريدة بوليتيكوسكايا (٢٠٠٧). وفيما يلي تقرير يتعلق بأطفال الشيشان وعائلاتهم:

... لقد استقبلنا طفل في قرية أفيتوري، التي يقطنها ١٩٠٠٠ مواطن. وقد كان صغيراً، يشبه الدمية، في رفاقته ونحالة جسمه، ورغم أنه كان الأول على فصله، فهو لا يذهب إلى المدرسة... إنه الفقير... والطفل لا يرتدى ملابس كافية، حيث تعاني عائلته من فقر مدقع. والدته تلازم الفراش دوماً من مرض أعدها. وهناك أربعة أفراد في هذه العائلة. وفوق كل ذلك، اختطف الأب، من مجهولين. وهو معاق ويعمل سائق جرار. (بوليتيكوسفاكيا، ص ١٣٤-٢٠٠٧).

طريقة البحث

تم تجميع بيانات هذه الدراسة أثناء عمل ميداني بروسيا. وذلك في إطار دراسة أوسع تتناول مجموعات الشيشان ذات الطبيعة الإرهابية. وقد اعتمد تجميع البيانات، على مصادر معلنه، طبقاً لمنهج تم تطبيقه في دراسات سابقة قام بها ساجان (٢٠٠٤). وقد اعتمدت شخصياً على سجلات معهد موسكو للدراسات الإنسانية. IGUMO وهذه السجلات، تضم مجموعة من الجرائد ومقالات خاصة بالعلوم. والدعوى المرفوعة، ووثائق المحكمة، المعتمدة والمعلنة. ويمكن الوصول إليها بشكل منتظم. من خلال فريق البحث بالمعهد، بقيادة البروفسور يوري أنتونيان. وقد نسق فريق البحث لمقابلات، أجريت مع محتجزين من الإرهابيين الشيشان، حيث تم إخضاعهم لعدة اختبارات سيكولوجية. كما تم استخدام هذا الملف كجزء من دراسة قاموا بها عن الإرهاب العرقي - الديني بروسيا. (أنتونيان، ٢٠٠٦). ويعتمد هذا الفصل على ثلاث

مقالات، تناول شبابًا صغيرًا من الشيشان، كانوا قد تورطوا في أنشطة إرهابية، وقد نشرت أخبارهم جريدة كومرسانت باللغة الروسية عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ وقد جاء الملف متضمنًا لهذه المقالات. كما تم إجراء مقابلات مع خبراء أيضا، مثل مقابلة تمت مع عقيد - كولونيل سابق بالقوات المسلحة الروسية، وقد ذكرت أعلاه. كما نشرت جريدة الكومارسانت، يوم ٢٩ سبتمبر ٢٠٠١ و ٢٢ و ٢٤ مايو ٢٠٠٢ هذه المقالات. وتضمنت المقالات مجموعتين من الشباب، هما مجموعة «شيرنوريتشي» ومجموعة «جروزني» وقد تم تسميتهما بناء على المكان والأصل والعملية. وتم كتابة المقالات بمناسبة قتل أحد زعماء المجموعتين على يد البوليس، بالإضافة إلى المحاكمتين اللتين تم إجراؤهما للأعضاء الذين قد قبض عليهم من المجموعتين. كما وفرت المقالات معلومات عن خلفية عائلات هؤلاء الشباب، وقدمت تقريرًا عن أنشطتهم. وقد كتب هذه المقالات، الصحفيون تيمور ساميدوف، وألكسندر لاريتسفا، وسرجي كيزين.

الإرهاب في الشيشان ومجموعات الشباب

«مجموعة شيرنوريتشي»

كانت المجموعة تتكون من أربعة شباب من الشيشان. أحدهم في السادسة عشرة، والآخرين في السابعة عشرة. وكان قائد المجموعة، ويدعى كازبك زاورييكوف وهو في السادسة عشرة، قد ولد في بلدة جوجتي، بالقرب من جروزني في عام ١٩٨٥ وقضى طفولته هناك. وليس من الواضح بالتحديد الوقت الذي أصبح فيه عضواً في مجموعة أربى بارايف. إلا أنه غالباً لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة حينما تم تجنيده. ومن المعروف أن مجموعة الأربى بارايف، جزء من شبكة الأربى بارايف التي تكون منظمة واسعة وتعتبر إرهابية وإجرامية. ومن أنشطتها اختطاف الرهائن لطلب الفدية، وارتكاب الأنشطة الإرهابية ضد القوات الروسية الفيدرالية وقوات بوليس جمهوريات الحدود، مثل إنجوشيتيا. كما ارتكبت أنشطة إرهابية ضد قوات البوليس المحلي والسلطات المدنية، بالإضافة إلى المتعاونين مع الروس، وكذلك زعماء الدين بالشيشان ومسؤولين

آخرين.. وكان أربى بارايف، الذى ولد عام ١٩٧٣، قد أصبح قائد الميدان فى الشيشان، ومسئولا عن الفرقة الإسلامية للشئون الخاصة فى الحرب الروسية الشيشانية الأولى. وتمت ترقيته إلى رتبة عميد الأنشطة الحربية. (دوينن ٢٠٠١، تريبن، ٢٠٠٣). وبعد الحرب، أصبح بارايف قائدا للشبكة التى كان أحد أعضائها وتتكون من مجموعة مسلحة، إلى جانب عدة مجموعات صغيرة تتبع لها مثل مجموعة شيرنوروتشى (صاميدوف، ٢٠٠١). أما كازيك، فعلى الرغم من سنه الصغيرة، إذ لم يتجاوز الخامسة عشرة، فإنه كان على علاقة مباشرة بأربى بارايف. وقد اشترك كازيك، فى قتل الشيشان المتعاونين مع القوات الروسية الفيدرالية، وزعماء الدين المحليين وغيرهم من البارزين من رجال الدين. (لاريتسيفا، ٢٠٠٢، صاميدوف، ٢٠٠١)

وعلى الرغم من صغر سنه، فإن كازيك، كان يتمتع بإعجاب الجميع، فى الأوساط العسكرية وبين الإرهابيين أيضا، بجروزنى، مما منحه سلطة قوية بينهم. (صاميدوف، ٢٠٠١). وقراءة بداية عام ٢٠٠١، تلقى أمرا من أربى بارايف بتكوين مجموعة من الشباب يترأسها شخصا، وتصبح جزءا من شبكة أربى بارايف. (لاريتسيفا ٢٠٠٢، صاميدوف، ٢٠٠١). وقد تم تعيين كازيك «أميرا» أى زعيما إرهابيا لشيرنوريتشى، وهى ضاحية بجروزنى. وطبقا لأوامر تلقاها، قام بتجنيد ثلاثة طلاب بمدرسة فى شيرنوريتشى، فى السابعة عشرة من عمرهم. وكانت المجموعة تحصل على الأسلحة والدعم المالى من أربى بارايف بشكل مباشر. وتعتبر هذه المجموعة محلية التكوين وكان يتم تجنيد أعضائها، بواسطة شخص آخر يكون بالفعل عضوا بشبكة إرهابية أكثر اتساعا ولديه خبرة فى أنشطة العنف.

وقد ظلت مجموعة شيرنوريتشى، ناشطة، من شهر مايو حتى يوليو ٢٠٠١، أى قرابة ثلاثة شهور. ارتكبت أثناء هذه الفترة، ثلاث عمليات إرهابية. أولها، كانت حادثة قتل مروعة لأحد كبار السن الروس بجروزنى. وطبقا للجريدة، التى نشرت تقريرا عن المحاكمة، فقد أقر أعضاء المجموعة بارتكابهم هذا الحادث، مدفوعين، بحالة من الكراهية العرقية، تجاه الروس. (لاريتسيفا، ٢٠٠٢). أما النشاط التالى، فقد كان قتلًا

مزدوجا لسيدتين، أم وابنتها. وكانت السيدتان تمارسان التجارة بسوق شيرنوريتشى. ثم راجت شائعات أنها تبيعان المخدرات، وأن الابنة كانت تخرج مع الجنود الروس الفيدراليين. (لاريتسيفا، ٢٠٠٢). أما الحادثة الإرهابية الثالثة، فقد ارتكبت ضد شرطين من الشيشان وهما فى طريق العودة إلى منزلها بعد يوم عمل. حيث فتح أعضاء المجموعة النيران على سيارتهما أثناء مرورهما. ولم يسفر الحادث عن قتل أى شخص. إلا أن الشرطى وسائق سيارة أخرى، قد أصيبا بإصابات بالغة.

وقد تفككت مجموعة شيرنوريتشى، فى أغسطس ٢٠٠١، حينما تم القبض على ثلاثة من أعضائها. وذلك حينما أخبر أحد الأعضاء وهو دزامبك دزاهامالدينوف فى السابعة عشرة من عمره جدته عن تورطه فى حادثة إطلاق الرصاص على سيارة البوليس. فما كان منها سوى أن أبلغت الأم، التى كانت ضابطة فى الشرطة بجروزنى. وقد أفتعت السيدتان، الشاب، بتسليم نفسه للشرطة، فأبلغ عن أساء وأماكن إقامة بقية الأعضاء. مما أسفر عن القبض على اثنين آخرين. ولم ينجح البوليس فى القبض على كازبك زاورييكوف، وهو زعيم المجموعة، أو بقية الأعضاء. وقد قتل كازبك بعد ذلك بشهر، على يد الشرطة عندما قاومها أثناء القبض عليه. كان ذلك على مقربة من جروزنى، فى سبتمبر ٢٠٠١.

وقد حكم على دزامبك بالسجن لمدة خمسة أعوام. وقد قضاها بسجن تابع لمستعمرة روسية.. وقررت والدته، وكان قرارا حكيمًا، أن ابنها سوف يكون بمأمن فى ظل هذه الظروف. داخل أحد السجون عنه بخارجها. حتى وإن كان سجينًا روسيًا. وقد كانت تعمل مفتشة موارد إنسانية بقسم شرطة بجروزنى.

وفى المحاكمة عبرت عن ذلك، واضعة ظروف الحادث فى سياق ظروف أشمل، هى الحرب السائدة والعنف المتفشى فى الشيشان:

إن أطفالنا فى الشيشان، لم يعودوا يملكون الاختيار هذه الأيام. فأى شخص يمكن أن يصبح عضوا فى عصابة تحت ضغط الخوف أو حتى نتيجة غباء، ثم

تفرض به الظروف إما إلى المدفن أو السجن. ولا أحد يفكر أن هؤلاء الصبية يعيشون طفولتهم في ظل ظروف الحرب القاسية.

ويتفق تصريحها مع بریت وسبيشت (٢٠٠٤):

إن الحياة في ظل العنف المسلح، تؤثر على الشباب، حيث تسر لهم استخدام الأسلحة. فالحرب تولد لديهم إحساسًا بعدم الأمان، ومع توافر السلاح، وفي ظل ظروف تمهد لاستخدامه، حيث يعتبر سلوك العنف مشروعًا، يصبح الأمر طبيعيًا ومبررًا. (ص ١٢)

ولا شك أنه في حالة هذه المجموعة، فإن وجود مجموعات أخرى مسلحة في الشيشان، وعلى استعداد لتجنيد شباب صغير، أتاحت أمامهم الفرصة، للاشتراك في أنشطة العنف. كما أن ظروف الحرب التي قضوا طفولتهم في ظلها، بررت استخدام العنف، بل واعتبرته غالبًا سلوكًا مشروعًا. بالإضافة إلى أن وجود مجموعات إرهابية على الساحة عززت الكراهية العرقية. وكانت هذه المجموعات تستهدف الجيش أيضًا، حيث اعتبرته جيش احتلال.

وكان المكلف بعملية التجنيد في هذه القضية هو كازبك زاوربيكوف، وقد مارس هذا النشاط بناء على تزايد الطلب على صغار المجندين. وقد يكون قد تلقى أوامر واضحة من شبكة إرهابية. ولا شك أنه استغل الظروف المتاحة، حين قام بتجنيد أعضاء جدد لهذه المجموعة.

وبينما عرف عن كازبك، زعيم العصاة، تاريخه الخافل بأنشطة العنف، فإن ذلك لا ينطبق بالضرورة على بقية الأعضاء. ويزعم البعض أن كازبك، قد قتل أكثر من عشرة أفراد، قبل أن يؤسس المجموعة. كما تورط في مقتل عدد من رؤساء البلدية، والإداريين المحليين. (صاميدوف، ٢٠٠١). وأثناء محاكمة أرتر، أحد الأعضاء، وكان في السابعة عشرة من عمره، طالب بتخفيف الحكم الصادر ضده. وقد شهدت له عمته، بسلوكه غير العنيف. وقالت «إن أرتر كان دوماً صبياً رقيقاً يثق بالآخرين ويتأثر بهم سريعاً»

وكان أرتربالفعل «يرد على الأسئلة الموجهة إليه بمتهى الهدوء وبدون ثقة» و«كثيرا ما انتابته موجات بكاء حاد أثناء محاكمته».

وقد تم الحكم عليه بسبعة أعوام من السجن بأحد سجون المستعمرة. وبدأ أن سذاجة أرترب وثقته السريعة بالناس هى التى أدت إلى سهولة تجنيده على يد كازيك زاورييكوف.

وقد قالت أم أحد أعضاء المجموعة، لصحيفة، عند صدور الحكم النهائى على ابنها، «إنهم حكموا عليه بثمانية أعوام للاشئ أو بلا سبب» (لارينتسيفا، ٢٠٠٤). ونحن لا يمكننا أن نجزم هنا، بطبيعة الأحوال، ما إذا كانت هذه الأم تقصد ذلك حرفيا، أى أنها تعتقد بالفعل أن ابنها لم يشترك بالفعل فى حوادث القتل. أم أنها تعتبر القتل وسلوك العنف شيئا طبيعيا وشرعيا أثناء الحروب. وعلى كل الأحوال، فنحن نرى أن سلوكه لا يمكن أن يعادل «لاشئ». وأن هذا التصريح، قد يكشف عن مدى تأثير ظروف الحروب على تقييم سلوك العنف لدى الأفراد.

ومن المهم أن نشير هنا، أن هذه المجموعة، كانت نشيطة إرهابيا، لفترة قصيرة جدا من الزمن. وأن ما ارتكبته من أنشطة إرهابية عنيفة أو تلك التى أفضت إلى الموت، كان غالبا بدافع من الكراهية العرقية. وأنها لم تشترك قط فى أى من الأنشطة الإجرامية الأخرى. وأن ضحاياها، كانوا إما من الروس، كما فى الحالة الأولى أو من المتعاونين معهم، كما فى الحالة الثانية والثالثة. وعلى هذا الأساس فإن نمط أنشطتها يشبه أنشطة مجموعات البلدان المحتلة، التى تحاول التصدى لجيش الاحتلال. وقد كتب لارينتسيفا، (٢٠٠٢). تقريراً، ذكر فيه، أنه طبقا لجهاز الأمن الفيدرالى الروسى، فإن بعض المجموعات من الشباب صغير السن، التابعة لشبكة أربى باريف، كانت لديها أنشطة مماثلة فى مناطق أخرى من جروزنى. إلا أنه ليس من الواضح، ما إذا كانوا يتلقون أوامر مباشرة بقتل ضحاياهم، أم كانوا يوجهون لذلك، أو كانوا يختارون أهدافهم بأنفسهم.

وهناك تشابه بين هذه المجموعات وعصابات كارتل المخدرات بمديليين ب كولومبيا، التي كانت أيضا تجند صغار الشباب لممارسة أنشطة القتل. ومن هنا يمكن أن نعتبر مجموعة شيرنوريتشي، عصابة إرهابية.

«عصابة جروزني»

كانت هذه المجموعة، تتكون من ثلاثة من شباب الشيشان. يبلغ أحدهم أربعة عشر عاما، والآخران في الثامنة عشرة. وقد ظلت المجموعة ناشطة من يناير إلى مارس ٢٠٠١. أى ليس أكثر من ثلاثة أشهر. وهو ما يتفق تماما مع المجموعة السابقة. وطبقا لتقرير نشرته جريدة عن محاكمة عضوين بالمجموعة، (كيزين، ٢٠٠٢) أحدهما يدعى كازنبك سادجولاييف، ويبلغ الثامنة عشرة، قد أخبر زميله روستم كاجداروف، وهو في الثامنة عشرة أيضا، بكل بفخر، أنه قام بقتل سيدة مسنة، بهدف الانتقام لأصدقائه وأقاربه، الذين أصيبوا، على يد القوات الروسية أثناء الحرب.

وفي نفس الحديث، اقترح كازنبك أن يكون مجموعة هدفها الأساسي مهاجمة الروس الذين يعيشون في جروزني. وقد وافقه روستم وأحضر صديقا آخر في الرابعة عشرة، ويدعى رومان مازيايف. ومن الواضح أنهم سرعان ما بدءوا في تنفيذ مهمتهم. (كيزين، ٢٠٠٢).

وقد ارتكبت المجموعة سلسلة من الاعتداءات على بعض الشخصيات من المسنين، التي تنتمي لعرقيات روسية بجروزني، وقد شملت الاعتداءات، السرقة والتعذيب والقتل. وكان من أساليبهم، استخدام سيارة أجرة، يطوفون بها في المدينة، للبحث عن الشخصيات الروسية من كبار السن الذين قد يكونون واقفين بشرفة منازلهم. هكذا يكون في مقدورهم التعرف عليهم من مظهرهم. ثم يستخدمون وثائق مزورة، لاقتحام منازل الضحايا، مدعين أنهم من رجال البوليس. وطبقا للتقرير الذي نشر بالجريدة، فإن أعضاء المجموعة قد اعترفوا بارتكاب جرائمهم بدافع من الكراهية تجاه الروس، كما اعترفوا أيضا أنهم تحركوا بدافع الاستيلاء على الأموال، والأشياء الأخرى الثمينة،

التي كانت بحوزة هؤلاء الأشخاص. وقد تفككت هذه المجموعة في مارس ٢٠٠١، حينما تم القبض على روستم كاجداروف ورومان مازيف، على يد البوليس. أما كازنيك سادجولاييف، فقد فر هاربا ولم يتم القبض عليه.

وجدير بالذكر، أن هذه الاعتداءات، لا تقع بشكل واضح داخل إطار الأنشطة الإرهابية. وذلك رغم وجود بعض الدوافع الأيديولوجية التي دفعت لارتكابها، ولكن الملاحظ أنه يمكن اعتبارها من قبيل جرائم الكراهية العرقية أكثر منها جرائم ذات دوافع سياسية، كما يوضح لنا هذا التعريف عن الإرهاب طبقا للاكور:

... إن الإرهاب قد اقترن بكثير من التعريفات، اعتمدت على عدة معايير. ولكن لا يمكننا، مع ذلك أن نجزم بأنها أكثر صوابا. وكل ما يمكن أن نؤكد أنه هو أن الإرهاب، عنف يمارس من مجموعة لتحقيق أهداف سياسية، غالبا ما تكون مواجهة ضد الحكومة، ولكن في أحيان أخرى ضد مجموعة عرقية أخرى، أو ضد طبقة أو جنس، أو دين، أو ضد حركة سياسية. (لاكور، ص ٤٦-١٩٩٩).

جدير بالذكر أنه في حالة هذه المجموعة، لا توجد أية أهداف سياسية، بل إن دافعهم الأساسي مبنى على الانتقام الشخصي، من قبل مؤسس المجموعة وربما فردين آخرين. ومن الواضح أن الرغبة في تحقيق الثراء، والوصول للأموال، بغرض شراء السلع الاستهلاكية، من الدوافع المحركة أيضا لتلك الأنشطة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المجموعة، وخلال فترة وجودها المحدود، لم تبدأ على الفور بنشاط القتل، كما حدث لمجموعة تشيرنوريتشى. بل تدرجت في استخدام العنف. حيث بدأت أولا باعتداءات ثم صعدت من عنف أنشطتها، إلى أن انتهت بقتل ثلاثي. وأثناء هذه الحوادث، أمكنها حيازة أسلحة أشد فتكا، حيث انتقلت إلى الأسلحة النارية. وذلك على النقيض من مجموعة تشيرنوريتشى، التي كانت مسلحة بوضوح منذ البداية، لارتباطها بشبكة إرهابية من البالغين. كما أن دوافعها، لم تكن

أيديولوجيات غامضة. وفي نفس الوقت لا يمكن الجزم بشكل مؤكد أن سرقة الأموال من أجل تحقيق الثراء كانت غايتها الأساسية. وقد استهدفت ضحاياها من كبار السن، وهى فئة من المجتمع، لا حول لها ولا قوة. إلى جانب استهدافها مجموعة أخرى ذات أيديولوجية واضحة، مثل الروس أو معاوينهم وأنصارهم. كما أن المجموعة لم تكن على اتصال بأية مجموعة أو منظمة أخرى، إجرامية أو إرهابية. بل كانت هى صاحبة المبادرة، فى كل ما تقوم به من أنشطة، وباستقلالية تامة. ويمكن أن نقارن بين أنشطة هذه المجموعة وغيرها من عصابات الشباب بأماكن كثيرة من روسيا. وربما ما يميز نشاطها عن المجموعات الأخرى، هو أنها كانت ذات توجه أيديولوجى، وإن كان ضعيفا، ونقصد بذلك، الكراهية والانتقام العرقى. وهناك مجموعات أخرى، متناثرة فى أنحاء كثيرة من روسيا، وغالبا ما ترتبط بالمكان أو بالمنطقة، وتستخدم أقصى درجات العنف، بهدف الاستيلاء على الممتلكات، أو الدفاع عن منطقتها وشرف أعضاء العصابة. ومن أنشطتها الإجرامية المألوفة، الابتزاز، والسرقه، والاعتداءات الجنسية، إلى جانب جرائم القتل. (انظر: بروف، ٢٠٠٧، أوريفا وإيلوهينا، ٢٠٠٧)

الخلاصة

يمكن اعتبار هذه المجموعات عصابات؛ لأنها تستخدم درجات متقدمة من العنف، وتشارك فى أنشطة غير شرعية، مما يشكل جزءا أساسيا من هويتها. وكانت أيضا مرتبطة بالمكان بشكل واضح. بمعنى أنها فى أغلب الأحيان تنشأ فى ضاحية معينة أو حتى بعينه، وتمارس أنشطتها فى نفس المكان. أو قريبا منه. كما كان الحال بالنسبة للمجموعتين السابق ذكرهما. وكما تفعل عادة عصابات الشباب. ويعرف أعضاء المجموعات بعضهم بعضا، من المدرسة، أو من الجوار. وتختلف المجموعتان من حيث صلتها بالإرهاب أو بالشبكات الإرهابية. فقد كان زعيم مجموعة تشيرنوريتشى شابا لديه خبرة مسبقة فى أنشطة العنف المتقدمة. حيث كان أولا عضوا بمنظمة إرهابية كبيرة. وكان يعمل تحت قيادة زعيم هذه المنظمة، وهو الذى طلب منه تكوين مجموعة من الشباب. أى أن هذه المجموعة كانت تتبع منظمة إرهابية كبيرة، حيث كانت تحصل على الأسلحة

والتمويل بواسطتها. وقد قام زعيم مجموعة الشباب بتجنيد عناصر مجموعته، وقادهم إلى أنشطة العنف. ومن اللافت أنهم جميعا كانوا في نفس السن، مما يذكرنا بالتقرير الذى كتبه بيركو (٢٠٠٤) عن الانتحاريين. أما المجموعة الثانية فقد تكونت على يد شاب لا يرتبط بأية منظمة إرهابية، وإن كان قد سيطر على سلوكه نوع من التأثير بأيدىولوجيات الإرهابيين.

وهذه المجموعة الأخيرة أكثر شبها بعصابات الشوارع، كما وصفها كلاين (١٩٩٥). حيث تتميز أنشطتها بطبيعة متقطعة أو غير منتظمة. وبأنها غير متورطة بشكل منتظم مع مجموعات الجريمة المنظمة أو غيرها من مجموعات البالغين. ولكن في مسألة التجنيد سواء لعصابات الشباب أو لمجموعات صغار الجنود، فإن عامل الصداقة يعتبر عنصرا مهماً. تؤكد الأبحاث التى تناولت تجنيد العصابات وصغار الجنود.

ولاشك أن علاقة عصابة تشير نوريتشى بمنظمة إرهابية إجرامية، يساهم في تسميتها «بعصابة الشبكة الإرهابية». بما يعنى أن منشأها ودعمها جاء على يد شبكة أكبر، وأن أنشطتها كانت تخدم مصالح هذه الشبكة. بالإضافة إلى ذلك، فإن «عصابة الشبكة الإرهابية» لم تستفد من الشبكة الأكبر من ناحية التمويل والحصول على الأسلحة فقط، ولكن ارتباطها بها قد وجه أنشطتها توجيهها إرهابيا. حيث إن أنشطتها لم تكن تستهدف في الأساس الاستيلاء على الممتلكات القيمة، وإنما استهدفت جرائمها بشكل جوهري، إشاعة حالة من الترويع والفرع بين الروس وكل من يدعمهم أو يتعاون معهم. وعلى هذا الأساس فقد اصطبغت أنشطتها بصبغة إرهابية تقليدية. بينما كانت دوافع المجموعة الثانية، دوافع مبنية على الكراهية العرقية، بما يعنى أنها تأثرت؛ ولكن بشكل ضعيف بأيدىولوجية سياسية إرهابية؛ ولذا يمكن أن نعرف المجموعة الثانية بأنها «عصابة مستقلة» بما أنها كانت تدير وتحكم بنفسها، وباستقلالية تامة، في كل أنشطتها بما فيها الجانب اللوجستى أيضا. ولم تلجأ إلى الارتباط بأية منظمة إرهابية في أى نشاط قامت به.

ومن الملاحظ أن العمر الزمني للمجموعتين، لم يسمح لهما باتساع مجال أنشطتهما. وكما أوضحت والددة أحد الأعضاء، فإن طفولة هؤلاء الشباب في ظل ظروف الحرب، هي التي مهدت تورطهم في تلك الأنشطة الإجرامية أو الإرهابية وما شابها من عنف. أى أن ظروف البيئة المحيطة قد وفرت لهم دوافع مباشرة وغير مباشرة للممارسة أنشطة العنف، ومنحت لهم المبرر الأيديولوجي، في ظل الظروف السائدة. فلا يخفى أن استمرار الحرب بمنطقة الشيشان، أتاح سهولة الحصول على الأسلحة النارية، وأصبح استخدامها مظهراً مألوفاً، من مظاهر الحياة اليومية. مما ساهم في حدوث خلل في وظائف الرقابة والإشراف من جانب البالغين على سلوك المراهقين. في نفس الوقت الذي فقد فيه المجتمع أيضاً سيطرته وسياسته الموجهة لهؤلاء الشباب مما ساعد على تكون هذه العصابات. كما شجع الشبان على الدخول في دائرة الصراع ضد المحتلين، أو الانخراط في أنشطة انتقامية بدافع الثأر لأصدقائهم أو أقاربهم. وهذه العوامل مجتمعة، ساهمت في تكوين عصابات الشباب في الشيشان.

ولكن هل يمكن أن نعتبر هؤلاء الشباب إرهابيين؟ على المستوى الفردي، بالطبع يمكن اعتبار كازيك زاوريي كوف، إرهابياً. فقد كان له تاريخ في العنف المسلح، وحصل على تقدير ورعاية منظمة إرهابية كبيرة، ويدل على ذلك تنصيبه «أميراً». وذلك، على عكس آخرين من أعضاء عصابات الشباب ممن لم تتوافر لديهم الخبرة في العنف المسلح؛ لذا لم يتحولوا إلى إرهابيين من العيار الثقيل. بمعنى، أنهم لم يشتركوا في أنشطة أو عمليات خطيرة مما تتطلب مهارة تكتيكية عالية، أو وضع خطط لوجيستية. أى أنهم لم يطوروا مهارات كافية تمكنهم من أن يصبحوا عصابات إرهابية على درجة من الحنكة والاحتراف، بحيث يخططون للقيام بعمليات سرية على سبيل المثال. كما أنهم لم تكن لديهم أى رؤى أو قناعات أيديولوجية عميقة. وحقيقة الأمر فقد كانوا جميعاً في سن صغيرة. أما إذا نظرنا للأمر على مستوى المجموعة، فإن مجموعة تشيرنور تشي، يمكن تصنيفها على أساس أنها عصابة إرهابية. أما مجموعة جروزنى فيمكن تحديد مسمى لها يقع بين ثلاث صفات، عصابات الإجرام، والكرهية، والإرهاب.

من الواضح، إذا، أن الحرب ضد الإرهاب التي قادتها القوات الروسية في الشيشان، قد وجهت هذه المجموعات من ناحية اختيار الضحايا، بالإضافة إلى نوع العنف المستخدم ضدهم. كما لا يجب أن ننسى دور إهمال المجتمع في القيام بدوره التوجيهي في تسهيل نشأة هاتين العصاباتين. إلى جانب العنف وامتهان حقوق الإنسان الذي كان يمارس بانتظام وعلى مستوى الحياة اليومية من قبل القوات المسلحة الروسية، والذي كان له تأثير سلبي واضح على الشباب في هذه المنطقة.

- Akhmadov, Y. (2006). *Istoriya Chechni s drevneishih vremen i do kontza XVIII veka* [The history of Chechnya from ancient times and until the end of the XVIII century]. Retrieved August 23, 2006 from www.chechnyafree.ru/index.php?lng=rus§ion=bookhisrus&row=8 [in Russian].
- Anderson, E. (1998). The social ecology of youth violence. In M. Tonry, & M. H. Moore (Eds), *Youth violence* (Vol. 24). Chicago/London: The University of Chicago Press.
- Antonyan, U. (Ed.) (2006). *Etnoreligiozniy Terrorizm*. Moscow: Aspekt Press [in Russian].
- Baiev, K. with Danilooff, R., & Danilooff, N. (2004). *The oath: A surgeon under fire*. London: Pocket Books.
- Ball, R. A., & Curry, G. D. (1997). The logic of definition in criminology: Purposes and methods for defining 'gangs'. In G. L. Mays (Ed.), *Gangs and gang behavior*. Chicago: Nelson-Hall Publishers.
- bbc.co.uk (2000, 10 February). *In pictures: Grozny in ruins*. Retrieved August 23, 2007, from <http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/638309.stm>
- Berko, A. (2004). *Ba Derekh le Gan Eden: Olamam shel Mihablut ve Mihablim Mitabdim ve Sholheiem*. Tel-Aviv: Miskal [in Hebrew].
- Brett, R., & Specht, I. (2004). *Young soldiers: Why they choose to fight*. Boulder, Colorado: Lynne Rienner Publishers.
- Cherkasov, A. (2001). *Demography, the loss of the population and migration in Chechnya. The critics of sources*. Report of the 'Memorial' Human Rights Organization. A talk at the conference in Stavropol, Russia, September 2001. Retrieved August 29, 2006, from www.memo.ru/hr/hotpoints/N-Caucas/misc/numbook.htm [in Russian].
- Decker, S. H., & Van Winkle, B. (1996). *Life in the gang: Family, friends, and violence*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Dowdney, L. (2005). *International comparison of children and youth in organised armed violence*. Retrieved August 21, 2007, from www.dreamscanbefoundation.org/NeitherWarNorPeace.pdf
- Dupin, S. (2001). Arbi Barayev pogib smertju 'strashnyh'. *Kommersant*, 109 [in Russian].
- Esbensen, F. A., & Peterson-Lynskey, D. (2001). Young gang members in a school survey. In M. W. Klein, H-J. Kerner, C. L. Maxson, & E. G. M. Weitekamp (Eds),

- The Eurogang Paradox: Street gangs and youth groups in the U.S. and Europe.* Dordrecht/ Boston/ London: Kluwer Academic Publishers.
- Grennan, S., Britz, M. T., Rush, J., & Barker, T. (2000). *Gangs: An international approach.* New Jersey: Prentice Hall.
- Human Rights Watch (1994). *Generation under fire: Children and violence in Colombia.* Retrieved August 21, 2007, from www.hrw.org/reports/1994/colombia/gener2.htm#militias
- Human Rights Watch (2006). *Situacija s pytkami v Chechenskoj Respublike.* Retrieved May 18, 2007, from www.hrw.org/russian/reports/russia/2006/memo.html [in Russian].
- kavkazcenter.com (2007). Retrieved June 19, 2007, from www.kavkazcenter.com
- Kisin, S. (2002, 24 May). Starikov ubivali za to, chto oni ne chechny. *Kommersant*, 87 [in Russian].
- Klein, M. W. (1995). *The American street gang: Its nature, prevalence, and control.* Oxford: Oxford University Press.
- Laqueur, W. (1999). *The new terrorism: Fanaticism and the arms of mass destruction.* New York: Oxford University Press.
- Larintseva, A. (2002). Nedetskiy Prigovor detskoy bande. *Kommersant*, 85 [in Russian].
- Lien, I.-L. (2001). The concept of honor, conflict and violent behavior among youth in Oslo. In M. W. Klein, H.-J. Kerner, C. L. Maxson, & E. G. M. Weitekamp (Eds), *The Eurogang Paradox: Street gangs and youth groups in the U.S. and Europe.* Dordrecht/ Boston/ London: Kluwer Academic Publishers.
- Murphy, P. J. (2004). *The wolves of Islam: Russia and the faces of Chechen terror.* Washington, DC: Brassey's.
- NovayaGazeta (2005). *Arifmetika Poter. Otveti ne shodjatsa.* Retrieved August 29, 2006, from <http://2005.novayagazeta.ru/nomer/2005/94n/n94n-s16.shtml> [in Russian].
- Oehme III C. G. (1997). *Gangs, groups, and crime: Perceptions and responses of community organizations.* Durham, NC: Carolina Academic Press.
- Petrov, G. (2007). Delezh asfalta. *Ogoniok*, 6. Retrieved August 9, 2007, from www.ogoniok.ru/4982/3/ [in Russian].
- Politkovskaya, A. (2006). *Karatelnyy Sgovor.* Retrieved August 6, 2007, from <http://2006.novayagazeta.ru/nomer/2006/74n/n74n-s11.shtml> [in Russian].
- Politkovskaya, A. (2007). *Za Chto.* Moscow: Novaya Gazeta [in Russian].
- regnum.ru (2007, 10 May). *Razrabotana progaramma 'Deti Chechni' na 2007-2010 gody.* Retrieved June 14, 2007, from www.regnum.ru/news/district-nkavkaz/chechnya/825050.html [in Russian].
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Samedov, T. (2001). Zastrelen samyj molodoj emir. *Kommersant*, 178 [in Russian].
- Seely, R. (2001). *Russo-Chechen conflict 1800-2000: A deadly embrace.* London/Portland: Frank Cass.
- Shekochikhin, U. (2003). *Zabytaya Chechnya: Stranitsi iz voennyh bloknotov.* Moscow: Olimp [in Russian].

- Sherbakova, E. (2007). Regioni Rossii silno razlichajutsja po urovnju zanjatosti, bezrabortitsi i ispolzovaniju rabochej sily. *Demoscope Weekly*, 277–278. Retrieved June 19, 2007, from <http://demoscope.ru/weekly/2007/0277/barom05.php> [in Russian].
- Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2006). The new Chechen Jihad: Militant Wahhabism as a radical movement and a source of suicide terrorism in post-war Chechen society. *Democracy & Security*, 2, 1–53.
- Spergel, I. A. (1995). *The youth gang problem: A community approach*. New York/Oxford: Oxford University Press.
- Trebin, M. P. (2003). *Terrorizm v XXI Veke*. Minsk: Kharvest [in Russian].
- UNICEF (2006). *Chechenskaya Respublika: Vazhno ne tolko vosstanovit infrastrukturu, no i zalechit dushevnye rany*. Retrieved August 21, 2007, from www.unicef.org/russia/ru/emergency_programme_6094.html [in Russian].
- Ureva, I., & Iluhina, O. (2007). Ulyanovsk: tolko fakty. *Ogoniok*, 6. Retrieved August 9, 2007, from www.ogoniok.ru/4982/2 [in Russian].
- Van Gemert, F., & Fleisher, M. S. (2005). In the grip of the group. In S. H. Decke, & F. M. Weerman (Eds), *European street gangs and troublesome youth groups*. Oxford: AltaMira Press.

الفصل العاشر

عدو عدوى، هو صديقي^(١)

كيفين بورجيسون وروبن فاليري

نبذة: يعرض هذا الفصل ملخصًا لتاريخ مجموعة الأمم الآرية، وبعض المبادئ الأساسية للعقيدة المسيحية التي تشكل هويتها. حيث ناقش دور الهوية المسيحية داخل هذه المجموعة. ثم يتطرق الفصل إلى التغييرات المستمرة التي تمر بها، وتعتبر هذه المجموعة من أبغض مجموعات الكراهية وأسوأها سمعة، في التاريخ الأمريكي. ويركز هذا الفصل، على انحيازها المتزايد تجاه أحد ألد أعدائها السابقين، وهي جماعات الجهاد الإسلامي.

لاشك أنه في أعقاب اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، تركز اهتمام الولايات المتحدة فيما يتعلق بمواجهة الإرهاب، على التهديدات التي تطالها من المجموعات الإرهابية خارج الولايات المتحدة. وذلك رغم أن أكثر الاعتداءات الإرهابية ضراوة وقسوة، ارتكبتها مجموعات إرهابية أمريكية. مثل التفجير الذي وقع بمدينة أوكلاند هوما على يد تيموثي ماكفيه، والانفجارات التي تعرضت لها المستشفيات التي تجرى عمليات الإجهاض على يد أريك روبرت رودلف. إلى جانب حوادث القتل الجماعي التي ارتكبتها بفرود فورو. كل هؤلاء الأفراد، كانوا، ولا زالوا بالفعل ينتمون

(١) نشرت بمجلة Journal of Behavioral Sciences ٢٠٠٦ نسخة مختلفة نوعا ما عن هذا الفصل في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٢.

إلى الهوية المسيحية، أو أعضاء في مجموعة الأمم الآرية، أو الاثنين معا. وقد كشف مقال حديث بجريدة Intelligence Report (بليجواز، جريجز وبوتوك ٢٠٠٥) أنه على مدار العقد الأخير كان هناك ما يقرب من ٦٠ حادثة إرهابية داخل الولايات المتحدة ارتكبها أفراد ينتمون لمجموعات الكراهية. وطبقا للتقرير، فإن معظم هذه الحوادث الإرهابية المحلية كانت ذات خلفيات دينية^(١).

ومن خلال بحث إثنوجرافى (وصفى) سوف نحاول دراسة تأثير هذا الانحياز ضد الأديان الأخرى على التغير الذى طرأ داخل مجموعة الأمم الآرية، خاصة فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية لأعضائها. إلى جانب، مؤثرات أخرى تعرضت لها المجموعتان. وأخيرا نلجأ إلى نظريات اجتماعية وسيكولوجية متعلقة بالتحيز والهوية الاجتماعية والعلاقات داخل المجموعة الواحدة، لتفسير حقائق مهمة، تتعلق بكراهية أعضاء مجموعة الأمم الآرية تجاه اليهود، التى وصلت إلى حد الاستعداد للتضامن مع عدوها السابق، الجهاد الإسلامى، لإنجاز هدف مشترك لهما، وهو هزيمة اليهود.

وقد تم تجميع معلومات تضمنتها الأبحاث الخاصة بهذا الفصل على مدى أربعة سنوات بدءاً من أغسطس ٢٠٠١ أى ما يقرب من شهر قبل وقوع اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر، وتم الانتهاء من إعدادها في شهر أغسطس ٢٠٠٥. وقد تمت مراقبة ورصد التجمعات، والمقابلات السنوية، بالإضافة إلى المؤتمرات الصحفية. وأثناء هذه الفترة، تم إجراء مقابلات مهمة أيضاً مع ما يقرب من ٢٥ عضواً من مجموعة الأمم الآرية.

نبذة عن تاريخ الأمم الآرية والهوية المسيحية.

أسس ريتسارد باتلر الأمم الآرية عام ١٩٧٣. وهو من مواليد بتت، كولورادو، وهى بلدة تبعد ما يقرب من ثلاثين ميلاً عن شرق دنفر. وتنتمى عائلته إلى أصول

(١) وأثناء المقابلة، أشار أعضاء من الأمم الآرية إلى المسلمين الذين كانوا على اتصال بهم، على أنهم «جهاديون إسلاميون» لأنهم لم يكونوا يريدون الكشف عن هويتهم أو أماكنهم، سواء كانوا أفراداً أو مجموعات. وبالنسبة لهذا الفصل فسوف يقتصر الكاتب على استخدام نفس المصطلحات.

بريسبيتارية، وقد عاشت هناك بضع سنوات فقط، قبل أن تنتقل إلى «بلد الأربعة أركان» Four Corners country حيث عاشت هناك حتى عام ١٩٢٣. وبعد أن فقدت عائلته مزرعتها، انتقلت للحياة في دنفر بكولورادو، قبل أن تستقر بكاليفورنيا حتى عام ١٩٣١. وفي أعقاب إنهاء دراسته الثانوية، انتقل باتلر إلى جامعة لوس أنجلوس كوليدينج. وأثناء الحرب العالمية الثانية، خدم باتلر في السلاح الجوي. كما كان أيضا طيارا مهندسا بالهند لمدة ثمانية عشر شهرا. وقد عاد باتلر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦، حيث عمل لمدة استمرت ثمانية عشر عاما: «بإدارة مصنع متخصص في إنتاج الأجهزة ذاتية الحركة وتجميع موتورات لأجزاء الطائرات». (باتلر، ٢٠٠١) وقد كانت هذه الفترة التي بدأ فيها باتلر وزوجته حضور كنائس متعددة الاتجاهات الدينية. وطبقا لأقوال باتلر «فإن الدين الذي كُنَّا نُدعى لاتباعه والإيمان به في الكنيسة، بدا غريبا لنا، لم يكن أمريكيا، بل بدا شيعيا. وكنا نتمنى أن نجد كنيسة تنشر تعاليم تؤمن بها، ويكون لها صدى وتأثير بداخلنا» (باتلر، ٢٠٠١).

وأثناء هذه الفترة، انخرط باتلر في الحركة المناهضة للشيعوية. وقد قدم خدماته بلجنة مناهضة الشيعوية بكاليفورنيا. وكانت اللجنة تتطلع إلى منع تدريس الشيعوية بالمدارس. ورغم أن اقتراحها بذلك، قد وصل إلى صناديق الاقتراع، فإنه لم يحصل على أصوات كافية تسمح بتمريره. وعرف عن باتلر في ذلك الوقت، مناهضته القوية للشيعوية. وقد بدأ بتلر أيضا يربط بين اليهود والشيعوية، ووصل إلى قناعة أن صراعه ليس مع حكومة أجنبية، بل ضد قوة معنوية أشد بأسا، ممثلة في أبناء الشيطان - أو اليهود. وقد أكد له ذلك قائد سابق في سلاح المشاة الأمريكي. هو الدكتور ويزلي سويفت. الذي كان السبب في اعتناقه العقيدة المناهضة للسامية. وقد انهبر باتلر بمهارة ويزلي الخطابية وقدرته على تفسير الإنجيل. ومن المعروف أن الهوية المسيحية، التي تشكل العمود الفقري لحركة الأمم الآرية، تركز على نواة تتكون من «مجموعة من المعتقدات الدينية» مثل: فترة ما قبل آدم على الأرض، ونسل الثعبان، وبيت إسرائيل، والمسيح، ومعركة أرمجدون. أو (المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر).

فترة ما قبل آدم: يعتقد أتباع الهوية المسيحية أن الأرض قد خلقت قبل سفر التكوين في الإنجيل. وأنه أثناء هذه الفترة، كانت هناك أقلية على الأرض. وكانت كلها تابعة للجنس الأبيض. بالإضافة إلى إيمانهم بأن الجنس الأبيض يتفوق على غيره من الأجناس لأنه من «نسل آدم».

نسل الثعبان أو نسل الهويتين: طبقا لهذا المعتقد، فإنه نتيجة لتبادل حواء الحب مع آدم ومع الشيطان في نفس اليوم، فإن حواء قد رزقت ثمرة هذا الحب، طفلين. أحدهما من آدم، الذي ينتمى أحفاده اليوم إلى الجنس الأنجلو سكسوني. بينما الطفل الآخر هو ابن الشيطان، ونسله هم، أبناء الشعب اليهودي. (والترز، ٢٠٠١) هذه الفكرة الأساسية في الهوية المسيحية تؤمن أن اليهود هم أبناء الشيطان أو «النسل الثعباني للشيطان». ومن هنا تبدأ المعركة، «لتتحقق مباركة الله» وطبقا لهم، فإن المعركة لا تزال دائرة حتى اليوم.

بيت إسرائيل: طبقا لأعضاء مجموعة الأمم الآرية، فإن تعريف إسرائيل بأنها شعب الله المختار ينبع من القومية الإسرائيلية.. أما طبقا لقومية أتباع الهوية المسيحية، فإن شعب الله المختار هم «الأمم الأنجلو ساكسونية والجرمانية والإسكندنافية».

عيسى: طبقا لأتباع الهوية المسيحية، فإن عيسى ليس يهوديا، ولكنه المسيح الذي سوف يعيد سيطرة «الجنس الأبيض» على كوكب الأرض.

أرمجدون: معركة أرمجدون، قادمة لا محالة، وسوف تقع في الولايات المتحدة، عندما ينهض الجنس الأبيض من جديد، ويدمر كل يهود الأرض. ويحقق سيطرته على العالم.

وفي عام ١٩٦١، انضم باتلر بصفة رسمية إلى الكنيسة تحت وء ابة الدكتور سويفت لفترة عشر سنوات. وقد أتاح له سويفت فرصة الاطلاع على مكتبته، وقام بتدريبه بمساعدة برتراند كومبارت، ليصبح قسا للهوية المسيحية. وبدأت «الصورة تتضح وتتلور» في ذهن باتلر، الذي انبهر بوجهة نظر العقيدة المسيحية، الخاصة باعتبار الجنس الأبيض، هو الجنس المفضل. (باتلر، ٢٠٠١) وعلى هذا فقد اعتبر الحرب

الباردة ليست ضد الشيعيين، ولكنها ضد من يحاربون المسيح، أى ضد اليهود. هذه المعتقدات أشعلت طموحات باتلر في الحياة. وارتبط مصيره منذ ذلك الوقت بتوسيع معرفته والإحاطة الكاملة بكل شىء خاص باليهود، ذلك الجنس البغيض.

وأصبح باتلر شبه مهووس بالإرث الآرى. مما قاده إلى الافتتان بشخصيات مثل هتلر والإعجاب بفكرة القومية الاشتراكية. وقد تأثر باتلر بتعاليم دكتور سويفت، فافتنع أن تشويه الجنس الآرى قد تم على يد اليهود، الذين سيطروا على الإعلام وعلى المؤسسات المالية والتعليمية وغيرها من مؤسسات أساسية بالولايات المتحدة. وبهذه السيطرة، تمكن اليهود من توجيه أفكار المجتمع الذى يعيشون فيه. والتأثير عليه.

إن ما نتلقاه من تعليم منذ الحضانة وحتى الجامعة، من قراءات ترفيحية، مثل المجلات الهزلية في فترة الطفولة، تمثل وجهة نظر واحدة فقط. ليست وجهة نظرنا نحن في الحياة، أى ليست النظرة الآرية، بل تمثل النظرة غير الآرية في الحياة. إن ما يصلنا عن أنفسنا من خلال هذه الوسائل المقروءة، يوحي بأن الجنس الآرى شىء بغيض، والجميع يصدق ذلك؛ لأن الفكرة تصله من خلال الطباعة. لقد فقدنا القدرة على التفكير بأنفسنا. وهو ما كان يجب أن نتعلمه في فترة التعليم العالى. وللأسف فمعظم الأوقات نجد أننا نلقن بدلا من أن نتعلم. (باتلر، ٢٠٠١).

ومن عام ١٩٦٤ وحتى ١٩٧٣، كان باتلر يعمل في مجال تحليل الأسواق والتسويق. وفي عام ١٩٦٨، أصبح من كبار المهندسين الصناعيين بشركة لوكهيد وشركائها للطيران. بمصنع بالمديل بكاليفورنيا. حيث كان العمل مكثفًا لإنتاج الطائرة L-١٠١١ (اثنتى عشرة أمة آرية) Twelve Aryan Nations.

أما سويفت فقد كان في صراع متواصل مع مرض السكر ومشاكل أخرى خاصة بالكلية لعدة سنوات..... «قد توفي إثر نوبة قلبية، وافته وهو في حجرة انتظار عيادة بالمكسيك. في الثامن من أكتوبر ١٩٧٠» (باركم، ص ٦٨-١٩٧٧) وبوفاة سويفت

لم يتوفر بشكل فوري من خلفه، داخل الحركة. « على الرغم من وجود كثيرين ممن يصلحون لذلك..، ويرجع ذلك إلى عدم توافر آلية تؤسس للقيادة داخل المجموعة» (باركم ص ٦٩-١٩٩٧) وكانت هذه المشكلة تسبب أرقا مستمرا للحركة.

كان باتلر يؤمن بأنه أحق فرد بخلافة سويقت، ومن ثم بدأ في إلقاء المحاضرات الأسبوعية. ولكن نسبة الحضور بدأت تتضاءل. «فقد حماسه، ونتيجة لذلك فقد باتلر تشجيع مجلس الكنيسة». كما زعمت ابنة سويقت أيضا «أن العضوية بالكنيسة قد بدأت بالفعل في التناقص». (باركم ص ٧٠-١٩٩٧). وقد أراد باتلر إدارة الكنيسة بطريقته، فسعى إلى نقل كنيسة أنصار عيسى المسيح إلى منطقة هايدن ليك بإيداهو. وبرغم أن باتلر تمسك بانتمائه لهذه الكنيسة، فإن مايكل باركم (١٩٩٧)، كاتب Religion and the radical right زعم أن الكنيسة لم تمنحه قط إجازتها.. وبعد أن ضاق ذرعا بالخلافات الداخلية، قرر باتلر إنشاء ذراع سياسية لكنيسة أنصار عيسى المسيح - الأمم الآرية. فانتقل إلى كور دالان، بإيداهو، حيث كان قد اشترى خمسين فداناً من الأرض، باع منها ٣٠، ثم بنى مجمع الكراهية the compound of hate على ما تبقى ٢٠ فداناً. وكان باتلر قد ابتدع أيضاً علامة من أكثر العلامات شهرة وترمزاً للكراهية، وهى علامة الجناح اليميني لحركة النازيين الجدد. وطبقاً لباتلر، فإن هذا الرمز يحمل مغزى دينياً مهماً:

وهو على شكل مربع ذى أربعة اتجاهات. ويأخذ شكل الرقم ٢ فى الأساس. ويمثل درع الإيمان يعلوه تاج المسيح على القمة، الثالث: الأب، والابن، والروح القدس. وسيف الحقيقة يأتى من التاج. والاتجاهات الأربعة تأخذ شكل الرقم ٢. ولدينا الاثنتا عشرة قبيلة لإسرائيل، ممثلة فى الأربعة أركان. وتأتى فى مركز هذا البعث. وهذه العلامة وتدعى سواتسيكا (الصليب المعقوف)، وسيف الحقيقة، وهو شديد القدسية... أما الألوان وهى الأحمر والأزرق والأبيض، فهى الألوان الملكية للجنس الآرى (باتلر ٢٠٠١).

وعلى الرغم من أن باتلر كان عنصرياً، فإن معظم الناس فى هايدن بإيداهو، تقبلوه كما هو، ولم يعبتوا لذلك كثيراً.. وقيل، «إن مواطنى هايدن لا يك، لم ينتابهم أى قلق أو

توجس تجاه باتلر. بل كانوا ينادونه بالموقر أو «المؤمن» ويتبادلون معه التحية أو بعض الكلمات، حينها كان يتوقف بمقهى أول» (فلين وجرهارد، ص ٥٥ - ١٩٨٩).

وفي يونيو ١٩٧٨، وضع باتلر على أرضه يافطة كتب عليها «الأمم الآرية». وكان ذلك بمثابة إعلان للعالم عن نشأة «الذراع السياسية لمجموعة الأمم الآرية. ومن لم يدرك ذلك في حينه، فقد أجبرته الأحداث فيما بعد على ذلك». (فلين، وجرهارد ص ٥٥-١٩٨٩).

وفي سنوات الثمانينيات، ارتكبت مجموعة الأمم الآرية عددا من الحوادث الإرهابية الداخلية بالولايات المتحدة. وبين عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤، بدأت مجموعة سرية منشقة عن الأمم الآرية وتدعى Order، تقوم بعمليات دون علم من باتلر، كما يبدو. وقد ارتكبت هذه المجموعة عدة سرقات، بلغت ما يقرب من ١, ٤ ملايين دولار أمريكي. ثم كونت جبهة مواجهة، بهدف تمويل حركة سيادة الجنس الأبيض الإرهابية بالولايات المتحدة. وجدير بالذكر أن مجموعة أوردر Order قد مارست تأثيرًا طائفيًا على مجموعة الأمم الآرية، وعلى حركة تفوق الجنس الأبيض بصفة عامة. حتى أن مواقع الحركة على شبكة الإنترنت، كثيرا ما كانت تقوم بعرض ضحايا حركة الأورودر على أنهم ضحاياها وتشجع الأعضاء على أن يخذو حذو Order في ممارسة الأنشطة الإرهابية، كوسيلة لجمع تمويل كاف للحركة. وفي عام ١٩٨٤، تم إلقاء القبض على ١٢ عضوا من مجموعة Order. وقدموا للمحاكمة. وفي عام ١٩٨٥، صدرت ضدهم أحكام، تتعلق باتهامات بابتزاز الأموال. وحكم عليهم بفترات «تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ عام» (تايملاين).

ولكن جدير بالذكر، أن الأنشطة الإرهابية لم تتوقف بعد الأحكام التي صدرت ضد مجموعة Order، كما يشير لنا الجدول ١، ١٠، بل إنها تزايدت في واقع الأمر. ونتيجة صحته المتدهورة، قرر باتلر أنه بحاجة إلى النظر في أمر من سيخلفه في زعامة الأمم الآرية. وقد قام بتعيين بعض الأفراد «كقادة جدد». إلا أنهم جميعا تركوا

المنظمة، بسبب عدم رضاهم عن اتجاه بعض الأعضاء. وفي نهاية أكتوبر عام ٢٠٠٠، تفاقت الخلافات والصراعات بين أفراد الحركة. وبدأ بعض الأعضاء يعلنون عن عدم اقتناعهم بأن تكون الهوية المسيحية هي الدين المحدد لانضمام أعضاء جدد بالحركة. حيث أرادوا ضم أعضاء آخرين من مختلف دول العالم. وأصبحت الأمور أكثر تعقيدا في أكتوبر ٢٠٠٤، حينما توفي ريتشارد باتلر. وبعد وفاته، ارتفعت أصوات بعض القادة الأعضاء بالمجموعة، مطالبة بقوة بانضمام أعضاء جدد من المسلمين، إلى مجموعتهم. بما أن العقيدتين المسيحية والإسلامية تناصبان «اليهود العداء والكراهية».

الجدول ١، ١٠ الأنشطة الإرهابية لمجموعة نفوق الجنس الأبيض (تايملاين)

Timeline

١٩٨٦: قام عضو بالأمم الآرية، وهو دافيد دور، بتفجير محكمة الكوردالين لتوصيل رسالة للحكومة بعدم التدخل في قضية المجموعة.

١٩٩٢: «كتيبة بوب ماثيوز» ألقى القبض عليها، لتخطيطها لقتل زعماء الحقوق المدنية.

١٩٩٣: تم إلقاء القبض على شيفي كيهو، لتشكيله مجموعة مماثلة لمجموعة Order تدعى جمهورية الأمم الآرية، وقد تورطت في سرقة عدة بنوك وحوادث اغتيال لخمس شخصيات بارزة.

١٩٩٢-١٩٩٦: تكونت مجموعة الجيش الجمهوري الآري (وتدعى أيضا Order II) وقامت بسرقة ٢٢ بنكا بهدف تمويل الأنشطة الإرهابية.

٢٠٠٣: تم القبض على عدة أعضاء من مجموعة الأمم الآرية، في منطقة الساحل الشرقي، لتكوينهم خلية صغيرة تعمل بتجارة المخدرات لتمويل حقوق الإرهابيين.

تطورات جديدة داخل مجموعة الأمم الآرية

شعور الكراهية تجاه اليهود

طبقا لكاثلين بلي (٢٠٠٢)، فإن كل السيدات اللاتي انضممن إلى المنظمات العنصرية، تعلمن أن يكن ضد السامية. وكان أغلب من تم مقابلتهم من أعضاء الأمم الآرية من الذكور. وقد بدأ أغلبهم أولا كأعضاء في مجموعات تناصب السود الكراهية وليس اليهود^(١).

وكانت بلي، هي السيدة الوحيدة التي ناصبت اليهود الكراهية منذ البداية. وقد قادتهم جميعا رحلة الكراهية «إلى قناعة أن اليهود، حقيقة الأمر، هم من يستحقون اللوم، على ما يعانيه عالم اليوم من مشاكل»^(٢). ونذكر على سبيل المثال، ما ورد على لسان أحد أعضاء الأمم الآرية، ممن كانوا ينتمون من قبل، إلى عدة منظمات تنادى بسيادة الجنس الأبيض:

لقد كنت عضوا في عدة منظمات عبر السنوات الماضية، ومنها مجموعة حليقي الرؤوس، وكلان، وغيرهما. المشكلة أنهم لا يدركون حقيقة الأمور. فهم يريدونك أن تقتنع أن السود ومواطني أمريكا اللاتينية هم المسئولون عن مشاكل المجتمع. ولكن الواقع غير ذلك.. لقد أدركت، أخيرا، أن هناك بالتأكيد مجموعة أقوى وراء هذه المشاكل بالولايات المتحدة. واكتمل يقيني بذلك، حينما قابلت صديقا، ساعدني على أن أفهم أن اليهود، هم القوة الحقيقية وراء الأحداث. وأنهم يستفيدون من السود والمسيحيين، في تنفيذ برامجهم.

إن تحول كراهيتهم إلى اليهود، هو نتاج اقتناعهم الكامل، بأن هناك مؤامرة يتزعمها اليهود. فطبقا لأعضاء الأمم الآرية، فإن الشعب اليهودي يمثل كبش فداء، وهو

(١) إن متوسط المنظمات التي كان عضو الحركة ينتمى إليها، هي ثلاث مجموعات كراهية، قبل أن يصبح عضوا في الأمم الآرية.

(٢) أجريت المقابلات مع أعضاء الأمم الآرية، على أساس ضمان أن يظلوا مجهولين. وقد تم إجراء المقابلات بين أغسطس ٢٠٠٢ - وديسمبر ٢٠٠٥.

بالفعل يستحق اللوم فيما يخص العديد من المشاكل. فقد كشفت نتائج المقابلات، عن قناعتهم بوجود مؤامرة يهودية، ومن دلالات ذلك تحديداً، وجود «حكومة يسيطر عليها اليهود»^(١) و«إعلام يسيطر عليه اليهود». ولقد أجمع أغلب الذين أجريت معهم المقابلات، على أن الموظفين اليهود الذين كانوا يعملون بالمركز التجارى العالمى، كانوا على علم مسبق باعتداءات ٩ / ١١. وهذا ما يفسر تغيبهم عن العمل فى ذلك اليوم. وقد أكد أحد الأعضاء أن أعداد موظفى المركز من اليهود فى ذلك اليوم، كانت أقل من المعتاد. وأنهم لابد، وقد أبلغ بعضهم بعضاً، واتفقوا على عدم الذهاب للعمل فى ذلك اليوم.

... يقولون إن ٦٠٠٠ آلاف شخص قد لقوا مصرعهم فى انفجار مبنى التجارة العالمى... ولكن الواقع ليس كذلك... حيث إن آخر عدد قد صرحوا به، كان ٣٠٧٠ شخصا. وإذا نظرت إلى عدد الموظفين فى المبنى بين التاسعة إلا ربع والتاسعة والنصف، وقارنتهم بعددهم فى الأيام الأخرى، لتبين لك الفارق على الفور.. ولوسألت بعض العمال الذين سنحت لهم فرصة العمل فى المبنى؛ لأكدوا لك ذلك...

ثم إن هناك اعتقاداً سائداً ومألوفاً بين أعضاء الأمم الآرية أن اليهود يسيطرون على وسائل الإعلام. حتى أصبحت كلمة «إعلام» تكاد تكون مرادفة «لليهود». ويرجع ذلك إلى تمسكهم بما شاع وقت بروتوكول حكماء صهيون، من أن اليهود تحذوهم الرغبة فى السيطرة على معظم مؤسسات الدولة الاجتماعية، كالإعلام، والبنوك والمدارس والحكومة. وطبقاً لـبورجيسون، فمن مظاهر المؤامرة التى قد تورط اليهود فى أحداث ٩ / ١١، والمربطة بسيطرتهم على وسائل الإعلام، هو مزاعم شاعت عن علمهم المسبق بأحداث ٩ / ١١. وقال فى ذلك:

(١) بعض الأعضاء يرمزون لذلك Z.O.G أى حكومة صهيون المحتلة.

كيف يمكن تفسير، أنه بعد اعتداءات ٩/١١ مباشرة كانت هناك صور نشرت ليهود يرقصون فوق أسطح بعض الأبنية؟ وفي غضون دقائق معدودة، اختفت تلك الصور بالكامل؟ هذا لأن الإعلام اليهودي المسيطر أراد حججها عن الجميع، حتى لا يفتضح أمرهم. ويعرف الجميع، أنهم كانوا وراء تلك الأحداث. فهل هذه مؤمرات حيكّت ضدهم؟ بالطبع، لا، إنها وقائع.

الأمم الآرية كمنظمة ذات قاعدة مسيحية

أظهرت المقابلات التي أجريت مع أعضاء المجموعة، أن أهم ما يميز اليهود عن غيرهم هو مسألة الدين.. إن دين الأمم الآرية هو المسيحية، كما أن العنصرية وكره السامية من أهم أعمدها. الهوية المسيحية هي إذا حجر الزاوية بالنسبة للحركة منذ أكثر من ٢٥ سنة. ومن معتقداتهم الأساسية أن شعب الله المختار (الاثنى عشرة قبيلة المفقودة)، هو الجنس الأبيض في العالم أو ما يعرف بالجنس الأنجلو ساكسوني. كما يؤمنون أيضا، أن هناك معركة تدور رحاها على الأرض، بين الخير والشر. وأن على الجنس الأبيض أن يتحد ضد اليهود لاستعادة حقوقه المسلوبة. وأن ذلك سيحدث حينما يعود المسيح إلى الأرض. وبالنسبة لأغلب الأعضاء وطبقا لتعاليم ريتشارد باتلر، فإن الارتباط وطيد جدا بين الهوية المسيحية والعنصرية أو معاداة السامية. وطبقا لباتلر:

أنا أؤمن بأن الدين المسيحي هو الدين الوحيد الذي يحق له أن يسود. ولا يمكن أن نسمح بأي حال بقبول انضمام شرذمة من الزنوج أعضاء بالمنظمة. فإن الأمر يتعلق بالجنس الآري فقط وهم لا ينتمون إليه.. ولذا فإن مكانهم الطبيعي هو جهنم. بل إنهم لم يكن يحق لهم من الأساس أن يوجدوا في هذه البلاد.

وتعكس هذه المقولة معتقدين على درجة كبيرة من الأهمية، أولهما، أن الهوية المسيحية، هي الدين الوحيد المعترف به. وبالتالي فلا يحق لأتباع أي دين آخر الانضمام إلى عضوية الأمم الآرية. والمعتقد الثاني، أن كل المسلمين سود؛ وبالتالي لا يسمح لهم

بالانضمام إلى المنظمة. وحينما لفت انتباه الشخص الذى يجرى معه الحديث، أن ليس كل المسلمين سودًا، أجاب:

أنا شخصيا، لم أر أحدا منهم بعد. وحتى إذا صدق الحديث، ففى هذه الحالة، لا بد وأن يعدموا رميا بالرصاص؛ لأنهم تخلوا عن جنسهم. فالجنس الأبيض هو نسل شعب الإنجيل المختار، وعلى الجنس الأبيض أن يفيق من غفوته، ويطالب باستعادة إرثه من أبناء الشيطان.

وعلى ذلك، وطبقا للمقولة المذكورة أعلاه، فإن مسألة العنصرية متأصلة فى الهوية المسيحية. وطبقا لمن أجرى معهم الحوار، فإن الجنس الأبيض يجب أن ينتمى إلى الدين المسيحى. والذين لا يدينون بالمسيحية منهم، يعتبرون طبقا لذلك، خائنين لجنسهم. وعلى ذلك، فإن أى دين آخر، فى هذه الحالة الإسلام، يعتبر فى نظر الأمم الآرية إثما أو خطيئة لا يجب أن يسمح به أو أن يمر دون عقاب. وأضاف:

إننا لا نسمح بانضمام من ليس مسيحيا إلى هذه المنظمة، وهذا أمر محسوم.. هناك كثير من المجموعات التى تعتقد أنها من أتباع الهوية المسيحية، ونسمح بانضمام كل من نجد لديه استعدادا لتقبل رسالة الهوية المسيحية.. ولكن هذا ليس كافيا؛ لأننا فى كل مرة نتحد مع الوثنيين أو الملحدين فإن الرب يسحب منا مباركته ونمنى بالفشل. والأمثلة كثيرة فى الكتاب المقدس.

تغيير وجهات النظر الدينية

يرى بعض أعضاء الأمم الآرية، أن مجرد الإيثار بتعاليم الهوية المسيحية بشكل أعمى، لا يخدم قضية الدين المسيحى أو رسالته. وقد عبر أحدهم عن ذلك قائلا: «لا يجب أن أكره شخصا لمجرد الكراهية. فإن الكراهية المبنية على العنصرية ضد الأجناس الأخرى، لا تقودنا إلى أى هدف» و«أنا هنا أتفق مع تعاليم الإنجيل». وعلى أساس السماح بتنوع وجهات النظر، سمحت بعض قيادات الأمم الآرية بانضمام المسلمين إلى المنظمة. واعتبروا أنهم ينفذون بذلك «بيان المهمة» لمؤسس الحركة رتشارد باتلر:

طبقا لمؤسس الأمم الآرية ريتشارد باتلر، فإن هذه المنظمة، تم تكوينها كمؤسسة للفضيلة والأخوة للجنس الآرى. وقد تكونت فى الأصل من مجموعات صغيرة نشأت أساسا داخل مؤسسات السجون. وأصبحت فيما بعد، أكثر الوسائل فعالية لحماية الجنس الآرى الذى تم مصادرة حريته. إن القس باتلر لم يكن يريد لهذه المنظمة أن تصبح فقط منظمة دينية؛ لذا فهى اليوم أيضا لا تعتبر فقط ذات توجه دينى. ولكن فى الماضى، حينما كان الناس يترددون على كنيسة أتباع السيد المسيح بهيدن بإيداهو، كان يبدو واضحا، أن نواة المجموعة فى الأساس، كانت الإبيان بالعقيدة أو الهوية المسيحية. وقد تقرر أن تصبح الأمم الآرية، كيانين منفصلين. الكيان الأول، يمثل الأمم الآرية الأصلية، وأما الثانى، فيمثل الجناح الإنجيلى من المنظمة. حيث أصبحت أفكارنا، ووجهات نظرنا تجذب العديد من الأفراد ممن ينتمون إلى هويات أخرى، وقد لا يدينون بالولاء للإنجيل، ولكنهم ذو نفع وفائدة للمنظمة. ونحن نعتقد أن مؤسس المنظمة، ما كان سيدير ظهره لهؤلاء. وكذلك قررنا نحن ألا نفعل ذلك أيضا.

وردا على سيل من الرسائل الإلكترونية (الإنترنت) التى وصلت إلى المنظمة، فإن المسئولين منهم قد ردوا ببيان توضيحى، يصفون فيه موقفهم غير المنحاز دينيا، بالإضافة إلى تأكيدهم أن هناك ما يؤكد أن الإنجيل يساند الجهاديين الإسلاميين:

لقد حدث سوء تفاهم على ما يبدو، فيما يخص وجهة نظرنا، بشأن تحالفنا مع الإسلاميين الجهاديين. هناك من ادعى أننا أصبحنا الآن منظمة إسلامية أصولية. وهذا غير صحيح. إن منظمتنا لا تساند أى دين آخر. ولكن من ناحية أخرى، وبناء على تاريخ منظمة الأمم الآرية، فإن قواعدنا وسلوكنا، أساسها تعاليم الإنجيل. وتتفق آراء أعضاء المنظمة فى مجموعها، على قبول الهوية الآرية المسيحية، وتعاليم الدين المسيحى المستنيرة والمعروفة للجميع.

وقد كان لهذه التصريحات، ردود أفعال قوية، إذ أظهرت اهتماما غير عادي بحركة الأمم الآرية، من جانب أصحاب ديانات أخرى وهويات مختلفة عن الهوية المسيحية، إلى درجة أن قيادات الأمم الآرية قد خططت لإجراء اتصالات بهدف إعداد لقاءات مع قياداتها.

الكراهية المشتركة

وحينما سألت مجموعة الأمم الآرية، عن سبب مساندتها للجهاديين الإسلاميين، أجاب المتحدثون دون تردد، إن الحركة المسيحية الحالية قد ماتت بعد أن فقدت جوهرها:

إن أعضاء الحركة من المسيحيين البيض تنقصهم الحماسة وروح التضحية من أجل قضية يؤمنون بها. وهذا ما نجده اليوم عند المسلمين.. وحقيقة الأمر وعبر تاريخها الطويل، فقد كانت قلة قليلة من أعضاء الأمم الآرية، هي التي على استعداد للتضحية بحياتها من أجل الحركة. فإذا استطعنا أن نغرس هذه الأخلاق داخل الحركة مرة أخرى، لأستعدنا كرامتنا المفقودة، ولخسر اليهود كل الفرص أمامنا. إذ إننا سوف نحارب بكل صدق وقوة.

وفي مواجهة بدء انهيار حركة الهوية المسيحية بأمريكا، بدأ أعضاء الأمم الآرية في تنمية أواصر التعاون والزمالة مع الإسلاميين الجهاديين. حيث شعروا بقوة حركتهم وبحماسهم:

إن حركة الإسلاميين تسودها روابط الأخوة الوثيقة. فمهما بعدت المسافات التي تفرق بينهم، فهم لا يتهاونون في مساعدة بعضهم البعض.. وقد كانت هذه هي مبادئ المسيحية أولا. وكانت هي تعاليم السيد المسيح لأبنائه على الأرض.

وقد تزامن مع بدء تشعب الأمم الآرية إلى ملل وطوائف دينية متعددة، إدراكها للقواسم المشتركة مع غيرها من المجموعات، فيما يخص المبادئ والقيم الأخلاقية. كما شاركت مجموعات أخرى، قناعتها بالدور الاضطهادي الذي تمارسه وسائل الإعلام في العصر الحديث وأخيرا الكراهية المشتركة للحكومة الأمريكية.

والكلمات انتئية، تعكس القناعة بأن المسلمين يشاركون الأمم الآرية، نفس القيم الأخلاقية:

تداركا لأخطائنا سابقا، فقد اتخذنا قرارنا بالتحالف مع الإسلاميين. حيث نرى تطابقا بين قيمنا الأخلاقية. كما أننا أدركنا أننا مشتركون في العزم والإرادة، لاجتثاث هذه الشجرة المتهالكة التالفة من الحديقة، أى «اليهود». نحن إذا حلفاء فى كرهنا لليهود. كما أن الإسلام لم يندس بالغزو اليهودى. ومن هنا كان احتفاظ الجهاديين بالنقاء الخالص للعقيدة وسعيهم الدائم للحفاظ عليها. ومن هنا كان تقديرنا العميق لهم.

ويسترسل الحديث، فيؤكد سيطرة اليهود على وسائل الإعلام. مما يفسر الصورة السلبية التى يقدمها للعالم عن المسلمين.

لقد استخدم اليهود سيطرتهم وهيمتهم على وسائل الإعلام، لتصوير المسلمين وكأنهم ليسوا من البشر، بل أحقر وأقل من البشر جميعا. وكأنهم وحوش ضارية. بينما أشادوا بأنفسهم وبفضائلهم التى تميزهم عن الجميع، ووجدوا تعاونا ومساندة من غيرهم من الحقراء والدونيين، لنشر معتقداتهم. ويدرك الآريون أن إسماعيل كان مباركاً من ياهوا (اسم الله بالعبرية) وقد ساعده الرب وتنبأ له أن يكون القبضة التى تصمد فى وجه العدو. إن العرب والإسرائيليين من نسل إسماعيل. ولا يمكن بأى حال أن نقر بأن اليهود «محقون» بينما الرب (ياهوا) كان مخطئاً.

أما الجزء التالى من الرسالة فيوضح لنا سبب تحالف الأمم الآرية مع أتباع الدين الإسلامى.

إن أتباع سيدنا إسماعيل، هم حلفاؤنا؛ لأنهم أول من تلقى ضربات جرحومة الشيطان، أى «اليهود».

أما الآريون، فمصيرهم أن يكونوا الضربة القاضية لليهود. إذ إن أطفال الرب سوف يدمرون أعداءهم. وإسماعيل سوف يقف بجانب أخيه إسحاق ليأخذ حظه من الانتصار والشرف. فقد بارك الله من باركه، ومنهم إسماعيل، بينما لعن الله وحكم بالموت على البذرة الشيطانية، المعروفة «باليهود». كل هذه الحثالة المنتشرة في العالم وأتباعهم من المتعاونين المخدوعين في الصهاينة. ولكن، مهما فعلوا ومهما أوتوا من قوة فلن يعيدوا لليهود قوتهم من جديد.

ثم تواصل الرسالة تطمين بعض أعضاء من مجموعة الأمم الآرية، الذين يعتقدون أن الهوية المسيحية، هي ركيزة المنظمة. مع تأكيد الترحيب بأعضاء جدد من المنتمين إلى أديان أخرى للانضمام إلى الأمم الآرية.

إن الكنيسة المسيحية، سوف تبقى هي الأساس الإنجيلي للأمم الآرية. ورغم ذلك، فإن أعضاء الأمم الآرية، سوف يواصلون ترحيبهم بالإسلاميين وغيرهم من أتباع الأديان الأخلاقية الأخرى للانضمام إلى صفوفهم. وهذا ليس بالجديد على المنظمة، فكل إخواننا وأخواتنا كانوا دائما مصدر ترحيبنا. وكما كان الحال دائما، فإن وجهات نظر الإنجيل التي يتبعها أعضاء الأمم الآرية، سوف تبقى دائما أساس وقاعدة منظمنا.

وأخيرا، تؤكد الرسالة، أنه على الرغم من اختلاف وجهات نظر الإسلاميين والأمم الآرية فيما يخص مفهوم الجهاد، إلا أن كليهما يشعر بتفوق يميزه ويسمو به فوق الديانة اليهودية.

إن على الإسلاميين أن يقبلوا اختلافا محمدا بيننا، وربما لا يكون إسلاميا من وجهة نظرهم. هذا الاختلاف يكمن في الطريقة التي نتعامل نحن بها مع الجهاد. فبينما الجهاد الإسلامي، هو تطهير الأراضي الإسلامية من سيطرة أعداء الإسلام. وباكتمال هذه المهمة ينتهى الجهاد، فإن الجهاد في مفهومنا، أكثر تحديدا، وهو بشكل واضح قاصر على القضاء على جنس الشيطان أو «اليهود». وذلك عبر بلاد العالم أجمع. بدون التقيد بأية حدود مطلقا. وأي دولة تساند أو تدعم اليهود

وتقدم لهم المأوى، فسوف تخضع لضربات الجهاد. فهؤلاء لن يجدوا ملاذا، كما لم يجد المقاتلون الأحرار من الإسلاميين، ملاذا أيضا، حتى من «إخوانهم». فكل من يساند أو يأوى «اليهود» سوف نعتبره، هو الآخر منهم، ومن ثم يخضع لنفس العقاب. أو يكون عقابه أشد وطأة.. إن الأمم الآرية لن تحترم أية حدود أو أنظمة سياسية تتعاون أو تخفى الأعداء. إن القتل الجماعي لجرثومة الشيطان «اليهود» هو منتهى الأمل من جهادنا، بل هو الغاية الأساسية للأمم الآرية.

وكلا المجموعتين، تناصبان أيضا حكومة الولايات المتحدة الأمريكية الكراهية. وعدائهما لها، نابع من قناعة أن الحكومة الأمريكية التي يسيطر عليها ويديرها اليهود، تتآمر على مواطني الدولة المسيحية والأمة العربية.

إن الولايات المتحدة تحاول أن تدمر دينهم، الإسلام. ومن خلال سيطرة اليهود، فإنها تمكنت من تحويل كلامهم لخدمة قضيتها في الأساس وهي (سيطرة اليهود على العالم). إن الحكومة التي يديرها اليهود، تحاول التحكم في الإسلام، كما تحكمنا فينا من قبل. إن من نتكلم معهم من الإسلاميين، يريدون إسلامهم نقيًا، يريدون العودة إلى «الإسلام الحقيقي». وهم في ذلك مثلنا. يريدون هوية إسلامية خالصة، نقية، مثلما نريد نحن «مسيحية حقيقية» تجمعنا إذا، ملامح مشتركة؛ لذا يجب ألا يحارب بعضنا بعضًا. فنحن نمثل أشكالا مختلفة من الأديان. ولكن وكما يقول لنا الإنجيل: يجب ألا نتقاتل؛ لأننا نؤمن بوجود إله واحد.

وبعقد مقارنة بين ما يتعرض له الإسلاميون حاليا على يد الولايات المتحدة، وما مرت به الأمم الآرية من قبل، فإن قيادة الأمم الآرية تؤمن بأن الجهاديين يمكنهم أن يستفيدوا من خبرتهم السابقة. وطبقا لهم «حيث إننا قد مررنا بنفس الظروف التي يمر بها الجهاديون حاليا».

الكراهية، الهوية الاجتماعية والهوية المسيحية

إن نظرة متفحصة، للهوية المسيحية، سواء كان ذلك من وجهة نظر نظرية الكراهية المزدوجة (شتيرن برج، ٢٠٠٥) أو نظرية الهوية الاجتماعية (تاجفل، ١٩٧٨، تاجفل وترنر، ١٩٧٩، تيلور ولويس، ٢٠٠٥)، فهي تكشف النقاب عن أهمية الدور الذي

تلعب الهوية المسيحية في تدعيم النشاط السياسى للأمة الآرية من خلال تبرير وتقنين منطق الكراهية و/ أو النظرة المتحيزة. بالإضافة إلى تعبئة الأفراد اجتماعيا في هذا الاتجاه.

وطبقا لنظرية شترنبرج للكراهية المزدوجة (٢٠٠٣، ٢٠٠٥) فإن الكراهية ليست عكس الحب، ولا هي غياب وجود الحب. ولكنها، مرتبطة بالحب وإن كان ذلك بشكل نفسي مركب. والكراهية تشبه الحب من ناحية اشتغالها على ثلاثة عناصر: هي الحميمية، والعاطفة، والالتزام. ولكن على عكس الحب، فإن أساس الكراهية، هو إنكار هذه العناصر الثلاث. وكما أن هناك قصصا للحب، فإن هناك أيضا، قصصا للكراهية. وهو ما يفسر ضرورة تجنب الفرد أو المجموعة المكروهة، فضلا عن الخوف منها والإحساس تجاهها بالازدراء الشديد. (شترنبرج، ٢٠٠٥). وطبقا لشترنبرج، فإن قصص الكراهية تحقق ذلك، من خلال خمس خطوات: أولا الإفصاح عن البغض والكراهية تجاه العدو المستهدف، من خلال الكشف عن خططه ضد أعضاء المجموعة. ثم الكشف عن حجم قوة العدو. وبلى ذلك، إثبات أن العدو قد بدأ يضع خططه موضع التنفيذ. وخامسا، الكشف عن مدى نجاح العدو في تحقيق أهدافه. وسبيل الهوية المسيحية في تحقيق ذلك، يكون من خلال إظهار اليهود على أنهم مجموعة دون البشر، وأنهم قوم مخادعون؛ لذا فهم يستحقون الاحتقار.

إن المعتقد المسيحى الذى يصور اليهود على أنهم بذرة الثعبان، أو أنهم من نسل الشيطان، يبرز الكراهية الشديدة التى يشعر بها المسيحيون تجاه اليهود. وطبقا للعقيدة المسيحية، فإن اليهود ليسوا هم شعب الله المختار، بل إنهم على قناعة، كما ذكر في الإنجيل أن «شعب الله المختار، هو الأنجلو سكسون من أصول جرمانية». كما تؤمن الهوية المسيحية، بأن اليهود قد حاولوا خداع الملايين في العالم وإقناعهم بأنهم، هم، شعب الله المختار وليس الجنس الأنجلو سكسونى. ولكن قد تم فضح مخططهم المخادع وسوء نيتهم في تحويل كلمات الإنجيل.

ومحاولات اليهود المستمرة في خداع العالم وانتزاع تعاطفه معهم، دلالة على قوتهم. كما أنهم ترجموا مخططهم إلى أفعال ملموسة. وما زالوا يحققون نجاحات في إنجاز

أهدافهم. وأخيرا، وكما يظهر من التصريحات السابقة، فإن أغلب أعضاء الأمم الآرية على قناعة بأن الولايات المتحدة، أصبحت أرضا خصبة، ومرتعا يستغله اليهود في تنفيذ أجندتهم الدنيئة للسيطرة على العالم. وذلك من خلال التيار الحالى الذى يسود الولايات المتحدة، والذى يدعو إلى حركة تصحيح سياسى، إلى جانب العمل على تشجيع مبادئ التعليم اللبيرالى بالمدارس. وهكذا يتضح لنا أن الهوية المسيحية، تبشر بالكراهية. إذ إنها لا تكتفى بحث أتباعها على كره اليهود واتقاء شرورهم؛ لأنهم من نسل الشيطان، بل تؤكد أن كراهيتها لهم نابعة أيضا من نجاحهم فى خداع الملايين من البشر، وأنهم سوف يواصلون خداعهم، مستغلين المناخ السياسى الحالى، لتحقيق الهدف الأساسى، وهو السيطرة على العالم.

وبالمثل، فإن نظرية الهوية الاجتماعية وبالتحديد كتابات تايلور ولويس (٢٠٠٥)، والتي تعتبر أن الهوية الاجتماعية مفتاحا أساسيا لفهم سلوك الإرهابيين، تعتقد أن الهوية المسيحية، تعتبر أساس التحيز ضد اليهود. فطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية، فإن فكرتنا عن أنفسنا، تعتمد فى الأساس على هويتنا الشخصية بالإضافة إلى هويتنا الاجتماعية. والهوية الاجتماعية لكل منا، تنبثق من انتماء كل فرد أو عضويته فى مجموعات مختلفة. وطبقا لتاجفل وترنر (١٩٧٩، ١٩٨٦)، فإن ميل الأفراد الطبيعى، لتقييم أنفسهم بإيجابية، تجعلهم يتجهون فى الوقت نفسه لتقييم المجموعة بنفس الإيجابية. ومن أساسيات عملية التقييم، المقارنة بين المجموعات. وطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية، فإن هذه المقارنة تجعل أفراد المجموعة الواحدة ينحازون لمجموعتهم وقيمونها بشكل أكثر إيجابية من المجموعات الأخرى.

وقد نأى تايلور (١٩٩٧، ٢٠٠٢) بنفسه عن وجهات النظر التقليدية، عن الذات، واقترح نموذجا للإدراك الذاتى، تتمتع فيه الهوية الجماعية بأولوية نفسية تفوق التقدير الجماعى والهوية الشخصية التى بدورها لها أولوية تفوق التقدير الشخصى. وطبقا لتيلور، لكى يصبح لكل شخص صفاته المميزة التى تساعد على تطوير هويته الشخصية، فلا بد أن يكون لكل فرد مبادئ تشكل معيارا للعقد المقارنة. هذا المعيار يشتق من المجموعة

التي يتمنى إليها الفرد. وهكذا فإن هوية الفرد الاجتماعية، أو طبقا للمصطلح الذي يستخدمه تايلور، هوية الفرد الجماعية، هي التي توفر القاعدة للمقارنة. ومن هنا يتضح أن الهوية الشخصية، أو تكوين صفات خاصة بكل فرد، تنبثق من هوية الفرد الجماعية. والتقدير الشخصي يعتمد على الهوية الشخصية كما يعتمد التقدير الجماعي على تقدير الفرد لهويته الجماعية.

ويرى تايلور ولويس (٢٠٠٥) أن أعضاء المجموعات الإرهابية، يكونون هويتهم الشخصية بالاعتماد على هويتهم الجماعية، التي تمثل معتقدات المجموعة وقيمها وسلوكها. وبينما تفترض نظرية الهوية الاجتماعية، أن هويتنا الاجتماعية، تنبع من انتمائنا إلى مجموعات مختلفة، يرى تايلور ولويس من ناحية أخرى، أن المجموعة الثقافية، والدينية في بعض الأحيان، هي التي تشكل حقيقة الأمر، هوية الفرد، أكثر من المجموعات الأخرى. وتكتسب قوة تأثيرها، من انتشارها واستمرارها طوال حياة الفرد.

ولا شك أنه بالنسبة للفرد الذي يلعب الدين في حياته دورا محوريا، فإن هويته الاجتماعية، كعضو في مجموعة دينية، تمده بالمعتقدات، والتاريخ المشترك، إلى جانب الأهداف التي يتطلع إليها، والخطوات اللازمة، لتحقيقها. ويضيف تايلور ولويس، أنه بالنسبة للإرهابيين، فإن هويتهم الجماعية والمعايير الخاصة بمجموعتهم، تكون دوما بارزة أمام أعينهم. وذلك بسبب وضعهم كأقلية داخل مجتمعاتهم، إلى جانب ضرورة تكيفهم السريع على احتمالات الدخول في صراعات مع المجموعات الأخرى. وكتيجة لذلك، فإن المعايير الخاصة بكل مجموعة، تلعب دورا مؤثرا في تكوين معتقدات الإرهابيين وأنماط سلوكهم.

وفيا لخص أعضاء الأمم الآرية، فإن الهوية المسيحية، كانت دائما بالنسبة لهم، هي أساس الهوية الجماعية للمجموعة. وقد وضحت الهوية المسيحية، كما سبق الإشارة إليه، من يجب أن يشعروا تجاهه بالكراهية. وما هي الأسباب. والإجابة الواضحة، كانت: لأن اليهود من نسل الشيطان. هذه المعتقدات، تشكل أساس وقاعدة سياسة قيادات الأمم الآرية، بهدف الترويج لأنشطة العنف تجاه اليهود أو المؤسسات التي يديرونها.

ويفسر لنا كل من تايلور ولويس، أهمية العدو الخارجى فى تحديد هوية الإرهابيين. بمعنى أهمية تحديد عدو يمثل الشر فى عرف المجموعة الإرهابية، التى تمثلها هنا مجموعة الأمم الآرية.

ويعتبر أول عنصر يوليه تايلور ولويس أهمية خاصة فى هذا الفصل. هذا العدو الخارجى يمثل كبش الفداء الذى تحمله المجموعة، كل اللوم فيما يقع من سلبات. هذا العدو هنا هو «اليهود» بطبيعة الحال. أما نقطة التركيز الثانية لتايلور ولويس فى هذا الفصل، فهى اتجاه المجموعات الإرهابية، إلى تكبيد العدو الخارجى خسائر، خاصة مع تساؤل فرص تحقيق المجموعة نتائج إيجابية، حيث يعود عليها ذلك بالفائدة، وإن كان بشكل غير مباشر. وقد يصبح غاية فى حد ذاته.

ويعتبر بحث أجراه ستراتش وشفارتس (١٩٨٩) وثيق الصلة بموضوع بحث تايلور ولويس. حيث يدرس مواقف مواطنين إسرائيليين من طائفة دينية تنتمى إلى الأورثوذكس المتطرفين.

ويتضمن هذا البحث إلى جانب المقاييس المعيارية المألوفة للانحياز إلى المجموعة، مقاييس معيارية عن العدوانية أيضا. وقد أفصحت نتائج البحث، عن علاقات إيجابية، بين صراع المصالح والعدوانية، وكذلك بين تباين القيم بين أفراد المجموعة الواحدة والعدوانية. كما أظهرت نتائج البحث أن العلاقة بين صراع المصالح والعدوانية كان أشد فى حالة المجموعات الإسرائيلية، التى تشعر بتشابه بينها وبين مجموعات دينية (ولكن ليست أرثوذكسية متطرفة). هذه النتائج، إذا أضفنا إليها ما توصل إليه تايلور ولويس من استنتاجات، مفادها، أن تكبيد العدو خسائر قد يكون هدفا فى حد ذاته، فإن ذلك قد يعنى، أن بعض أفراد الأمم الآرية، ونتيجة لعقيدتهم الدينية القوية، يشعرون باختلاف متأصل بينهم وبين اليهود؛ مما يضعهم فى موقف صراع ضدهم. وهم بالتالى يشعرون بميل إلى التحالف مع المتطرفين الإسلاميين؛ لأنه يؤدى فى النهاية إلى تكبيد اليهود خسائر من خلال ارتكاب أنشطة إرهابية ضدهم.

موقف المجموعة كأساس للانحياز ضد اليهود

طبقا لبلومر (١٩٥٨)، فإن «موقف المجموعة»، هو المحدد للتحيز. فالتحيز في نظر بلومر، يمكن فهمه في ضوء منظور العلاقات. أى علاقة المجموعة بمجموعة أخرى في النظام الاجتماعى. فالمجموعة المسيطرة تؤمن بتفوقها على المجموعة التابعة. وباختلافها بشكل جوهري عنها. والمجموعة المسيطرة، تزعم حقها في تملك بعض الموارد أو الحقوق، وأن المجموعة التابعة ترغب في الحصول على الجزء الأكبر منها. كما أن الشعور بالتفوق والتميز على المجموعة التابعة، هو الذى يشكل أساس الكراهية، وأن المطالبة بالحقوق والموارد، بالإضافة إلى تعدى المجموعة التابعة على هذه الموارد، يخلق القوة الديناميكية اللازمة لهذا التحيز. إذا أردنا تطبيق إطار بلومر للتحيز، على مجموعة الأمم الآرية، لأمكننا ملاحظة، أن أعضاء من المجموعة يعتبرون أنفسهم أكثر تفوقا من اليهود ويشعرون باختلافهم الشديد عنهم. وهذا يتضح من اعتقادهم الراسخ، بازدواجية نسل حواء، وبأن اليهود هم نسل الشيطان، بينما الآريون من نسل آدم. فضلا عن ذلك، فإنه بناء على معتقدات الهوية المسيحية، فإن لأعضاء الأمم الآرية حقوقا في ممتلكات ليست فقط في الولايات المتحدة، بل وفي العالم كله. حيث إنهم يعتبرون أنفسهم ورثة كوكب الأرض الشرعيين. ومن ناحية أخرى فقد اتضح من حديثنا معهم، خوفهم وقلقهم الواضح من تعدى اليهود المتزايد على مواردهم. خاصة وأن الدلائل تشير إلى استيلائهم على موارد الولايات المتحدة، وسيطرتهم على حكومتها ومؤسساتها المالية، إلى جانب غسيل الأدمغة الذى يتعرض له المواطنون الأمريكيون على أيديهم. وكما أكد بلومر، فإن القناعة، بأن المجموعة التابعة، أى اليهود، تحاول أن تستولى على حقوق المجموعة الأساسية، هى التى تشكل أساس التحيز وقوته الديناميكية.

الأهداف المشتركة ودورها في تقليص التحيز تجاه المسلمين

ويقدم لنا جوردن ألبرت، في كتابه «طبيعة التحيز» (١٩٥٤) توصيات محددة لتقليصه. هذه التوصيات تعرف بفرضيات الاتصال؛ لأنها تركز على فكرة اتصال

أعضاء مجموعات مختلفة ببعضهم البعض. وطبقا لوجهة نظر ألبرت فإنّه إذا كان الهدف هو تقليص التحيز من خلال الاتصالات التي تتم بين المجموعات المختلفة، فلا بد من توافر بعض الشروط الخاصة بالموقف. ومن ضمن هذه الشروط تحديد أن يكون الاتصال بين المجموعات ممتدا، وأن يركز بصفة أساسية على الهدف المشترك فيما بينها، وأن تتمتع المجموعات بمراكز متساوية، وأن يكون هناك دعم مؤسسي أو رسمي لسياسية الاندماج أو التكامل بين المجموعات.

وفي دراسة تقليدية أجراها شريف وزملاؤه (شريف وهارفي، ووايت، وهود وشريف، ١٩٦١)، تظهر بوضوح فكرة الاعتماد على هذه الوسائل في تقليص التحيز بين المجموعات. حيث إن درجة التحيز وعملية القولية، كانت، أولا، سائدة بين مجموعتي النسور والثعابين، وهما مجموعتان جمعتهما معسكرات الصيف. وقد نجحت المجموعتان في تقليص هذا التحيز من خلال خلق مواقف، تتطلب مواجهتهما، وإيجاد حلول لها، تضافر جهود المجموعتين، والعمل المشترك فيما بينهما. مثل إصلاح نظام توفير المياه بالمعسكر، أو إصلاح شاحنة معطلة.

وإذا كانت نتائج شريف وزملائه تشير إلى إمكان تناقص التحيز من خلال الاتصال بين المجموعات إذا توافرت الشروط الصحيحة، فإنه من المحتمل أن تسفر الجهود المبذولة لتوحيد الصفوف بين الأمم الآرية والجهاديين الإسلاميين عن حالة من الشقاق الحزبي. أو ما يعرف بالعداء الأفقي (بلاك وشبرد وموتون ١٩٦٤، بروار ١٩٩٩ و ٢٠٠٠، براون وويد ١٩٨٧، ديشان وبراون ١٩٨٣، وايت ولانجر ١٩٩٩) حيث تشير الأبحاث التي أجراها وايت ولانجر (١٩٩٩) إلى أن العداء الأفقي يحدث بسبب قناعة أعضاء مجموعة من الأقليات، بأن انضمام أعضاء جدد إلى صفوفها، سوف ينال من مكانتها ويتنقص من قيمتها، فتتحول بانضمام الأعضاء الجدد إلى حركة أقل تميزا، فيشعر أعضاؤها نتيجة لذلك، بأن هويتهم مهددة. وهو ما يؤكد أيضا بحث بروار (١٩٩٩، ٢٠٠٠) الذي يكشف أنه كلما كان الإحساس بالهوية قويا بين أعضاء المجموعة الواحدة، تزايدت الحدود الفاصلة بينها وبين المجموعات الأخرى. وهنا

يصبح التعاون بين المجموعات مصدر تهديد لهوية الفرد الاجتماعية. وهكذا وعلى عكس فرضية الاتصال، فإنه من المتوقع أن يعارض أعضاء حركة الأمم الآرية قادتهم ويقاوموا فكرة تحالفهم مع الإسلاميين الجهاديين.

تعليقات أخيرة

بحث هذا الفصل، تحيز أعضاء مجموعة الأمم الآرية، تجاه اليهود. وطبقا لنظرية بلومر، الخاصة بالتحيز، فإن أعضاء الأمم الآرية، يعتبرون أنفسهم مختلفين بشكل جذري عن اليهود بل ومتفوقين عنهم لأسباب تتعلق باختلافات بين الأديان. وطبقا للهوية المسيحية، فإن الجنس الأنجلو ساكسوني الأبيض، هو شعب الله المختار وليس الشعب اليهودي. وكذلك، وكما سبق وأشرنا، فإن المعتقدات المسيحية الخاصة ببذرة الثعبان، تشير إلى أن الشعب اليهودي من نسل الشيطان. وقد سبق وأشرنا أيضا، إلى أن أعضاء الأمم الآرية، يعتبرون أن لهم حقوقا في ملكيات وموارد بالولايات المتحدة. كما أنهم على قناعة تامة، بأن اليهود يتعدون على ممتلكاتهم، بل يغتصبون هذه الحقوق والموارد. فعلى سبيل المثال، فإن أعضاء الأمم الآرية، يعتقدون أن اليهود يسيطرون بشكل واضح على حكومة الولايات المتحدة وكذلك على وسائل إعلامها. إذ يتحكمون من خلالها في تشكيل الرأي العام الأمريكي بما يخدم مصالحهم. فيصورون أنفسهم من خلال منظور إيجابي، وعلى النقيض من ذلك يصورورن المسلمين من خلال منظور سلبي. ومما تقدم يتضح أن أعضاء الأمم الآرية، من خلال مواقفهم واتجاهاتهم نحو اليهود، يعتبرون خير مثال للملامح الأربعة الأساسية لنموذج علاقات التحيز لبلومر، السابق الإشارة إليها.

وكذلك تناول هذا الفصل بالدراسة التحالف المتزايد بين الأمم الآرية وأتباع الجهاد الإسلامي، كما تمت الإشارة إليه أثناء مقابلات مع أعضاء الأمم الآرية. وطبقا لفرضية الاتصال، فإنه لكي يتم تقليص التحيز بين المجموعتين، لابد من توافر عنصر أساسي، وهو وجود هدف حيوي مشترك بينهما. ومما تقدم يتضح أن كلا من الأمم الآرية والجهاد الإسلامي يتقاسمان عدوين مشتركين وبالتالي أيضا، هدفين مشتركين. وكما أكدنا في موضع سابق، فإن وسائل الإعلام تربص بالمجموعتين، وتشكل

مصدر تهديد لهما. فكل من الجهاد الإسلامى والأمم الآرية، على قناعة بأن وسائل الإعلام تتعامل معهما من موقع تحيزى، غير عادل. أما التهديد الثانى لهما، فهو اليهود. والانتصار على هذا العدو المشترك، يمثل لكليهما هدفا جوهريا، يبرر ضرورة قيام تحالف فيما بينهما.

ومع ذلك، فإن هناك انقسامات واضحة ومتزايدة، داخل مجموعة الأمم الآرية، فيما يخص ضرورة تمسك المجموعة بهويتها المسيحية، بما يعنى عدم السماح لأتباع هوية أخرى بالانضمام للمجموعة. بينما يرى آخرون داخل المجموعة أن وجود عدو مشترك للمجموعتين، يعد سببا كافيا، ومبررا قويا، لقيام نوع من التحالف بينهما، بهدف الانتصار على اليهود. ومن هنا، وإرضاء لوجهتى النظر داخل المجموعة، فقد حاول أعضاؤها أن يفرقوا بين كيانين منفصلين داخل المجموعة. أولهما كيان سياسى، والآخر دينى. وفى نفس الوقت كان هناك إجماع فيما بين الأعضاء على ضرورة احترام الهوية الإسلامية لمجموعة الجهاديين.

وبما أن أعضاء المجموعة منقسمون فيما بينهم، ما بين التحالف مع الإسلاميين أو قصر الانضمام إلى المجموعة على الهوية المسيحية دون سواها، فإنه يمكننا أن نتوقع، وبناء على الأبحاث السابقة، أن الاختلاف فيما بين أعضاء المجموعة، سوف يزيد من احتمالات الشقاق داخلها، أو تنامى ما يعرف بالعداوة الأفقية فيما بين الأعضاء. وذلك تمشيا مع نتائج الأبحاث فى هذا الشأن. (بلاك شبرد وموتون ١٩٦٤، براوار ١٩٩٩، ٢٠٠٠، براون وويد ١٩٨٧، ديشان وبراون ١٩٨٣، وايت ولانجر ١٩٩٩). والذى تؤكد أن أعضاء المجموعات لا يرحبون بالضرورة بسقوط الحدود التى تفصل بين مجموعتهم والمجموعات الأخرى. خاصة إذا كان ذلك يؤثر سلبا على هوية المجموعة، وقد يتنقص من أهميتها (وايت ولانجر ١٩٩٩).

وهنا يبرز احتمال مقاومة أعضاء المجموعة، والسعى فى اتجاه تحقيق الهدف الأساسى المشترك، وذلك فى سبيل الاحتفاظ بتميز هوية مجموعتهم، وحمايتها فى مواجهة الهويات الجديدة. وتشير فرضية الاتصال بأن العمل المشترك بين المجموعتين، بهدف تحقيق غاية

مشتركة، سوف يفضى إلى تقليص التحيز فيما بينهما، وذلك بشرط تحقيق نجاح في إنجاز هذا الهدف. (بلانشارد، فيجل وكوك ١٩٧٥، ورشل وأندريولى وفولجر ١٩٧٧، ورشل ونورفل ١٩٨٠) وتكشف نتائج أبحاث ورشل وزملائه، أنه حينما يفشل التعاون بين مجموعتين كان بينهما تنافس من قبل، فسوف تحاول كل مجموعة أن تلقى باللوم على المجموعة الأخرى، متهمة إياها بالسبب في الفشل. إلا إذا كان هناك سبب أو بديل واضح، يمكن تحميله عبء الفشل. (ورشل أت أل ١٩٧٧، ورشل ونورفل ١٩٨٠). وبما أنه من المستبعد أن تنجح مجموعة الأمم الآرية بتحالفها مع الجهاد الإسلامى في تحقيق هدف الانتصار على الشعب اليهودى، فمن المتوقع أن يكون التعاون فيما بينهما، غير مستقر وقصير الأمد.

وطبقا لبروار (١٩٩٩، ٢٠٠٠)، فإن تعاون مجموعتين بهدف تحقيق غاية واحدة، يتطلب فوق كل شىء وجود الثقة بينهما. أما في حالة وجود شعور بالازدراء تجاه المجموعة الأخرى أو الخوف من فشلها في تحقيق الهدف، فإن ذلك يؤدي إلى إلقاء اللوم عليها ومحاولة جعلها كبش فداء.

وأخيرا، بحث هذا الفصل، كيف جمع بعض أعضاء الأمم الآرية ما بين مفهوم الخاص بالعنصرية وتحالفهم الحديث مع الإسلاميين الجهاديين. وقد أكدت المقابلات التى أجريت بالإضافة إلى البيانات الخاصة بالعرقيات، الفرضية التى تزعم أن العمل المشترك مع الجهاديين لا يغير من وجهة نظر أعضاء الأمم الآرية بشأن العنصرية. إن ما لدينا من أدب خاص بتفوق الجنس الأبيض يتجه إلى التركيز على «العوامل الاجتماعية والسيكولوجية المشتركة» (بلى ١٩٩٦). ويدعم فكرة احتفاظ الأفراد وتمسكهم بمعتقدهم بشكل راسخ طوال فترة حياتهم. (أدورنو، فرنكل - برونسويك، ليفينسون، وسانفورد، ١٩٥٠). ويتفق ما لدينا من معلومات مع هذا الاحتمال، ويؤكد في الوقت نفسه، المنظومة المركبة لما يمكن أن يؤمن به الأفراد من معتقدات. ورغم ذلك فإن الاستثناءات عن القاعدة يمكن أن تحدث. ويعد مجال الدراسات الثقافية، امتدادا للاقتراح الأول. ويذهب إلى أبعد من الاستكشافات الاجتماعية والنفسية

للتفرقة والتحيز. إذ يزعم أن ثقافة الأمم الآرية واتجاه سلوكيات أعضائها غير مهيكّل بشكل علني، ومن ثم، فهو يسمح بتغيير في الأيديولوجية يتوافق مع «المهمة المطلوبة». إن سلوكيات الأفراد ليست متجانسة، وبالتالي يتسبب اختلاف الأيديولوجيات، في حدوث الخلافات فيما بين الأعضاء. إن البحث الحالي يزعم أن أيديولوجية الأمم الآرية أكثر سلاسة مما كان متصوراً من قبل، وأنها قابلة للتبدل والتغير. وتعتبر الحرب الحالية فيما بين مختلف حركات تفوق الجنس الأبيض هي المسئولة جزئياً عن هذا التغيير. إلى جانب قلة نشاط «الجنس الأبيض». إن التحالف الذي حدث مؤخراً مع الجهاديين الإسلاميين، أدى إلى نمو حركة أيديولوجية اجتماعية أعطت دفعة لحركة تفوق الجنس الأبيض داخل الولايات المتحدة. وحافظت على حيويتها. ورغم أن هذا التحالف، يتفق في الأساس مع مبادئ وتوجهات الأمم الآرية المعادية للسامية، إلا أن عليها إذا أرادت أن تحافظ على معتقداتها العنصرية أن تكون أكثر انتقائية فيما تتبناه من ممارسات.

والخلاصة، أن توجهات الأمم الآرية التحيزية نحو اليهود، تتفق مع نموذج بلومر عن التحيز. ومن الملاحظ أيضاً تنامي التحالف بين بعض من أعضاء الأمم الآرية ومجموعة الجهاديين الإسلاميين؛ لذا فإنه من المتوقع أن يترتب على ذلك خلافات داخلية بين أعضاء الأمم الآرية، يمكن أن تسفر عن تمزق داخلي يؤدي إلى انقسام المجموعة إلى عدة فرق داخل الحركة ذاتها. مما يجعلنا نتنبأ بعدم استقرار مثل هذا التحالف وبقصر مداه.

- Adorno, T. W., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D. J., & Sanford, R. N. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper.
- Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Cambridge, MA: Addison-Wesley.
- Barkum, M. (1997). *Religion and the radical right*. Chapel Hill, NC: North Carolina Press.
- Blake, R. R., Shepard, H. A., & Mouton, J. S. (1964). *Managing intergroup conflict in industry*. Texas: Gulf Publishing Company.
- Blanchard, F. A., Weigel, R. H., & Cook, S. W. (1975). The effect of relative competence of group members upon interpersonal attraction in cooperating interracial groups. *Journal of Personality and Social Psychology*, 32, 519–530.
- Blee, K. (1996). Becoming a racist. *Gender and Society*, 10, 680–703.
- Blee, K. (2002). *Inside organized racism: Women in the hate movement*. Berkeley: University of California Press.
- Blejwas, A., Griggs, A., & Potok, M. (2005). Terror from the right. *Intelligence Report*, 118, 33–46.
- Blumer, H. (1958). Race prejudice as a sense of group position. *Pacific Sociological Review*, 1, 3–7.
- Brewer, M. B. (1999). The psychology of prejudice: Ingroup love or outgroup hate? *Journal of Social Issues*, 55, 429–444.
- Brewer, M. B. (2000). Superordinate goals versus superordinate identity as bases of intergroup cooperation. In D. Capozza, & R. Brown (Eds), *Social identity processes: Trends in theory and research* (pp. 117–132). London: Sage.
- Brown, R. J., & Wade, G. S. (1987). Superordinate goals and intergroup behavior: The effects of role ambiguity and status on intergroup attitudes and task performance. *European Journal of Social Psychology*, 17, 131–142.
- Butler, R. (Producer and Director) (2001). *My side of the story*. [Documentary video] (Available from www.aryan-nations.org)
- Deschamps, J. C., & Brown, R. J. (1983). Superordinate goals and intergroup conflict. *British Journal of Social Psychology*, 22, 189–95.
- Flynn, K., & Gerhardt, G. (1989). *The silent brotherhood*. New York: The Free Press.
- Grossberg, L., Nelson, C., & Treichler, P. (1991). *Cultural studies*. New York: Routledge.
- Sherif, M., Harvey, O. J., White, B. J., Hood, W. R., & Sherif, C. W. (1961). *The robbers cave experiment: Intergroup conflict and cooperation*. Middletown, CT: Wesleyan University Press.

- Sternberg, R. (2003). A duplex theory of hate: Development and application to terrorism, massacres, and genocide. *Review of General Psychology*, 7, 299–328.
- Sternberg, R. (2005). Understanding and combating hate. In R. J. Sternberg (Ed.), *The psychology of hate* (pp. 37–50). Washington, DC: American Psychological Association.
- Struch, N., & Schwartz, S. H. (1989). Intergroup aggression: Its predictors and distinctions from ingroup bias. *Journal of Personality and Social Psychology*, 56, 364–373.
- Tajfel, H. (1978). Social categorization, social identity and social comparison. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups* (pp. 61–76). London: Academic Press.
- Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. G. Austin, & S. Worchel (Eds), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 33–47). Monterey, CA: Brooks/Cole.
- Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel, & G. Austin (Eds), *Psychology of intergroup relations* (pp. 7–24). Chicago: Nelson-Hall.
- Taylor, D. M. (1997). The quest for collective identity: The plight of disadvantaged ethnic minorities. *Canadian Psychology*, 38, 174–190.
- Taylor, D. M. (2002). *The quest for identity: From minority groups to generation Xers*. Westport, CT: Praeger.
- Taylor, D. M., & Louis, W. (2005). Terrorism and the quest for identity. In F. M. Moghaddam, & A. J. Marsella (Eds), *Understanding terrorism* (pp. 169–186). Washington, DC: American Psychological Association.
- Timeline: The Aryan Nations through the years Series. Retrieved December 12, 2007, from www.rickross.com/reference/aryan/aryan16.html
- Turner, G. (2002). *British cultural studies: An introduction*. London: Routledge.
- Aryan Nations. *Aryan Nations website*. Retrieved April 8, 2002, from www.twelvearyannations.com
- Walters, J. (2001). *One Aryan Nation under God*. Naperville, IL: Sourcebooks, Inc.
- White, J. B., & Langer, E. J. (1999). Horizontal hostility: Relations between similar minority groups. *Journal of Social Issues*, 55, 537–560.
- Worchel, S., Andreoli, V. A., & Folger, R. (1977). Intergroup cooperation and intergroup attraction: The effect of previous interaction and outcome of combined effort. *Journal of Experimental Social Psychology*, 13, 131–140.
- Worchel, S., & Norvell, N. (1980). Effect of perceived environmental conditions during cooperation on intergroup attraction. *Journal of Personality and Social Psychology*, 38, 764–772.

الفصل الحادى عشر

صفقات الاختطاف مقابل فدية

أفراد فيليبس

تأتى مخاوف كل رهينة من هاجسين أساسيين: أولهما زيارة المختطفين ليلا، مما يعنى فى كثير من الأحيان، أن ساعتهم قد حانت. وثانيهما، أن تكون الزيارة بصحبة كاميرا الفيديو، مما يعنى التعرض للضرب، أو البتر والتشويه أو الاغتصاب.

ديمتري بالوروف، ذكر فى تشكوف، ص ١٠٧-٢٠٠٤

نبذة: لكى نعتبر الاختطاف مقابل الحصول على فدية تجارة، لابد من وجود منظمة تمارس هذا النشاط بشكل منظم ومتكرر، مع استمرار لعملية غسيل الأموال عبر فترة طويلة من الزمن.

وهناك فروق لابد أن تؤخذ فى الاعتبار بين الفاعلين المستقلين الذين يقومون بالاختطاف مقابل المال، والمجموعات الصغيرة التى تكون على اتصال بشبكات أو اتحادات. فالمختطفون المستقلون لا يطالبون بفدية ضخمة مقابل الاختطاف؛ لذا نعتبرهم مجرمين على نطاق صغير. حيث إن النية لا تكون تأسيس إمبراطورية تجارية، وإن كان الحافز الأساسى هو المكسب المادى. وعلى النقيض من ذلك، فإن المجموعات الصغيرة التى تمارس الاختطاف بهدف بيع الرهينة إلى مجموعة أكبر أو مطالبة الرهينة بالفدية، هنا يمكن اعتبار النشاط تجارياً، وبغرض تحقيق الربح.

تقديم:

إن مرحلة ما بعد حرب العراق قد شهدت عمليات اختطاف أخذت شكلا وبائيا خطيرا، أشبه بصناعة في حد ذاتها. حيث تزايدت تقارير اختطاف الأطفال، والأطباء ورجال الأعمال والمقاولين الأجانب، الذين تم اختطافهم مقابل الحصول على فدية. فقد وصل عدد المختطفين في اليوم الواحد إلى عشرة أفراد على يد مجموعات متنوعة، بهدف تحقيق ربح مالى مقابل الاتجار في حياة البشر (لبنى ٢٠٠٥). ولم يكن حصول المختطفين على الفدية، يضمن إطلاق سراح الرهائن. فقد كان من المألوف العثور على جثث لنساء بعد اغتصابهن أو تعذيبهن ثم قتلهن على يد مليشيات مسلحة بالرغم من الحصول على الفدية المطلوبة. (UNAMI ٢٠٠٦) وقد استقر هذا النمط الإجرامى المنهج منذ سنوات السبعينيات، في دول بأمريكا اللاتينية (كلارك ١٩٧٨).

وأصبح اليوم يشكل مشكلة على مستوى المؤسسات بهذه المنطقة^(١). وعلى الرغم من تصاعد عمليات الاختطاف مقابل الفدية، في مناطق جغرافية بعينها داخل بعض دول بأمريكا اللاتينية، فإن الظاهرة تعتبر كونية ولا تقتصر على مكان محدد أو نوع معين من المجرمين (UN ٢٠٠٣-٢٠٠٤ a,b).

إن واقع عمليات الاختطاف المعاصر، يكشف لنا أن غالبية من يرتكبون هذه الجرائم، يسعون إلى الكسب المادى من ورائه. وأن نطاق مربيها يتسع ليشمل المجرمين والإرهابيين، والمتبردين وحتى بعض القبائل. هذه الملاحظة كانت قد لفتت إليها الأنظار، من خلال تقرير صدر عن الأمم المتحدة، يبرز تورط كل من مجموعات الجريمة المنظمة و/ أو مجموعات إرهابية في هذه الأنشطة، في أكثر من ٥٤ دولة من بين مجموع الدول الأعضاء^(٢).

(١) كثير من بلدان أمريكا اللاتينية أصابها داء الحروب الأهلية، التي تورط فيها المتمردون الشيوعيون. وأثناء هذه الفترة، أصبح الاختطاف السياسى أحد ملامحها الجوهرية. وحاليا، يعتبر الاختطاف وبائيا بالمكسيك وكولومبيا والبرازيل، ولا يزال يعتبر مشكلة ملحة في هذه الدول. أما الاختطاف مقابل فدية فلا يزال موجودا ببلاد أخرى بأمريكا اللاتينية، مثل الإكوادور وفنزويلا والأرجنتين.

(٢) اسم التقرير «التعاون الدولى من أجل منع ومحاربة والقضاء على الاختطاف وتقديم المساعدة إلى الضحايا» وقد تم تجميع هذا التقرير من نتائج مسح، قد تم إرساله للدول الأعضاء بالأمم المتحدة. وقد تم الحصول على ردود من ٥٤ دولة من الأعضاء، ومن المعهد الأفريقى لمنع الجريمة ومعالجة المجرمين، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، ووكالة الطاقة الدولية وسكرتارية قسم عمليات حفظ السلام.

١

إن انتشار عمليات الاختطاف مقابل الفدية وتكاثرها بشكل مكثف، في بعض الأقاليم من العالم بصفة خاصة، يشير إلى وجود عدة عوامل خاصة بالمجتمع وأخرى مرتبطة بالبيئة، تساعد على تيسير تحول هذه العمليات إلى نوع من التجارة المربحة. إلا أن بعض الكتاب يعتبرون هذه التجارة المتنامية، مجرد وسيلة لتحقيق مكسب مادي هدفه الأساسي تمويل النشاط الإرهابي أو القيام بحركات التمرد. (هاجدورن-أويرباخ، ١٩٩٨، هانتر، ١٩٩٦، كيزر، ٢٠٠٥، لوني، ٢٠٠٥). وطبقا (لنيلور، ١٩٩٣)، فإن الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر جزءاً من جرائم السلب والنهب، ونقطة أولى على منحى التطور السلوكي للمجموعات الراديكالية. وتخدم هذه الأنشطة أهداف المجموعات الإرهابية التمويلية دون تعرضها للمساءلة من قبل الجهات المسؤولة في الدولة. ومن المعروف أن مجموعات إرهابية كثيرة منها، «الألوية الحمراء»، ومجموعة الباسك أو (ETA)، ومجموعة أبي سياف أو (ASG). قد استخدمت أموال الفدية في التأسيس لحملتها الإرهابية.

إن الطبيعة السرية، لعمليات الاختطاف مقابل الفدية، تجعل من مسألة جمع الإحصاءات التي يمكن التعويل عليها في تقييم النشاط الخالي على مستوى العالم عملية غير ميسرة^(١).

إن المشكلة الأساسية التي تعوق الحصول على تقارير إحصائية دقيقة، حينما نحاول تقييم مدى انتشار الجريمة، هي أن الضحايا أنفسهم، قد لا يبلغون عنها السلطات المنوط بها النظر فيها. ومن هنا كانت صعوبة الاعتماد على تلك الإحصائيات في كتابة تقارير مفصلة.

ويلاحظ لاشنر (٢٠٠٧) أنه في كثير من الأحوال، لا يتم الإبلاغ عن أكثر من ١٠٪ فقط من حوادث الاختطاف للسلطات، مؤكداً مشكلة الوصول

(١) إن السرية عنصر أساسي للاختطاف مقابل الفدية. وله تأثير عميق ليس فقط على استنباط الجريمة، ولكن أيضاً كيف يتم دراستها والإبلاغ عنها فيما بعد. فيها وفي نفس الوقت فهي تأخذ في الاعتبار مسألة إخفاء المشكلة. وكذلك فإن تفاصيل دفع الفدية تجرى بمتهى السرية، حتى لا تقوم مجموعة أخرى بتقليدها.

إلى معلومات أو إحصائيات على مستوى العالم^(١). إن التقصير في الإبلاغ عن حوادث الاختطاف، يعتبر من المشاكل المألوفة في الدول الفاشلة^(٢)، حيث إنه يتيح قدرا من الحصانة للمختطفين، يسهل معه الإفلات من العقوبة، مما يتيح للعديد من المجرمين والإرهابيين العمل بحرية داخل مجموعة كبيرة من الدول. (رستريو، سانشيز، وكويلار، ٢٠٠٦). وعلى سبيل المثال: ففي الفلبين، كان من المعروف أن المختطفين، يقبلون الشيكات الشخصية كتسوية لدفع الفدية دون أن يتعرضوا لمخاطر القبض عليهم من قبل السلطات. (ماركلينج وديفيز، ٢٠٠١). وفي كولومبيا لم تتعد حالات الكشف أو مقاضاة أو إدانة مرتكبي جرائم الاختطاف أثناء عام ١٩٩٠ أكثر من ١٪ بالتقريب. وطبقا لماركلينج وديفيز، ٢٠٠١، فإن ٩٩٪ من المختطفين بكولومبيا لم يتم قط القبض عليهم. ويؤكد هذه المقولة كل من هانتر (١٩٩٦) وهاجدورن-أورباخ (١٩٩٨)، حيث يؤكدون أنه لم يتم تقديم سوى ٢٪ فقط من المختطفين بكولومبيا للمحاكمة. وبدون شك فإنه في ظل هذه الظروف يصبح الإبلاغ عن جرائم الاختطاف بلا طائل أو جدوى.

وطبقا لتقرير إحصائي حديث تم نشره لشرطة كولومبيا الوطنية، لعام ٢٠٠٦، فقد وقع ١٤٦٨ فردا، ضحايا لنوع من أنواع الابتزاز، بما فيه الاختطاف مقابل الفدية. وأثناء هذه الفترة، تم إطلاق سراح ٣٦٤ ضحية على يد مختطفينهم، بينما تم إنقاذ ١٤٦ ضحية

(١) من المقبول بصفة عامة في مجتمع الأمن وإدارة الأزمات أن الذي يتم الإبلاغ عنه من حوادث الاختطاف يشكل حوالى ١٠٪ وماركلينج وديفيز يقدمون رقما أكثر محافظة يبلغ ٥٠٪ من حوادث الاختطاف مقابل الفدية.

(٢) عدم التبليغ عن كل حوادث الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر مشكلة جادة داخل العديد من الدول. ووجد أنه في أغلب الأحيان فإن العائلات وأصحاب العمل يغفلون الإبلاغ عن حوادث الاختطاف، خشية من الإجراءات الانتقامية. وجزت العادة في كولومبيا أن الفدية التي يدفعها الضحايا يعقبها فدية أخرى يبتزها منهم المختطفون لضمان عدم تكرار الاختطاف مرة أخرى. ومن هنا تجد الرهينة نفسها في اتصال ممتد مع المجموعة لبعض الوقت بعد إطلاق سراحها. وتحت هذه الظروف فإن عدداً كبيراً من الكولومبيين يميلون إلى تسوية الفدية في سرية دون الإبلاغ عن الحادثة. (هيب، ٢٠٠٢).

على يد الشرطة، وبقي ٥٨ في الأسر، وثلاثين تم الإفراج عنهم تحت تهديد وضغط من الشرطة، ولقي ٢٨ فردا مصرعهم أثناء الأسر^(١).

وبينما أبلغت شرطة كولومبيا الوطنية أن المختطفين لم يزدوا كثيرا عن ٢٠٠ فرد، أثناء هذه الفترة، فإن مؤسسة كولومبيا للأمن والديمقراطية أكدت أنهم قد بلغوا ٢٦٥ مختطفا خلال ٢٠٠٦^(٢).

وقد قامت المجموعة الثورية لقوات الجيش بكولومبيا أو (FARC) إلى جانب جيش التحرير القومي (ELN) ببائة وأحد عشر اختطافا نسبت إلى المجموعتين بشكل مباشر. وقد كشفت الإحصائيات أن متمردي FARC كانوا يختطفون في المتوسط رهينة واحدة كل خمسة أيام، أما ELN، فقد كانت تقوم بتلك العملية كل ثمانية أيام في المتوسط. وعلى الرغم من أن FARC قد قلصت من أنشطتها بنسبة ٤٥٪، خلال السنة الماضية، فإن التقرير يشير إلى أنها لا تزال مسئولة عن نسبة كبيرة من الحوادث التي يتم الإبلاغ عنها. فالأرقام الحالية تشير إلى أن FARC كانت مسئولة عن ٢٦٪ من الإجمالي القومي البالغ ٦٨ حالة اختطاف، وفي المقابل فإن ELN كانت مسئولة عن ١٦٪ (٤٣ حالة). وبالطبع توجد مجموعات أخرى داخل كولومبيا، كانت مسئولة عن حوادث الاختطاف مقابل فدية، وتشمل مجموعات يمينية غير شرعية، مثل قوات الدفاع عن النفس المتحدة/ مجموعة كولومبيا (AUC) والمسئولة عن ١٪ من إجمالي حوادث الاختطاف، فضلا عن مجموعات سياسية جديدة مسئولة عن أكثر من ٥٪ من الحوادث من هذا النوع. أما باقي حوادث الاختطاف مقابل فدية في كولومبيا، والتي تصل نسبتها إلى ٥٢٪ من الحوادث، فتنسب إلى مجموعات إجرامية يعتقد أنها مسئولة

(١) لاحظ الإحصائيات المأخوذة من مجلة Extortion Monitor في يناير ٢٠٠٧، وهي متخصصة في نشر حوادث الاختطاف والابتزاز حول العالم وبيانات هذ الإصدارات مأخوذة من الإنترنت؛ لذا فهي تعكس مواقع شعبية إقليمية تنشر أخبارًا محلية. ومن الواجب توخي الحذر حيننا نحاول تقييم هذه المعلومات، حيث إن عنصر التحيز في وسائل الإعلام المحلية والإقليمية شيء مألوف..

(٢) نفس المصدر.

عن ١٠٪ في زيادة نسبة حوادث الاختطاف عن السنة الماضية. بالإضافة إلى عناصر أخرى غير معروفة، في المجتمع الكولومبي.

إن حوادث الاختطاف في كولومبيا، قد وصل إيراداتها بين الأعوام ١٩٩١ و١٩٩٦، إلى ٧٢٥, ٣٢٢ دولاراً أمريكياً. وطبقاً لآخر تقارير وردت عن تلك الأرقام، فإن حصيلة إيرادات المجموعات الشبكية، يبلغ في المتوسط ٢٢٠ مليون دولار أمريكي في السنة. (رياسكوس وفارجاس، ص ٥-٢٠٠٦) وطبقاً لهانتر (١٩٩٦)، فإنه منذ ١٩٦٣، فإن عصابات كولومبيا قد كونت ثروة تقدر بـ ٥١ بليون دولار أمريكي، من جراء ارتكاب جرائم غير شرعية، تشمل الاختطاف مقابل فدية. وبما أن طرق تمويل الإرهاب متنوعة ومتباعدة، وغالباً ما ترتبط بارتكاب نشاط إجرامي يشتمل على الاختطاف، أو الابتزاز أو سرقة البنوك، أو التهريب، والاحتيايل المالي، فقد اجتمع كثير من المحللين، على الاعتقاد، بأن الإرهابيين والمجموعات المتمردة يعملون على التوازي، ويمارسون أعمال التجارة المربحة، بينما تأخذ أنشطة المجموعات الراديكالية شكلاً إرهابياً.

(ديشان، ٢٠٠١، ماكفرلين، ٢٠٠٣، منشيفا وجر، ٢٠٠٦، شيلي، ٢٠٠٠)

وبعض المحللين يذهب إلى حد افتراض وجود ما يشبه حلقة الاتصال بين الجريمة والإرهاب. حيث تتعاون مجموعات الجريمة مع مجموعات الإرهاب بهدف تعظيم الأرباح وتحسين نوعية العمليات وكفاءتها (بابز، ٢٠٠١، ماكارنكو، ٢٠٠٤، منشيفا وجر، ٢٠٠٦، بيكاريلي، ٢٠٠٦، شيلليو بكارلي، ٢٠٠٢، ويلمز ١٩٩٤). إن الارتباط بين الإرهاب والجريمة من سمات الدولة الفاشلة، أو الانتقالية. حيث يشكل التمرد عنصراً أساسياً في الحياة السياسية والاجتماعية. (سنج، ٢٠٠٤). وفي دول مثل كولومبيا، والفلبين، وباكستان، والعراق، حيث تسيطر مجموعات المتمردين على المشهد السياسي، فإنهم يعتمدون في تمويل أنشطتهم على ممارسة الجريمة.

وطبقاً للونى (٢٠٠٥)، فإن حركة التمرد في العراق، قد أخذت شكل التريح، حيث تمكن المتمردون من جمع أرباح ضخمة من جراء ممارسة أنشطة غير شرعية. مثل تهريب

المخدرات، وممارسة الاختطاف مقابل الفدية، وتجارة الجازولين في السوق السوداء. وهى جرائم يصنفها لوني على أنها أكثر ثلاثة أنشطة إجرامية تحقيقا للمكاسب. وقد استغلها مختلف المتمردين والمجموعات الإجرامية التى كانت تعمل على أرض العراق. جدير بالذكر، أن ظاهرة تحقيق الأرباح الفاحشة من الجريمة ليست فقط من سمات الدولة الفاشلة أو المتعثرة، ولكنها أيضا، نتيجة للامركزية المجموعات الإجرامية؛ مما ساهم في انتشار عمليات الاختطاف مقابل الفدية، كوسيلة لتحقيق الأرباح في مناطق محددة من العالم (ديشان، ٢٠٠٥، أورتيز، ٢٠٠٢).

إن المنطق الذى يفترض أن الاختطاف مقابل الفدية من قبيل التجارة المربحة، لمجرد أن المال هو الدافع الأساسى وراء الجريمة، يعتبر منطقا ضعيفا، حيث إنه يعتبر مغاليا في تبسيط الأمور. فاستمرارية النشاط هو أساس اعتباره تجاريا أو مربحا، ويتحقق ذلك من خلال توفر الهيكل التنظيمي (ويليمز، ٢٠٠١). وهى سمة متوفرة في منظمات إجرامية مستقرة. (إدوارد وجيل، ٢٠٠٢). ومن ناحية أخرى فلا بد من وضع معايير محددة لما يمكن اعتباره اختطافا مربحا. وذلك بهدف التفرقة بين سلوكياته وسلوكيات أنواع أخرى من الاختطاف (السياسى، أو العائلى مثلا). إن هدف هذا الفصل، هو الوصول إلى تحديد مواصفات الجريمة التى يمكن اعتبارها تجارة مربحة. وذلك من خلال التركيز على متغيرات أساسية تضمن تحقيق استمرارية النشاط الإجرامى.

تعريف الاختطاف مقابل الفدية بوصفه نشاطا مربحا

من المعروف، أن الاختطاف مقابل فدية جزء من أنشطة إجرامية، يمارسها العديد من المجموعات، بغرض تمويل إما الإرهاب، أو حركات التمرد أو غيرها من الجرائم. (ماكفرلين، ٢٠٠٣، نيلور، ١٩٩٣). إن تقديرا معتدلا للإيراد السنوى العالمى، من جراء عمليات الاختطاف والمطالبة بالفدية، قد تزايد بشكل مفرط حتى أنه بلغ ٥٠٠

مليون دولار أمريكي (بريجز ٢٠٠١، ٢٠٠٢)^(١). وفي واقع الأمر فإن هناك إدراكا كبيرا، أن عملية الاختطاف مقابل الفدية، تعد من الأنشطة الإجرامية وفيرة الأرباح (بريجز، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، هاجيدورن أورباخ، ١٩٩٨، هانتر، ١٩٩٦، لاشنير، ٢٠٠٧، ماتيو، ٢٠٠٤، مور وزومبول، ٢٠٠١).

وتستمد هذه المقولة أهميتها، من ملاحظة، أن الهدف الأساسي للغالبية العظمى من عمليات الاختطاف، هو المطالبة بفدية مالية ضخمة. ومن الأمثلة على ذلك، أن عمليات الاختطاف التي وقعت في بلاد مثل المكسيك، والعراق، والفلبين، وترينداد، وتوباغو، كانت جميعها بهدف تحقيق الربح المادي وليس من أجل تحقيق أجندة سياسية أو اجتماعية^(٢) وبالنظر إلى مناطق العالم ذات الكثافة المرتفعة في ممارسة هذا النشاط، حيث يتعرض ما لا يقل عن عشرة أفراد في المتوسط يوميا لحادثة اختطاف، فضلا عن أن هذه المناطق تكاد تقتصر على دول فاشلة أو دول غير مستقرة لمرورها بمرحلة انتقالية، أي أنها مناطق غير مستقرة (سانج، ٢٠٠٤)، فإذا أضيف إلى ذلك، عدد حوادث الاختطاف التي يكون دافعها تحقيق الربح، بالإضافة إلى الكثافة الجغرافية، فإن كل ما سبق يرجح ربحية هذا النشاط الإجرامي، وأنه غالبا ما يمارس بهدف تحقيق أرباح عالية. ومع ذلك، فلا بد من الإشارة إلى أن هذه الملاحظات لا تستند إلى دراسات عملية.

وإذا أردنا أن نصنف عمليات الاختطاف على أساس أنها عمليات إجرامية لتحقيق الربح، فلا بد لنا أولا أن نقارن بين مواصفاتها ومواصفات أنشطة الإرهاب أو الجرائم

(١) لا بد من توخي الدقة عند تحديد هذا الرقم، حيث إن نشاط الاختطاف في كولومبيا وحدها، يقدر بـ ١٠٠ مليون دولار أمريكي. ونفس الشيء يمكن قوله عن بقية مناطق تركيز الاختطاف في العالم.
(٢) وهناك مزيد من الدول التي تعاني من ارتفاع في نسبة الاختطاف مقابل الفدية. بريجز (٢٠٠٢) قدم تقريرا يشمل أكثر من عشر دول تمارس فيها بكثافة عمليات الاختطاف: كولومبيا، ومكسيكو، والبرازيل، والفلبين، وفنزويلا، وإكوادور، والاتحاد السوفيتي سابقا، ونيجيريا، والهند، وجنوب أفريقيا.

الأخرى. هنا نجد أن ما يجب أخذه في الاعتبار حقيقة الأمر، هو الأساليب التي تتبناها المجموعات الراديكالية، وليس الدوافع. وإذا اعتبرنا الاختطاف من العمليات المربحة، فلا بد من وجود مؤهبات ذات هياكل تنظيمية، ولا بد من وجود أسواق تكيف نفسها مع الظروف، ولا تعمل على ازدهار هذه التجارة. ومن ضمن العناصر المطلوبة أيضا، القدرة على تكرار العملية واستمرار المجموعة في ممارسة النشاط عبر فترة طويلة من الزمن. مما يعنى بدوره أن المجموعة تعتمد على منظمة يكون في قدرتها إدارة عمليات اختطاف عدة رهائن و/ أو في مناطق مختلفة في الوقت ذاته. مع استمرار القيام بغسيل الأموال بشكل منتظم. ولا بد من توفر شبكة اجتماعية تكون متاحة لدعم مثل هذه البنية التحتية المعقدة، التي تسمح بممارسة عملية الاختطاف مقابل الفدية بشكل متكرر. (أركيلا ورونفيلد، ٢٠٠١، ميلوارد وراب، ٢٠٠٢، شميدت، ١٩٩٦، ويليمز، ٢٠٠١). وفي ظل هذه الظروف، فإن عملية الاختطاف يمكن اعتبارها نشاطا إجراميا، يعتمد على سوق ذى هيكل وتكوين مماثل لأسواق الاتجار بالبشر أو بالمنتجات غير الشرعية.

العلاقة بين الأنشطة الإجرامية التي تعتمد على السوق وعملية الاختطاف مقابل الفدية

من بين جرائم تحقيق الربح، نذكر، عملية انتقال الممتلكات والأموال، من طرف إلى آخر، سواء من خلال القوة، أو المخادعة، أو من خلال أسواق التبادل الحر (دون قيود). (نيلور، ٢٠٠٣). وهو ما يتطلب توفير احتياطي من السلع غير الشرعية، والخدمات المتصلة بها (مثل توفير العقاقير المخدرة أو خدمات الدعارة). أو التحكم والسيطرة على المنتجات والخدمات بشكل غير شرعى. (الإفلاس أو الاحتيال). والوسيلة التي يتم بها نقل الأموال أو المنتجات، هي التي يتم من خلالها تصنيف الجرائم. ويعرف نيلور (٢٠٠٣) جرائم تحقيق الربح، على أنها جرائم تنطوى على نقل ملزم للأموال أو لمنتجات مادية بين طرفين، أحدهما ضحية مغلوب على أمرها غير راغب في هذا التبادل،

كما أنه يعتمد على السوق، فيما يخص العرض والطلب لسلع وخدمات محظورة. على أن يتوافر أفراد على استعداد لنقل هذه الأموال أو الممتلكات من خلال برنامج متعدد يشمل المنتجين والموزعين، وتجار الجملة فضلا عن مجال التعاون القانوني، بما يتضمنه من إنتاج وتوزيع السلع والمنتجات القانونية أو الخدمات. والذي قد يتم من خلال أساليب غير قانونية لنقل الممتلكات بين الأطراف المختلفة. (انظر: الجدول ١، ١١ لمراجعة المواصفات). وسواء كانت الجريمة تتعلق بسرقة بنك أو عملية احتيال تسويقية عن بعد، فإن القاسم المشترك هو الدافع المادى لجرائم تحقيق الربح. ومن الملاحظ أن سلوكيات هذه الجرائم المعاصرة تتميز بقدر عال من الحنكة والتنظيم المرتفع، وأنها تتأثر بحركة الطلب العالمى للمنتجات والخدمات (شميدت، ١٩٩٦، شيلي وبيكاريللى، ٢٠٠٢).

(الجدول ١، ١١). يمثل بعض المواصفات الأساسية كما قدمها نيلور (٢٠٠٣) لأعمال النهب والجرائم تحقيق الربح المعتمدة على السوق (البيانات من نيلور، ص ٨٤-٨٨). (٢٠٠٣- ٨٨).

مواصفات أعمال النهب والجرائم التى تعتمد على السوق

جرائم النهب	الجرائم المعتمدة على السوق
تتضمن جرائم النهب	تتضمن الجرائم المعتمدة على
١- إعادة توزيع الدخل القانونى من طرف لآخر	١ - إنتاج أو توزيع لسلع أو خدمات غير قانونية.
٢- علاقة ثنائية بين الضحية والمنفذ	٢ - تبادل متعدد من منتجين وموزعين وتجار جملة ومديري تمويل ومستهلكين على الطلب.

٣- نقل قسرى بالقوة (أو التهديد).	٣ - شبكة سرية.
٤ - ضحايا يمكن التعرف عليهم (أفراد، مؤسسات، أو شركات).	٤ - نقل تطوعى (ليس بالقوة)
٥ - النقل يكون للأموال أو (منتجات عينية، خدمات أمنية - أو معلومات)	٥ - النقل يكون أموالاً أو من خلال الأدوات البنكية.
٦ - خسائر يمكن تحديدها، الذى تم سرقة	٦ - مفهوم ضمنى لقيمة عادلة للسوق.
٧ - يمكن للمؤسسات أن تحدد المال المنهوب أو الممتلكات	٧ - الحاجة إلى إيجاد وسيلة لمعالجة إجراءات الضحايا من الأفراد.

وطبقا لنموذج تيلور، فإن الاختطاف يعتبر من جرائم النهب، بما أن نقل الأموال يتم بين طرفين ويعتمد على القوة ووسائل قسرية. ولكن قد يأخذ الاختطاف بعض المظاهر المختلفة التى تشبه في مظهرها الجرائم التى تعتمد على السوق؛ ولذا قد يكون من الأفضل أن نعرف الاختطاف على أنه من جرائم تحقيق الربح. ومن المتغيرات، تكرار عملية الاختطاف^(١) والتقييم^(٢) وإعادة توزيع الشبكة من أجل الاتجار بالرهائن. فضلا عن إدارة الأموال التى تم تحصيلها من وراء الجريمة.

(١) إن الأعداد الضخمة لعمليات الاختطاف مقابل الفدية، داخل مناطق نائية من العالم تشابه ولاشك، مواصفات جرائم الاعتداء على السوق. طبقا لروت، (٢٠٠٧) فإن حوادث الاختطاف مقابل الفدية، في المكسيك يصل عددها حاليا إلى متوسط ٤٥٠٠ فرد في السنة، لاحظ أنه بين أربعة وعشرة أفراد يتم اختطافهم مقابل فدية كل يوم في بلاد مثل العراق، والمكسيك، وكولومبيا، وإكوادور، والفلبين، ونيجيريا والهند. وطبقا لتيلور (٢٠٠٣)، فإن الجرائم المعتمدة على الأسواق، تتميز بالعلاقات المتعددة، ومفهوم عدالة السوق بالنسبة للسلع وهى مواصفات تشبه بالتحديد بعض مواصفات أنشطة الاختطاف مقابل الفدية.

(٢) طبقا لتيلور (٢٠٠٣)، فإن الأنشطة الإجرامية التى تعتمد على السوق، تتسم بتعدد العلاقات، ومنطق تقييم السلع وفقا لسوق عادلة. هذه الملاحظات تتفق مع سمات الاختطاف مقابل الفدية.

وجدير بالذكر أن العمليات المعاصرة للاختطاف مقابل الفدية، تكشف عن مستوى سلوكي أكثر تقدما من خلال مستوى التنظيم وشبكة العمل^(١). ولهذه الشبكات أيضا دور في تسهيل عملية توزيع الرهائن بين المجموعات المختلفة بغرض الحصول أخيرا على الفدية المطلوبة. ولا تتم عملية التوزيع بالضرورة داخل إطار منظمة إجرامية. بل من الممكن أن تحدث بين مجموعات جريمة منظمة وجماعات راديكالية. والاختطاف الذي يكون على هذا المستوى، يجذب إليه العديد من الانتهازيين الذين يقتصر همهم على تحقيق الأرباح. ومنهم سماسرة الفدية الذين يعملون كوسطاء بين المختطفين والمتفاوضين مقابل الحصول على عمولة (هاجدورن-أورباخ، ص ٣٣-١٩٨٨). وبهذا الشكل فإن طريقة أسر الرهائن تشبه النشاط الإجرامي المعتمد على السوق. في كولومبيا، اعتادت مجموعات الاختطاف، أن تقيم حواجز على الطريق، وهو مخالف للقانون، حتى تصيد الأفراد بشكل عشوائي وتختطفهم مقابل الفدية (هيب، ٢٠٠٢، موروزومبول، ٢٠٠١)^(٢). وهي ممارسة تكشف عن محاولة إعطاء صبغة تجارية للنشاط. ويتم تحديد قيمة الرهينة وفقا لاعتبارات متعارف عليها في السوق. وتتأثر عملية التقييم ببعض الظروف، ومنها الوظيفة، والحالة الصحية، والجنسية، والدين والنوع، وعمر الرهينة. كل هذه العوامل تعتبر مؤثرة وتحدد قيمة الرهينة بشكل ضمنى ومتفق عليه. وأشار بريجز (ص ١٨-٢٠٠١)، أن هناك ظروفًا خاصة بالسوق تتدخل أيضا، وتكون مؤثرة في تحديد قيمة الرهينة. ومنها، الحالة الاقتصادية السائدة، والخوف

(١) يصف هاجدورن-أورباخ (ص ٣٢-١٩٩٨) تعقيد عملية الاختطاف داخل أمريكا اللاتينية. فقد تركز مجموعة على إجراء الأبحاث على ضحية محتملة، بينما مجموعة أخرى، تراقب الهدف، وأخرى تعمل على تقسيم إستراتيجية عملية الاختطاف، وأخرى تنفذ الجريمة. بينما مجموعة أخرى تأخذ على عاتقها مسألة إيجاد مكان لاحتجاز الرهينة وتوفير الحراسة اللازمة. وأخيرا مجموعة أخيرة تقوم بدور المفاوض فيا يتعلق بالفدية المطلوبة.

(٢) وقد أشير إلى هذه العملية (بالصيد المعجزة)، حيث تقوم العصابات بإرغام الأفراد على ترك سياراتهم، ثم تحاول تقييمهم لتحديد الفدية وطبقا لمور وزومبول، (٢٠٠١)، فإن العصابات قد تحاول أيضا التعرف على ما يمتلكه الأفراد من أصول. مثل هذا السلوك قد تم رصده أيضا في منطقة الشيشان. (تيشكوف، ٢٠٠٤) والعراق.

العام من الاختطاف، والقيمة الاجتماعية النسبية للأفراد داخل الدولة. بل إن قتل الرهائن قد يرفع من قيمة المحتجزين منهم. أو من قيمة نوع معين من الرهائن. وهو ما أشار إليه لوني (٢٠٠٥). الذى كتب فى هذا الصدد، أن قيمة الرهائن من المواطنين الأجانب المحتجزين فى العراق، قد ارتفعت بعد عمليات الإعدام (عن طريق قطع الرؤوس) التى نفذها المتمردون فى الرهائن المحتجزة لديهم.

فقد اتضح أن قطع رؤوس الرهائن بشكل علنى، فى العراق كانت له انعكاسات، أدت إلى ارتفاع قيمة الرهائن الأجانب. وعادة ما كان يتم اختطافهم بواسطة العصابات الإجرامية بالعراق، ثم بيعهم للمتمردين مقابل سعر مرتفع. ويتم تحديد قيمة الرهينة بناء على ما تتمتع به مجموعة المتمردين من نفوذ وسطوة، تتحدد بدورها فى ضوء عمليات قطع الرؤوس التى ينفذونها فى الرهائن.. هكذا كان المتمردون يحصلون فى بعض الأحيان على مبالغ قد تفوق التعريفة المحددة.

هذه التجارة الرائجة لبيع الرهينة ثم إعادة بيعها بثمن أعلى للعصابات المتنافسة أو الجماعات الراديكالية، أدى إلى خلق قيمة لها فى السوق، مع المحافظة فى نفس الوقت على توفير إمداد مستمر من الرهائن لأصحاب الطلب المتزايد على هذه السلعة.

وإذا أضفنا إلى هذه العوامل القدرة المستمرة على غسيل الأموال التى يحصلون عليها. نجد أنفسنا بالفعل أمام ظاهرة تعتمد على السوق كما وصفها لنا نيلور (٢٠٠٣). إن إدارة الأصول تشكل عبئا كبيرا لأى مجموعة يتسع حجم أنشطتها الإجرامية بشكل كبير. خاصة المجموعات الإجرامية التى يكون أساس دخلها أموال جرائم السلب والنهب أو الابتزاز (الضرائب الثورية على سبيل المثال). إلى جانب سرقات البنوك والاختطاف مقابل الفدية. فمثل تلك المجموعات تجد نفسها دوما أمام كم من المشاكل المرتبطة بإدارة مثل هذه الأموال. وبالطبع فإن مسألة تنظيم وإدارة الأموال بالنسبة للمجموعات الإجرامية المنظمة لا تشكل عبئا، بل تعتبر من قبيل الروتين. والعكس صحيح بالنسبة للمجموعات التى تفتقر إلى القدرات التنظيمية، خاصة إذا كانت بحوزتها كمية ضخمة من أموال الفدية، فتجد نفسها أمام عبء تنظيمها. وهو

ما واجهته المجموعة الأرجنتينية أرجسيتو دي ريفولوسييون بوبولار (ERP) حينها قامت بابتزاز ٣ ملايين دولار (ما يوازي ٥٠٠ بيزو) كدفية لإطلاق سراح مسؤل كبير. وقد كان المبلغ من الضخامة بحيث إنه ملأ عربة مصفحة عن آخرها. (نيلور، ١٩٩٣). والمشكلة لا تقتصر على حجم النقود وحدها، ولكن تسجيل أرقام الأوراق المالية خاصة بالنسبة للمبالغ الضخمة، يسهل عملية تتبعها. وهي المشكلة التي وقعت فيها مجموعة ERP، ويمكن أن تتعرض لها أى مجموعة تقوم بتحصيل هذا الكم من أموال الفدية عبر فترة زمنية محددة.

إن مجموعات كولومبيا الثورية خير مثال لمجموعات تنظيمية حديثة تمارس أنشطة إجرامية بدافع تحقيق الربح. فالقوات المسلحة الثورية لكولومبيا والمعروفة باسم (FARC) وجيش التحرير الوطنى أو (ELN) وهى شبكات كولومبية متخصصة فى الاختطاف مقابل الفدية، حققت أرباحا بلغت ٥, ١ بليون دولار أمريكى بين الأعوام ١٩٩١ و١٩٩٩ (موور وزمبول، ص ٣٣-٢٠١). فضلا عن ٨, ١ بليون دولار من جراء ممارسة الابتزاز والسرقة^(١) وأيضاً تمكنت مجموعة متمردى كولومبيا، من تحصيل مبلغ وصل إلى ٢, ٣ بلايين دولار أمريكى من أنشطة تهريب المخدرات فى نفس هذه الفترة الزمنية. (موور وزمبول، ٢٠٠١).

والقدرة على إدارة هذه المبالغ الضخمة هو ما يميز النموذج التنظيمى الحديث لمجموعات الجريمة عن نماذج أخرى أقل قدرة واستعدادا من الناحية الإدارية والتنظيمية.. ومما يجعل هذا النشاط نشاطا مربحا أيضا، القدرة على ممارسة النشاط لفترة مستمرة من الزمن. مع توفر القدرة على إدارة الأرباح المتحصلة منه، وهيكُل تنظيمى يشبه هياكل أنظمة التهريب. (ويليمز، ٢٠٠١) ورغم إشارة نيلور (٢٠٠٣)

(١) على الرغم من أن هذا الرقم قد ذكره موور وزمبول (٢٠٠١) كممثل لدخل كل من FARC, ELN فإنه تجدر الإشارة إلى الفارق بينهما فى هذا الشأن، فبينما الاختطاف مقابل الفدية، يعتبر دخلا أساسيا بالنسبة لـ ELN حيث يمثل ٧٠٪ من نشاطها، فهو لا يمثل أكثر من ٤٠٪ من نشاط FARC والفارق يمثل سيطرة FARC على نسبة كبيرة من أراضي كولومبيا؛ مما يتيح لها فرصة تحقيق دخل إضافي من جراء أنشطة التهريب والابتزاز.

فإنه يصعب في كثير من الأحيان وضع حدود واضحة، تفرق بين المنظمات الإجرامية وتلك المعتمدة على آليات السوق، كما يؤكد من ناحية أخرى أن بعض أشكال أنشطة السلب والإجرام تحتاج إلى حلول تعتمد على آليات السوق لترتيب إجراءات تنفيذها.

إن نشاط الاختطاف يمكن أن يضاف إلى مجموعة الأنشطة الإجرامية الأخرى التي تمارسها أى مجموعة على درجة عالية من التنظيم، والتي يعتبر تحقيق الأرباح هو هدفها الأساسى. وتعتمد فى الأساس على آليات السوق. أما إذا أرادت أى مجموعة إجرامية ممارسة نشاط الاختطاف مقابل الفدية على نطاق واسع بحيث يصبح صناعة قائمة بذاتها، فلا بد لها أولاً أن تؤمن مسألة إدارة الأموال دون أن تقع تحت طائلة مؤسسات تطبيق القانون المحلية. (بينج، ٢٠٠٦).

التداخل بين أنشطة التهريب وممارسة التجارة غير الشرعية والاختطاف مقابل الفدية. للحفاظ على استمرارية الربحية فى أنشطة مثل الاختطاف مقابل الفدية، لابد من تكوين نظام قادر على ضخ التمويل المطلوب الذى يضمن بقاء هذا النشاط عبر فترة مستمرة من الزمن.

كثير من المؤسسات الإجرامية لديها بالفعل هذا التمويل المنظم الذى يتوافر لديها من جراء تقديم كم متنوع من الأنشطة غير الشرعية، مثل أنشطة القمار أو الدعارة أو الأنشطة الخاصة بإنتاج وتوزيع المواد المخدرة. (ماكفرلين، ٢٠٠٣). ويمكن لهذه المجموعات أن تستفيد بها تحقيقه من أرباح جراء ممارسة تلك الأنشطة فى تنوع أنشطتها الإجرامية، فتجرب حظها فى نشاط مثل الاختطاف مقابل الفدية على سبيل المثال. ومن المعروف أن الأرباح التى تتحقق من جراء ممارسة أنشطة التهريب والتجارة غير المشروعة يمكن أن تربو على بليونى دولار سنوياً^(١). وهو مبلغ يفترض بالضرورة امتلاك هذه المجموعات

(١) تم الوصول لهذا الرقم من فاجنر د. (٢٠٠٦)، أرباح الاتجار بالبشر تثير الفزع. على موقع www.azcentral.com

٢٤ أغسطس ٢٠٠٦.

شبكة منظمة تمكنها من توفير عدد ضخم من الموارد البشرية الفعالة، إلى جانب تنظيم مؤسسى يضمن حسن إدارة هذه الأرباح بما يؤمن استمرارية نجاح العمل. وجدير بالذكر، أنه وبالإضافة لما ذكرناه، فإن اللجوء إلى نشاط الاختطاف، قد ينشأ من اغتنام الفرص الجيدة، وقت ظهورها، خاصة مع توفر الخبرة المتراكمة في مجال التعامل مع العنصر البشرى، بالإضافة بالطبع إلى توفر العقول المدبرة للجرائم.

جدير بالذكر، أن الأنشطة الثلاث السابق ذكرها، تشترك في عدة تشابهات إن من الناحية المادية أو في المفهوم ذاته^(١).

فهى أولاً تعتمد على خلايا منفصلة للقيام بمجموعة من المهام التى تحقق الهدف وتضمن نجاح العملية. (ميرو وكيرتس، ٢٠٠٣) فمثل هذه الأنشطة الإجرامية تتطلب سائقين، وحراساً، وفريقاً للمراقبة، وتجار عملة، إلى جانب توفير ملاذ آمن. وقد تختلف أهمية الأدوار باختلاف النشاط الممارس. ولكن اشتراك هذه الأنشطة في التعامل مع العنصر البشرى. إلى جانب تشابهها فيما يتعلق بالعنصر المادى للجريمة، يجعل البنيان التنظيمى من الناحية العملية، واحداً بالنسبة لهذه الأنشطة. فالمهربون وعصابات الاتجار بالبشر، تتوافر لديهم عوامل النجاح اللازمة في تنفيذ عمليات الاختطاف، ومنها الناحية المادية، التى تتيح لهم ممارسة تهديد طرف ثالث وممارسة الابتزاز. إلا أن نجاح عمليات الاختطاف يعتمد فى الأساس على القدرة على إدارة العمليات فى ظل قدر كبير من السرية (أركيلاو رونفيلد، ٢٠٠١، ميلورد وراب، ٢٠٠٢، وليمز، ٢٠٠١) يتيح لهم القدرة على التحايل على أجهزة الكشف المحلية وإدارات تطبيق القانون أو التهرب منها. إلى جانب تجنب رشوة المسئولين المحليين (شيلى، ٢٠٠١).

ومن الطبيعى أن يتجه العقل المدبر لهذه العصابات إلى طرق لاستغلال الفرص المتاحة لتحقيق الأرباح، لاسيما أن التهريب أو الاتجار بالبشر يعتبر وسيلة فعالة لعملية

(١) والاتجار بالبشر يعتمد على اختطاف النساء والأطفال، الذين يتم بيعهم من خلال العصابات ويتم نقلهم تبعاً إلى دولة أجنبية، حيث يتحولون دائماً، إما إلى ممارسة الدعارة أو يصبحون جزءاً من رقيق العمل. (شيلى، ٢٠٠٣). التهريب من ناحية أخرى لا يفرض الهجرة القسرية إلى دولة أخرى، ولكن الأفراد يهاجرون إلى بلد يقع عليها اختيارهم. طوعية، وذلك من خلال شبكات الجريمة المنظمة.

التجديد والإحلال المستمر لمصادر الدخل؛ لذا تعتبر هذه الوسيلة من الوسائل المفضلة لضخ مزيد من الأموال لهذه المجموعات الإجرامية، خاصة إذا ما قورنت بعمليات تهريب المخدرات التي تحقق الأرباح مرة واحدة فقط. فلا يمكن التعويل عليها بصفة مستمرة؛ لأنها غير منتظمة (شيلي، ٢٠٠٣).

ومن المعروف أن تهريب البشر يتيح لهذه العصابات مصدرا ثانيا للدخل متمثلا فيما يعرف «بديون الاسترقاق» إلى جانب ممارسة الابتزاز. (شاوور وويتون، ٢٠٠٦)^(١). فمن الممارسات الشائعة بالنسبة لتلك العصابات مطالبة هؤلاء الرقيق بفدية مقابل عودتهم مرة أخرى إلى بلدهم الأم مصدر هذه التجارة غير الشرعية (الأمم المتحدة، ٢٠٠٣).

وقد تتعرض عصابات التهريب إلى أخطار الإغارة من قبل عصابات تهريب أخرى، تحاول اختطاف الشحنة غير الشرعية واغتنام الفدية لنفسها. ومن هنا يتضح أن سوء استغلال البشر ملمح أساسى فى هذه الممارسات غير الشرعية من تهريب أو انجار. حيث يسلب الأفراد حقهم فى تقرير المصير فور وصولهم إلى البلد المقصد، بينما يحقق دخلا جديدا لجماعات الاختطاف.

وتجدر الإشارة إلى أن ممارسة عمليات الاختطاف مقابل الفدية على نطاق منظم وواسع، تختلف عن الممارسات الإجرامية الفردية لنفس النشاط. وإن كانت بالطبع تشترك فى الهدف وهو تحقيق العائد المادى. فالأخيرة تنقصها البنية التنظيمية التى تحقق قدرا عاليا من المهنية والاحتراف لجماعات الاختطاف المنظمة. وقد تتحد مجموعات

(١) يجبر المهربون من البشر على العمل مثل الرقيق أو ممارسة الدعارة من أجل القدرة على دفع ديونهم للمهربين، مما يوفر مصدرا إضافيا للدخل لهذه العصابات. يجادل شاوور وويتون (٢٠٠٦) مؤكدين أن تهريب البشر يعد من قبيل الاستعباد إلى حد كبير لما يصاحب هذا النشاط غير الشرعى من ممارسة أسوأ أنواع الاستغلال، والقسر والاغتصاب والتهديد الخطير بالضرر الجسدى فضلا عن الحرمان من الحرية.

تربطها صلات الصداقة للقيام بعملية اختطاف محددة لضحية بعينها، يتم اختيارها بدقة. ورغم هذه الحرفية فكثيراً ما يتم التضحية بالمجموعات الصغيرة. ولا يتم ذلك عشوائياً، بل على أساس اعتبارات دقيقة يحكمها عامل الثراء أو القدرة على الوفاء بالالتزامات المادية. وقد اتضح من مقابلات أجراها يانج يو وهوانج (٢٠٠٧)، على عينة من المختطفين التايوان المحتجزين، أن شيوع عمليات الاختطاف يتوقف على تحقيق الربح السريع، إما نتيجة لإدمان أعضاء المجموعة للمخدرات، أو نتيجة لفرار المجرمين ومطالبتهم بالأموال.

وقد يطلب زعماء العصابات المساعدة من الأصدقاء المقربين أو من العائلة، فتكون بذلك، مجموعات قد لا تزيد على فردين أو ثلاثة، تقوم بعملية اختطاف واحدة تفي بالغرض. ومن هنا يتضح الفارق الكبير في البنية التنظيمية للمجموعات الصغيرة التي تمارس هذا النشاط عند مقارنتها بالشبكات الإجرامية المنظمة التي تمارس النشاط بشكل منتظم.

وجدير بالذكر أن هناك بعض الظروف التي تمكن المجموعات الصغيرة من دخول سوق ممارسة الاختطاف مقابل الفدية. ويتوقف نجاحها في المقام الأول على البنية الاجتماعية والسياسية للدولة المضيفة. ومن المعروف أن المناطق التي تعاني من انهيار كامل لسيطرة الدولة، هي تلك، التي تنتعش بها الجريمة المنظمة لاسيما نشاط التهريب والاختطاف.

وتعتبر العراق خير مثال على ذلك. ففي أعقاب الانهيار الكامل للنظام الحاكم في العراق عام ٢٠٠٣، الذي صاحبه انهيار تدريجي في مؤسسات الدولة، غرق العراق في بحر من الفوضى الكارثية، التي كانت من ضمن تداعياتها العديدة، انتشار ظاهرة الاختطاف والمطالبة بالفدية في كل أنحاء البلاد. وكانت هذه هي البيئة المواتية تماماً، لتفريخ أنواع مختلفة من الجرائم، مما دفع بصغار المجرمين إلى الاتحاد فيما بينهم، لتنظيم عمليات الاختطاف وممارسة أنشطتها جنباً إلى جنب، وعلى التوازي مع شبكات الجريمة

المنظمة ومجموعات المتمردين التى انتشرت فى كل ربوع العراق. (لبنى، ٢٠٠٥).
وحقيقة الأمر، فإن الاتجار بالبشر والاختطاف يشتركان فى عدة خصائص، فكلاهما
ينتعش ويزدهر فى الدول غير المستقرة، والتى تفتقر إلى سيطرة أجهزة الدولة، فتسود
القوضى ويعم الفساد.. بل إن انهيار مؤسسات الدولة يسمح، حقيقة الأمر فى كثير من
الأحيان، للعصابات الصغيرة أن تنضم إلى شبكات أوسع وأكثر تنظيماً مستفيدة من
خبرتها الواسعة فى ممارسة الجريمة، واحترافها.

وقد وجد أن توافر البيئة المواتية والشروط اللازمة، قد يتيح الفرصة السانحة أمام
مجموعات الجريمة المنظمة ويمكنها من بناء اقتصاديات موازية لمؤسسات الدولة وقادرة
على ضخ أرباح ضخمة. والعامل الحاسم هنا هو قدرة الدولة على التحكم والسيطرة
على أراضيها وحدودها. فمن البديهي أن غياب السيطرة الكافية على أجهزة الدولة
وأراضيها يفتح الباب على مصراعيه أمام أطماع أصحاب الأجندات المخربة. وطبقاً
لألبانيز (٢٠٠٠)، فإن هناك ثلاث مجموعات من العوامل التى ينبئ توافرها بفرص
نمو أنشطة جماعات الجريمة المنظمة. وهى: عوامل تتعلق بالفرصة، وأخرى خاصة
بالبيئة فى الزمن الآتى، وأخيراً مدى توافر المهارات اللازمة لدى المجموعة، والتى
تؤهلها لممارسة النشاط الإجرامى المطلوب. ولا شك أن فرص بناء وتكوين مؤسسات
اقتصادية غير شرعية، يعتمد على الاستفادة من انهيار مؤسسات الدولة وغياب تطبيق
القانون فى ظل انهيار الدولة. (سانج ٢٠٠٤). بالإضافة إلى حجم الطلب المحلى داخل
المجتمع نفسه على السلع والخدمات غير الشرعية. وأخيراً المهارات الخاصة باللغة أو
الحديث، فضلاً على المعرفة الفنية وتلك الخاصة بالبيروقراطية السائدة فى هذا المجتمع.
كل هذه العوامل تساهم بقدر كبير فى إنجاز أنواع بعينها من الأنشطة الإجرامية المنظمة.
(بيكاريللى، ٢٠٠٤).

وحالة الشيشان، من الأمثلة التى يمكن الإشارة إليها فى هذا الخصوص.. ففى
غياب نظام اقتصادى رسمى للدولة فى أعقاب الحرب التى أسفرت عن تدمير بنية
جمهورية الشيشان الوليدة وما ترتب عليها من انهيار فى قطاع الزراعة والصناعات،

نما وازدهر اقتصاد غير رسمي يعتمد على السوق السوداء بشكل أساسي. (جالبوتى، ٢٠٠٢، ماكهينا، ٢٠٠٥).

ومما زاد الطين بلة، ارتفاع نسبة البطالة إلى ٨٥٪ بالإضافة إلى هجرة الشعب الشيشاني الإجبارية جراء الحرب، مما فاقم من تردى الموقف الاقتصادى للبلاد. وقد استغل كثير من الأطراف هذه الظروف الكارثية، منها المتمردون الشيشان، وعصابات الجريمة، بالإضافة إلى القوات الروسية الفيدرالية. وطبقا لبيمانى (٢٠٠٤)، فقد انتشرت فى السوق السوداء الموازية أنشطة تهريب السلع غير الشرعية، وأغلبها تتعامل فى تجارة المخدرات، والاختطاف مقابل الحصول على الفدية، إلى جانب الإنتاج غير القانونى للنقط. ومثل هذه الأنشطة توفر الدخل اللازم للمتمردين الشيشان مما مكنتهم من تمويل احتياجاتهم من الأسلحة. ويؤكد بيمانى، عدم توافر الإحصائيات الموثوق بها، عن حجم الإيرادات الإجمالية جراء ممارسة هذه الأنشطة.

وجدير بالذكر أن القوات الروسية والمواطنين المدنيين الشيشان كليهما كان متورطا فى أنشطة السوق السوداء الموازية، وقد ساهم الطرفان فى تفشى أنشطتها المشبوهة.

النموذج الشيشانى

يعتبر النموذج الشيشانى لممارسة نشاط الاختطاف مقابل الفدية أكثر نماذج هذا النشاط خطورة فى العصر الحديث. (لانتينى وبكاشمار، ٢٠٠٧). وربما اقترب منه قليلا النموذج العراقى، خاصة فيما صاحب هذا النشاط من عنف متصاعد وبربرية عمياء. وحتى نماذج الاختطاف المنتشرة على نطاق واسع فى كولومبيا أو المكسيك لا يمكن مقارنتها بالنموذج الشيشانى. حيث تحولت عمليات اختطاف الرهائن فى الشيشان إلى عنصر مهم وجوهري فى تمويل حركة الكفاح للحصول على الاستقلال من جمهورية روسيا الاتحادية. (ديشان، ٢٠٠١، جالبوتى، ٢٠٠٢، لانتينى وبكاشمار، ٢٠٠٧، مور وزمبو، ٢٠٠١، موكين، ٢٠٠٥، بيمانى، ٢٠٠٤). وبينما ارتفع عدد ما أعلن عنه من رهائن ليصل إلى المئات، تنامى حجم العمل فى سوق هذا النشاط حتى

وصلت قيمته إلى عدة ملايين من الدولارات. وطبقا لموخينا (٢٠٠٥)، فإنه بين يناير ١٩٩٧، وأغسطس ١٩٩٩، كان قد تم اختطاف ١٠٩٤ مواطنا مقابل الحصول على الفدية، وأن قيمة الفدية قد تراوحت في المتوسط بين ٥٠٠٠ و ١٤٥٠٠٠ دولار للرهيثة الواحدة. وقد تم استغلال هذا الدخل في تمويل شراء الأسلحة ومستلزمات الصراع الدائر في هذه المنطقة. كما تم إعادة استثمار العائد لتمويل المزيد من أنشطة الاختطاف؛ لضمان استمرارية النشاط. جدير بالذكر أن نشاط الاختطاف قد مارسه كل أطراف وفئات المجتمع في الشيشان. (جالبوتى، ٢٠٠٢) من عصابات الجريمة، إلى العشائر إلى قطاع الطرق، إلى الجماعات المتمردة، وحتى كبار موظفى الحكومة كانوا من المشتبه في تورطهم في تلك الأنشطة. بل إن هذا النشاط انتشر لدرجة تخصيص سجون محددة لاستقبال الرهائن. وشاع الحصول على حقوق امتيازات لهذه السجون؛ مما أوجد سوقا جديدة في هذا المجال.

طبقا لتيشكوف (٢٠٠٤) فإن ممارسة نشاط اختطاف الرهائن، يعتبر عرفاً قديماً بالشيشان. حيث كان من الشائع احتجاز أسرى الحرب لتبادلهم بالأسرى الشيشان المحتجزين لدى العدو. كما كان يتم استخدامهم أيضا كعمالة رقيق. وهو تحول في هذا النشاط، أفرز ظاهرة جديدة إبان حرب الاستقلال الأولى بالشيشان عام ١٩٩٦. وعندما كانت روسيا الاتحادية تحتجز المدنيين من الشيشان لاستجوابهم بشكل تعسفى وعرفت هذه الممارسة «بالحجز العشوائى والابتزاز». كان يتم شراء حرية هؤلاء المحتجزين من خلال دفع الفدية. (مور وزومبول، ٢٠٠١).

وذلك مقابل تبادل أسرى روسيا الاتحادية. وكان أغلب أسرى الجانب الروسى يتم قتلهم ما إن يقبض عليهم. مع الاحتفاظ بعدد قليل منهم، لأغراض المقايضة، أو البيع. ومن هنا كان أقارب هؤلاء الجنود يقومون بشراء حريتهم، من الثوار الشيشان، ثم يطالبون عائلة الرهيثة، بفدية في المقابل. ويضيف تشيكوف (٢٠٠٤) أن العائلات كانت تزور ما عرف «بسوق الرهائن» وتقدم طلبا بشراء رهيثة مع تحديد الطلب، رجل أعمال أو ضابط أو مواطن مدنى. ولم يقتصر نشاط أسواق جروزنى وأوروس

مارتن على شراء الرهائن فقط، بل شمل أيضا شراء العلامة التجارية لممارسة النشاط أو الحصول على حق الامتياز.

وكان الحصول على حق الامتياز يتيح لصغار الفاعلين في سوق الاختطاف المطالبة بفدية أكبر جراء جهودهم. أما ممارسو هذا النشاط من صغار المختطفين، فكانوا يقومون بعمليات الاختطاف، ثم يبيعون الرهائن لمنظمة أكبر (جاليتي، ٢٠٠٢). وحقيقة الأمر فقد كان من المألوف أن تباع الرهينة عدة مرات قبل أن تصل إلى أيدي مجموعة بعينها.

إذا فشراء الامتياز التجاري قد غير من أحوال صغار المختطفين، ومكنهم من المطالبة بمبالغ أضخم كفدية. (تتشكوف، ٢٠٠٤). وكانت العائلات، خوفا على حياة أسرارها، تسرع في إجراءات دفع الفدية. وسمعة هذه المجموعات كانت ما يحدد قيمة الفدية وتتحكم في شروطها أيضا. فكلما عرف عن المجموعة العنف والشراسة، زادت فرصتها في نجاح مفاوضات الفدية لصالحها. وقد برز في ذلك الوقت، اسم شيشاني من المقاومة يدعى أرابي برايف، عرف بشراسته وممارسته لأساليب بربرية في قتل الأسرى من الجنود الروس (لنتيني وبكشمار، ٢٠٠٧). فكانت مجموعات الاختطاف تقوم بدفع جزء مما حصلت عليه من فدية جراء الحصول على امتياز استخدام اسمه في القيام بعملياتها.

وحقيقة الأمر، فإن استخدام العنف وأساليب التعذيب الوحشية، كان ملمحا أساسيا في عمليات المفاوضات على الفدية. فقد كان المختطفون يعذبون ضحاياهم من الرهائن ويصورون عمليات التعذيب أو التشويه على شرائط فيديو^(١). وقد مكنتهم أساليب الابتزاز العاطفي من التأثير على سير المفاوضات مع عائلة الرهينة. كما كانت

(١) وقد تضمنت وسائل تعذيب الرهائن الإجرامية، بتر الأذن والأصابع أو حتى طرف اللسان وبرد الأسنان. كما أجبر الرهائن على مشاهدة إعدام الرهائن الآخرين أو الأسيرة من الجنود الروس. (تتشكوف، ٢٠٠٤، ١٩).

أفلام الفيديو دليلا واضحا على مدى معاناة أقارب الرهائن من عذاب الضمير إذا تركوهم في أيدي هؤلاء القتلة؛ مما ساهم في سرعة الموافقة على ما كان يتم تحديده من فدية. وقد اشتهر المختطفون الشيشان خاصة، بالحنكة في طرق ابتزاز الفدية. فطبقا لتيشكوف (٢٠٠٤)، قام هؤلاء في إحدى المرات، باحتجاز خمس رهائن من عمال البناء، ثم نفذوا الإعدام في أحدهم، وكان أقلهم قيمة لعدم ظهور أقارب له. وقد أرسلوا دليل إعدامه إلى أسر الرهائن الآخرين من خلال فيلم الفيديو، مصحوبا برسالة تحدد الفدية المطلوبة. وهكذا تمكنوا من رفع سقف الفدية المطلوبة، نظرا لارتفاع عنصر المخاطرة بالنسبة للرهائن المحجوزين تحت سيطرتهم. وهو ما يثبت حنكتهم واحترافهم. ويعتبر دليلا على استخدام تلك العصابات لسلاح فعال، هو وسائل التعذيب، بهدف التحكم في سعر الفدية.

يعتبر إذا هذا النشاط في منطقة الشيشان نموذجا نمطيا لنشاط الاختطاف مقابل الفدية على درجة عالية من الاحتراف. حيث إنه يتضمن خطة محكمة وبرنامجا واضح الملامح لتقييم الرهائن، ثم توزيعها تباعا في السوق المخصصة لها. وقد كان لهذه التجارة فاعلون صغار يعملون أولا من خلال شبكة غير رسمية. حيث يقومون أولا بعملية الاختطاف، ثم بتقييم الرهينة. وأخيرا إعادة بيعها إلى جماعات أكبر للجريمة المنظمة.

وما إن تصل الرهينة إلى هذه المرحلة أو الحلقة، في سلسلة برنامجها المرسوم بدقة، حتى يتم احتجازها في سجون شيدت خصيصا للرهائن. وتكون مزودة بحجرات لممارسة التعذيب^(١). وهذه الحجرات ذات أهمية خاصة، إذ يعتمد عليها في رفع سقف المساومة على قيمة الرهينة حين تجرى المفاوضات على قيمة الفدية. كما يتم من خلالها

(١) تعرف هذه السجون باسم «زندانز»، وقد كانت في أماكن سرية، كجراجات قديمة، أو حفر سرية، أو في أقبية منازل خاصة. وطبقا لتيشكوف (٢٠٠٤) فإن وزارة الأمن، كانت تحتفظ وحدها بحوالي ٥٠ رهينة في سجونها التي كانت تستقبل باستمرار رهائن جديدة، من سوق جروزني للرهائن.

أيضا تحقيق السيطرة على بقية الرهائن أثناء فترة احتجازهم. ويكشف ذلك النقاب بوضوح عن طبيعة سلوكيات سوق الاختطاف، كما كان يدار في منطقة الشيشان.

الخلاصة

لا شك أن عملية الاختطاف تتطلب قدرا كبيرا من التخطيط والتنظيم، للمحافظة على استمرارية النشاط عبر فترة طويلة من الزمن. وحقيقة الأمر فإن العمل التحليلي الذي تقوم به المجموعة يمكن مقارنته بالتخطيط المؤسسي. فعلى القائمين بهذا النشاط، على سبيل المثال، ضرورة التعرف على عناصر المخاطرة المرتبطة بممارسته. ومنها احتمالات القبض عليهم من قبل السلطات، وعليهم أن يعملوا على توافر مجموعة محددة من المهارات الفردية، إلى جانب دراسة مدى ملائمة الأجواء السياسية والاجتماعية السائدة. كما لا بد أن تتم الموازنة بين هذه العناصر وقيمة الرهائن في السوق. إلى جانب دراسة احتمالات نجاح النشاط، ومدى وفرة إمداد الرهائن. فضلا عن إمكانية احتجاز الرهائن في أماكن سرية وبعيدة عن أعين السلطات الأمنية. إلى جانب أهمية اتخاذ القرارات الصحيحة بشأن اختيار الطريقة المثلى للاختطاف، وهل يتم عشوائيا أم بشكل محدد. وما هو نوع الفدية المطلوبة؟ وكل هذه الاعتبارات مهمة وجوهرية، إذا كان الهدف هو تجنب الوقوع في قبضة أجهزة الأمن. وهل يتم تحديد الفدية بالعملة، أم من خلال عملية تبادل أم في شكل سلع؟ وقيمة السلعة تتحدد في ضوء حجم الطلب عليها في السوق. كما أن القدرة على إعادة بيعها، يعتبر أيضا محددًا أساسيا في الاختيار.. كل هذه العناصر شديدة الأهمية، ولا بد من موازنتها بشكل فعال، يضمن بقاء واستمرارية العمل في هذا النشاط.

ولكى يمكن اعتبار نشاط الاختطاف مقابل الفدية، عملية اقتصادية مربحة وقابلة للنجاح، لا بد من الموازنة بين تكلفة إدارة العملية وإمكانية تحقيق أرباح مادية تساوى على الأقل عنصر المغامرة والخطورة التي تصاحبها. ومن التكاليف القابلة للتغيير أيضا، تكلفة الحصول على الأسلحة، وأجور القائمين بعملية الاختطاف، وتكاليف إخفاء الرهائن بالسجون وإطعامهم.

كل هذه التكاليف لابد أن تؤخذ في الاعتبار حتى تصبح عملية الاختطاف مجزية أو مربحة. ومن هنا تحاول جماعات الاختطاف خاصة تلك التي تعمل على نطاق ضيق أن تقلل من تكلفة احتجاز الرهائن، فقد تلجأ إلى حبسها بمنازل خاصة، أو في سجون سرية تحت الأرض. أما المجموعات الأكثر تنظيماً أو التي تعمل في مناطق النزاعات، فهي تحاول تخفيض تكلفة الرهائن، عن طريق احتجازها في سجون مؤقتة، (وتسمى في بعض الأحيان «بفنادق الرهائن» هجيدورن - أورباخ، ١٩٩٨، ص ٣٣) يتناوب عليها النزلاء في أوقات مختلفة. كانت هذه ملاحظات صرح بها رهائن تمكنت من النجاة من أسر الاختطاف في فترة ما بعد حرب العراق. ولاشك أن عامل الوقت أكثر تأثيراً بالنسبة لمجموعات الاختطاف الصغيرة، فكلما زادت مدة الأسر ارتفعت تكاليف الاحتجاز.

إن ارتفاع عائد عملية الاختطاف مقابل الفدية يجعلها نشاطاً جذاباً للمجموعات المتطرفة، إذ تشكل بالنسبة لها وسيلة لتمويل عملياتها. ومن ناحية أخرى فإن عملية الاختطاف لها شق مركب يتعلق بالتفاعل الاجتماعي. فتنفيذها إلى جانب الوفاء بالناحية التمويلية يحقق أيضاً أهداف سياسية أو اجتماعية. (بست، ١٩٨٢، ترنر، ١٩٩٨، تزانيللي، ٢٠٠٦). وعلى هذا يعتبر شكلاً نادراً من أشكال السلوك الإجرامي، إذ يمكنه تحقيق عدة أهداف في آن واحد. (لانيني وبكاشمار، ٢٠٠٧). وبالتزامن مع تمويل العمليات الأخرى. فنشاط الاختطاف مقابل الفدية، يبرهن على فشل سيطرة الدولة على مؤسساتها. ودليل على عجزها عن تحقيق الحماية المطلوبة لمواطنيها، مما ينزع عن الدولة شرعيتها ويفاقم من انتشار الجريمة.

والعراق خير مثال على ذلك، حيث أدى انتشار عمليات الاختطاف، واجتياحات المتمردين إلى تدمير الحكومة الحديثة وحركة إعادة البناء الوليدة التي تبتتها. وقد يستغل هذا النشاط لأغراض الدعاية الإعلامية. أو يشكل فرصة إستراتيجية لإطلاق سراح سجين. كما قد يساهم في التخلص من شخصيات مهمة على الساحة الاجتماعية أو السياسية. (كرامر، ١٩٩٨) وهو بهذا المفهوم يتجاوز مجرد اعتباره مشروعاً ناجحاً لتحقيق الربح، بل يضيف أبعاداً جديدة، ومتنوعة لتعريفه.

وحتى يمكن اعتبار نشاط الاختطاف، عملية تحقق الربح والمكسب في المقام الأول، فلا بد من مراعاة عناصر بعينها، منها قدرة المنظمة على تكرار تنفيذ عمليات الاختطاف، بشكل منتظم، مع الاحتفاظ بالقدرة على غسيل الأموال على مدى فترة طويلة من الزمن. ومن العناصر الفارقة أيضا، التمييز بين الفاعلين المستقلين الذين يمارسون النشاط بهدف الحصول على الأموال، وهم غالبا ما يمارسون النشاط على نطاق ضيق وغير منظم. ويطالبون بفدية ضئيلة. ويعتبرون من صغار المجرمين، فعلى الرغم من أن الدافع الأساسي لارتكاب الاختطاف، هو الحصول على الأموال. إلا أن النية لا تكون بغرض تأسيس إمبراطورية لهذا النشاط. ثم هناك المجموعات الصغيرة التي يمكنها أن تتعامل مع شبكات الاختطاف ذات النطاق الواسع. (أو الاتحادات) (يانج، يو، وهوانج، ٢٠٠٧). هؤلاء يمارسون الاختطاف في بعض الأحيان بغرض بيع الرهينة للمجموعات الكبيرة. أو يقومون بالاختطاف بغرض الاحتفاظ بالفدية لأنفسهم. كما يحاولون تكوين مشروع ناجح من وراء عملياتهم. تحقيق العائد المادي وحده إذا، لا يعتبر وحده كاف لتحويل عملية الاختطاف إلى مشروع مربح. فالمحدد هو، القدرة على التنظيم وعلى تكرار تنفيذ العمليات بشكل منتظم.

- Albanese, J. S. (2000). Do criminals organise around opportunities or do criminal opportunities create new offenders. *Journal of Contemporary Criminology*, 16, 409–423.
- Arquilla, J., & Ronfeldt, D. (2001). *Networks and netwars* (pp. 61–97). Santa Monica: RAND Corporation.
- Best, J. (1982). Crime as strategic interaction: The social organization of extortion. *Journal of Contemporary Ethnography*, 11, 107–128.
- Bibes, P. (2001). Transnational organized crime and terrorism: Colombia, a case study. *Journal of Contemporary Criminal Justice*, 17, 243–258.
- Briggs, R. (2001). *The kidnapping business*. London: The Foreign Policy Centre.
- Briggs, R. (2002). Hostage Inc. *Foreign Policy*, 131, 28–29.
- Clutterbuck, R. (1978). *Kidnap and ransom: The response*. London: Faber & Faber.
- Dishman, C. (2001). Terrorism, crime, and transformation. *Studies in Conflict & Terrorism*, 24, 43–58.
- Dishman, C. (2005). The leaderless nexus: When crime and terror converge. *Studies in Conflict & Terrorism*, 28, 237–252.
- Edwards, A., & Gill, P. (2002). Crime as enterprise? The case of transnational organised crime. *Crime, Law & Social Change*, 37, 203–223.
- Galeotti, M. (2002). Brotherhoods and Associates: Chechen networks of crime and resistance. *Low Intensity Conflict & Law Enforcement*, 11, 340–352.
- Hagedorn-Auerbach, A. (1998). *Ransom: The untold story of international kidnapping*. New York: Henry Holt Company.
- Heeb, A. (2002). *Violent crime, public perceptions and citizen security strategies in Colombia during the 1990s*. Unpublished doctoral thesis, Oxford University.
- Hunter, T. (1996). Colombia's Kidnapping Incorporated. *Jane's Intelligence Review*, 8, 565.
- Kiser, S. (2005). *Financing terror: An analysis and simulation for affecting Al Qaeda's financial infrastructure*. Santa Monica: RAND Corporation.
- Kramer, M. (1998). The moral logic of Hizballah. In W. Reich (Ed.), *Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states of mind* (pp. 131–157). Washington, DC: The Woodrow Wilson Centre Press.
- Lechner, A. (2007). Cosh or carry. *Intersec*, 17, July/August, 26–28.
- Lentini, P., & Bakashmar, M. (2007). Jihadist beheading: A convergence of technology, theology, and teleology? *Studies in Conflict & Terrorism*, 30, 303–325.

- Looney, R. (2005). The business of insurgency: The expansion of Iraq's shadow economy. *The National Interest*, 81, 1–6.
- Makarenko, T. (2004). The crime-terror continuum: Tracing the interplay between transnational organised crime and terrorism. *Global Crime*, 6, 129–145.
- Mateo, N. J. (2004). This business of kidnapping: Making sense of kidnapping within a business transaction perspective. *Philippine Journal of Psychology*, 37, 141–159.
- McFarlane, J. (2003). Organised crime and terrorism in the Asia-Pacific region: The reality and response. *Transnational Organised Crime, Terrorism and Transnational Relations*, European Consortium for Political Research, 2nd General Conference, 18–12 September.
- Merkling, S., & Davis, E. (2001). Kidnap and ransom insurance: A rapidly growing benefit. *Compensation & Benefits Review*, November/December, 40–45.
- Milward, H. B., & Raab, J. (2002, October). *Dark networks: The structure, operation, and performance of international drugs, terror, and arms trafficking networks*. Paper presented at the International Conference on the Empirical Study of Governance, Management, and Performance, Barcelona, Spain.
- Mincheva, L., & Gurr, T. R. (2006, March). *Unholy alliances? How trans-state terrorism and international crime make common cause*. Paper presented at the Annual Meeting of the International Studies Association, Panel on Comparative Perspectives on States, Terrorism and Crime, San Diego.
- Miro, J. M., & Curtis, G. E. (2003). Organized crime and terrorist activity in Mexico, 1999–2002. The Library of Congress. Retrieved January 14, 2004 from www.loc.gov/rr/frd/
- Moor, M., & Zumpolle, L. (2001). *The kidnap industry in Colombia – our business?* The Hague: Pax Christi Netherlands.
- Mukhina, I. (2005). Islamic terrorism and the question of national liberation, or problems of contemporary Chechen terrorism. *Studies in Conflict & Terrorism*, 28, 515–532.
- Naylor, R. T. (1993). The insurgent economy: Black market operations of guerrilla organisations. *Crime, Law and Social Change*, 20, 13–51.
- Naylor, R. T. (2003). Towards a general model of profit-driven crimes. *British Journal of Criminology*, 43, 81–101.
- Ortiz, R. D. (2002). Insurgent strategies in post-Cold War: The case of the revolutionary armed forces of Colombia. *Studies in Conflict & Terrorism*, 25, 127–143.
- Peimani, P. (2004). *Armed violence and poverty in Chechnya*. A mini case study for the Armed Violence and Poverty Initiative. Centre for International Cooperation and Security of the Department of Peace Studies, University of Bradford, UK.
- Picarelli, J. T. (2006). Transnational organised crime and terrorism: A theory of malevolent international relations. *Global Crime*, 7, 1–24.
- Ping, H. (2006). Is money laundering a true problem in China? *International Journal of Offender Therapy and Comparative Criminology*, 50, 101–116.
- Riascos, A. J., & Vargas, J. F. (2006, January). Violence and growth in Colombia: A brief review of the literature. Retrieved June 27, 2007, from: www.webpondo.org

- Restrepo, E. M., Sanchez, F., & Cuellar, M. (2006). Impunity or punishment? An analysis of criminal investigation into kidnapping, terrorism and embezzlement in Colombia. *Global Crime*, 7, 176–199.
- Root, J. (2007). In Mexico, crime continues its surge. *Yahoo News*, 22 September. Retrieved September 29, 2007, from www.yahoo.com
- Schauer, E. J., & Wheaton, E. M. (2006). Sex trafficking into the United States: A literature review. *Criminal Justice Review*, 31, 146–169.
- Schbley, A. H. (2000). Torn between God, family, and money: The changing profile of Lebanon's religious terrorists. *Studies in Conflict & Terrorism*, 23, 175–196.
- Schmid, A. P. (1996). The links between transnational organized crime and terrorist crimes. *Transnational Organized Crime*, 2, 40–82.
- Shelly, L. (2001). Corruption and organized crime in Mexico in the post-PRI transition. *Journal of Criminal Justice*, 17, 213–231.
- Shelly, L. (2003). The trade in people in and from the former Soviet Union. *Crime, Law & Social Change*, 40, 231–249.
- Shelly, L. I., & Picarelli, J. T. (2002). Methods not motives: Implications of the convergence of international organized crime and terrorism. *Police Practice and Research*, 3, 305–318.
- Sung, H. E. (2004). State failure, economic failure, and predatory organised crime: A comparative analysis. *Journal of Research in Crime and Delinquency*, 41, 111–129.
- Tishkov, V. (2004). *Chechnya: Life in a war-torn society*. Berkeley, CA: University of California Press.
- Turner, M. (1998). Kidnapping and politics. *International Journal of the Sociology of Law*, 26, 145–160.
- Tzanelli, R. (2006). Capitalizing on value: Towards a sociological understanding of kidnapping. *Sociology*, 40, 929–947.
- United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2003, April). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims*. Retrieved July 23, 2007, from www.unodc.org/pdf/crime/commissions/12_commission/7add1.pdf
- United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2004a, March). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims*. Retrieved March 30, 2007, from <http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/GEN/V04/516/63/PDF/V0451663.pdf?OpenElement>
- United Nations (UN) Commission on Crime Prevention and Criminal Justice (2004b, April). *International cooperation in the prevention, combating and elimination of kidnapping and in providing assistance to victims*. Retrieved March 30, 2007, from <http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/GEN/V04/529/58/PDF/V0452958.pdf?OpenElement>
- United Nations Assistance Mission for Iraq (UNAMI) (2006). Human Rights Report 1st November – 31st December. Retrieved March 3, 2007, from www.uniraq.org/FileLib/misc/HR%20Report%20Nov%20Dec%202006%20EN.pdf

- Williams, P. (1994). Transnational criminal organisations and international security. *Survival*, 36, 96–113.
- Williams, P. (2001). Transnational criminal networks. In J. Arquilla, & D. Ronfeldt (Eds), *Networks and netwars* (pp. 61–97). Santa Monica: RAND Corporation.
- Yang, S. L., Wu, B., & Huang, S. L. (2007). Kidnapping in Taiwan: The significance of geographic proximity, improvisation, and fluidity. *International Journal of Offender Therapy and Comparative Criminology*, 51, 324–339.

الفصل الثاني عشر

دراسة حالة - رمزان قادиров في الشيشان: القيادة السلطوية بالقوقاز

جون راسل

نبذة: من أهم ما ميز رمزان قادиров، كقائد للشيشان، أنه نجح فيما فشل فيه الآخرون. إذ استطاع بحنكة نادرة أن يخلق تجانسا فريدا بين مصلحة وأطماع النخبة الحاكمة من ناحية واحتياجات شعب الشيشان، من ناحية أخرى. كما استطاع من خلال سلطته أن يملأ فراغ سلطة الدولة آنذاك. وأتيح له أيضا وبشكل مائل أن يسيطر على المكاسب الشخصية لشعبه، بحيث يوجهها لما يخدم مصلحته ومصالح النخبة الحاكمة. مقنعا الشعب أن في ذلك مصلحة اقتصادية للجميع، وفي نفس الوقت تمكن من حماية مصالح الشعب من النهب والسلب على أيدي المستعمر الروسي..

وقد تمتع المجتمع في الشيشان في ظل حكمه، بنوع من الاستقرار، أو ما يمكن اعتباره أمانا نسبيا. إذ إن هذا الأمان كان مقصورا، حقيقة الأمر، على أتباع قادиров وحدهم. أما معارضوه فعلى العكس تماما، لم يشعروا قط بالأمان. وقد عاشت البلاد حالة من الديمقراطية المنقوصة لغياب تطبيق القانون. ومن هنا كان رمزان قادиров على الأرجح يمثل نموذجا لا يحتذى به لحاكم مستبد وسلطوي. فقد كان بمثابة أول وآخر «ملوك الشيشان». وقد اجتمع على هذا الرأي الشيشان والروس والمجتمع الدولي بآثره.

رجال أقوياء ومراكز مرموقة

لابد من الإشارة إلى أن تغييرا ملحوظا قد طال النزاع بالشيشان، وهى الجمهورية المتمردة بمنطقة شمال القوقاز التى عانت أكثر من عقد من الزمن من قبضة روسيا الحديدية الخانقة. (حتى أن البعض يرى أنها مرت كالقرون). فى أول عشر سنوات من المواجهات، أسفر العنف واستخدام القوة غير المتوازنة وبشكل عشوائى، من قبل القوات الروسية تجاه المواطنين المدنيين، عن قتل أو إصابة أو تشريد، ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ مواطن^(١).

وقد لفت هذا الصراع بين الشيشان والروس انتباه العالم، خاصة بسبب تقدم الثوار الشيشان الذى أدهش الجميع. وكان ذلك فى الفترة الأولى للنزاع بين (١٩٩٤-٩٦). (جال ودى وال، ١٩٩٧، ألمانيا، ٢٠٠٣، ليفان، ١٩٩٩). إلا أن ممارسات فترة ما بين الحروب، من اغتياالات عن طريق قطع الرؤوس وعمليات اختطاف الرهائن، على أيدي قادة الجماعات المسلحة، أفقدت الثوار الشيشان الكثير من تعاطف العالم. (لانسكوى، ٢٠٠٣). ثم ما لبث هذا التعاطف أن تبخر بالكامل، مفسحا الطريق أمام شعور بالرعب والكرهية تجاههم، فى الفترة الثانية من النزاع (١٩٩٩-٢٠٠٦) خاصة بعد حادث احتجاز الرهائن بمسرح دوبروكفا بموسكو فى أكتوبر ٢٠٠٢، والذى أعقبه حادث مدرسة بسلان فى سبتمبر ٢٠٠٤ (دنلوب، ٢٠٠٦).

(١) من الصعب التأكد من دقة تقديرات أعداد القتلى أثناء أحداث هذا النزاع. ومن المثير للدهشة أن العدد ٣٠٠٠٠٠ قتيل، جاء على لسان نائب رئيس وزراء من أتباع الإدارة الروسية، وربما يكون مبالغاً فيه، لتحقيق مكافأة أعلى. انظر: ٣٠٠٠٠٠ قتلا فى حروب الشيشان - مسئولين روس، "أخبار موسكو ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤"

ويرتبط هذا التغير في أوضاع الشيشان، والذي لا يتفق كثيرون^(١)، على اعتباره من قبيل التحسن، باختلاف مصري قاندين يتمتعان بكاريزمية خاصة لدى الشعب الشيشاني.. هما على التوالي، شاميل بزاييف، ورمزان قادиров. كان شاميل بزاييف، قائد المقاومة الشيشانية والعقل المدبر، لحادث اختطاف الرهائن في كل من: بونفوسك، ودوبروفكا، ومدرسة بسلان. وقد قتل في العاشر من يوليو ٢٠٠٦، في ظروف غامضة في منطقة إنجوستيا، المجاورة. (وكان ذلك في ليلة افتتاح مؤتمر الثمانى الكبار بمدينة سانت بيترسبرج. موطن الرئيس الروسى فلاديمير بوتين. أما رمزان قادиров، فقد ذاع صيته بعد مقتل والده أحمد، على يد قوات بزاييف، في مايو ٢٠٠٤. ويعتبر أول رئيس موال للروس من الشيشان. وقد أصبح رئيسا رسميا للشيشان، يوم ٢ مارس ٢٠٠٧. وكان الرئيس بوتين قد عينه رئيسا، أسبوعين قبل هذا الميعاد.

وتمكن هذا القائد الشاب، وهو في عمر لا يتجاوز الثانية والثلاثين، حين تولى الحكم، من إعادة نوع من الاستقرار والحياة الطبيعية إلى ربوع البلاد. كما بدأ حركة إعمار، أعادت مرة أخرى الهدوء إلى جبهة أوروبا الجنوبية الشرقية. حتى أن شعبه قد لقبه «بالشاحن» بسبب ما تمكن من إنجازه لبلاده. (بوريزوف، ٢٠٠٧). وقد تمكن قادиров، من وضع حد للحروب التى مزقت منطقة الشيشان. بل أسس نظاما للحكم حاكى فيه النظام الروسى، الذى يعتمد على المركزية وهيمنة الطبقة الحاكمة على مختلف مؤسسات الدولة. وذلك في منطقة، كانت قد قاومت لمدة قرون هذا الشكل من أشكال الحكم، مفضلة عليه نموذجا يعتمد على تعدد المركزية، أشبه بنظام القبائل مما جعله في أعين الكثيرين من أبناء شعبه، قائدا أسطوريا.

(١) انظر الخطاب الذى وقع عليه أكثر من ١٠٠ عضو من النخبة البريطانية السياسية والثقافية. «إن على بوتين أن يتحرك لإنهاء حكم الخوف والقمع الذى يسود منطقة الشيشان». «الإنديبندنت» ٧ مايو، ٢٠٠٧. «إن الأغلبية من شعب الشيشان تعتبر حكم قادиров يتجاوز حكم الخوف والقمع. وذلك بلا مخرج، وبلا أمل في المطالبة بتحقيق العدل في الجرائم التى ترتكب بشكل يومي في حق المدنيين».

بل إن بعض الروس كانوا يشبهونه بستانين (REF/RL). ٢٠٠٦ بينما اختلفت نظرة جزء من الإعلام الغربى إليه، حيث وجدوا أنه يشابه عيذى أمين فى قسوته وإشاعته للرعب وتحويل إلى مادة للفكاهة والسخرية^(١).

وقد شاع جو عام من التفاؤل والاستبشار بمستقبل أفضل حينما أعلن رمزان قادىروف، فى الخامس من يناير ٢٠٠٧، فى حديث أدلى به لجريدة النيوزويك الروسية، أن السلام قد استتب الآن فى جمهورية الشيشان^(٢). وقد عزز من هذا الإحساس، تأكيدات أدلى بها وزير دفاع روسيا آنذاك، سيرجى إيفانوف «أن المشكلة قد تم حلها». (شيفرز ٢٠٠٧). إلا أن الأمر اختلف بالنسبة للشعب الروسى، الذى كان أكثر تشككا تجاه هذه التصريحات. وقد أظهرت استطلاعات الرأى التى أجريت فى ذلك الوقت، بمركز ليفادا Levada Center أن ٥٠٪ من الشعب الروسى، يعتقد أن الحرب بالشيشان لا تزال مستمرة. بينما لم يتجاوز من يعتقد أن الأمن قد استتب بالفعل بالمنطقة أكثر من ٣٨٪^(٣)، كما علق محلل سياسى بالشيشان على تصريح آخر من قبل قادىروف، كان قد أدلى به فى التاسع من يوليو، مؤكدا أن النزاع قد انتهى (دودايف، ٢٠٠٧) بما يلى:

إن المقاومة المسلحة بالشيشان وبالأقاليم المجاورة، لا تزال تشكل قوة مهددة. ربما تتوهم النخبة الحاكمة فى روسيا أن القتال قد انتهى. ولكنى أعتقد، إن أجلا أو عاجلا، أن الانفصاليين سوف يعلنون عن وجودهم، وبقوة.

ولا شك أن تحليل نموذج هذا القائد، الذى كان يشار إليه «بالمملك رمزان» من قبل القوات الروسية بالشيشان (أوسبورن، ٢٠٠٦)، والتعرف على العناصر التى ساعدته فى تحقيق هذا النجاح أمر مثير للاهتمام. إذ يمكن القول إنه نجح فى الفوز بقلوب الشيشان، وفى السيطرة على أفكارهم، وفى نفس الوقت نجح فى نيل مساندة

(١) تأثرا بنجاح فيلم عيذى أمين، «آخر ملوك إسكتلندا» لقيت لجنة عقدت بموسكو بهارس ٢٠٠٧ «بآخر ملوك الشيشان».

(٢) وقد تم العثور عليها ٤ مارس ٢٠٠٧ - ٥٥.

(٣) تم العثور عليها ١١ مارس ٢٠٠٧. من موقعين على شبكة الإنترنت

وتأييد الرئيس الروسى بوتين. (وذلك على الرغم من أن الروس يتحملون مسئولية ما آلت إليه الأوضاع بالشيشان من بؤس وانهيار فى غضون صراعهم طويل الأمد فى هذه المنطقة). ومن العناصر الجديرة بالدراسة أيضا فى هذا الصدد، قدرة قادىروف على البقاء فى السلطة والاستمرار فى الحكم..

وسوف نستعين بمجموعة من النظريات التى تم استخلاصها من واقع تجارب خاصة بوضع حد للنزاعات أو بظاهرة الإرهاب ومكافحته، حتى يمكن دراسة هذا النموذج بدقة والحكم عليه. وما إذا كان يشكل بالفعل ظاهرة متفردة، ونادرة الحدوث، تصادف أن وقعت فى هذه الجمهورية الجبلية النائية، والتى تعيدنا إلى عصور ما قبل الحداثة. أو يمكن الاستفادة من تجربته واستخلاص دروس يمكن تطبيقها فى مناطق أخرى من القوقاز. أو ربما فى أفغانستان أو العراق. أى أننا نريد اختبار مدى جدوى وأهمية تطبيق حكم سلطوى مطلق فى فترة ما بعد النزاعات.

مصفوفة تجمع بين الحاجة والأطعام والعقيدة

من بين ما قدم أو عرض فى مجال دوافع قيام النزاعات الأهلية، أرى أن أكثرها تطابقا مع الوضع بالشيشان ما تقدم به ويلم زارتمان (زارتمان، ٢٠٠٥) انظر: الجدول ١، ١٢. بناء على نظريته فإن أهم أربع دعائم لضمان بناء أى مجتمع، هى: القوة السياسية، والفرصة الاقتصادية واستتباب الأمن فى المجتمع وتطبيق القانون والنظام. وأزعم هنا أن قادىروف كان أول شخص بالشيشان أهله موقعه، أن يتعامل مع هذه العناصر الأساسية ويوجهها بالفعل لبناء المجتمع. ويغض النظر عن درجة النجاح أو الفشل فى التعامل معها. فقد أهله ذلك للفوز بها حظى به من شعبية، سواء على مستوى شعبه، أو من قبل الرئيس الروسى.

قبل مجىء قادىروف كان هناك فراغ سياسى، استغله جنرالات الحرب المحلىين والقادة العسكريون، وعصابات مختلفة، قامت باستغلال قوتها ونفوذها لتحقيق مطامع شخصية.

كما استغل هؤلاء أيضا الغياب شبه التام لممارسة أية أنشطة اقتصادية شرعية في منطقة الحرب في تحقيق ثراء شخصي لأنفسهم ولأتباعهم. وكان من الطبيعي، وفي ظل هذه الأجواء، من غياب الأمن والنظام، أن يلجأ هؤلاء إلى حماية مصالحهم السياسية والاقتصادية بقوة السلاح.

وقد ساهم غياب أية آلية لتطبيق القانون، في تكريس ممارساتهم لأعمال السلب والنهب على سجيبتهم. إن غياب القانون أدى إلى أن يتولى أمور الشعب الشيشاني عصابات يمكن أن نطلق عليها اسم «مقاوى العنف» (روسل، ص ١١٠-١٣٠، ٢٠٠٧) دفعتهم أطماعهم الجارفة وبعض العناصر في عقيدتهم إلى المتاجرة بأقوات الشعب الشيشاني. (انظر: الجدول ٢، ١٢).

لقد نجح قادىروف فى إقامة نوع من التوازن بين عنصرى «الحاجة» لدى الشعب «وأطماع» النخبة الحاكمة. أما «العقيدة» ومكوناتها فقد تم توظيفها بشكل تبادلى وتراكمى بين العنصرين السابقين. وكل عنصر من هذه العناصر، حقيقة الأمر، كانت له فعالية وقوة فى التأثير على ظروف هذا النزاع المروع بين الروس والشيشان.

إن التراث الثقافى الشيشانى يذخر بـقصص المقاومة الشيشانية للمستعمر الروسى على مدى ثلاثة قرون (روسل، ص ١٧-١٨، ٢٠٠٧). وقد عرف عن الروس شرastهم فى الرد على المقاومة الشيشانية. مما أفضى إلى ترحيل جبرى جماعى لأمة شيشانية كاملة إلى سيبيريا وكازخستان عام ١٩٤٤.

(جدول ١، ١٢) التقابل بين الحاجات والمطامع فى الشيشان

المطعم	الحاجة
النفوذ الشخصى	القوة السياسية
التربح الشخصى	الفرص الاقتصادية
القوة وليس الحق	المجتمع الآمن
القوة وليس الحق	دولة يحكمها القانون

(الجدول ٢, ١٢) مكونات العقيدة التي أحسن قادиров استثمارها بالشيشان

العقيدة
إرث الشيشان الثقافي
القومية الشيشانية
العرقية الشيشانية
الصوفية

وقد أدت الممارسات اللإنسانية الروسية إلى إشعال جذوة مقاومة جماعية عنيفة من جانب الشعب الشيشاني ضد الروس. وعلى الجانب الآخر، فإن التراث الثقافي الروسى، قد فاض بخصص المهمة الحضارية السامية «للأمة الروسية العظيمة» منارة الحضارة التي تجاهد ضد ظلمات التخلف، وتعمل على نشر أصول الحضارة والتمدن في أقاليم جبلية نائية ووسط قبائل متخلفة. تعيش في غياهب الجهل. وبهذا المنطق، فإن مقاومة هذه الشعوب للتحضر الروسى، هو أكبر دليل على تخلفها.

وقد تجلت عبقرية قادиров في إقامة التوازن الصحيح بين طرفي هذه المعادلة الصعبة. أى ادعاء حقيقة هذا الزعم الروسى، مقابل المطالبة بحصول الشعب الشيشاني على تعويض سخى على ما اقترفته القوات الروسية في حقه من فظائع متعددة. وبهذا تمكن قادиров من أن ينزع فتيل الكراهية التي ملأت قلوب الشعب الشيشاني تجاه الحكم الروسى البغيض. وجدير بالذكر أن خطط القتل الجماعى، التي لجأت إليها القوات الروسية، في الشيشان، قد أسهمت في تعميق الشعور القومى لدى الشعب الشيشاني بأهمية هويته العرقية، وأضعفت في ذات الوقت من ارتباطه بالهويات الأخرى، التي كانت تعيش وقتذاك على أرض الشيشان ومنها الهوية الروسية. ومن المفارقات أن مطالبة شعب الشيشان بحقه في تكوين «الأمة الشيشانية» يعتبر مطلباً حديثاً. وقد نبغ غالباً من عقدة مقارنات بالأمم الأخرى التي عانت ويلات الاستعمار، وكافحت حتى نالت استقلالها. وعلى الجانب الآخر فإن مفهوم «الأمة الروسية»، يعتبر مفهومًا

ملتبساً، غير واضح إلى حد كبير. إذ إنه بالنسبة للبعض يمثل الأمة الروسية ذات العرق النقي الخالص، بينما هو بالنسبة للبعض الآخر، الأمة الروسية ذات النفوذ القوى التي تحكم قبضتها الاستعمارية على مواطنيها من مختلف الهويات الذين يندرجون تحت الاتحاد الروسى الفيدرالى، وليس بالضرورة من ذوى العرق الروسى، (كما هو الحال بالنسبة للشيشان). وقد لعب قادىروف دوراً مهماً وواضحاً فى التأثير على قوة الارتباط بالهوية الشيشانية، ووجه بوصلتها إلى الاعتدال. حيث وافق الشعب الشيشانى على أن يستمر كجزء من الاتحاد الروسى. ناهيك عما حققه هذا الاعتدال من جانب الشيشان، من تعزيز وتكريس لطموحات روسيا فى تكوين أمة روسية عظيمة تحكم قبضتها على شعوبها كافة. وذلك بالطبع على حساب استقلال الشيشان..

ولكن من ناحية أخرى، ورغم ما تحقق للشعب الشيشانى على يد قادىروف، فإن غالبية الشعب ينتقد سياساته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويتهمونه باتباع سياسية تنسم بحرية التصرف المطلق داخل الشيشان لتحقيق مصلحته أو مصلحة أتباعه. ولا يخفى أن مثل هذه السياسة لا تنظر إلى الأمد البعيد، كما أنها بالتأكيد ليست بالوصفة المثالية لتحقيق الاستقرار. وقد حذر سفانت كورنيل (كورنيل، ٢٠٠٢) فى كتاباته عن هذه المنطقة قائلاً:

إن محاولة تجنب النزاعات العرقية من خلال اتباع سياسة تنازل أو تفويض من السلطة المركزية إلى السلطات المحلية، متعددة العرقيات، أمر مشكوك فى صوابه، بل قد يؤدى إلى نتائج كارثية. إن العثرات المعروفة للاتحادات الفيدرالية ذات العرقيات المتعددة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند صياغة سياسات صالحة للتطبيق فى مجتمعات متعددة العرقيات. (ص ٢٧٦).

يعتبر تدخل الدين فى الصراعات المحتدمة بين الدول شيئاً مألوفاً؛ لذا فإن دخول الدين فى هذا الصراع الروسى الشيشانى، لم يكن استثنائياً. ولكن ما استطاع قادىروف،

بحنكته المعهودة أن ينجزه حقيقة الأمر، كان تغيير اتجاه الإسلام في هذه المنطقة، من الاتجاه الوهابي المتشدد، الذي اتسمت به المقاومة الشيشانية تحت قيادة بازاييف (فاشاجيف، ٢٠٠٥) إلى اتجاه الصوفية وممارساتها التقليدية. (سوليومانوف، ٢٠٠٥)، ولكن على الرغم من قدرة الصوفية على مقاومة النظام السوفيتي التطفلي، بمهارة فائقة، فإنها قد عجزت عن صد أمواج حروب القوات الروسية الفيدرالية العاتية. وذلك على العكس من الوهابية المتشددة، التي كانت من خلال العمليات الانتحارية المبررة والمباحة، والمسلحة بعقيدة الجهاد، تصد موجات القتال الروسى العنيف فتعادها بفاعلية وكفاءة عالية. ومن هذا المنطلق، ولولا قدرة قادиров على إقناع القوات الروسية بضرورة تقليص عمليات القتال المسلح في هذا النزاع، لما وجد الشيشان على الإطلاق سبيلا ممكنا للعودة لممارسة عقيدتهم الإسلامية الأولى التي كانوا قد درجوا عليها.

وفي مثل هذا النوع من النزاعات أو الصراعات غير متوازن القوة بين الجانبين. كان من الطبيعى أن يلجأ الشيشان إلى العمليات الانتحارية كرد فعل يراده به معاقبة الجانب الروسى على القصف الجوى والمدفعى غير العادل، الذى أزهق أرواح المدنيين العزل والمقاتلين على حد السواء ودون أدنى تمييز. (انظر: الجدول ٣، ١٢). ومن ناحية أخرى فإن قسوة الاستعمار الروسى، قابلتها على الجانب الآخر، عزيمة لا تقهر من جانب الشيشان بضرورة الحصول على استقلالهم. هذه العزيمة، فاقت في قوتها رغبة المستعمر الروسى في البقاء. هنا تجسد إنجاز قادиров، في قدرته على تقليص التأثير السلبي للإستراتيجيات الروسية القتالية والاستعمارية، واحتواء الموقف بشكل أدى إلى إضعاف الحاجة إلى اتباع ممارسات متشددة أو متطرفة من الجانب الشيشانى كرد على التعنت الروسى.

وباختصار، فقد كان إنجاز قادиров المشهود له، هو قدرته على تحقيق دمج ناجح بين «الحاجة» و«الأطماع». فسلطته كانت السلطة الوحيدة التى ملأت فراغ غياب

سلطة الدولة. ومن ناحية أخرى، فإن سيطرته على المكاسب الشخصية لأبناء شعبه، قد حمت تلك المكاسب من النهب والسلب على يد القوات الروسية. وبيع بعض الحيل والمهارة، تمكن قاديروف، من إقناع شعبه، أن سياساته تصب في مصلحة الجميع. فتمتع المجتمع الشيشاني بالأمان النسبي .

وأتباع قاديروف كانوا أكثر المستفيدين بطبيعة الحال. أما مناهضوه فغنى عن القول أنهم لم يشعروا قط بالاستقرار. وبعبارة موجزة، فإن القوة قد سيطرت على الحق أو العدل. إلا إذا اعتبرنا- كما يعتقد أتباعه، أن حكم قاديروف هو الحق بعينه. كان هناك إذا حكم بالشيشان، ولكن مع غياب واضح للدولة الديمقراطية التي يحكمها القانون.

ومن النقاط الملحوظة، وبعد أكثر من عقد من حرب ضروس، عاتية، وبرغم التعامل مع حاجات وحقوق المواطنين الشيشان بشكل ينقصه العدل أو الديمقراطية، فإن أغلب المواطنين يفضلون حالهم أثناء حكم قاديروف، عن العقد الذي سبقه، والذي عمته القسوة وانتشرت في ربوعه الفوضى.

ولكن جدير بالذكر، أن غياب الحل السياسي الدائم المبني على التفاوض، كالذي حظت به منطقة أيرلندا الشمالية، على سبيل المثال، من خلال جهود الوساطة (بلانك ٢٠٠١، بوجوران وزولداتوف، ٢٠٠٧) ينذر بقرب تحول سياسى فى هذه المنطقة. ربما يكون أقرب، هذه المرة، من الوضع الذى عرفته الشيشان، قبل مجيء قاديروف.

(جدول ٣، ١٢) العقاب والإنكار فى الحروب غير المتوازنة

العقاب	الإنكار	
اجتياح جوى وقصف مدفعى	الاحتلال	الجانب القوى لدى روسيا
الانفجارات الانتحارية	الحرية	الجانب الضعيف لدى الشيشان

حرب النزاعات الأربعة

لقت إدارة بوتين، الحرب الروسية الشيشانية الثانية «بعملية ضد الإرهاب»، وذلك على سبيل التجميل. إلا أن هذا التضليل وتلك المغالطة لم تنطل على كثيرين. فالأمر يعتبر تبسيطا مبالغاً فيه لواقع الحرب الروسية الشيشانية. وكان لذلك تأثيره ولاشك، خاصة بعد ٩/١١ في تضليل الرأي العام الغربى والروسى على حد السواء. وإبعاده عن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع. (روسل، ٢٠٠٥).

لقد تعرفت على أربعة نزاعات، جرت بشكل متزامن داخل إطار الحرب الروسية الشيشانية. (انظر: الجدول، ٤، ١٢). وغنى عن القول، إن التأثير الذى تمتع به قاديروف طوال فترة حكمه القصيرة، قد غير بشكل عظيم من طبيعة هذه النزاعات الأربعة داخل الحرب الشيشانية الروسية.

(جدول ٤، ١٢) أربعة نزاعات روسية شيشانية

اسم	أصل النزاع	مقارنات
١- ثقافية	تحديث روسيا مقابل شيشان تقليدية.	أبوريجينيز، إسكتلنديين هايلندرز، إينويت، مواطنين هنود أمريكيين، روما
٢- استعمارية	الاستعمار الروسى مقابل حق الشيشان فى تحديد المصير	الجزائر، تيمور الشرقية، إستونيا، كوسوفو، التبت.
٣- النفق المظلم لغياب القانون	القوة فوق الحق الجريمة والفساد.	أفغانستان، العراق، لبنان السودان.
٤- العولمة	الحرب على الإرهاب الشعال ضد الجنوب، العالم ضد الجهاد.	أفغانستان، العراق، باكستان فلسطين.

وعلى الرغم من اعتزاز قادиров بهويته القومية، فإنه كثيرا ما كان يظهر بين العامة مرتديا القبعة البحرية الشيشانية التقليدية. (وهو ما لم يفعله ألكالوف، خليفته في الحكم إلا نادرا)^(١)

وكان قادиров عاشقا لمظاهر الحياة الفخمة والمرفهة. كما امتلك معرضا للحيوانات غير المألوفة. كالنمر الذي ظهر معه في عدة صور. إلى جانب امتلاكه لأسطول من السيارات المكشوفة الفاخرة، ناهيك عن القصور الفخمة التي كانت بحوزته في بتسنتر وجودرمز. كما كان راعيا بشكل شخصي لمسابقات اختيار ملكات الجمال^(٢). واستضاف قادиров شخصيات عامة ومشاهير، أمثال بطل الملاكمة في الوزن الثقيل، مايك تايسون^(٣). من هنا يتضح عشقه للبريق والحياة الفخمة كالمشاهير. وقد كتبت جريدة الإيكونوميست (٢٣ مايو ٢٠٠٧) تصف هذا الطراز الواضح في حفلاته. كما لوحظ أنه كان حريصا على التمسك بالتقاليد الشيشانية والإسلامية على حد السواء. إذ ألغى ماكينات القمار، كما دافع عن تعدد الزوجات وارتداء الحجاب. وقد يشهد الجامع الذي شيده بجروزني ويعد أضخم جامع في أوروبا (ولش ٢٠٠٥) على حرصه على نشر تعاليم الإسلام.

وقد تمكن قادиров، من خلال الموافقة على بقاء الشيشان كجزء من الاتحاد الفيدرالي الروسي، من تجميد الصراع الاستعماري المستعمر بين الجانبين في هذه المنطقة. على الأقل في المدى القصير.. كما تحقق له أيضا وكمكافأة له من قبل الرئيس الروسي بوتين، قدر، ولو قليلا من الحكم الذاتي على الشيشان، لم يكن ليحلم به أى حاكم من الأجيال التي سبقتة. ولكن جدير بالذكر أن هذه الصفقة بين الجانبين، لم تحظ بشعبية كافية بين بعض

(١) صورة لقادиров يرتدي قبعة بحرية وبجانبه يقف ألكانوف ذو اللحية. انظر: كوميرسنت ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥. وقد ارتدى قادиров نفس القبعة أثناء احتفاله بفوز روسيا بالكأس في مباراة كرة القدم. انظر: تيرك جروزني في مايو ٢٠٠٤. كما ظهر واقفا بجانب بوتين أمام قبر والده (وبحضور ألكانوف) ٢٣ أغسطس ٢٠٠٤.

(٢) أول ملكة جمال تتوج بالشيشان، أخبار موسكو، ٢٨ مايو ٢٠٠٦

(٣) الترحيب بالملك تايسون بالشيشان، أخبار BBC ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥.

القادة العسكريين والسياسيين، الذين كان قاديروف قد قاد ضدهم حربه الأولى، لبسط نفوذه على الشيشان. كما انتقدت الصحافة الروسية أيضا هذا الطرح، متشككة في استمراره طويلا، خاصة بعد رحيل الرئيس بوتين في مايو ٢٠٠٨. ولقبته «بالانفصال الشيشاني تحت راية العلم الروسى» (ماركيدونوف، ٢٠٠٦) ومن أسباب التشكك أيضا (درجة الاستنزاف التى تعرض لها رؤساء الشيشان الذين سبقوا قاديروف). ولا يخفى أن أساس ما وصل إليه النزاع بالمنطقة أو ما عرف «بالنفق المظلم»، نتيجة غياب القانون» كان بسبب تبني أغلب القادة العسكريين الروس والزعماء السياسيين الشيشان، إلى جانب المعارضة الشيشانية بكل طوائفها، سياسة من شأنها تكريس استمرارية الحرب. وذلك على حساب معاناة المواطنين المدنيين. وكان قاديروف وباحتكاره لكل العمليات التى تجرى على أرض الشيشان الشرعى منها وغير الشرعى، قد قلص كثيرا من الحاجة إلى استمرار النزاع. ولا بد أن مخاوف قاديروف الأساسية كان مكمناها إمكانية نقوص الجانب الروسى عن وعوده السخية، بتعويض الشيشان عما لحق بها من خسائر فادحة جراء حرب استمرت عقدا كاملا من الزمن. وذلك فى حالة فشله فى كبح جماح الإرهابيين الشيشان ووقف عملياتهم باهظة الثمن. وعلى الجانب الآخر، فبدون الحصول على الاستحقاقات التى وعد قاديروف بانتزاعها من الروس، فإن التنازل عن الحرب والجهاد يصبح مجرد حديث أجوف، يستحيل تحقيقه على أرض الواقع. مما يقلص بدوره، من فرص استتباب الأمن والسلام الحقيقى فى هذه المنطقة من العالم فى المدى القريب.

على أن أكبر تحول حدث فى الواقع، كان مرتبطا فى الأساس بالعمولة. قبل ظهور قاديروف، ارتبط هذا التحول بثلاثة عناصر رئيسية، العمولة التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، والحرب على الإرهاب، ولغة الخطاب التى سيطرت على الولايات المتحدة على خلفية أحداث ٩/١١ ومفادها «أن من ليس معنا فى حربنا ضد الإرهاب فقد اختار أن يكون ضدنا». وقد اختارت روسيا أن تنحاز إلى الجانب الغربى بينما انحاز الشيشان أولا وبشكل واضح إلى الجانب الآخر. إلا أن الأمر ما لبث أن تغير، إذ اتفقت

روسيا بزعامة بوتين والشيشان بزعامة قادиров على أن يكونا في معسكر واحد منحاز للغرب. ولكن يبدو أنه لم يكن بالانحياز القوي. إذ أظهر استطلاع للرأى أجرى في روسيا عام ٢٠٠٧، أن ما يقرب من ثلاثة أرباع الشعب الروسى، قد اختار طريق «التنمية الأوروبية الآسيوية»^(١).

ويبدو أن أسلوب إدارة بوتين قد حسم الأمر ووجه دفة اختيار الشعب في اتجاه أسلوب أكثر ديمقراطية كالنظام الديمقراطي الأوروبي. ومن تلك الأساليب، ذلك الضغط الذى مارسه إدارة بوتين والمتمثل في التلويح بسلاح الطاقة بشكل واضح وصريح، إلى جانب سيطرتها على العملية الانتخابية، بالإضافة إلى سلسلة الاغتيالات التى ارتكبتها ضد مشاهير الصحفيين ورموز المعارضة، كاغتال أنا بوليوفيتسيا، وألكسندر ليتفينينكو. أما في الشيشان، فقد أصبحت شخصية قادиров، بكل ما ترمز إليه من نفوذ وشعبية، تذكر الشعب الشيشانى برموز مثل ستالين أو صدام حسين، أكثر منها بشخصية تصلح للقيادة في القرن الحادى والعشرين. (ماركيدونوف، ٢٠٠٧)

ومع ذلك، ورغم ما يمثله نموذج قادиров من حكم سلطوى مطلق، يناقض بشكل واضح ديمقراطية حكام أوروبا وأمريكا، فإن التاريخ يشهد على أن العالم الغربى قد تكيف مع حكام ديكتاتوريين تفوقوا على قادиров في سلطويتهم وحكمهم المطلق. ولم يكن الحال مختلفا في روسيا. إذ وصلت شعبية بوتين في استطلاعات الرأى العام في يوليو ٢٠٠٧ إلى ٨٥٪^(٢). مما يعد شهادة على أن الديكتاتورية كانت مقبولة بل ومحبذة في روسيا في ذلك الوقت. فضلا عن أن إحياء الذكرى الخمسين لوفاة ستالين بروسيا في مارس ٢٠٠٣، قد أثبت أن نظرة الشعب الروسى إلى فترة حكمه كانت إيجابية، إذ أظهر

(١) تم الحصول عليها في ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru/press/200708100.html

(٢) تم الحصول عليها في ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru/prezident.html

استطلاع للرأى العام الروسى أن ٥٣٪ من الشعب يعتبر أن مساهمته فى تنمية البلاد كانت إيجابية^(١). أما فيما يخص قادىروف، وما أثير وشاع عن فترة حكمه بالشيشان، فما جاء على لسان صحفى روسى (ألىنوف، ٢٠٠٧) يوجز الوضع فيما قل ودل، إذ أكد «أن الشيشان تعشق رمزان قادىروف».

معركة العقول والقلوب

بالطبع لم يكن قادىروف يتوقع نفس القدر من الثقة والمساندة من جانب المواطنين الروس: إذ أظهر استطلاع للرأى أجراه مركز ليفادا فى يناير ٢٠٠٧ أن ٣٥٪ من الروس لا يثقون به فى مقابل ٣٣٪ أكدوا أنه أهل بالثقة بينما امتنع ٣٢٪. وفى نفس الاستطلاع جذب ٧٠٪ ضرورة البدء فى مفاوضات السلام. بينما صوت ١٦٪ فقط لصالح استمرار حالة الحرب^(٢).

(الجدول ٥، ١٢) إستراتيجيات مكافحة الإرهاب والرسائل المستخدمة بالشيشان:

الرسالة	الإستراتيجية الرسالة
«سوف نطاردهم ونقضى عليهم أينما وجدوا»	(أ) الوسائل العنيفة ضد الإرهاب
«سوف نرهبهم بكل الوسائل»	استئصال
	مكافحة
«سوف نكسب العقول بعزل المتطرفين منهم»	(ب) الوسائل غير العنيفة
«سوف نكسب العقول بعزل المتطرفين منهم»	الاحتواء
	أسباب متأصلة

(١) تم الحصول عليها ١٤ أغسطس ٢٠٠٧ من www.levada.ru/press/2003030400.html

(٢) تم الحصول عليها ١١ مارس، ٢٠٠٧ من www.levada.ru/press/2007030702.html

ولم يكن بالغريب أن يشعر الروس بعدم الارتياح تجاه اتفاق يجمع بين الشيشان والمقاتلين الروس الذين خاضت قواتهم المسلحة أعنف المعارك ضدهم، وذلك في إطار حربين متتاليتين.

أما في الشيشان، فقد كان الأمر مختلفا، إذ طبقا لما كتبه المعلق السياسى الروسى يوليا لاتينيا في يوم عيد ميلاده الواحد والثلاثين (لاتينيا، ٢٠٠٧). فقد كان قادиров يفهم ويعى جيدا، قوانين اللعبة داخليا أكثر ممن سبقه من حكام أو من الروس الذين كانوا قد تعهدوا بتضميد جراح الشعب الشيشانى وتعويضه ما تكبده من خسائر فادحة في أعقاب الحربين السابقتين. وفي نفس الوقت ما كانت قوات قادиров، الملقبة بالقديروفسكى، لتدك أعناق الشعب الشيشانى بلا تمييز بين ثوار أو مواطنين على الطريقة الروسية بزعم مطاردة الإرهابيين. كما كان يحدث في الماضى، قبل الاتفاق مع قادиров. ويظهر ذلك من الجدول ٥، ١٢، حيث كان الروس يلجؤون بشكل منهجى للطرق والوسائل العنيفة لمكافحة الإرهاب ولا يستخدمون إلا في القليل النادر، الوسائل اللينة التى كان يمكنها أن تكسبهم حب وتفهم المواطنين الشيشان. (ستيانوفا - ص ٨ - ٢٠٠٣).

ولا تعتبر روسيا بأى حال استثناء على القاعدة، بل إنه في أغلب الأحيان يقود كثير من الدول الحديثة معارك إستراتيجية عنيفة وغير متوازنة ضد من تريد أن تطلق عليهم «إرهابيين». (روسل، ص ١٠١ - ١٠٢ - ٢٠٠٧). ومن الخسائر الجانبية لتلك الحروب إصابة المدنيين أو قتلهم أو تشريدهم. ولكن من المفارقات، أن يندفع هؤلاء في أحضان نفس العدو الذى قاد الحرب ضدهم طلبا للحماية.

ولاشك أن فشل روسيا في التمييز بين المقاتلين الشرعيين والمتطرفين الإرهابيين، وكذلك بين المقاتلين عموما والمواطنين المدنيين، قد ساهم بشكل فعال في إشعال فتيل الكراهية ضد المستعمر الروسى من جديد. ناهيك أن الحصانة التى تمتع بها القادة العسكريون الروس ممن كانوا جديرين بلقب مجرمي الحرب، من قبل السلطات

الفيدرالية الروسية، قد حولت أكثر المتعاطفين مع قادة الكرملين الروس إلى عكس ذلك تماما. حيث عبروا عن سخطهم وتذمرهم. مثل الرئيس ألو ألكانوف (روسل - ص ١٠٤ - ٢٠٠٧).

ولا يمكن أن نزعم أن قاديروف لم يلجأ إلى استخدام وسائل العنف ضد الشيشان في بعض الأحيان لتثبيت نفوذه. إلا أنه لم يكن يبالغ في ذلك. كما لجأ على التوازي، كثيرا إلى أسلحة أكثر فاعلية في احتواء المواقف وكسب شعبية المواطنين الشيشان. ولا شك أن قاديروف كان يستخدم وسائل لقمع المعارضين ضده. ولكنه كان يميز بينهم وبين بقية شعب الشيشان.

وكذلك مما أكسب قاديروف شعبية مواطنيه، قراره بعودة المسجونين الشيشان إلى أرض الوطن لاستكمال فترة حبسهم. بالإضافة إلى قدرته على تقليص ممارسة أنشطة السلطات الروسية الوحشية. والتي كانت تمارس من خلال ما عرف بمكتب العمليات ORB-2. مما نال عليه استحسان المواطنين وأكسبه مساندة واسعة المجال. (لبيهي، ٢٠٠٦).

وكانت من أكثر إنجازات قاديروف تأثيرا، قدرته على اجتذاب عدد كبير من الشيشان المسلحين الذين كانوا أولا مقاتلين في صفوف المتمردين، كما هو الحال بالنسبة له شخصيا، إلى صفوف فرقته المعروفة بالقديروففسكى. ومع غياب القانون بالكامل، كما كان الحال بالشيشان، فإن هؤلاء كانوا يتمتعون بقوة القانون ويتحكمون في مصائر المواطنين العاديين بالشيشان على المستوى اليومي. وقد أقنع قاديروف قواته، أن حصوهم على ٥٠٠ دولار شهريا، يوفر لهم الأمان الجسدى والمادى في الوقت ذاته. وهو ما لا تستطيع المعارضة أن توفره لهم. (فورونوف، ٢٠٠٦). إلا أن التعويل على معارضين سابقين يشكلون ما يقرب من نصف قوات قاديروف (NewsSru.comK 2005) إلى جانب اشتراطه أن يحلفوا يمين الولاء له شخصيا وليس لبوتين، قد أثار تشكك وريبة بعض المعلقين الروس كروتيكوف (٢٠٠٦).

فضلا عن ذلك، فقد وضع قاديروف نفسه في موقف يمكن أن يفقده كثيرا من محبة شعبه وينال من سمعته. ذلك أنه قد انتهج سياسات تفضيلية سياسية، إلى جانب احتكاره الاقتصاد. فقد أظهر تفضيلا واضحا، مثلا لشيشان الشرق الممتين لنهر أرجون عن شيشان الغرب رغم شهرتهم بالذكاء (نوفوستاي ٢٠٠٦)، كما أنه أظهر تأييدا لطريقة القدرية، الشعبية، مفضلا إياها عن الطريقة النقشبندية وهي أكثر اعتمادا على «العقل» من بين الطرق الصوفية.

وفي نفس الوقت، فقد تجمعت له مبالغ كبيرة جراء التعويضات والإعانات التي تكفل بها الروس، مما جذب استثمارات ضخمة من أسر شيشانية ثرية تعيش خارج الوطن، بالإضافة إلى ما توفر لصندوق أحمد قاديروف من مساهمات. وقد استغل قاديروف هذه الأموال في إعادة بناء البنية التحتية بالشيشان (فولر ٢٠٠٦). إلى جانب أنه سيطر بشكل كامل على هذه الأموال، وكل العاملين في القطاع العام. ولكن السؤال الذي كان يطرح نفسه، في ذلك الوقت، كان يتعلق بالذين كانوا خارج منظومة الاحتكار الاقتصادي أو السياسي، وبالتالي بعيدا عن دائرة قاديروف. ممن تم استغلالهم ولكنهم لم يستفيدوا كالأخرين. هؤلاء لم يعرفوا إلى متى تستمر أوضاعهم المتردية؟ أسئلة لم تكن لتجد حلا واضحا آنذاك.

أهداف وإستراتيجيات

يبدو من (الجدول ٦، ١٢) أن وصول قاديروف إلى السلطة قد تزامن مع قرار اختيارات إستراتيجية أساسية في الشيشان وروسيا، بل والمجتمع الدولي. ورغم أن مسئولية مقاومة المقاتلين الانفصاليين الشيشان قد تم تفويضها إلى القادة الشيشان المؤيدين للجانب الروسي (روسل، ٢٠٠٧-٨٢-٨٨) وقد أعلن عنها منذ ١٩٩٥ (فولر، ٢٠٠٤)، فإن هذا الإجراء لم يأخذ حيز التنفيذ قبل منتصف عام ٢٠٠٠. حينما وجد الرئيس بوتين، وقد كان الرئيس المنتخب الجديد لروسيا، أن أحمد قاديروف هو أكفأ من يضطلع بتلك المسئولية.

وفي الأحوال العادية، أى في ظل مجتمع ديمقراطى، تنعم فيه وسائل الإعلام بالاستقلالية والحرية، كان المجتمع سيتساءل بشأن اتجاه سياسة بوتين، والأسباب التى دفعته إلى منح الشيشان حكما ذاتيا بعد الخسائر الفادحة التى تكبدها الجيش الروسى على يد المتمردين الشيشان بسبب حرب استمرت بينهما عشر سنوات كاملة. إلا أن الواقع بروسيا كان حتما مختلفا. فالشعب لم يكن يستشار تحت حكم بوتين السلطوى المطلق. ومع ذلك فقد بدا الشعب راضيا بسياسة بوتين إذا كانت ستسفر عن تقليص العمليات الإرهابية الشيشانية أو الهجمات الانتحارية.

الجدول ٦، ١٢ الأهداف والإستراتيجيات بالشيشان

الأهداف	الإستراتيجيات
الروسية	حصول الشيشان على أراضيهم
الحفاظ على سلامة الأراضي	
الشيشان:	
التخلص من التأثير الروسى بالشيشان	الحركة الانفصالية
المجتمع الدولى:	
الاستقرار بالمنطقة	الحل السياسى

ورغم ذلك فقد كان هناك بعض الأصوات المعارضة لسياسة بوتين فى الشيشان. والى أفصححت عن آرائها بشجاعة (ساكوف، ٢٠٠٥):

متسائلة عما يجمع بين الشيشان تحت حكم قادىروف ونظام روسيا أو قانونها؟ ولماذا إذا تم التضحية بآلاف من الأرواح فى عمليات استمرت سنة كاملة لمكافحة الإرهاب بالشيشان؟

وقد عقب أحد مشاهير المعلقين السياسيين بروسيا (رميزوف، ٢٠٠٦) على النظام الذى يحكم به قادىروف الشيشان، معتبرا أنه نمط من «الإقطاع المتطور». محذرا من

كونه ظاهرة توسعية بالأساس تكشف عن نفسها في تركيز كل مقاليد الحكم والقوة في يد القائد. كما أن ذلك قد شجع بوتين من ناحية أخرى على استغلال ما يتمتع به قاديروف من قوة ونفوذ وشعبية في تحجيم المعارضة الإسلامية وجعلها أكثر سلمية، وذلك في منطقة شمال القوقاز.

وفي نفس الوقت، فإن الوعود التي قطعها قاديروف على نفسه تجاه شعبه، باسترداد الأراضي الشيشانية المحتلة من أيدي الروس، قد اتفقت حقيقة الأمر، مع الاتجاه الروسي. فالجالية العرقية الروسية قد تركت الشيشان بشكل يكاد يكون كاملاً. فضلاً عن أن العداء المحتدم بين الجانبين، والكراهية الروسية تجاه منطقة القوقاز بالكامل، وهو ما يعتبر نوعاً من العنصرية المعلنة، فضلاً عن الخوف من العنف، قد ساهم في أن تفقد الشيشان - تحت حكم قاديروف - جاذبيتها بالكامل في نظرهم. كل هذه الأسباب مجتمعة، تؤكد عدم عودتهم، على الأقل ليس بأعداد كبيرة إلى هذه المنطقة من جديد.

إن تحقيق الحلم الشيشاني باسترداد الحكم الذاتي بقيادة زعيمهم قاديروف، قد اتفق مع الهدف الروسي للمحافظة على سلامة الأراضي الروسية، الذي يتحقق من خلال الإبقاء على الشيشان داخل الاتحاد الفيدرالي الروسي. ومن هنا كان الثمن الذي دفعته روسيا لتحقيق أهدافها، ثمناً بخساً، مقابل ما حصلت عليه. وتلخص في إقرار إستراتيجية قاديروف الانفصالية ومنحه حكماً ذاتياً على الشيشان، بالإضافة إلى إطلاق يده اقتصادياً أيضاً. مما وطد أركان مملكته وحقق له ما تمنى من نفوذ وقوة. وقد اتفق تحقيق المصلحة المشتركة للجانبين الروسي والشيشاني مع مصلحة المجتمع الدولي أيضاً، الذي أقلقه النزاع الروسي الشيشاني المستعر. إلا أن المجتمع المدني الغربي قد أدهشه هذا الاتفاق، وتساءل: ألم يكن من الأجدي والأسلم الوصول لمثله منذ عقد من الزمان قبل اشتعال جذوة الصراع الذي أودى بحياة مئات الألوف، ناهيك عما تسبب فيه من هجرة جبرية وخسائر مادية فادحة، وزعزعة الاستقرار في المنطقة بآثارها؟

إن التعليق الذى كتب بمجلة الإيكونومست (٢٤ فبراير - ٢ مارس ٢٠٠٧) تعقيا على حصول قاديروف على حكم ذاتي على الشيشان يكشف الموقف بوضوح:

إن التقدم الاقتصادى الذى تحقق لروسيا بقيادة بوتين وللشيشان بقيادة قاديروف، قد تحقق على حساب تفشى الفساد وغياب القانون وسيادة الضبابية. إن النظامين قد قاما على أساس حكم أشخاص. لذا فرغم قوتها الظاهرة، فإنهما يندران بزعة الاستقرار وغياب الأمان.

سياسة قاديروف العنيفة

طبقا لجدول أليكس شميدت الذى يصور «الأطياف المتعددة للمشهد السياسى» فإن الموقف بالشيشان قبل تقلد قاديروف لمقاليد الحكم. (جدول ٧, ١٢) يقع بوضوح فى منطقة «العنف السياسى»، بل فى بعض الأوقات يعتبر حالة حرب (حوادث قصف جروزنى عام ١٩٩٥ و ١٩٩٩) وبتطبيق تحليل شميدت، فإنه كان من المتوقع نتيجة تطبيق روسيا لسياسة دولة الإرهاب، إلى جانب ممارسات التطهير العرقى الممنهج وسياسة الحرب الداخلية والعدالة السياسية، كان سيقابلها حتما من الجانب الشيشانى، عمليات إرهابية واغتيالات، بالإضافة إلى تدمير مادی وحرب عصابات. ولكن بعد أن تولت قوات قاديروف عن القوات الفيدرالية الروسية عملية كبح جماح المتمردين، خمدت جذوة العنف المشتعل إلى حد بعيد. حيث أصبحت الأساليب المتبعة فى القتال أكثر انتقائية بعد أن كانت جائزة وغير تمييزية. وفى ظل هذه السياسة الجديدة اختفت حالة الحرب السائدة. ولكن جدير بالذكر أن حكم قاديروف قد شابه كثير من العنف تمثل فى فرض شكل من أشكال الدولة الإرهابية فى بعض الأحيان، ومن ذلك ممارسة الاغتيالات والعنف القمعى ضد أعدائه.

أما المعارضة، فمنذ موت بازيف قد تحولت من ممارسة العمليات الانتحارية و«الإرهابية» إلى نوع أكثر انتقائية من الإرهاب، مع احتفاظها ببعض من عناصر حرب العصابات.

الجدول ٧, ١٢. «الأطراف المتعددة للمشهد السياسى» لشميدت. وقد تم استخدامه

بإذن من نيلور وفرانيسيس: شميدت، ص ١٩٩ - ٢٠٠٤:

حالة السلام	
فاعلو الدولة	فاعلون من خارج الدولة
السياسة التقليدية	
١- حكم القانون (الحكم التقليدي الذى يستمد شرعيته من قوة التقاليد والإجراءات الدستورية)	سياسة المعارضة (تكوين لوبى يجمع بين أصحاب النفوذ، تكون المعارضة فى الصحافة والأحزاب، والتجمعات، والمنافسة الانتخابية رفع الدعاوى، استخدام المحاكم للنضال السياسى)
السياسة غير التقليدية	
٢- السياسة القمعية (التحكم فى العملية الانتخابية، فرض الرقابة، التحرش، التمييز، اختراق المعارضة، سوء استخدام قانون الطوارئ)	الحركة غير العنيفة (الاحتجاج الاجتماعى لإقناع الحكام والجماهير، المظاهرات لإظهار تأييد الجماهير، عدم التعاون، العصيان المدنى وغيره من أشكال الحركة غير العنيفة)
سياسة العنف	
٣- العنف القمعى للسيطرة على قوة الدولة	استخدام القوة لتحدى قوة الدولة
٣-أ. (العدالة السياسية. السجن السياسى)	التدمير المادى
٣-ب. الاغتيالات	الاغتيالات (الاغتيال السياسى الفردى)
٣-ج. إرهاب الدولة (التعذيب، فرق الموت، الاختفاء - معسكرات التعذيب)	الإرهاب (الاغتيال السياسى غير الفردى)
٣-د. المذابح	المذابح
٣-هـ. الحرب الداخلية	حرب العصابات
٣-و. الحرب العرقية/ التسييس/ القتل الجماعى	الثورة (فى حالة نجاحها) حالة الحرب

وعلى الرغم من أن قاديروف قد وفق إلى حد في تحقيق تحول في سياسة الشيشان في اتجاه غير تقليدي، فإن استعداده للجوء إلى سياسات العنف والقمع حفاظا على نفوذه، قد عرض منطقة الشيشان، للتأرجح دوما ما بين السياسة التقليدية العنيفة وغير التقليدية.

وفي هذه الأثناء، فإن التحول قد طال روسيا أيضا إذ اتجهت إلى سياسة أقل عنفا تمثلت في السماح بالمظاهرات والعصيان المدني للمعارضين لمقاومة قمع الإدارة الروسية بقيادة بوتين، التي كانت تواجه مظاهر المعارضة بالاغتيالات والسجون السياسية و فرق الموت.

ويعتبر هذا الاتجاه أكثر تسامحا من سياستها التي بدأت قبل الحرب الأولى عام ١٩٩٤، والتي اتصفت بممارسة العنف الشديد وهو من السمات المميزة لسياستها التقليدية.

ومن المفارقات هنا أن كلا من الشيشان وروسيا قد اتجهتا في لحظة مقارنة من الزمن، إلى انتهاج سياسة أقل عنفا، تسعى إلى تحقيق درجة من الاعتدال أو الوسطية في تناول الأمور وأكثر اتجاها إلى الانتقائية في اختيار أساليب العنف، وذلك بعد أكثر من عقد كامل من ممارسة سياسة العنف الأعمى. ومن العناصر المشتركة بين البلدين سيادة الفساد وممارسته بشكل منهجي والغياب شبه الكامل لتطبيق القانون. كما أن الإدارتين الروسية والشيشانية تتفقان أيضا على أن العنف وليس سيادة القانون هو الوسيلة المثلى لتحقيق الهدف والحفاظ على القوة والنفوذ.

الخلاصة

وفي حين تبني بعض المعلقين والمحللين السياسيين بالغرب وجهة نظر الصحفية الروسية الشهيرة والمعروفة بجراتها، أنا بوليتوفيسكا، والتي تمسكت بها حتى مقتلها، في أكتوبر ٢٠٠٦، (انظر الملاحظة ٢، فرنشيتي، ٢٠٠٧) حيث اعتبرت أن حكم قاديروف بالشيشان، كان حكما فاشلا. أو دون إيجابيات. فإن بعض المراقبين للموقف السياسي .

بروسيا والشيشان، يفضلون الاعتراف، ولو على مضض، بأن ما حدث بالشيشان، (ويعرف بالشيشنة. وقد تم الإشارة إليه أعلاه) يمثل أفضل ما يمكن الحصول عليه في ظل الظروف المتاحة حينذاك على أرض الواقع. (ألينوف، ٢٠٠٧، لا تينينا ٢٠٠٧). وبغض النظر عما يشار إلى أسلوبه في حكم الشيشان أو شخصيته غير التقليدية، فإنه قد تمتع رغم كل ما وجه إليه من نقد، بقدر من الشعبية في الأوساط الشيشانية والروسية وحتى في بعض دوائر الحكومات الغربية. وهو ما أشارت إليه جريدة realpolitik في مقالة لها.

ولاشك أن حكم قادиров في المدى القصير، يمثل تطورا في اتجاه إيجابي بالنسبة لقطاعات عريضة من الشعب الشيشاني، بالمقارنة بالبؤس البين ووحشية فترة الحرب التي عاشتها هذه المنطقة من العالم. فعلى الأقل من الناحية النفسية، فإن استبدال الجامع الضخم الذي يمثل صرحا معماريا على مستوى العالم. وكذلك المباني الإدارية الحديثة، بالصورة المحبطة لجروزني وسط ركام المباني المنهارة من جراء دمار الحروب، يحدد النظرة التفاؤلية والأمل بمستقبل أكثر إشراقا. وفي نفس الوقت فإن وضع حد للسياسة الروسية التي لم تكن تميز بين المقاتلين والمدنيين ناهيك عن المبالغة والوحشية في استخدام وسائل القمع، قابلها أيضا على الجانب الآخر، وضع حد لتكرار العمليات الانتحارية التي كان المتمردون الشيشان يقومون بها بشكل منتظم، بقيادة حكام مثل بودنفوسك، أو دوبروفكا أو باسلان ضد الجانب الروسي.

إن المشكلة الأساسية تكمن حقيقة الأمر، في أن سياسة الشيشنة التي اعتمد عليها قادиров لا تعتبر حلا سياسيا. إذ تعتمد على تفاهم واتفاق بين حاكمين تجمعهما علاقات شخصية، وهي على ذلك غير مؤسسة على أي سند شرعي، بل تعتمد في أساسها على كاريزمية ونفوذ قائدتين، بوتين في روسيا وقادиров في الشيشان. ومن ناحية أخرى فإن حكمهما كان قصير الأمد، فهو محكوم في حالة بوتين بالدستور الروسي، وفي حالة قادиров بكم الأعداء الذين أحاطوا به على مدى صراع طويل وتاريخ من العنف السياسي بروسيا أو بالشيشان.

ولاشك أن ما ساهم في قوة قادиров وثقته بنفسه، كان مرتبطا بكونه ابن رئيس سابق بالشيشان، مما جعله يشعر بقوته وقدرته على إجبار الآخرين على الامتثال لأوامره والانصياع لإرادته. على أن ذلك كان مصدرا للقوة وضعف في آن واحد. فكثيرون في روسيا يعتقدون أن نجاحه في الشيشان قد أدى إلى ما أطلقوا عليه «Kadyrovization» بمعنى ارتباط سياسته بشخصه، وذلك ليس فقط في منطقة شمال القوقاز القابلة للاشتعال، بل في روسيا أيضا.

وخلاصة الأمر، أن الأمل في الوصول تحت حكم قادиров إلى حل طويل الأمد ومرض للطرفين في النزاع الذي دام قرونا من الزمن، كان أمرا غير واقعي. ومن هنا كان علينا أن نقر بأن قادиров «كان أول وآخر ملوك الشيشان». وسوف تظل فترة حكمه محفورة في ذهن المجتمع الدولي كما هي في روسيا أو الشيشان، كنموذج للحاكم السلطوي المطلق الذي لا يمثل بأي حال نموذجا يحتذى به.

المراجع:

- Agentsvo natsional'nykh novostei* (2006). Report, Svet i teni sem'i Kadyrovykh [Light and shadows of the Kadyrov family], 27 June. Retrieved February 7, 2007, from www.compromat.ru/main/chechnya/a.htm
- Allenova, O. (2007). Pravoverny putinets [A faithful Putinite]. *Kommersant Vlast*, 23, 18 June.
- Blank, S. (2001). Russia's Ulster: The Chechen war and its consequences. *Demokratizatsiya*, 9, 1.
- Bogoran, I., & Soldatov, A. (2007). Kavkazskii front: novaya taktika chuzhikh oshibok [The Caucasian Front: the new tactic of others' mistakes]. *Novaya gazeta*, 60, 9 August.
- Borisov, T. (2007). Ramzan Kadyrov: s voinei pokoncheno navsegda [Ramzan Kadyrov: the war is over forever]. *Rossiiskaya gazeta*, 10 July.
- Chivers, C. J. (2007). Russian official says insurgency in Chechnya has been tamed. *New York Times*, 12 February.
- Cornell, S. (2002). Autonomy as a source of conflict: Caucasian conflicts in theoretical perspective. *World Politics*, 54, 245–276.
- Dudayev, U. (2007). Upsurge of fighting in Chechnya. *IWPR's Caucasus Reporting Service*, 400, 12 July.
- Dunlop, J. B. (2006). *The 2002 Dubrovka and 2004 Beslan hostage crises: A critique of Russian counter-terrorism*. Stuttgart: ibidem-Verlag.
- Franchetti, M. (2006). In the torture cell of Chechnya's tyrant. *The Sunday Times*, 30 April.
- Franchetti, M. (2007). Chechnya: video evidence of torture. *The Sunday Times*, 3 June.
- Fuller, L. (2004). Look back in anger – ten years of war in Chechnya. *RFE/RL Features*, 11 December.
- Fuller, L. (2006). Chechnya: Premier seeks to change his image. *RFE/RL Features*, 19 May.
- Gall, C., & de Waal, T. (1997). *Chechnya: A small, victorious war*. London: Pan.
- German, T. (2003). *Russia's Chechen war*. London: RoutledgeCurzon.
- Krutikov, Y. (2006). Chechnya sdast preemnik Putina [Chechnya will be surrendered by Putin's successor]. *Prognosis.ru*, 17 March. Retrieved January 10, 2007, from www.prognosis.ru.html?id=382

- Lanskoy, M. (2003). Chechnya's internal fragmentation. *The Fletcher Forum of World Affairs*, 27, Summer/Fall, 185–205.
- Latynina, Y. (2007). Fugasnoe samoderzhaviye [High-explosive autocracy]. *Kommersant*, 5 October.
- Leahy, K. D. (2006). Kadyrov's bluff: Why Chechnya's strongman continues to test his political boundaries. *Central Asia-Caucasus Analyst*, 17 May.
- Lieven, A. (1999). *Chechnya: Tombstone of Russian power*. New Haven: Yale University Press.
- Liss, A. (2006). *Chechnya's gun-toting strongman*, 26 November. Retrieved September 17, 2006, from <http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/europe/4470784.stm>
- Markedonov, S. (2006). Terror zakonchil'sya. Zabud'te [The terror is over. Forget it]. *APN Mneniya*, 1 February. Retrieved September 25, 2006, from www.apn.ru/opinions/article9559.htm
- Markedonov, S. (2007). Ramzan solntselikii [Ramzan – Radiant sun]. *APN Publikatsii*, 9 April. Retrieved April 10, 2007, from www.apn.ru/publications/article16854.htm
- NEWSru.com, (2005). *Pochti polovina sotrudnikov militsii Chechnyi byvshiye boyeviki: 7 tysyach chelovek* [Almost half of those serving in Chechnya's police force are former fighters: seven thousand persons], 21 October. Retrieved September 25, 2006, from www.newsru.com/russia/21oct2005/chechnya.html
- Osborn, A. (2006). Ramzan Kadyrov: the Warrior King of Chechnya. *The Independent*, 4 January.
- Politkovskaya, A. (2007). Inside the Dragon's Lair. *The Guardian*, 20 March.
- Regnum.ru, (2007). Ramzan Kadyrov – budushchy president Rossii? Obzor chechenskikh SMI s 15 po 31 marta 2007 goda [Ramzan Kadyrov – future president of Russia? Review of Chechen media from 15 to 31 March 2007]. Retrieved July 16, 2007, from www.regnum.ru/news/806101.html
- Remizov, M. (2006). Chechenskuyu vitrinu 'razvitogo feodalizma' pora zakryvat [It is time to close the Chechen shop window of 'developed feudalism']. *APN Kommentarii*, 51, 15 September. Retrieved September 17, 2006, from www.apn.ru/news/article10390.htm
- RFE/RL (Radio Free Europe/Radio Liberty) (2006, 9 October). *Anna Politkovskaya's last interview*. Retrieved March 11, 2007, from www.rferl.org/featuresarticle/2006/10/fc088b08-0cbd-4800-b2ff-f00f5494fa5e.html
- Russell, J. (2005). A war by any other name: Chechnya, 11 September and the war on terrorism. In R. Sakwa (Ed.), *Chechnya: from the past to the future* (pp. 239–264). London: Anthem.
- Russell, J. (2007). *Chechnya: Russia's 'war on terror'*. Abingdon: Routledge.
- Schmid, A. (2004). Frameworks for conceptualising terrorism. *Terrorism and Political Violence*, 16, 197–221.
- Sikevich, Z. (1999). Etnicheskaya nepriyazn' v massovoi sosnanii rossiyan (Ethnic hostility in the mass consciousness of Russians). In G. Vitkovskaya, & A. Malashenko (Eds), *Neterpimost' v Rossii: stariye i noviye fobii* [Intolerance in Russia: old and new phobias] (pp. 99–12). Moscow: Carnegie.

- Souleimanov, E. (2005). Chechnya, Wahhabism and the invasion of Dagestan. *Middle East Review of International Affairs*, 9, 48–71.
- Stepanova, E. (2003). *Anti-terrorism and peace-building during and after conflict*. Stockholm: SIPRI.
- Sukhov, I. (2005). Chechensky ochag [Chechen home fire]. *APN Proyekt*, 16 August. Retrieved September 17, 2006, from www.apn.ru/publications/article1519.htm
- Vachagaev, M. (2005). The role of Sufism in the Chechen resistance. Jamestown Foundation's *Chechnya Weekly*, 6.
- Voronov, V. (2006). Chtoby tol'ko v spinu ne strelyali [So long as they don't shoot you in the back]. *Sovershenno Sekretno* [Top Secret], January. Retrieved February 7, 2007, from www.compromat.ru/main/chechnya/kadyrovramnach.htm
- Walsh, N. P. (2005). Biggest mosque for Grozny. *The Guardian*, 4 August.
- Zartman, I. W. (2005). Need, creed and greed in interstate conflict. In C. J. Arnsperg, & I. W. Zartman (Eds), *Rethinking the economics of war: The intersection of need, creed, and greed*. Baltimore: Johns Hopkins.

الفصل الثالث عشر

من ٧/٧ إلى ٨/١٠ : الإطار الإعلامى

لحوادث الإرهاب بالمملكة المتحدة

والولايات المتحدة الأمريكية

مارى برنزون ومايكل ستول

نبذة: لاشك أن وسائل الاتصالات والإعلام من الأهمية بمكان، سواء بالنسبة للإرهابيين أو الحكومة المعنية بمكافحة الإرهاب. بل إننا لانبالغ إذا قلنا إنها قد تعادل في أهميتها الحادث الإجرامى نفسه. ومن هنا كانت أهمية التغطية الإخبارية وتحليل دلالاتها فيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب. تبحث هذه الدراسة، أنماط فهرسة الأحداث الإرهابية من قبل وسائل الإعلام فى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وذلك من خلال متابعة عدة صحف بهاتين الدولتين فى عامى ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ على التوالى، فيما يخص حادثتين: الأولى خاصة بانفجارات لندن فى ٧/٧/٢٠٠٥، والثانية بما عرف بمخطط الرعب لحوادث الطائرات عابرة الأطلنطى. وتعتمد الدراسة فى تحليلها للتغطية الإخبارية على مقياس CRA أو ما يمكن تسميته بالتحليل الرينى، بهدف تقييم الحادثين فى ضوء الإعلام الأمريكى والبريطانى. وتشمل نتيجة التحليلات، تصريحات للنخب السياسية ووجهات نظر. وذلك فى محاولة، لدعم نظرية بنت Bennett فى فهرسة الأحداث الخاصة بالإرهاب.

في صباح يوم السابع من يوليو عام ٢٠٠٥ وفي ساعات الذروة الصباحية، هزت العاصمة البريطانية ثلاثة انفجارات مروعة ومتزامنة بأنفاق لندن. وبعد مرور أقل من ساعة على هذه السلسلة، انفجرت حافلة. وقد راح ضحية هذه الحوادث ٥٢ مواطناً، كمالقى أربعة انتحاريين حتفهم، ناهيك عن إصابة ٧٠٠ آخرين جراء هذه الانفجارات. وبعد عام من هذه الحوادث، وفي يوم ٩ أغسطس ٢٠٠٦، بدأت السلطات المسئولة في القبض على أشخاص قد اشتبه في ضلوعهم في مخطط لتفجير طائرات بلغ عددها ١٢ طائرة عابرة المحيطات تابعة لشركات جوية مختلفة. نقوم في هذه الدراسة، بتتبع التغطية الإعلامية للصحافة المكتوبة بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة، فيما يتعلق بهاتين الحادثتين اللتين قد حظيتا بتغطية إعلامية واسعة. حيث نقوم باستكشاف كيفية تناولهما في الصحف، وما هي دلالات هذا التناول في حشد تأييد جماهيري تجاه إستراتيجيات مكافحة الإرهاب التي تبنتها السلطات في كلا الدولتين. ونستخدم في هذا التحليل برنامجاً متفرداً يعتمد على تأثير الدلالات اللفظية في الكشف عن المعاني الكامنة وراء تقديم الخبر وهو (CRA) الذي يستخدم نظرية تبحث في كيفية تحقق التماسك والترابط المنطقي في النص الإعلامي المكتوب^(١)، بينما تلجأ وسائل أخرى لتحليل المضمون من خلال الاعتماد على قاعدة مفادها أن تكرار اللفظ يعنى بالضرورة أهميته.

يكنم الفارق بين الإرهاب كسلوك عدواني يترتب عليه خسائر فادحة وغيره من حوادث العنف في أن الإرهاب يحمل رسائل تواصل مهمة. فالحوادث الإرهابية عادة ما تكون بمثابة رسائل إلى الجمهور، الهدف منها، بث حالة من الرعب والفرع. وقد تكون تهديدية بمعنى أنه في حالة عدم الاستجابة للمطالب، فإن تلك الحوادث سوف تتكرر. من هنا كانت أهمية وسائل الإعلام الحديثة في تغطية ونقل الحوادث الإرهابية وردود أفعال السلطات تجاهها، بشكل منتظم للقارئ. وهو ما يؤكد أهميتها الإعلامية، لكل من الإرهابيين وسلطات مكافحة الإرهاب في الوقت ذاته، التي تتخذ في ضوءها ردود الأفعال المناسبة.

(١) برنامج CRA تم شرحه بالتفصيل في قسم الطرق.

بل إن بعض الاتهامات الموجهة لوسائل الإعلام، والتي يتفق عليها العلماء وسلطات مكافحة الإرهاب، مفادها أن وسائل الإعلام، حقيقة الأمر تخدم الإرهاب. إذ إنها من خلال تغطيتها لأخباره وحوادثه تساعد على نشر رسالة الرعب التي يعتمد عليها، إلى جانب كونها وسيلته في نقل مطالبه السياسية إلى المسؤولين بالحكومة. (انظر مثلاً: ميلر، ١٩٨٢، بيكارد، ١٩٨١، بيكارد ١٩٨٦). وقد أكدت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، مارجريت ثاتشر، أن وسائل الإعلام تمد الإرهاب بما يحتاجه من شهرة وكأنها «أو كسوجين الإرهاب». كما قال لاكور وهو من العلماء «إن الصحفيين هم أفضل أصدقاء للإرهابيين» (ص ٤٢-١٩٩٩). مثل هذه الاتهامات تبحث في جدوى تناول أخبار الإرهاب ومنظّماته على نطاق واسع، وتنادى على العكس بضرورة قصرها في أضيق نطاق. إذ تفترض أن الإعلام بنشره تلك الأخبار، يعطى الإرهاب فرصة التواصل مع الجمهور. وكأنه يمنح الإرهاب ميزة عن الحكومة أو سلطات مكافحة الإرهاب. وقد تلا تلك الاتهامات من قبل رئيسة الوزراء البريطانية، فرض قيود على نشر أخبار الإرهابيين، بل منعت BBC من بث تصريحات أعضاء جماعة IRA.

الإعلام

الإطار الإعلامي وتدفق المعلومات - المرسل

كان جوفمان (١٩٧٤) أول من لجأ إلى مناقشة معايير تقديم الخبر، أو وضعه في إطار بعينه، معتبراً «أنه مسألة تنظيمية تحكم تقديم الأحداث، على الأقل الاجتماعي منها. ثم هناك مسألة تدخلنا الذاتي غير الموضوعي في قراءة الخبر» (ص ١٠)، وكان ليبمان (١٩٢٢) قد حدد أساسيات تصور الخبر في الأذهان أو ما أسماه «بأساس الصورة في الأذهان» حيث كتب «إن إحساس أى منا يحدث لم يعيشه، يعتمد على شعوره الذى تكون من الصورة الذهنية التى لديه عن هذا الحدث». ففي الدول التى لا ينتشر بها الإرهاب، أو النشاط الإرهابى المحدود تاريخياً، يعتمد أفرادها على وسائل الإعلام المكتوبة أو المرئية في تكوين صورة ذهنية أو «صورة في الأذهان» عن الحوادث الإرهابية.

من هنا كان اعتمادهم في الأساس وطبقا لجوفمان، على «الإطار» الإعلامي في تصور هذه الأحداث.

تصدرت دراسة كيفية تقديم الخبر من خلال الأطر المختلفة الدراسات التي أجريت في مجال الإعلام على مدى ثلاثة العقود الأخيرة. لاسيما العملية الإدراكية التي يمر بها الفرد وما يحكمها من خطوات تركيبية حتى يتحقق لها الاكتمال. لقد تحول موضوع الإطار الإعلامي إلى نظرية متكاملة حاول كثير من العلماء أن يولوها أهمية خاصة، بهدف صحة تطبيقها أو تحقيق نوع من السيطرة عليها بشكل أو بآخر. (إينتمان، ١٩٩٣، جامسون موديجلياني، ١٩٧١، شوفوله، ١٩٩٩، شاه، كواك، شميرباخ وزوربريك، ٢٠٠٤).

تبنى كثير من العلماء في أساليبهم وتعريفاتهم المختلفة للإطار الإعلامي مفهوم جوفمان الأصلي. إلا أن مفهوم روبرت إنتمان هو الذي هيمن، حقيقة الأمر، بشكل واضح على أدبيات هذا الفرع المعرفي. وطبقا له فإن الإطار الإعلامي هو أداة تنظيمية يستخدمها كل من واضع الإطار والقارئ بهدف تحقيق الاختيار أو إبراز نص بعينه بغرض تعظيم الفهم. ويضيف أن الإطار الإعلامي يقوم بعملية تشخيص وتقييم ووصف للعلاج. أو بشكل أكثر دقة وتحديدًا «الإطار يقوم بتعريف المشكلة، محدد العمل الذي قام به المتسبب في المشكلة، وما هي التكلفة والمكسب من وراء هذا العمل. وذلك عادة في ضوء ثقافة المجتمع السائدة. ثم يقوم بعد ذلك، بتشخيص هذه الأسباب أي التعرف على القوة المسئولة عن حدوث المشكلة. ثم يقوم بإصدار الأحكام، وهي بمثابة عملية تقييم للعامل أو العوامل المسببة للمشكلة وتأثيرها. وأخيرا يقدم مقترحات للعلاج، من خلال طرق علاج مختلفة ومبرراتها كما يتنبأ بمؤثراتها جميعا» (إينتمان، ص ٥٢-١٩٩٣).

كما يتطرق إينتمان أيضا إلى النواحي الخاصة بنشأة الإطار الإعلامي وبسيطرتها. وفي هذا يقول إن السيطرة تتراوح ما بين حالة من الهيمنة الكاملة على غيرها من الأخبار إلى حالة من التكافؤ الكامل مع غيرها من الأخبار. وتمثل الهيمنة جانبا واحدا فقط

من القضية. أما تكافؤ الإطار، فتعني وجود أطر أخرى قد تمثل الموضوع من عدة جوانب. (١٩٩١، ٢٠٠٣). ومن أجل تحقيق التكافؤ، لا بد للجريدة من أن تقدم «قصصاً أخرى بديلة، على أن تتضمن المشكلة والسبب والعلاج، والحكم الأخلاقي» (ص ٤١٨، ٢٠٠٣). وحقيقة الأمر فإن «تحقق التكافؤ في الإطار الإعلامي» يعد استثناء وليس القاعدة. (ص ٤١٨) وفي ظل هيمنة الإطار الإعلامي، فإن الخبر المعنى بحادثة من حوادث الإرهاب، يمثل جانباً واحداً فقط من القصة. وبدون توفر أى جدل خاص بمصدر الخبر أو دلالاته أو مناقشة إستراتيجيات التعامل مع المشكلة أو وصف العلاج، لن يكون بمقدور القارئ أن يكون أى تقييم خاص بالحادثة سوى ما يحاول الإطار الإعلامي أن يفرضه عليه. وإذا نجحت النخبة السياسية في فرض وجهة نظرها وتجاوز من يمكن اعتبارهم، حراس بوابة الصحافة، فسوف تعمل الجريدة «في نهاية الأمر في اتجاه يخدم دعم ومساندة القادة السياسيين وسياسة الأمن التي يريدون تطبيقها» (نوريس، كرن، وجست، ٢٠٠٣، ص ١) وفي هذه الحالة فإن الصحافة سوف تبدو غير موضوعية بانحيازها في اتجاه الحكومة، بتبنيها المبالغ فيه لوجهة نظر النخبة السياسية وحدها. وبنفس المنطق يؤكد نوريس، أن اكتفاء الصحافة بعرض وجهة نظر الإرهاب وحده، تعتبر رسالة تؤثر بدورها في تكوين رأي عام تجاه الإرهابيين وتقييمهم، وبالتالي تعرضنا لتداعيات سلبية خاصة بتهديداته في المستقبل. «ومن ضمن مهام الإطار الإخباري تشكيل جدول أعمال الحكومة أو أجندتها الخاصة بالسياسة العامة والخدمات الخاصة بالأمن، بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال عرض وجهات نظر الجماهير وردود أفعالها تجاه كبار المسؤولين بالحكومة». (نوريس أت أل، ص ٨-٢٠٠٣). مما يشكل تحدياً للفرضية التي ذكرناها أعلاه، والتي تزعم بأن الصحافة بصورتها التقليدية تنحاز لوجهة نظر الإرهاب، فتنتشر رسالة الرعب والفرع التي يريد بثها بين الجماهير، بما يخلع عليها شرعية ومصداقية فيشجع دونها قصد، على تكرار مثل هذه الحوادث من خلال انتشار عدوى الإرهاب. وقد رأينا من قبل في إطار «حرب بوش ضد الإرهاب» في أعقاب أحداث ٩/١١ مدى تبنى الإعلام للغة خطاب

إدارة بوش في حربها ضد الإرهاب. وذلك بشكل صارخ ولافت، حينما تقدم تقارير خاصة بالإرهاب.

كشفت أبحاث جادة، أجريت على التغطية الإخبارية لأزمات السياسة الخارجية في أعقاب الحرب العالمية الثانية بالولايات المتحدة الأمريكية، تقدمًا بشكل منتظم في جداول أعمال أو برامج النخبة السياسية. (بينت، ١٩٩٠). ولا شك أن هذا النمط، يعد كاشفا عن ممارسة الصحافة لسياسة الالتزام بتقديم وجهة نظر الحكومة. (أليكسيف وبينت، ١٩٩٥، زالر وشيو، ١٩٩٦) وتعزز ما يسميه بنت Bennett بالفهرسة. (١٩٩٠). وطبقا له فإن الصحفيين الأمريكيين، يقومون «بعملية فهرسة» للأصوات ووجهات النظر المختلفة سواء في النصوص الإخبارية أو المقالات في ضوء الجدل الحكومي السائد تجاه موضوع بعينه أو قضية بعينها.

بعد مراجعة وفحص نظريات الإعلام المختلفة الخاصة بالإطار الإعلامي، أو بالفهرسة أو إعداد موضوع محدد، فإن هذه الدراسة، اختارت، أن تختبر فرضية بنت Bennett ومؤداها أن التغطية الإخبارية الخاصة بالإرهاب، تلجأ بشكل عام إلى فهرسة وجهات نظر النخبة إلى جانب حالة الانحياز الفوضوى التى تصف بها السلطات وهى بصدد جمع الأخبار. (ص ٤٨-٥٣). وقد نشأ هذا الانحياز من فرضية خاطئة مفادها أن الخبراء من النخبة والعارفين ببواطن الأمور ممن يشغلون مراكز مرموقة، يتوافر لديهم ما يكفى من معلومات خاصة بالموضوعات والقضايا المختلفة؛ وبالتالي فإن الصحفيين لا يحتاجون إلى مزيد من البحث والتنقيب عن تفاصيل القصة. أو حتى التشكك في مدى خبرة هؤلاء أو دوافعهم الحقيقية. وبالطبع فإن القصص الإخبارية التى تنشأ بهذا الشكل تنتج صورة نمطية من صور الإطار الإعلامى المسيطر للنخبة الحاكمة أو الحكومة. (بينت، لورنس ولفينجستون، ٢٠٠٦). والنتيجة كما يراها بنت وزملاؤه، تكون «صحافة عبارة عن أداة تواصل في يد الحكومة الأمريكية، وليس الشعب. وذلك نتيجة لقررها المبالغ فيه من دوائر صنع القرار في الأمة. وهو ما يمثل وضعًا جد غريب بالنسبة لصحافة عرفت بأنها من أكثر نظم صحافة العالم تحررا». (بينت، لورنس ولفينجستون، ٢٠٠٧، ص ١).

وجدير بالذكر أن عملية الفهرسة قد تكون أكثر انتشارا في حالة التعامل مع الأخبار الدولية أو السياسة الخارجية. حيث يكتفى الصحفيون بالمصادر الحكومية، ولا يقبلون على مزيد من التحرى أو التدقيق. وهو ما يجعلهم يميلون إلى الامتناع عن توجيه أى نقد لسياسة الحكومة الخارجية. ويرجع ذلك لعدة عوامل، بعضها اقتصادى والآخر مرتبط بقلّة المعرفة أو جهل بالموضوع، أو قد يكون عجزاً في الوصول إلى مصادر أخرى.

يقوم إنتيمان في نموذج الخصاص بمواجهة التحدى الذى تفرضه رسالة النخبة. ملقيا مزيداً من الضوء على تعزيز الصحف لبرامج وجداول أعمال بعينها، أو لقرارات محددة وقصص إخبارية تحقق تألقا صحفيا نتيجة للإقبال الجماهيرى عليها. وتقف الحكومة (إداريين ونخبة) على قمة النموذج، حيث تأتى المبادرة منهم أولاً، في شكل أفكار أو قرارات تتخذ، فتكون الإطارات الجديدة. تقوم المصادر الإعلامية بتلقف هذه المعلومات، وقد تضيف إليها بعض النواحي التنظيمية المتحيزة عادة، تجاه وجهات نظر أشخاص بعينهم. أو قد يظهر ذلك من خلال إضافات مبالغ فيها أو حذف غير مستوجب لبعض الموضوعات أو الأفكار أو المفردات. هكذا تتشكل الأطر الإعلامية للقصص الإخبارية التى تظهر بالصحف، فيتفاعل معها الجمهور.

الإطار الإعلامى: الفكرة / الحدث والعام / المحدد - الرسالة

تقوم هذه الدراسة بتحليل التغطية الإخبارية للإرهاب من ناحية الفكرة الأساسية والحدث. وجدير بالذكر أن هذا التصنيف يساعدنا على التعرف على الأسباب المسئولة عن تغيير الإطار الإعلامى لحدث بعينه. ويعتبر إطار الحدث أكثر واقعية، حيث يتناول الجانب الوصفى من التغطية الصحفية لحدث معين أو أفراد أو ظروف معينة. أما إطار الفكرة، فهو نظرى أو تجرىدى؛ ولذا يحتاج إلى تفسير تحليلى. (إيانجار، ١٩٩١) وقد بحث كل من إيانجار وسيمون، في أنماط الإطار الإعلامى للسياسة الخارجية، وأكدت نتائج البحث أن التقرير المرتبط بالفكرة يؤثر على الأفراد فيدفعهم إلى النظر في اتجاه الظروف الاجتماعية والسياسة العامة. أما إطار الحدث فيدفع الأفراد إلى التفكير

في الأشخاص أنفسهم. كما أن إطار الفكرة يكون أوسع نطاقا، إذ يشتمل على الجدل السياسي، ومعلومات عن الخلفية والاتجاهات، والتأثير (إيانجار وسيمون، ١٩٩٣). أما فيما يخص الوقت، فإن تغطية الحدث تتميز بسرعة الانتشار بين الناس، إذ تصلهم بمجرد وقوعه، بينما تغطية الفكرة، تصبح أكثر تأكيداً بعد فترة من الزمن.

وقد لوحظ أن الأطر التي تتناول الفكرة كانت الأكثر انتشاراً ووضوحاً في فترة ما بين وقوع الحادثين اللذين تستند إليهما الدراسة. ويتأمل هذا المزج بين نموذج إثنين ونظرية بنت الخاصة بالفهرسة، يتضح لنا بشكل جلي، كيف تنحاز تغطية أخبار الإرهاب إلى جانب الحكومة «نتيجة للمبالغة في الاعتماد على تفسير مسئولية الحكومة، أو خبراء الأمن والمعلقين العسكريين. وهو ما يفضي في نهاية الأمر إلى استمرار تأييد ومساندة القادة السياسيين وما يتبنوه من سياسات أمنية». (نوريس أت أل...، ص ١ - ٢٠٠٣).

ويقودنا ذلك إلى الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى:

نفترض أنه في حالة إن اتفقت النخبة السياسية على اعتبار أن الإرهاب تهديد دولي، فإن الإعلام سوف يفرز أعداداً متزايدة من الأطر الدلالية التي تحمل وتعزز هذا المفهوم، وسوف يتعرض للأنشطة الإرهابية مستخدماً دلالات تعزز البعد الدولي للإرهاب، وذلك بشكل يفوق الدول التي تعتبر نخبتها السياسية أن الإرهاب ذو أصول محلية.

الفرضية الثانية:

أما في حالة اتفاق النخبة السياسية على اعتبار أن الإرهاب ذو أصول محلية، فإن وسائل الإعلام سوف تفرز مزيداً من المفاهيم الدلالية التي تعزز المفهوم المحلي للإرهاب، وتعتبر عن ذلك من خلال استخدام واضح للمفردات التي تعكس هذا البعد. وذلك بشكل يفوق إعلام الدول التي تعتبر نخبتها السياسية الإرهاب ذا أصول دولية.

وسوف نقوم باختبار هذه الفرضيات في فترات زمنية محددة: أولاً في الفترة التي تلى الحادثتين مباشرة، ثم في الفترة «الهادئة» بينهما. وذلك من خلال دراسة دقيقة للصحف الليبرالية والمحافظة في الأمم المتحدة والولايات المتحدة.

طرق البحث:

العينة

تم الاستعانة بنصوص إخبارية لصحف محافظة وليبرالية. شملت صحيفة النيويورك تايمز، ولوس أنجلوس تايمز، والوال ستريت جورنال بالولايات المتحدة. أما في المملكة المتحدة فقد وقع الاختيار على التايمز أوف لندن، والجارديان، والإندبندنت. the Independent

وقد اختيرت النصوص من خلال الموقع الإلكتروني للجامعة. حيث تم توظيف مفردات مثل «لندن»، «فزع» «مسلم» أو «إسلام» في العناوين، أو مفردات تم استخدامها في أول فقرة من النص. أما بالنسبة لصحيفة لندن تايمز فقد سمح باستخدام كلمة «لندن» في مواقع مختلفة من النص، لتوسيع مجال البحث.

و تم تحويل كل النصوص إلى ملفات، من خلال تحليل الرنين المركزي CRA، وقد أدرجنا معه ملفاً يقوم باستثناء الكلمات غير المفيدة أو غير اللازمة مثل: Mr (مستر)، أو photographer (مصور)، و photo (صورة). كما أن البرنامج يقوم تلقائياً بتجاهل كلمات مثل الأداة التعريفية «the» أو «it» أو «a». وقد قام البرنامج بمسح الملفات المزدوجة وكذلك كل ما ليس له علاقة بالموضوع بما فيها النصوص التي تحتوى على مفردات قليلة، لاسمح بتطبيق الأداة التحليلية CRA عليها.

وقد جرى اختيار نصوص كاملة من سنتي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦، لتغطية حوادث انفجارات الأنفاق بلندن، والتي وقعت في يوليو ٢٠٠٥ ومخطط طائرات الخطوط الجوية البريطانية الذي وقع في أغسطس ٢٠٠٦. وذلك بهدف تغطية التحليل الإخباري

لهايتين الحادثتين من ناحية الفكرة والحدث. وحتى نتمكن من دراسة أهم فترتين بالنسبة للحادثتين، أى (الفترة التى تعقب وقوع الحادثة الإرهابية مباشرة) إلى جانب الفترة الهادئة (فترة ما بين وقوع الحادثتين)، فقد قمنا بتقسيم فترة السنتين إلى عدة أجزاء: الفترة الأولى من ١ يناير ٢٠٠٥ - إلى ٦ يوليو ٢٠٠٥ وتعتبر الفترة الهادئة التى أفضت إلى وقوع أول حادثة. أما الفترة الثانية، فتشمل الأسبوع الذى تلا وقوع انفجارات الأنفاق بلندن. (من ٧ يوليو ٢٠٠٥ إلى ١٤ يوليو ٢٠٠٥). كما أننا اعتبرنا الفترة (من ٧ يوليو ٢٠٠٥ - إلى ٧ أغسطس ٢٠٠٥) فترة تحليل منفصلة. والفترة الهادئة الثانية من ٧ أغسطس ٢٠٠٥ إلى ١٠ أغسطس ٢٠٠٦. ثم تأتى فترة الأسبوع والشهر الذى تلا مخطط الانفجارات بلندن) ١١ أغسطس ٢٠٠٦ - إلى ١٨ أغسطس ٢٠٠٦ و ١١ أغسطس ٢٠٠٦ إلى ١١ سبتمبر ٢٠٠٦). وأخيراً آخر فترة هدوء من ١١ سبتمبر ٢٠٠٦ إلى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦.

وقد وجدنا أن هناك ٢٤١ نصاً إخبارياً عن هذه الحوادث بالصحف الأمريكية، إلى جانب ٣٩٢ نصاً بالصحف البريطانية.

إجراءات تحليل الرنين المركزى CRA

وقد تم تطبيق هذ النوع من التحليل على نصوص مأخوذة من صحف بالولايات المتحدة ولندن بدءاً من ١ يناير وحتى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦. وقد لوحظ عند مقارنته بوسائل أخرى تحليلية، أن الرنين المركزى يستند بالأساس إلى نظرية لغوية جوهرياً، كيفية تحقيق الأفراد الترابط اللغوى والتواصل مع الأخبار. بينما تتجه أساليب أخرى إلى الربط بين تكرار المفردات وأهميتها. ويقوم برنامج كراوديد Crowded بمثل هذا التحليل الكيفى للنصوص موضوع البحث. ويتعامل CRA مع النص على اعتبار أنه شبكة من المفردات المترابطة التى تقدم المعلومات والمؤثرات المختلفة، بالإضافة إلى الترابط المنطقى لمضمون النص. ثم يقوم بعد ذلك بإنتاج مجموعة متنوعة من الوظائف التحليلية للنص يمكن من خلالها استكشاف المعلومات والموضوعات المتضمنة داخل النص. (كورمان، كون، ماكفيه دوولى ٢٠٠٢).

وتعتمد هذه الدراسة على ثلاثة تطبيقات أساسية لتحليل الرنين المركزى CRA : أولها المصور، والذي ينتج شبكة الرنين المركزى، بالإضافة إلى جدول يلخص الكلمات المؤثرة الخاصة بالملفات. ويعتمد على موقع الكلمة في شبكة الرنين لتقييم مدى تأثيرها. أما ثانياً التطبيقات لهذا التحليل فهو المقارن، الذي يستخدم ما لديه من معلومات في العثور على المفردات الشائعة وغير الشائعة في نصين لتقييم مدى أهمية استخدامهما في هذين النصين. وأخيراً ثالث هذه الأساليب المستخدمة ويعرف بالمصنف، ويقوم بفرز النصوص وتصنيفها بشكل آلي، أو أوتوماتيكياً طبقاً لتشابهها من حيث المضمون. ومن المعروف أن هذا الأسلوب يقدم نموذجاً متنوعاً مما يساعدنا في إنتاج خرائط للمفاهيم الخاصة بكل مجموعة من النصوص. (كورمن ودولى، ٢٠٠٦).

النتائج

وبعد ما توصلنا إليه من نتائج دعماً قوياً لنظرية الفهرسة. كما أنه يبرز في نفس الوقت نواحي متعددة لعملية وضع الإطار الإعلامى في النصوص الصحفية. وبمراجعة نتائج الأداة التحليلية CRA، وجدنا مجموعة من الإطارات الإخبارية التى تؤيد وجهات نظر كل من الرئيس الأمريكى بوش ورئيس الوزراء البريطانى بليز، المتعلقة بالمسؤولين عن الحوادث الإرهابية. كما توصلنا أيضاً، وبشكل واضح إلى أن المفردات التى تكون هذه الإطارات الإعلامية، تتفاوت في تأثيرها باختلاف المصدر الأيديولوجى (ليبراليين في مقابل محافظين) وكذلك باختلاف الوقت المستغرق في التغطية الإعلامية (إطار الفكرة، مقابل إطار الحدث). والمناقشة التالية التى نعرض لها في الجزء التالى، تقوم بتحليل مختلف الأطر التى وجدناها بخرائط CRA والمتعددة المصادر^(١). حيث إنها تخص دولاً متنوعة وأزمنة مختلفة للتغطية الإعلامية وأيديولوجيات سياسية مختلفة.

(١) عدد النصوص المضمنة طبقاً لتصنيفها: الولايات المتحدة المرتبطة بالحدث ١-١ الولايات المتحدة ٥٠-٢ : حدث. الولايات المتحدة المرتبطة بالفكرة أو الموضوع ٨٢-٨٢. المملكة المتحدة المرتبطة بالحدث ٩٩-١، وأيضاً بالحدث ٦٣-٢ المملكة المتحدة بالفكرة أو الموضوع ١٤٤ وهناك مزيد من التفاصيل بقسم الأساليب أو الطرق.

وبمقارنتها بالتصريحات الحالية للإدارة، تبين لنا صحة نظرية بنت Bennett للفهرسة. حيث جاءت تلك البيانات مطابقة لما توصلنا إليه من نتائج.

مقارنة بين تغطية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة

وعلى لرغم من التناغم والتنسيق الشديدين بين مواقف كل من رئيس وزراء بريطانيا والرئيس الأمريكي فيما يتعلق بحرب العراق أو الحرب ضد الإرهاب، فإن ردود أفعالهما تجاه تلك القضايا، أو السياسات واجبة التطبيق في أعقاب الحوادث الإرهابية، تبدو متباينة بشكل واضح. ويظهر ذلك جلياً، سواء من التصريحات المباشرة للإدارتين أو من التغطية الإعلامية لتلك الحوادث في ذلك الوقت. أما الرئيس بوش فقد استغل فرصة وجوده بالمملكة المتحدة وقت اندلاع اعتداءات ٧/٧، حيث تزامن هذا الوقت أيضاً مع انعقاد قمة الثماني الكبار هناك، لتعزيز تصريحاته ومواقفه السابقة تجاه الحرب على الإرهاب، مؤكداً ضرورة مواصلة الكفاح ضد الإسلاميين الراديكاليين. كما انتصر مرة أخرى لوجهة نظره الخاصة بانتشار الإرهاب في العراق وبضرورة اجتثاثه من جذوره وقد اعتبره مبرراً للوجود الأمريكي على أرض العراق. وقد استهل افتتاح قمة الثماني الكبار بقوله «إن الحرب على الإرهاب مستمرة»، معززا مرة أخرى كلماته في خطاب سابق، كان قد ألقاه من وقت قريب في قاعدة بورت براج، حينها أراد إعادة إحياء الحرب ضد الإرهاب بين مواطنيه، وتعبئة الرأي العام الأمريكي لتأييد الوجود الأمريكي في العراق. وقد أطلق عليه «الجهة الرئيسية لمحاربة الإرهاب» (بلوك، ٢٠٠٥). هذه المعلومات تكشف لنا النقاب عن مدى اتجاه إدارة بوش إلى تدويل قضية الإرهاب واستفادتها من ذلك. حيث إن وضع هذه القضية في إطار دولي من شأنه شحذ الهمم واستنفار الرأي العام العالمي إلى جانب الإدارة الأمريكية في حربها ضد الإرهاب. كما أنه يمنحها حجة أمام العالم وتبريراً للتدخل في حرب العراق.

ومن اللافت للنظر في هذا الصدد سرعة ردود أفعال إدارة بوش في توجيه إصبع الاتهام في معظم الاعتداءات إلى تنظيم القاعدة. ويستدل على ذلك من تصريحات

مستشارها الأمنى فران تاونزند يوم ١١ يوليو. حيث أكدت أن السلطات البريطانية والأمريكية تجرى البحث حاليا عن كوادر من تنظيم القاعدة تعمل في أوروبا، وترتبط باعتداءات إرهابية سابقة (ويلكنسون، ٢٠٠٥). وجدير بالذكر أن الرئيس الأمريكى بوش لم يبحث في مدى ارتباط حوادث لندن بموقف بريطانيا من حرب العراق وتورطها مع الحليف الأول، الولايات المتحدة. وربما كان السبب في ذلك أيضا ولو بشكل جزئى، عدم وقوع تلك الاعتداءات على أرض الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

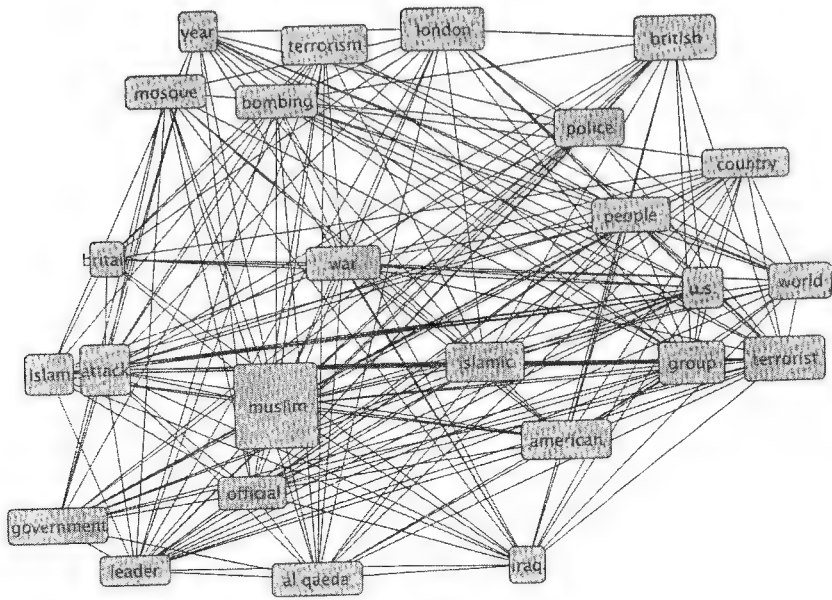
وعلى الجانب الآخر، فقد وجد رئيس وزراء بريطانيا تونى بلير نفسه في موقف دفاعى لا يحسد عليه بعد اعتداءات السابع من يوليو. فالاعتداءات وقعت على أرض المملكة المتحدة مما جعله أكثر عرضة للاتهام والانتقادات الموجهة لسياسته تجاه حرب العراق، والتي أثار الكثيرون جدلا شديدا بشأنها، مشككين في مدى جدواها في الواقع. ومما فاقم من حدة الجدل في هذا الشأن تعرض مدريد لاعتداءات سابقة في ٣/١١/٢٠٠٥ بعد مشاركتها أيضا في حرب العراق وإعلانها عن تضامنها مع الحليف الأمريكى في حربه ضد الإرهاب.

أعلن وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت، السير مالكولم ريفكند: «لا أشك إطلاقا في أن حرب العراق قد تمخض عنها فراغ سياسي، يسعى تنظيم القاعدة وغيره من الإرهابيين إلى استغلاله والاستفادة منه» (جرايس، ٢٠٠٥). وفي بيان عن الإرهاب ألقاه بلير بمجلس الأمن بالأمم المتحدة، يوم ١٤ يوليو، أكد «أن الأمر لا يتعلق بتوجه السياسة الخارجية، بل هو أكبر بكثير من ذلك... إنه معتقد ومنهج، يمثل التطرف ونموذج لا بد من أن نتحد لاستئصاله من جذوره... وذلك من خلال اتخاذ إجراءات فاعلة ضد من يجرؤ عليه أو يدعو له، وذلك بغض النظر عن الدولة التي يمارس فيها هذا التطرف.. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، يجب أن نقضى على ما بداخلنا من تردد أو شكوك في هذا الشأن». (بلير، ٢٠٠٥). ومن الملاحظ على كلمته، أنه لم يربط بين الحوادث الإرهابية والحرب على العراق. كما أنه في الوقت ذاته، لا يوجه الاتهام إلى القاعدة بشكل محدد، كما فعل الرئيس بوش في تصريحاته.

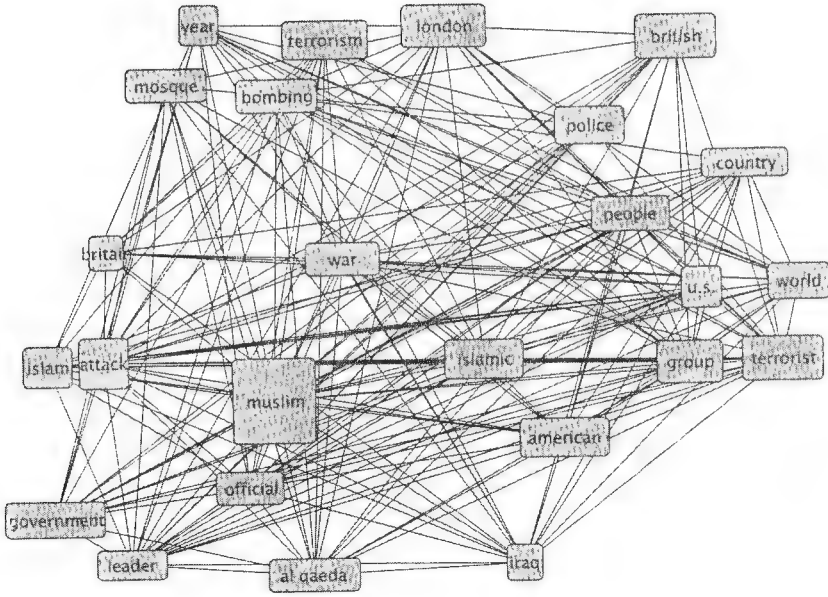
وجدير بالذكر أن هذا التباين في وجهات النظر بين الطرفين قد تم التعبير عنه سواء خلال الفترة التي أعقبت الاعتداءات مباشرة أو فيما بعد. فقد استمر بوش في توجيه الاتهام إلى تنظيم القاعدة وإلقاء اللوم والمسئولية الكاملة عليه في ارتكاب تلك الاعتداءات. بينما التزمت الإدارة بالملكة المتحدة سياسة الحرص وتوخت الحذر بشأن إصدار أية اتهامات لجهة بعينها. وتعتبر هذه سياسة ذكية من جانبها، إذ إن توجيه اتهامات للقاعدة أو أية شبكات أخرى دولية كان سيفتح النار حتماً، على سياسة بلير. ويعطى فرصة لمعارضيه لانتقاده على أنه قد عرض إنجلترا إلى موجات من الاعتداءات المتتالية نتيجة لتورطه في حرب العراق وانصياعه الأعمى خلف الحليف الأمريكي دون أية تحفظات. ولكن ما حدث، كان عكس ذلك. حيث لجأت إدارته إلى تصوير هذه الهجمات على أساس أنها عشوائية ومرتبطة بإرهاب محلي أو داخلي. وعلى هذا الأساس صدرت تصريحات عن مجلس العموم البريطاني تفيد بأن «هذه الهجمات قد تمت على يد أربعة إرهابيين بريطانيين. ولا يوجد من الدلائل ما يثبت أنهم ينتمون إلى شبكة إرهابية أوسع أو أن تطرفهم قد تم على يد منظمة، القاعدة أو غيرها. كما أن التخطيط لهذه الهجمات قد تم بشكل منعزل، وأنه لم يكن جزءاً من مخطط شامل. كما أن أسلوب التنفيذ لم يتسم بحنكة مهنية عالية» (الحكومة البريطانية، ٢٠٠٦).

وقد أظهرت خرائط المفردات للترين المركزي CRA هذه الوقائع وعززتها من خلال ما أبرزته الصحف بالولايات المتحدة الأمريكية من مفردات خاصة بالمجال الدولي وبمنظمة القاعدة والحرب على الإرهاب. والتي كانت أقل كثيراً في حالة الصحف البريطانية. ومن أكثر الشواهد دلالة، تكرار مفردات خاصة بالقاعدة بشكل واضح في الخرائط الخاصة بالولايات المتحدة. مع اختفائها في الصحف البريطانية. وذلك سواء تعلق الأمر بتغطية الحدث أو الفكرة أو كان الخبر من مصادر ليبرالية أو محافظة. وقد ظهرت مفردة القاعدة مرة واحدة فقط في مرحلة تغطية الخبر بالملكة المتحدة، إلا أنها لم تكن على درجة كبيرة من التأثير كي تظهرها بنية الخرائط. وهذا يؤيد مناقشتنا السابقة الخاصة باختلاف وجهات النظر. وبشكل عام فإن الخرائط الخاصة بالولايات المتحدة،

تضمنت مفردات ذات أبعاد دولية، بينما ركزت الصحافة البريطانية على قضايا محلية تتعلق بالقوانين والمجتمع. (انظر: الخرائط ١ و ٢)



(الخريطة ١) المملكة المتحدة فترة الحدث (٧ أغسطس، ٢٠٠٥-١٠ أغسطس ٢٠٠٦)



(الخريطة ٢) خريطة الولايات المتحدة الخاصة بفترة الحدث (٧ أغسطس، ٢٠٠٥ -
١٠ أغسطس، ٢٠٠٦)

ومن الكلمات التي وجدت بالصحافة الأمريكية والدالة على تناول الصحف لقضايا وموضوعات دولية مرتبطة بمجريات الأحداث وردت كلمات مثل: الإسلام - الدولة - الإرهاب - المسئولين - أمن الولايات المتحدة - باكستان - بالى - الانفجار. ونحن نرى أيضا هذه المجموعة من المفردات الدولية تظهر بالشكل المبين وهو ما يظهر الارتباط بين الحدث موضوع البحث والأحداث الإرهابية الأخرى أو شبكات الإرهاب الأكبر وغيرها من الاعتداءات. وعلى النقيض من ذلك، فقد ظهرت بالصحافة البريطانية، وفي الفترة الزمنية بين الأحداث، موضوعات ذات طابع محلي مرتبطة بالحدث وكانت أكثرها دلالة، مفردات مثل: مسلم - الشرطة - بريطاني - بريطانيا - لندن - الشعب - المجتمع. وتحديدًا كان هناك ذكر لغارة فورست جيت. حيث تكررت في هذا الموضوع مجموعة من المفردات مثل: المجتمع - الشرطة - الأقلية.

وفي بعض الأحيان كانت كلمات مثل: لندن - الحى - الشعب تشكل أهمية خاصة. إلا أن الأكثر شيوعاً بين المفردات كان ذا طابع محلي. ولم تظهر كلمة العراق كمفردة مؤثرة في أى مرحلة زمنية في بريطانيا.

أما إن أردنا أن نتبين الفروق بين النصوص الصحفية من الناحية الأيديولوجية، فمن الممكن تصنيفها إلى ليبرالية أو محافظة. وقد لوحظ أن الصحف التي تعتبر محافظة تتبنى وجهات نظر كل من بوش وبلير أكثر من الليبرالية. ويظهر ذلك من الإطار الإعلامي لتلك الصحف. وتعتبر صحف مثل لوس أنجلوس وأندبندنت والجارديان وهي صحف عرفت بأنها ليبرالية. وجدير بالذكر أنه لا توجد أية إشارة للعراق في خرائط الصحف المحافظة لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا. أما في التغطية الإعلامية للموضوع بالصحف المحافظة بالولايات المتحدة، فإن كلمة الولايات المتحدة تعتبر محورية ومرتبطة بوضوح بكلمات مثل: الاعتداءات الإرهابية، والجماعة الإسلامية، والقاعدة، والعالم الإسلامي، والحرب والإرهاب. وهو ما يعكس بشكل واضح تصريحات بوش خلال الفترة الزمنية المرتبطة بالموضوع أو الحدث. أما في بريطانيا فإن التغطية المحافظة الخاصة بالموضوع تظهر أهمية كلمة الحكومة التي تعتبر محورية ومرتبطة بكلمات مثل باكستان، وإسلامية، ومجتمع. ولوحظ أن كلمة باكستان حين تذكر تكون مرتبطة بأصل المشتبه فيهم وليس بباكستان كأمة أو دولة.

وتبدو التغطية الإعلامية للموضوع بالولايات المتحدة بالصحف المحافظة شديدة الاختلاف عنها بالصحف الليبرالية؛ حيث تظهر كلمة القائد كمفردة أساسية وتحيط بها مفردات مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ويظهر ارتباطها بكلمات مثل، الإرهاب والإسلام والعراق والحرب والقاعدة. مما يمكن اعتباره موقفاً معارضاً للرئيس بوش من قبل الصحف الليبرالية ويعكس في الوقت ذاته بداية معارضة النخب السياسية لموقف بوش وبلير من خوض حرب ضد الإرهاب بالعراق. ومن

الكلمات التي تظهر في الصحف الليبرالية البريطانية: بريطانيا والحرب والعراق. وتركز الصحف الليبرالية في تغطيتها للموضوع على موضوعات خاصة بالمجتمع بدون أى ذكر لقضايا دولية.

الفترة الزمنية الخاصة بالموضوع وبالحادث

كما تم الإشارة إليه سابقاً، فإن الإطار الإعلامى الخاص بالموضوع، يعتبر إطاراً تجريبياً يتكون من أفكار وموضوعات تجريدية أو نظرية، ذات بعد واسع وعادة يتطلب تحليلاً تفسيرياً. أما الإطار الخاص بالحادث فهو إطار مادي وملمس ومحدد ويشتمل على تغطية وصفية لحادث بعينه. (بنت، ١٩٩٠). وتعتبر فترة السنة التي أعقبت تفجير أنفاق لندن وقبيل خطة تفجير الطائرات فترة خاصة بالموضوع يمكن من خلالها استبيان الدلالات المؤثرة للمفردات. أما الشهر الذي أعقب مباشرة كلاً من حادثة السابع من يوليو وحوادث الطائرات عابرة الأطلنطي في العاشر من أغسطس، فيمكن اعتباره فترة خاصة بالحادث.

وجدير بالذكر أن الفترتين لا ترتبطان حرفياً بالفترة الزمنية المحددة لهما. فعلى سبيل المثال تظهر بالخرائط الخاصة بالموضوع للولايات المتحدة مجموعات من المفردات الدولية مثل: القاعدة - الولايات المتحدة - الأمن - الإيطالية - باكستان - بالى - الانفجار. وذلك مع وجود كلمات أخرى مرتبطة بالحادث وتعتبر مؤثرة مثل: لندن - الأنفاق - مرور - يوليو - المشتبه فيه^(١). وتعتبر هذه الكلمات الوصفية شائعة الاستخدام في تغطية الحادث.

ويتميز الرسم البياني الخاص بالحادث في بريطانيا بمحلية شديدة، تعبر عنها مجموعتان من المفردات. تركز الأولى على المجتمع المسلم (وهي غالباً تعكس غضب الجالية الإسلامية ببريطانيا) ومن الكلمات شديدة التأثير: المسلم - بريطاني - إسلامي - المجتمع -

(١) لمزيد من التفاصيل الخاصة ببنية الخرائط، انظر: الجزء الخاص بالأرقام.

الشعب - القائد - الحكومة. أما المجموعة الثانية من المفردات، فتتضمن معلومات خاصة بالحدث، وتركز على تفاصيل محددة خاصة بالاعتداء. ومن الكلمات المؤثرة: الاعتداء - لندن - الانفجار - المفجر - الإرهابي - القبة - الانتحار - الخميس.

ويحاول إيانجار أن يبرهن أن التغطية المتعلقة بالحدث تفرز مسئولية فردية، بينما التغطية الخاصة بالموضوع أو بالفكرة، فيتولد عنها مسئولية المجتمع ككل. فدراسته التي تناولت الفقر، أظهرت أن تغطية الحدث نتج عنها أن الشعب قد حمل الأفراد المسئولية. أما في التغطية الخاصة بالموضوع، فقد أقيمت المسئولية فيه على المجتمع بآثره أو الحكومة المسئولة عن الشعب. (١٩٩١). وحينما جمعنا التغطية الإعلامية للحدث أو الموضوع بالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ظهر أمامنا نمط مثير للاهتمام. حيث لوحظ أن أغلب المفردات الأكثر تأثيراً، كلمات عامة، ولو بشكل نسبي ومن ضمنها الكلمات الشائعة التي استعرضناها أثناء التحليل ومنها: الجالية - الإرهاب - الحكومة - المهجوم... إلخ.

ومن أهم الملاحظات، أن الكلمة المحورية التي تربط بين كل الكلمات الخاصة بفترة الحدث هي كلمة الشعب. أما الفترة الزمنية الخاصة بالموضوع فتكاد تكون متطابقة مع سابقتها فيما عدا استبدال كلمة الشعب بالحكومة. وجدير بالذكر أنه في الفترة الزمنية الثانية للحدث تظهر كلمة الشعب مرة أخرى وبنفس أهمية الفترة الأولى. مما قد يعزز من فرضية إيانجار. إلا أن هذه الفرضية لاتزال تحت الاختبار، وتتطلب مزيداً من البحث قبل التحقق من صحتها.

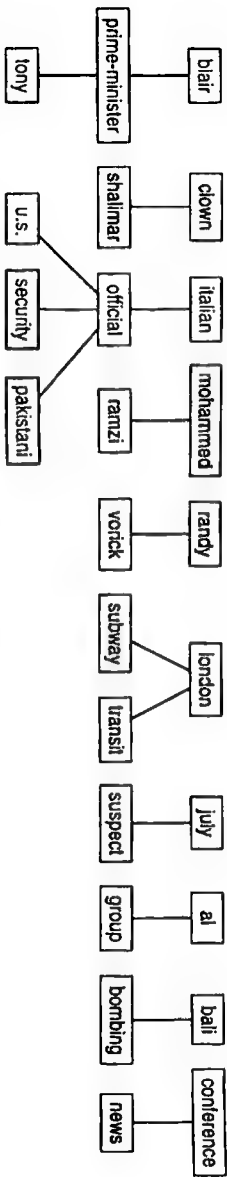
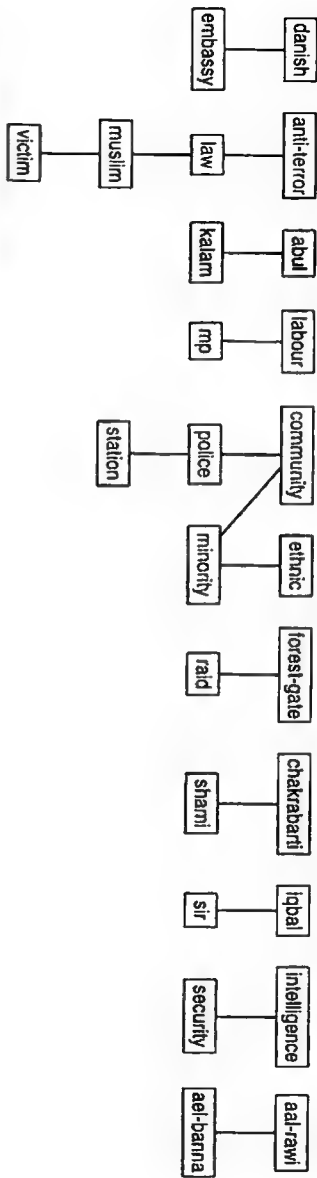


Chart 13.1. Thematic period (8 August 2005–9 August 2006) – US press clusters⁴

(الرسم البياني ١٣، ١) الفترة الخاصة بالوضع (٨ أغسطس ٢٠٠٥ – ٩ أغسطس ٢٠٠٦) مجموعات الكلمات الخاصة بالصحافة البريطانية.



Conservative vs. liberal sources

Chart 13.2. Thematic Period (8 August 2005–9 August 2006) – British press clusters

الرسم البياني ١٣، ٢ الفترة الخاصة بالحدث ٨ أغسطس ٢٠٠٥ – ٩ أغسطس ٢٠٠٦.

THEMATIC DATES (08/07/05-08/10/06)

	UK Articles	UK Articles	US + UK Articles
Conservative	No mention of Iraq. US is central, connected to terrorist attack, Islamic group, al-Qaeda, Islamic world and war - terrorism. Leader in centre of map. Connected to US and UK. Terrorism, Iraq war, Islam, and al-Qaeda stem from leader.	No mention of Iraq. Mo al-Qaeda. Government is central connected to Pakistan, Islamic, and community.	No mention of Iraq. Terrorist is top/centre connected to attack, Pakistan, Britain, American government, and war - terror.
Liberal		Community a strong theme, i.e. people and home. No mention of Iraq. No international terms.	Britain - government are central. Connected to leader, terrorist, country, and American.
Conservative + Liberal	Al-Qaeda highly influential	Local issues focus, i.e. Anti-terror law, Muslim - victim, community - ethnic - minority. No mention of al-Qaeda	Same as thematic maps except government is central influential term. Community a central theme. Iraq war somewhat central, connected to terrorism, government and US.

الشكل ٣، ١٣ الفترة الخاصة بالحدث (٦/٩-١٠/٨/٥٠٧/٧/٥٠٨)

EPISODIC DATES (07/07/05-08/07/05; 08/10/06-09/10/06)

UK Articles		US + UK Articles	
UK Articles		UK Articles	
Conservative	High influence words include al-Qaeda, and Pakistan, and Islamic group all connected.	Group is central term connected to al-Qaeda, Pakistan, Islamic, bombing, and British.	Al-Qaeda, Pakistan, and Islamic all appear influential.
Liberal	Humanistic terms, i.e. Human rights, American Muslims, Islamic community. No mention of Pakistan or al-Qaeda. Britain - war is influential. Iraq influential but at bottom of map.	No mention of al-Qaeda or Pakistan.	No mention of al-Qaeda, Pakistan or Islamic.
Conservative + Liberal	Al-Qaeda highly influential. No mention of Iraq. Madrid and September 11 connection.	Iraq somewhat central. Al-Qaeda not influential to show on maps.	Same as thematic maps except people is the central influential word. Community a central theme.

Chart 13,4.

الشكل ٤, ١٣ الفترة الخاصة بالحدث (٦/١٠/٩٠ - ٨/٧/٠٥/٠٧ - ٥/٧/٠٧)

الخلاصة

من المؤشرات المهمة لعملية الفهرسة الخاصة بالصحف بالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، أن القاعدة كانت من الكلمات الأكثر شيوعا وتأثيرا في كل الخرائط الصحفية للولايات المتحدة. وذلك على مستوى تغطية الموضوع أو الحدث، وسواء أكانت الصحف ليبرالية أو محافظة. وعلى النقيض من ذلك فإنها لا تظهر على الإطلاق بالخرائط البريطانية. بل إنه في الفترة الزمنية للموضوع، بين الحادتين، لم تظهر بالصحف سوى القضايا الخاصة بالأحداث المحلية. وبشكل عام فإن تركيز الخرائط الصحفية بالولايات المتحدة الأمريكية، جاء متضمنا لكلمات ذات أبعاد دولية، بينما ركزت الصحافة البريطانية على قضايا ذات طابع محلي، أكثر ارتباطا بقوانين المجتمع. وهناك بعض الاختلافات المثيرة للاهتمام حينها يتم التصنيف على أساس المصدر. فقد لوحظ أن الصحف المحافظة أكثر تركيزا على عناوين تحمل وجهات نظر الرئيس الأمريكي بوش أو رئيس الوزراء البريطاني بلير، بشكل يفوق كثيرا الصحف الليبرالية. وإن كان ذلك قد بدا أكثر وضوحا في فترة ما بين الحادتين. حينما تميل الصحف عادة، إلى نشر نصوص تميل إلى التأمل.

هكذا، وبشكل عام فإن هذه الدراسة، تؤيد نظرية بنت Bennett، وقد تم اختبارها من خلال العينات التي قدمتها الدراسة الخاصة بالأطر الصحفية. وكان أليكسيف وبنت، قد توصلا سابقا إلى تأكيد تأثير آراء النخب السياسية في الولايات المتحدة أو في المملكة المتحدة، على الصحف البارزة وذلك فيما يخص قضايا الأمن القومي. (١٩٩٥). وهذه الدراسة تؤكد أن تأثير النخب السياسية في كلا الدولتين، يمتد ليؤثر ليس فقط على قضايا الأمن القومي، بل أيضا على تغطية الأحداث، وقضايا الإرهاب

مما يعبر بقوة عن مواقف الحكومتين. وذلك سواء تعلق الأمر بالحدثين وقت وقوعهما أو في فترة الهدوء فيما بينهما.

وعودة إلى سؤالنا الأصلي، وما إذا كانت الصحافة تنحاز إلى جانب الحكومة في مواجهة الإرهاب. فنحن نرى أن هناك بالفعل انحيازاً إلى جانب الحكومة، من خلال إنتاج أطر إعلامية تتبنى وتؤيد مواقف الحكومة، وذلك على حساب رسالة الإرهاب التي تسعى إلى الاتصال بالشعب والتواصل معه عبر وسائل الإعلام المختلفة. وهي مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لهم. ومن هنا تعتبر عملية تحليل التغطية الإخبارية، وما يتمخض عنها من نتائج، قضية محورية خاصة في مجال مساندة جهود مكافحة الإرهاب.

و في ضوء ما قمنا به من تحليل، ولتحقيق مزيد من التعزيز لما طرحناه من فرضيات، فإن مزيداً من الدراسة والبحث في مجال ردود أفعال الجماهير، من شأنها أن تعلى من قيمة نتائج هذه الدراسة. وفيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب، فنحن نتوقع أن تتغير ردود أفعال الجمهور، وتباين خاصة إذا كان مصدر الإرهاب محلياً كأن يرتبط بجاليات أجنبية من المهاجرين مثلاً، تعيش داخل الدولة. فقد يؤثر ذلك على قضايا مثل الحريات المدنية وحدودها. حيث إن ذلك يختلف عن النشاط الإرهابي الذي تمارسه مجموعات من الأجانب (القاعدة، أو شبكات الإرهاب العالمي). وكذلك فنحن نتوقع أن يؤدي اختلاف التوجه الصحفي للحكومات في كلا الدولتين، والذي أبرزته الدراسة الحالية، إلى تبنى أساليب مختلفة فيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب داخل مجتمعات الدولتين بشكل عام.

فتوصل بريطانيا إلى أن النشاط الإرهابي الذي مورس على أرضها مصدره الجاليات الباكستانية المقيمة في لندن، جعلها تتبنى سياسة تعمل على توطيد الصلة بين الجاليات المهاجرة والشرطة البريطانية. بينما لجأت الولايات المتحدة إلى توجه مختلف، مرتبط بمكافحة الإرهاب الأجنبي على أرضها.

ورغم تركيز هذه الدراسة على الصحافة المطبوعة، فإن محاولة تحليل أخبار الإعلام المرئى يمكن أن تمدنا بمادة مثيرة للاهتمام. وعلى الرغم من أن النصوص الصحفية أكثر عمقا من أخبار التلفاز، فإننا لاحظنا أنه فى فترة هذه الدراسة، كان التلفاز يحظى بإقبال جماهيرى يفوق الصحف. وبالمثل، فإن عقد مقارنة بين وسيلتى الإعلام، من ناحية فهرسة الأخبار، قد يفرز مادة ثرية فى هذا المجال. بالإضافة إلى مدى تأثير كليهما على تأييد الجماهير لسياسات مقترحة لمكافحة الإرهاب. ومن المتوقع أن يساهم اعتماد عدد كبير ومتزايد من الأفراد على شاشات الحاسبات الإلكترونية المعروفة بتغطيتها السطحية للأخبار، فى زيادة أهمية الإطار الإعلامى.

- Althaus, S. L. (2003). When news norms collide, follow the lead: New evidence for press independence. *Political Communication*, 20, 381–414.
- Bennett, W. L. (1990). Toward a theory of press-state relations in the United States. *Journal of Communications*, 40, 103–125.
- Bennett, W. L., Lawrence, R. G., & Livingston, S. (2006). None dare call it torture: Indexing and the limits of press independence in the Abu Ghraib scandal. *Journal of Communication*, 56, 467–485.
- Bennett, W. L., Lawrence, R. G., & Livingston, S. (2007). *When the press fails: Political power and the news media from Iraq to Katrina*. Chicago: University of Chicago Press.
- Blair, T. (2005, 14 September). *Statement to United Nations Security Council on terrorism*. Retrieved October 31, 2007, from www.number10.gov.uk/Page8191.
- Block, R. (2005). US raises terror alert for transit. *The Wall Street Journal*, 8 July.
- British Government (2006, May). *House of Commons Intelligence Report*.
- Corman, S., & Dooley, K. (2006). *Crawdad Desktop 2.0*.
- Corman, S. R., Kuhn, T., McPhee, R. D., & Dooley, K. (2002). Studying complex discursive systems: Centering resonance analysis of communication. *Human Communication Research*, 28, 157–206.
- Entman, R. M. (1991). Framing U.S. coverage of international news: Contrasts in narratives of the KAL and Iran air incidents. *Journal of Communication*, 41, 6–27.
- Entman, R. M. (1993). Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. *Journal of Communication*, 43, 51–58.
- Entman, R. M. (2003). Cascading activation: Contesting the White House's frame after 9/11. *Political Communication*, 20, 415–432.
- Gamson, W. A., & Modigliani, A. (1971). *Untangling the cold war*. Boston: Little Brown.
- Goffman, E. 1974. *Frame Analysis*. Boston: New England University Press.
- Grice, A. (2005). Bomber's video: Reaction: 'No excuse' for speaking in the name of Islam, says Straw. *The Independent*, 3 September.
- Iyengar, S. (1991). *Is anyone responsible? How television frames political issues*. Chicago: University of Chicago Press.
- Alexseev, M. A., & Bennett, W. L. (1995). For whom the gates open: News reporting and government source patterns in the United States, Great Britain, and Russia. *Political Communication*, 12, 395–412.

- Iyengar, S. (1991). *Is anyone responsible? How television frames political issues*. Chicago: University of Chicago Press.
- Iyengar, S. & Simon, A. News coverage of the Gulf crisis and public opinion: A study of agenda-setting, priming, and framing. *Communication Research*, 20, 365–383.
- Laqueur, W. (1999). *The new terrorism*. Oxford: Oxford University Press.
- Lippmann, W. (1922). *Public Opinion*. New York: Free Press.
- Miller, A. (Ed.) (1982). *Terrorism, the media, and the law*. Dobbs Ferry, NY: Transnational.
- Norris, P., Kern, M., & Just, M. (2003). Framing terrorism. In P. Norris, M. Kern, & M. Just (Eds), *Framing terrorism*. New York: Routledge Press.
- Picard, R. G. (1981). The journalist's role in coverage of terrorist events. In O. A. Alali, & K. K. Eke (Eds), *Media coverage of terrorism: Methods of diffusion* (pp. 40–62). Newbury Park, CA: Sage Publications.
- Picard, R. G. (1986). News coverage as the contagion of terrorism: Dangerous charges backed by dubious science. *Political Communication and Persuasion*, 3, 385–400.
- Scheufele, D. A. (1999). Framing as a theory of media effects. *Journal of Communication*, 49, 103–122.
- Shah, D. V., Kwak, N., Schmierbach, M., & Zubric, J. (2004). The interplay of news frames on cognitive complexity. *Human Communication Research*, 30, 102–120.
- Wilkinson, T. (2005). The bombings in London. *The Los Angeles Times*, 11 July.
- Zaller, J., & Chiu, D. (1996). Government's little helper: U.S. press coverage of foreign policy crises, 1945–1991. *Political Communication*, 13, 385–405.

الفصل الرابع عشر

إرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

الإرهاب العالمى الجديد

أماندام شارب باركر

نبذة: فى هذا الفصل نناقش احتمالات حدوث ما يعرف بإرهاب الشبكة العنكبوتية، والفروق بينه وبين الجرائم العادية التى تحدث أيضا من خلال الشبكة. كما نناقش حقيقة التهديد المحتمل لهذه القوة التكنولوجية الجديدة، والحاجة إلى التعامل معها بجدية كافية لدرء الأخطار فى حينها. لا شك أن تنسيق الجهود الدولية كى تتعاون الدول فيما بينها فى هذا المجال، ضرورة حتمية لمكافحة أخطاره، خاصة وأن هذا الشكل الجديد من أشكال الإرهاب لا يقف أمامه حدود دولية ولا يقتصر موطنه على دولة بعينها.

تقديم

إن إرهاب الشبكة العنكبوتية، يمثل لقاء بين الإرهاب وهذا المجال الجديد. (دانينج، ٢٠٠٠). وقد نشأ هذا النوع من الإرهاب نتيجة البحث الدؤوب من جانب الإرهابيين عن طرائق ومجالات جديدة يوجهون من خلالها ضرباتهم إلى المجتمع؛ لذا فلا بد من إقرار أن أى مظهر حضارى للمجتمع يمكن أن يكون عرضة وهدفا للاعتداءات الإرهابية، بما فيها البنية التحتية لمؤسسات غاية فى الحساسية والخطورة. كوزارة الخارجية الأمريكية على سبيل المثال. (٢٠٠٣ USDOS)

من الواضح أنه لا يوجد اتفاق دولي على تعريف محدد للإرهاب. وقد اقترح العديد من الحكومات والباحثين والعاملين في هذا المجال من المتخصصين العديد من التعريفات، التي قد تتفق في بعض المعايير وتختلف في البعض الآخر. إلا أنه وحتى الآن لا يوجد اتفاق أو توصيف موحد للإرهاب. ومن الطبيعي أن ينطبق ذلك أيضا على إرهاب الشبكة العنكبوتية، خاصة وأنه يعتبر ظاهرة حديثة في عالم الإرهاب، وبالتالي فإن محاولات وضع تعريف متفق عليه، لا تزال محدودة. وقد اتفق باحثون من أمثال دانينج (٢٠٠) وفاتيس (٢٠٠١) وكونواي (٢٠٠٢) وبوليت (٢٠٠٤) على تعريف موحد، من واقع ما قاموا به من أبحاث في هذا المجال مع تعريفات اقترحتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية جاء به: «إنه فعل إجرامي أو مجموعة من الأفعال الإجرامية المقصودة والمخطط لها مسبقا. وتكون ذات طبيعة سياسية، أو اجتماعية أو دينية ويمارس من خلال محاولة الوصول إلى معلومات أو أنظمة أو برامج حاسوبية إلكترونية أو/و قاعدة بيانات خاصة بها. وينتج عنها أعمال عنف أو خسائر فادحة ضد المواطنين على يد مجموعات داخلية أو عملاء يعملون في السر».

و جدير بالذكر أنه قبل الهجمات الإرهابية للحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التي وقعت بنيويورك و فيرجينيا وبنسلفانيا، كانت حكومة الولايات المتحدة قد حذرت المواطنين من احتمالات تعرضها لاعتداءات إرهابية من خلال الشبكة العنكبوتية. وقد أوردت الحكومة في تقرير بعنوان «إرهاب الشبكة، الاحتمالات والنتائج» ثلاثة مستويات من التهديدات الإرهابية في هذا المجال، فأكدت أنها قد تكون ذات بنية أو تكوين بسيط أو متقدم أو مركب. (مركز دراسات الإرهاب والحرب غير التقليدية، ١٩٩٩). إلا أنه من ناحية أخرى، فمن المهم أن نشير إلى أن حكومة الولايات المتحدة قد فشلت في تقدير حجم الأخطار والخسائر المترتبة على مثل هذا الهجوم. ففي نفس التقرير جاء أن «إرهاب الشبكة لا يملك من الإمكانيات ما يجعله يتسبب في خسائر شاملة» (مركز دراسات الإرهاب والحرب غير التقليدية، ١٩٩٩) وهو ما يعد تقديرا في غير محله، من شأنه أن يقلل من أخطار هذا النوع من الإرهاب بشكل غير مسئول.

وبالرغم من أن تهديد إرهاب الشبكة العنكبوتية أصبح حقيقة تخشاهها حكومات العالم اليوم، فإن عدم تعرضها لأي هجوم من هذا النوع بعد، يجعل من الصعب التنبؤ بالإجراءات الوقائية الواجب اتخاذها للحيلولة دون وقوعه أو التقليل من فداحة الخسائر إذا وقع بالفعل.. إن لجوء المجموعات الإرهابية المختلفة إلى إمكانيات الشبكة الدولية وتقنياتها المتقدمة، سواء في تجنيد عناصرها أو في الحصول على التمويل أو التدريب اللازم، أمر معروف وشائع الحدوث في عالمنا اليوم. إلا أن استخدام هذا التقدم الهائل والإمكانيات التقنية العالية لهذه الوسيلة في توجيه ضربات واستهداف مصالح لا يزال غير واضح. ومن هنا كانت الصعوبة في تقدير حقيقة التهديد الذي قد يتعرض له العالم، خاصة مع تضاؤل المعرفة الخاصة بنوع الخسائر أو حجمها. إلى جانب الجهل بمعرفة القدرات التقنية الحقيقية للجماعات الإرهابية. وأخيرا عدم امتلاك القدرة على تكوين تصور جاد للأهداف التي يمكن أن تكون عرضة للاعتداءات الإرهابية عبر الإنترنت.

استخدام الإرهابيين للتقنية الحديثة

وعلى الرغم من عدم لجوء الإرهابيين بعد إلى هذه الوسيلة في توجيه الهجمات الإرهابية، فإنهم لا يجهلونها بالكامل. بل إن بعض الجماعات الإرهابية مثل تامليل التايجر بسيرلنكا وأوم شينريكو باليابان قد استخدمت بالفعل وسيلة شبيهة بهجمات الشبكة ضد حكوماتها. ومن المعروف أن تنظيم القاعدة الإرهابي، والمسئول عن اعتداءات ٩ / ١١ يستخدم بشكل منتظم نظام الحاسوب في عمليات تنظيمية كثيرة. وحكومة الولايات المتحدة يحدوها اعتقاد راسخ أن القاعدة تدرب أعضائها على تقنيات وخطط الإرهاب العنكبوتية. وهي تستدل على ذلك مما وجدته في حوزة بعض أعضائها ممن قبضت عليهم بقاعدة بباكستان، حيث كشفت بيانات حاسوباتهم، عن معلومات غاية في السرية تتعلق بالبنى التحتية الأمريكية.

ومن ناحية أخرى، فإن العديد من المجموعات الإرهابية، يستعينون باستخدامات تقنيات الشبكة في منظماتهم فيما يخص عمليات تجنيد الأعضاء أو التدريب أو التخطيط

للاعتداءات المقبلة. (سيلوفو وباتاك، ٢٠٠٦، كرامارينكو، ٢٠٠٤). ويمكن ذكر ما يلي من تلك المجموعات، حزب الله، حماس، الجيش الثوري المسلح بكولومبيا (FARC) مجموعة نمور التاميل (LTTE). مجموعة الجيش الجمهوري الأيرلندي (IRA) (قبل وقف إطلاق النار) ومجموعة أبي نضال.

وطبقا لعمر بكرى محمد، أحد أتباع ومؤيدي أسامة بن لادن، فإن القاعدة تمتلك من التكنولوجيا الحديثة ما يؤهلها لشن هجوم عنكبوتي. ويؤكد «أن الإسلام لا يانع في استخدام التقنيات الحديثة كوسيلة هجومية في حالة تعرضه للخطر» (فيرتون، ٢٠٠٣)، كما يضيف أن «بن لادن» محاط بأتباع حاصلين على درجات علمية عالية في مجال علوم الحاسوب أو برمجة الحاسوب أو تكنولوجيا المعلومات» (IT) .. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلديها معلومات أكيدة تفيد بدخول أعضاء القاعدة عدة مرات على مواقع للإنترنت تتيح معلومات خاصة بطرق تشغيل شبكات إمداد الكهرباء والماء ووسائل النقل وغيرها من شبكات الإمداد (جالن، ٢٠٠٢). بالإضافة إلى أن أسامة بن لادن قد كرر عدة مرات بالفعل في تصريحاته، اعترافه تدمير اقتصاديات الدول أو النظم الرأسمالية. ويؤكد محمد أنه يرى في أسواق الأوراق المالية بلندن ونيويورك وطوكيو أهدافا نموذجية لتحقيق هذا الهدف. وطبقا له. «لن يدهشني على الإطلاق، حدوث انهيار اقتصادي ضخم نتيجة لهجوم يتعرض له النظام التقني بالشركات الكبيرة» (فيرتون، ٢٠٠٣).

وقد أثار ما أدلى به فرانك سلوفو، مستشار الرئيس الأمريكي الخاص ومستشار مكتب الشئون الخارجية، من تصريحات مهمة كثيرا من القلق بشأن احتمالات أخطار جديدة ترتبط بإرهاب الشبكة، وتهدد المستقبل. وكان ذلك في يونيو ٢٠٠١. وطبقا له «إذا كان الخوف يتهددنا من استعداد «بن لادن» بالأسلحة الفتاكة، فإن تهديد أحفاده لن يكون أقل خطورة. إذ قد يقودون حريهم من خلال شبكة الإنترنت» (فيرتون، ٢٠٠٣).

ومع ذلك فكثيرون ما زالوا لا يعترفون بمثل هذه الأخطار. ويشككون في جدية خطر الإرهاب العنكبوتى أو قدرته على تكبيد الدول خسائر باهظة. (بريناتو، ٢٠٠٢). ومنهم مدير هيئة الموارد المائية بهاماساتشوستس (MWRA). مدللا على رأيه باستحالة تخطى «الاستحكاكات الأمنية» لتنفيذ مثل هذا الهجوم (بريناتو، ٢٠٠٢).

كما أنه من الملاحظ عدم التعامل بشكل جاد مع هذا الموضوع من قبل وسائل الإعلام. التى تستخدم مصطلح «إرهاب الشبكة العنكبوتية» بهدف لفت الانتباه ليس أكثر. فعلى سبيل المثال نشرت إحدى الصحف الكندية خبرا تحت عنوان يقول «صبى يعترف بممارسة إرهاب عنكبوتى ضد أفراد عائلته» (كرستفين، ٢٠٠٢). وقد اتضح فيما بعد من تقارير الشرطة أن الصبى لم يفعل سوى أنه قام بإرسال عدة رسائل عبر البريد الإلكتروني، مثيرا للخوف على سبيل المزاح، مما تسبب في «إثارة الفزع فيما بينهم» (كراسافين، ٢٠٠٢). وفى يوليو ٢٠٠٧، تم بث تقرير على الإنترنت، يعلن عن بدء أول محاكمة من نوعها فى لندن، إذ تعتبر «أول محاكمة فى العالم لأول حادثة تتعلق بإرهاب الشبكة العنكبوتية» (سوليفان، ٢٠٠٧) وتم توجيه الاتهام لثلاثة أفراد استخدموا الشبكة الإلكترونية فى جمع التمويل والمساعدة فى التخطيط للاعتداءات لتنظيم القاعدة. وقد استمرت المحاكمة مدة شهرين، حتى اعترف وأقر المتهمون الثلاثة بجريمتهم. (سوليفان، ٢٠٠٧)، ولا يخفى أن هذه الحوادث لا تشكل إرهابا بل هى من قبيل جرائم الشبكة. فضلا عن ذلك فحادثة واحدة فقط من الاثنتين هى التى ساندت أو ساعدت مجموعة إرهابية. كما أن الاستخفاف بتعبير «إرهاب الشبكة العنكبوتية» وعدم إيلانه اهتماما حقيقيا، يعكس مدى خطورة الموقف. إذ يرسخ فى الأذهان عدم أهمية هذا الشكل من التهديدات الإرهابية.

(الجدول ١، ١٤) أهداف ومناطق مستهدفة للإرهاب العنكبوتى

حالة الدولة	الهدف	مناطق مستهدفة
وقت سلام	تجسس	حكومة الولايات المتحدة، مراكز أبحاث الجامعات شركات خاصة
المواجهة	الاستعداد لهجوم عبر الشبكة، من خلال التعرف على الأهداف السهلة	أنظمة المعلومات بالولايات المتحدة، التعرف على أهداف أساسية
وقت الحرب/الأزمات	هجوم	تزويد الأبواب الخلفية للبنية التحتية للولايات المتحدة وغيرها من وسائل الاختراق بما يلزم. البنية التحتية المهمة، ووظائف الاقتصاد، النيل من ثقة الجماهير في أنظمة معلومات الدولة.

المصدر (٢٠٠٣-USDOS)

ووافقنا في هذا رأى ريتشارد كلارك، المستشار الخاص السابق للرئيس بوش لشئون أمن شبكة الإنترنت، إذ طبقاً له «يخطئ الأفراد بالاستهانة بما يمكن أن ينجم عن الهجوم الإرهابى من خلال الشبكة، وبالتالي يهملون فى أهمية التأمين ضد هذا الهجوم. حيث يزعمون أن أحدا لن يموت من هذا الاعتداء. ولكنهم بالطبع مخطئون فى ذلك. فخطر إرهاب الشبكة قائم وحقيقى». (هوبس، ٢٠٠٥).

وجدير بالذكر أنه بعد اعتداءات ٩/١١، قامت حكومة الولايات المتحدة، بإعادة تقييم جادة لتهديدات إرهاب الشبكة. ومن هنا كان إصدارها لتقرير «الإستراتيجية القومية لتأمين فضاء الإنترنت (الشبكة العنكبوتية)» عام ٢٠٠٣. وتقوم هذه الوثيقة، بإبراز الأهداف المحتملة والممكنة لإرهاب الشبكة أثناء وقت السلم، وأثناء المواجهة، ووقت الحروب أو الأزمات. (USDOS (الجدول ١، ١٤) ومما يفسر عدم وجود خطوات جادة

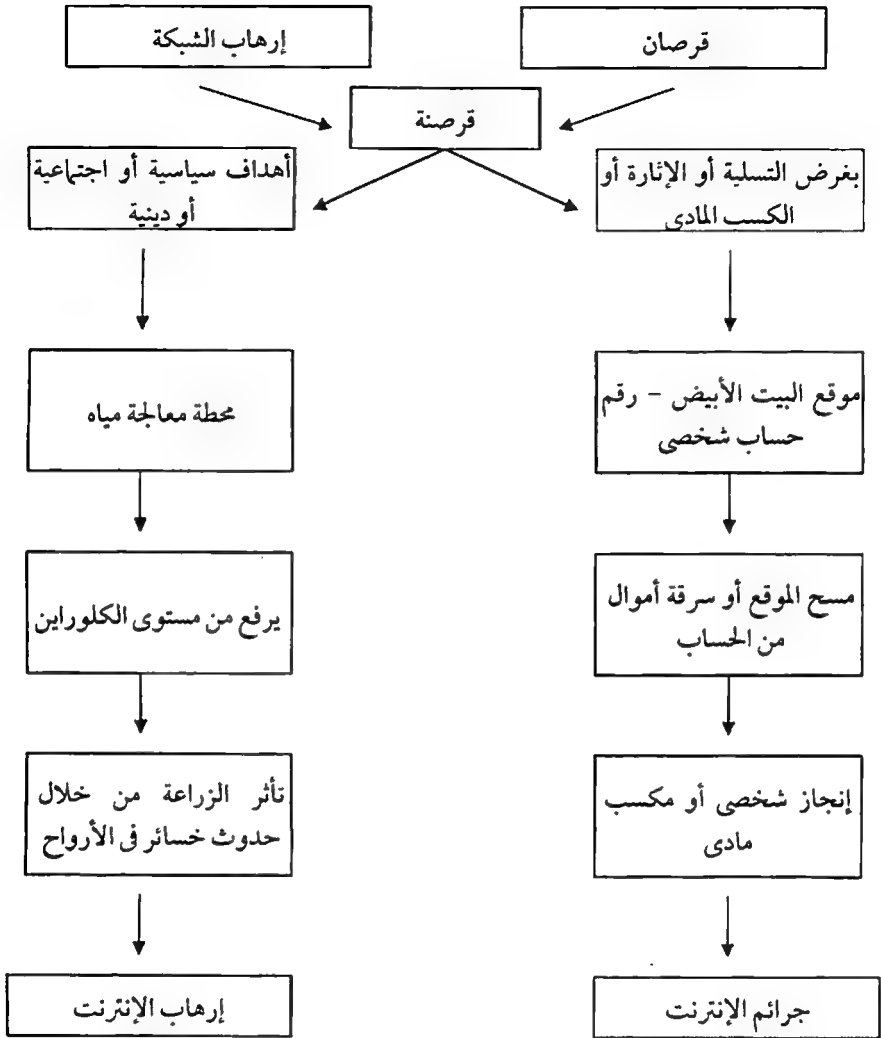
ووقائية ضد هذه الأخطار لتأمين «أماكن الأهداف» وقت السلم أو في أوقات المواجهة، أن هذه الأفعال تعتبر من قبيل القرصنة أو جرائم الشبكة، ما دامت لم تحدث في زمن الحروب أو الأزمات. هنا يكون هناك إمكانية حقيقية لحدوث إرهاب من خلال الشبكة. وحتى إذا حدث ذلك، فلا يمكن اعتباره إرهابا، طبقا لتعريف إرهاب الشبكة العنكبوتية، إلا إذا أسفر عنه حالة من الفزع العام وتسبب في إلحاق أضرار حقيقية أو ما يمكن اعتباره خسائر فادحة. فمجرد الهجوم على موقع إلكتروني لا يمكن اعتباره من قبيل الإرهاب.

إرهاب الإنترنت وجرائمه

من المهم بمكان عدم الخلط بين المفهومين. حيث إن هناك اختلافا واضحا فيما يخص الهدف، أو المنفذ، أو حجم الضرر الذي يتسبب عنه كلاهما. فالفرد الذي يقوم بالقرصنة على الحساب البنكي لشخص آخر، بهدف سرقة معلومات تخص كروته الائتمانية، لا يعد ممارسا لإرهاب الإنترنت، حتى إذا كان يعتزم استخدام ما يتحصل عليه من أموال في مساعدة جماعات إرهابية. وعلى الرغم مما قد ينجم من آثار مدمرة بسبب ممارسة تلك الجرائم على الأفراد أو العائلات، فإن الخسائر التدميرية لممارسة إرهاب الشبكة، تفوق ذلك بكثير من حيث حجم فداحتها أو آثارها الكارثية.

ورغم أن مثل هذه الحوادث لم يتعرض لها العالم بعد، فإن حدوثها يشكل خطرا واقعا، وقد يصبح أمرا حتميا، مع ما يشهده عالمنا المعاصر من تقدم تكنولوجيا بمعدل غير مسبوق. فلنتخيل الآن هذا السيناريو محتمل الحدوث:

محطة إمداد مياه بسان فرانسيسكو يقوم بتأمينها وحراسة زائريها رجال أمن مشرفون على المنطقة المحيطة بها. كما أن أوامر منع زيارة الأماكن السرية بدون وثائق رسمية، يتم تنفيذها حرفيا وطبقا للتعليمات الصادرة في هذا الشأن. ولنتخيل الآن شخصا على الضفة الأخرى من المحيط يقضي يومه في مكان عمله أو في منزله أو أحد مقاهي الإنترنت. وأنه قد تمكن من اختراق شبكة الأمن الخاصة بهذه المحطة مما يمكنه من التعديل في نظام الفلتر الخاص بمعالجة المياه. وأنه قام بتغيير معدلات تركيز مادة الكلورامين بالمياه إلى مستوى خطير.



(الجدول ١, ١٤). الفروق بين جرائم الشبكة وإرهابها

إن نتائج مثل هذا الهجوم الإرهابي للشبكة، يمكن أن تكون غاية في الفداحة، من ناحية التلوث الزراعى، أو البيئى. والأدهى من ذلك كله، أنها، قد تسفر عن وفاة الأفراد الذين يشربون هذه المياه غير الواعين بما اعتراها من تغيير وتلوث. كل هذا ممكن الحدوث، فى واقع الأمر، دون أن يحتاج الإرهابى إلى مغادرة مكانه أو زيارة موقع هذه المحطة.

ويذكر فاتيس احتمالات أخرى للهجوم من خلال الإنترنت (٢٠٠١) ومن هذه الاعتداءات، محاولة مسح المواقع، وممارسة هجوم على دلالات الألفاظ، واعتداءات على خدمات مختلفة للإنترنت.. وأخيرا العمل على نشر الفيروسات المختلفة. (فاتيس ص ١٤-١٦) وقد يلجأ إرهابيون إلى استخدام أى من هذه الوسائل أو كلها. إلا أنها لاتعتبر مع ذلك، سوى جرائم على شبكة الإنترنت. كما يناقش فاتيس حالات أخرى يعتبرها إرهابا على شبكة الإنترنت، مثل السيطرة على البنية التحتية للتحكم فى محطات إمداد المياه أو البنية التحتية لإمداد الكهرباء. ولكنه يؤكد أنه لا يمكن اعتبارها إرهابا إلا إذا مورست من خلال الإنترنت وترتب عليها أضرار عامة.

و الخلاصة إذا، أن الفارق الأساسى بين جريمة الإنترنت وإرهاب الإنترنت يكمن فى دافع الجريمة، والأهداف التى تتحقق من تنفيذها، إلى جانب الأماكن المستهدفة من هذا الهجوم. وأخيرا حجم الخسائر الناجمة عنها. وغنى عن القول أن الأفراد الذين يرتكبون جرائم على الإنترنت لديهم دوافعهم الشخصية، مثل تحقيق مكسب مادى أو إنجاز شخصى من خلال تمكنهم من اختراق الحواجز والدخول على أنظمة ومواقع مختلفة للحاسوب. إلا أن إرهاب الإنترنت تكون دوافعه سياسية، أو دينية أو اجتماعية. كما أن الهدف من ممارستها يكون إلحاق أكبر قدر من الخسائر العامة، بما فيها التسبب فى حالات وفاة لأكثر عدد ممكن من الأفراد. (انظر: الشكل ١، ١٤).

الأهداف المحتملة لإرهاب الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

لا يقتصر تركيز إرهاب الشبكة على أنظمة الحاسويات وحدها، كما قد يبدو من اسمه، وذلك لأن نقطة تركيزه تنصب فى الأساس على كم ضخم من المعلومات التكنولوجية.

ومن المعروف أن إرهاب الإنترنت يمكن أن يهاجم أنظمة علاجية، مما قد يعرقل سير النظام العلاجي بالمستشفيات أو يفسد الأجهزة، مثل أجهزة تنظيم ضربات القلب، أو أجهزة الحفاظ على الحياة. كما يمكن أن يعرقل إرهاب الإنترنت حركة المواصلات، من خلال تعطيل أجهزة الحاسوبات التي تتحكم في السيارات أو أجهزة التحكم في حركة المرور. كما يمكن أن يوجه هجومه إلى مفاعلات كهربائية، وأنظمة اتصالات عامة أو البنى التحتية للبنوك / الاقتصاد. ومن الممكن أن يركز إرهابيو الشبكة، هجومهم على الجيش، بما فيه المعدات أو وسائل الاتصال. (كولين، ٢٠٠٤). ومن الأنظمة التي يسهل تعرضها للهجوم، الأجهزة المتحكممة في سير الحياة اليومية. إذ إن الحاسوبات، تتحكم في إدارة تسهيلات نعتمد عليها في حياتنا اليومية. على مدى ٢٤ ساعة ولمدة ٧ أيام متواصلة في الأسبوع. وهى تسهيلات نعتمد عليها ونعتبرها من المسلمات، ولا يمكن الاستغناء عنها على الإطلاق. فلا يجب أن ننسى أن أجهزة الحاسوبات فى «حالة مستمرة من القراءة والتعديل للبيانات، وهو ما يستلزم فى بعض الأحيان فتح صمام هنا أو إغلاق مخزن هناك» (هوبس، ٢٠٠٥، فيرتون، ٢٠٠٣). وأخيرا يمكن أن تتعرض خدمة الطوارئ المرتبطة بخطوط الهواتف العامة (مثل خط طوارئ ٩١١) للاعتداء، أو لهجوم إرهابى من خلال شبكة الإنترنت (لويس، ٢٠٠٢). مما قد ينجم عنه أضرار كثيرة للمجتمع الأمريكى الذى يعتمد عليها بشكل متزايد.

وتبدو قائمة الأهداف المحتمل تعرضها لهجوم إرهابى من خلال شبكة الإنترنت لانهائية. حيث إن أى بنية تحتية تعتمد على التكنولوجيا تعتبر عرضة لهجوم إرهابى من هذا النوع. وقد ذكرت حكومة الولايات المتحدة قائمة من الأهداف المحتملة والأكثر عرضة لمثل هذا الهجوم، وذلك من خلال لجنة الرئيس لحماية البنية التحتية الأساسية. وتشمل هذه القائمة:

١ - معلومات ووسائل اتصالات.

٢ - محطات إمداد الكهرباء.

٣ - الغاز والبتروول (الإنتاج والنقل والتخزين).

٤ - البنوك والتمويل.

٥ - النقل والمواصلات.

٦ - محطات إمداد المياه.

٧ - خدمات الطوارئ.

٨ - خدمات الحكومة (إمبار - سيدون، ٢٠٠٢).

وتتضمن هذه القائمة مجالات شديدة العمومية، إلا أنها جميعاً تعتمد على أنظمة الحاسوب حتى تعمل بكامل طاقتها. وهنا يحمل الخطر. فعلى سبيل المثال، الصناعات البترولية تعتمد على نظام التحكم الرقابى واكتساب البيانات (SCADA) إلى جانب أنظمة إدارة الطاقة (EMS) لضمان أن تعمل بكامل طاقتها. وهنا تكمن خطورة تعرض هذه الصناعة لاعتداء إرهابى من خلال الشبكة؛ مما يترتب عليه تعرض صناعات أخرى للأعطال مثل النقل. وهكذا تتضح الآثار التدميرية المحتملة لمجتمعات تعتمد بشكل أساسى على تلك التقنيات. (فاتيس، ٢٠٠١).

يعتمد الكثير من البنى التحتية على أنظمة (SCADA) في تشغيل صناعاتها (جياكوميلو ٢٠٠٤)، وعلى سبيل المثال السدود الكهرو/ مائية والشبكات الإلكترونية (بما فيها شبكات التحكم فى مرور الهوائى) تعتبران من البنى التحتية الأكثر عرضة لهجوم إرهابى من خلال الإنترنت. يؤكد مايكل تشرتوف، المساعد السابق للمدعى العام للولايات المتحدة الأمريكية، أنه من الناحية الواقعية، يتطلب تدمير السد أطناناً من المتفجرات (جيلمان ٢٠٠٢)، وغنى عن الذكر، أن أية محاولة للاقتراب من السد لوضع متفجرات، سوف يعقبها إعلان حالة التأهب القصوى من جهة السلطات المسؤولة. فى حين أنه من الممكن الوصول إلى أجهزة التحكم فى السد من خلال شبكة الإنترنت. ولا يخفى أن محاولة فتح بوابات الفيضان التى تتحكم بها السدود سوف تسبب فى

كارثة وحالة من الدمار الشامل لا قبل لأية دولة بها . ورغم استبعاد هذا السيناريو فإن احتمالات وقوعه ليست بالمستحيلة . فقد كشفت الولايات المتحدة النقاب ، من خلال وسائل الإعلام ، عن معلومات تفيد بأن أحد الحاسوبات التي تمكنت من الوصول إليها ، وكانت في حوزة أحد أعضاء القاعدة ، احتوت على معلومات مفصلة ، عن سد غير معروف . وقد تمكن برنامج الحاسوب المتقدم من تحقيق تدمير لهذا السد (وإن لم يكن في الواقع) . (جيلمان ٢٠٠٢) . إرهاب شبكة الإنترنت لا يبدو إذا نائيا أو مستبعدا . بل قد يكون على بعد خطوات قليلة من الهدف .

وطبقا لجريدة الواشنطن بوست ، في عام ١٩٩٨ ، وجد صبي في الثانية عشرة نفسه فجأة وهو على الإنترنت على صفحة التحكم الخاصة بسد روزفلت بأريزونا . وطبقا للسلطات الفيدرالية ، كان الطريق ممهدا أمامه للولوج إلى نظام SCADA بها فيها من تحكم كامل في بوابات الفيضانات للسد . (جيلمان ، ٢٠٠٢) ويبدو أن الصبي لم تكن لديه أية نوايا سيئة ، بل على الأغلب ، أنه لم يفهم خطورة الموقف . ولو كان الموقف قد تكرر مع إرهابي لكان من الممكن أن يفتح بوابات الفيضان ، فتندفع ٤٨٩ ترليون جالون من المياه إلى أريزونا . مما كان سيسفر عنه ، حسب التوقعات ، ما يشبه «سهلا من الفيضان يضم مدن ميسا وتمب ، التي تشتمل على ما يقرب من مليون نسمة» (جيلمان ، ص ٤) .

قضية ماروشى شاير

(مجلس ماروشى شاير ، ٢٠٠٦)

أما الذين ما زالوا متشككين في إمكانية قيام هجوم من هذا النوع أو حجم الخسائر المترتبة عليه ، فليعودوا بذاكرتهم إلى عام ٢٠٠٢ على الشاطئ المشمس لكوينزلاند بأستراليا . حيث وقع أحد الاعتداءات من خلال شبكة الإنترنت . وتعتبر جريمة وليست إرهابا ، حيث إن الدافع من ورائها ، كان شخصيا وليس سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا . ولكن أهمية هذه القصة تتمثل في كونها الأولى في التاريخ ، التي

يتمكن فيها شخص بمفرده من الاعتداء على بنى الدولة التحتية بسهولة، ومن خلال استخدام نظام تحكم رقمي. (باركر، ٢٠٠٢). لقد تمكن فيتك بودن، وهو مهندس وخبير حاسوب آلي، من الدخول عبر الشبكة على محطة مضخات للصرف الصحي، تقع شمال ماروشيدور بكوينزلاند بباروشى شاير، بأستراليا. (باركر، ٢٠٠٢). كما تمكن من تجاوز الإطار الأساسى والسيطرة على أجهزة التحكم. وذلك من خلال الاستعانة بحاسوب (لابتوب) وجهاز مذياع ذى اتجاهين (هيموز، ٢٠٠٣). وفى خلال شهرين أو ثلاثة شهور، قام فيتك بمحاولات لاختراق النظام ما يقرب من ٤٦ مرة. (باركر، ٢٠٠٢). حتى تمكن فى نهاية الأمر من إجراء تعديل على نظام عمليات الصرف الصحى، بحيث عرقل الاتصالات بين مختلف الحاسوبات، متسببا فى تعطيل أجهزة الإنذار وإعاقة انطلاقها. وقد ترتب على ذلك تدفق كميات من مياه الصرف الصحى تضاهى ملايين من الليترات، التى اندفعت على سواحل هذه المنطقة Sunchine Coast's waterways. (هيموز، ٢٠٠٣). وقد تمكنت قوات الأمن من القبض عليه ولكن بعد ثلاثة أشهر من ارتكابه هذه الجريمة. حيث كان بالفعل قد ألحق ضررا جسيما بالمنطقة. (هيموز، ٢٠٠٣) وقد لخصت جانيل براينت، وهى محققة فى وكالة حماية البيئة لكوينزلاند، تلك الأضرار «بأنها تسببت فى موت الحياة المائية، وحولت مياه الخليج إلى اللون الأسود، بالإضافة إلى الرائحة النتنة غير المحتملة، التى أزعجت الأنوف فترة طويلة، فى هذه المنطقة».

وقد تمت محاكمة بودن، حيث أدين بثلاثين تهمة تتعلق بالقرصنة على أنظمة الحاسوب. وقد حكم عليه بالسجن مدة سنتين. (باركر، ٢٠٠٢). ورغم أن ما فعله بودن كان مقصودا ومخططا، فإن دافعه فى هذه الجريمة، كان شخصيا. حيث سيطر عليه هاجس الانتقام والثأر من شركة كانت قد رفضت أن تعينه بها. أما لو كانت دوافعه سياسية أو دينية لكان قد أصبح أول حالة للهجوم الإرهابى عبر الإنترنت.

ولاشك أن هذه الحادثة تعد برهانا واضحا، ومثالا حيا لأخطار وتهديدات إرهاب الشبكة العنكبوتية وذلك دون حاجة منقذه إلى الوجود الفعلى فى موقع الحادث.

المستقبل

مما سبق يتضح، بلا أدنى شك، أن إرهاب الإنترنت، حقيقة أكثر منه مجرد افتراض؛ لذا فمن اللازم على الحكومات أن تتخذ إجراءات وقائية قبل أن تقع الفأس في الرأس، كما يقال. أى قبل أن تقبل جماعات إرهابية على ممارسة عمليات إرهاب حقيقية من خلال الإنترنت. فبادئ ذى بدء، على الحكومات أن تفترض أن كل البنى التحتية التى تعتمد على التكنولوجيا الحديثة فى تشغيل وإدارة عملياتها تعتبر عرضة لهجوم إرهابى عبر الإنترنت. وبعد تحديد تلك البنى التحتية، لابد من تحليل وقياس واقعى لحقيقة ما تتعرض له تلك العمليات المعتمدة على التقنية الحديثة من أخطار؛ لذا، فهناك عدة أسئلة لابد للحكومات أن توجهها لنفسها، بهدف تحقيق الإجراءات الوقائية اللازمة ومنها:

ماذا يعود على المجموعة الإرهابية من مكاسب جراء مهاجمة أى من تلك البنى التحتية؟

وما البنية التى يتسبب تدميرها فى إلحاق أكبر قدر من الخسائر للجماهير؟ ما مواطن الضعف فى التكنولوجيا التى تدير أو تعمل على تشغيل تلك البنى التحتية؟ وبمجرد التعرف على المشاكل المحددة و/ أو مواطن الضعف فى تلك البنى، حتى يجب أن تبدأ الحكومات والمسؤولون عن تلك البنى، فى تحسين نظام الأمن وتطويره. ويعتبر هذا الإجراء خطوة مهمة ومحورية على طريق تأمين عناصر التكنولوجيا فى البنية الأساسية خاصة إذا كانت مرتبطة بالنظام الأمنى بالمبنى المراد حمايته.

ولاشك أننا فى أمس الحاجة إلى نظام كامل للطوارئ شبيه بالموجود حالياً للنجدة أثناء أحداث الكوارث الطبيعية. كما أن التعاون ضرورى بين مختلف هيئات الحكومة. إن ظروف إدارة الأزمات تقتضى تعاوناً وتنسيقاً تاماً بين الأجهزة الفيدرالية للدولة، وبين الحكومات المحلية، والقطاع الخاص بالإضافة إلى قيادات المجتمع. من أجل بناء إستراتيجية متكاملة للتعاون والاستعداد. (جيلمور، ٢٠٠٦). ويؤكد جيلمور، أنه «فى

حالة الطوارئ الحقيقية، أى عند التعرض لخطر هجوم إرهابى حقيقى، فلا بد أن تكون هناك خطة موضوعة مسبقاً لأول ٧٢ ساعة. تشبه خطط الجيش، يعرف بمقتضاها كل فرد دوره فى مساعدة المجتمع فى هذه الأزمة» (٢٠٠٦).

إلا أن هناك مشاكل عديدة مرتبطة بارتفاع تكاليف تطبيق هذه الدرجة العالية من التأهب والاستعداد. فإجراءات اتخاذ تدابير الوقاية المتقدمة باهظة الثمن. وبما أن الإرهاب عموماً ليس له حدود، فإن إرهاب الإنترنت ينطبق عليه نفس الشيء. وهذا يشكل عائقاً لكثير من الدول التى لا تملك ترف توفير معدات حماية كل البنى التحتية شديدة الحساسية والخطورة. ويؤكد جولوبيف أن مشكلة إرهاب الإنترنت ذات شقين، بالنسبة لأوكرانيا على سبيل المثال، فهى لا تستطيع تحمل تكاليف التكنولوجيا اللازمة لحماية كل منشأتها من إرهاب الإنترنت، ومن ناحية أخرى فإن معظم هذه المنشآت أو البنى التحتية تعتبر ذا أهمية إستراتيجية، مما يستلزم مراقبتها وحمايتها بصفة مستمرة. (جولوبيف، ٢٠٠٥). ثم إن هناك مشكلة لا يمكن تجاهلها، خاصة بعمر الإجراءات الوقائية للتكنولوجيا المتقدمة. فما إن يتمكن الإرهاب من اختراق النظام الأمنى للبنى التحتية، حتى يستوجب الأمر تطوير وتحديث مستوى التقنية، حتى تصبح الحماية فعالة.

ملخص

أصبح إرهاب الإنترنت، هاجساً ومصدراً للقلق، فى عالم اليوم، الذى يتسم بالتطور السريع للتكنولوجيا المتقدمة. مما يستوجب اتخاذ إجراءات حماية ووقاية سريعة من جانب الحكومات. إن إرهاب الإنترنت أصبح حقيقة ماثلة أمام أعيننا جميعاً، ولم يعد مجرد فرضية يشكك فى مدى جدتها؛ لذا نجد اليوم مزيداً من الأكاديميين والمتخصصين فى شتى المجالات إلى جانب الحكومات، بطبيعة الحال، وقد أصبحوا أكثر وعياً وإدراكاً بخطورة خسائر وأضرار مثل هذا الهجوم. الذى يتأثر به كل من الإنسان والمنشآت على حد سواء. إن على الحكومات أن تواجه مسئولياتها فى التعاون فيما بينها، لتقوية نظام الأمن الإلكترونى لمنشآت البنى التحتية لدولها، إذا أرادت الوقاية من تبعات هذا

المهجوم. كما أن عليها أن تتخذ إجراءات للاستعداد من خلال خطة لمواجهة هذا الهجوم إذا وقع بالفعل. إن هذا التعاون والتنسيق فيما بين الدول لم يعد ترفاً، بل ضرورة، خاصة وأن إرهاب الإنترنت ليس مقصوراً على دولة بعينها أو مكاناً محدداً من العالم.

- Barker, G. (2002). Cyber terrorism a mouse-click away. Retrieved June 24, 2007, from www.theage.com.au/articles/2002/07/07/1025667089019.html
- Berinato, S. (2002). The truth about cyberterrorism. *CIO Magazine*, 15 March.
- Center for the Study of Terrorism and Irregular Warfare (1999). *Cyberterror: Prospects and implications*.
- Cilluffo, F., & Pattak, P. B. (2006). Cyber threats: Ten issues to consider. In R. Howard, J. Forest, & J. Moore (Eds), *Homeland security and terrorism* (pp. 167–181). New York: McGraw-Hill.
- Collin, B. C. (2004). *The future of cyberterrorism: Where political and virtual worlds converge*. Retrieved December 13, 2004, from <http://afgen.com/terrorism1.html>
- Conway, M. (2002). What is cyberterrorism? *Current History*, 101, 436–442.
- Denning, D. (2000). *Cyberterrorism*. Testimony before the Special Oversight Committee on Armed Services, US House of Representatives, 23 May. Retrieved May 1, 2005, from www.cs.georgetown.edu/~denning/infosec/cyberterror.html
- Embar-Seddon, A. (2002). Cyberterrorism. Are we under siege? *American Behavioral Scientist*, 45, 1033–1043.
- Gellman, B. (2002). *Cyber-attacks by Al-Qaeda feared*. Retrieved May 4, 2007, from www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/06/12/AR2006061200711.html
- Giacomello, G. (2004). Bangs for the buck: A cost-benefit analysis of cyberterrorism. *Studies in Conflict & Terrorism*, 27, 387–408.
- Gilmore, J. (2006). *Grassroots response: Citizens taking care of citizens during disasters*. Heritage Lecture Series. Washington, DC: Heritage Foundation.
- Golubev, V. (2005). *Cyberterrorism as a new form of terrorism*. Retrieved May 4, 2007, from www.crime-research.org/library/Golubev_august1.html
- Hoopes, N. (2005). New focus on cyber-terrorism. *The Christian Science Monitor*, 16 August. Retrieved December 12, 2005, from www.csmonitor.com/2005/0816/p01s02-stct.html
- Hughes, G. (2003). *The cyberspace invaders*. Retrieved June 24, 2007, from www.theage.com.au/cgi-bin/common/popupPrintArticle.pl?path=/articles/2003/06/21/1056119529509.html

- Kramarenko, D. (2004, April 14). *Terrorism and high technologies*. Computer Crime Research Center. Retrieved March 24, 2005, from www.crime-research.org/news/14.04.2004/211/
- Krasavin, S. (2002). *What is cyberterrorism?* Retrieved April 13, 2007, from www.crime-research.org/library/Cyber-terrorism.htm
- Lewis, J. A. (2002). *Assessing the risk of cyberterrorism, cyber war and other cyber threats*. Washington, DC: Center for Strategic and International Studies.
- Maroochy Shire Council (2006). *Maroochy Shire division map*. Retrieved August 15, 2007, from www.maroochy.qld.gov.au/sitePage.cfm?code=shire_map
- Pollitt, M. M. (2004). *Cyberterrorism, fact or fancy?* Retrieved December 13, 2004, from www.cs.georgetown.edu/~denning/infosec/pollitt.html
- Sullivan, B. (2007). Cyberterror and ID theft coverage in London. Retrieved July 7, 2007, from <http://redtape.msnbc.com/2007/07/cyber-terror-an.html>
- United States Department of State (USDOS) (2003). *The National Strategy to Secure Cyberspace*. Retrieved April 1, 2005, from www.dhs.gov/xlibrary/assets/National_Cyberspace_Strategy.pdf
- Vatis, M. A. (2001). *Cyber attacks during the war on terrorism: A predictive analysis*. Institute for Security Technological Studies, Dartmouth College, NH.
- Verton, D. (2003). *Black ice: The invisible threat of cyber-terrorism*. Emeryville, CA: McGraw-Hill Company.

الفصل الخامس عشر

فك الاشتباك مع الإرهاب^(١)

جون هورجان^(٢)

نبذة: ارتبط تحليل سلوكيات الإرهابيين ولزمن طويل بمحدودية إمكانيات المجال السيكولوجي. أما الآن، فقد اختلف الأمر، إذ أصبح الطريق مفتوحاً أمام أبعاد جديدة من التحليل المتطور، لقياس هذه السلوكيات. وإن كنا لانزال بعيدين عن توجيه اهتمام كاف أو منظم لأسباب نبذ الأفراد للنشاط الإرهابي أو الإجابة عن أسئلة مثل: كيف ولماذا يقرر الإرهابي فك الاشتباك مع الإرهاب. يهدف هذا الفصل إلى محاولة علاج هذا الخلل من خلال تقديم بعض الفرضيات أو الشواهد المبدئية، الخاصة بأسباب لجوء الأفراد إلى فك الاشتباك مع الإرهاب. ورغم أننا مازلنا نفتقر إلى معلومات مختبرة وموثقة في هذا الشأن، يمكن من خلالها تأكيد تلك الشواهد الأولية، فإننا وجدنا أن هذا لا يجب أن يشيننا عن محاولة البحث ودراسة بعض الجوانب التي تعتبر وثيقة الصلة بهذا الموضوع.

(١) هذا البحث يعتبر تكملة لدراسة أجريت من قبل. أو بصفة أكثر تحديداً، لجدل تقدم به ج. هورجان «هجر الإرهاب». في أ. سيلك «الإرهاب، الضحايا، والمجتمع» (لندن: جون ويلي وأبناءه، ٢٠٠٣) وج. هورجان. سيكولوجية الإرهاب. (لندن: روتلادج، ٢٠٠٥). كما أن هذا الفصل، يساهم في النقاش المبدئي لمشروع بحث مقدم للحصول على منحة في موضوع فك الاشتباك، من مؤسسة إيرى نيف في منتصف ٢٠٠٦، والتي بدأها الكاتب بالفعل بهدف اختبار الفرضيات التي تم استنتاجها من المناقشات الدائرة. وسوف يتم نشر نتائج هذا البحث في ج. هورجان (٢٠٠٩): هجرة الإرهاب: قصص عن فض الاشتباك عن الحركات الراديكالية والمتطرفة، لندن: روتلادج.

(٢) أعبر عن امتناني لتعليقات ماكس تايلور على مسودة أولى قدمتها لهذا البحث.

ومن النتائج الجوهرية التي تم استخلاصها من هذا التحليل الأولى: أن هذا الموضوع ذو طبيعة مركبة، وهو يشبه في ذلك عملية توصيف «أسباب التورط في الإرهاب». كما أننا قد وجدنا - وبرغم ما قد يحمله ذلك من مفارقة - أنه يمكننا من خلال معرفة أسباب هجر الأفراد للنشاط الإرهابي أن نعمل بصورة جادة على بناء إجراءات وقائية رادعة، تقى الأفراد شر الوقوع في شباكه وتجنب التورط في أنشطته منذ البداية.

بل إنني أزعّم أن مثل هذا التحليل قد يقودنا إلى القيام بمزيد من التحليلات الخاصة بمجال الإرهابيين الأفراد مما يترتب عليه تطوير في مبادرات مكافحة الإرهاب.

مقدمة

إذا تدبرنا الأمر مليا، لا تضح لنا أنه في أغلب الأحيان، يمكننا وبشكل عام، تصنيف إستراتيجيات مكافحة الإرهاب إلى إستراتيجيات تركز على الجانب العسكري وأخرى على الجانب السياسى.. ومع إقرارنا بأن إستراتيجيات مكافحة الإرهاب غير قاصرة على هذين النوعين، فإن أهميتهما تنبع من كونها يعبران عن اختلاف في أسلوب المعالجة بين الأمريكيين والأوروبيين. وفي هذا الصدد فمن المهم بمكان، أن نشير إلى أن الأسلوب الأمريكى يميل إلى «اتخاذ إجراءات شبه عسكرية»، إذ يؤيد «اتخاذ خطوات فاعلة». أما الأسلوب الأوروبى، فميله يتميز بتسييس ردود الأفعال. (انظر: ناتشوك، ٢٠٠٦). وبغض النظر عن مدى أفضلية إحدى الإستراتيجيات على الأخرى. فإن ما يهمنا هنا، هو أنه قد حدث إقرار تدريجي بأن كليهما لا يرتبط بمفهوم محدد. كما أن ردود أفعال كلا الإستراتيجيتين، لا تستند إلى الاختبار التجريبي، الذى يمكن أن يشكل سياسة التدخل. إن ما نتطلع إليه حقيقة الأمر، هو الوصول إلى بدائل سليمة وصائبة لمكافحة الإرهاب. خاصة بعد تجربتنا السابقة مع «الحرب على الإرهاب»^(١)

(١) وعلى سبيل المثال، انظر: الموقع. <http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/america/5383614.stm>

ومن المجالات التى تحتاج لمزيد من البحث والدراسة، تلك المرتبطة بمبادرات تتعلق بقضايا ذات طبيعة سيكولوجية فى عملية التطور التى يمر بها الإرهابى (هورجان، ٢٠٠٥، تايلور وهورجان، ٢٠٠٦). ويعتبر عجزنا حتى الآن عن التغلب على مصاعب تطوير المفهوم، من الأسباب الأساسية المسؤولة عن عدم قدرتنا على وضع حد للمصاعب النظرية والعملية التى تقابلنا فى مكافحة الإرهاب. (أما السبب الثانى فهو افتقارنا إلى معلومات مفيدة تم بالفعل إخضاعها للاختبار والتأكد من صحتها، واختبار صحة فرضياتنا من خلالها) ومن ناحية أخرى، فنحن نرى أنه لا يجب رفض المفاهيم التى تشكل نقط ارتكاز مهمة مرتبطة بالموضوع محل البحث. لمجرد أنها تتبع مجالا معرفيا مختلفا. فحين نبدأ دراسة ظاهرة الإرهاب لابد أن نعتمد على خلفية معرفية مسبقة تمدنا بمعلومات كافية، وإلا فسوف نجد أنفسنا أمام مصاعب شتى، نابعة من عجزنا عن إدراك الجوانب المشتركة «للإرهاب» مع مجالات معرفية أخرى. وبالتالي فنشل فى وضع تصور واقعى لأهداف أكثر عملية فى مواجهة خطر التورط فى الإرهاب.

وفى هذا الصدد لابد أن نشير، إلى أن مصطلح «سيكولوجية الإرهاب» يثير كما هائلا من الالتباس والتخبط. كما أن أى تحليل نقدى لمفهوم الإرهابى أو الإرهابيين، يفرز كما ضخما من المخرجات متعددة الجوانب تخص موضوع «سيكولوجية الإرهاب». وبالتالي فمن الطبيعى أن يظن البعض أن محاولة تطوير سيكولوجية للإرهاب أو فك الاشتباك معه هدف يستحيل الوصول إليه. والجدل فى هذا الشأن، يتناول ضرورة تطوير تفكيرنا الخاص بمفهوم التورط فى الإرهاب. كما أننا وللوصل لنفس الهدف أيضا يمكننا اللجوء إلى «التوصيف» فى الوقت الحالى بدلا من «التفسير»، خاصة وأننا لانزال نفتقر إلى الإطار المفهومى أو النظرى المطلوب فى موضوع الإرهاب.

ويترتب على ذلك، أن محاولة فهم «فك الاشتباك» مع الإرهاب، يعتمد على فرضيات لا تنزال تحت الاختبار. ومع ذلك، ومع وضع كل ما سبق فى الاعتبار، فإن وجهة نظر هذه الدراسة تمثل أسلوبا مختلفا فى فهم الإرهاب، عن الأساليب التقليدية السابقة التى اعتمدت على دراسة سيكولوجية الإرهاب ودورها فى تطويره. وكما تمت

الإشارة إليه في مقال سابق (هورجان، ٢٠٠٥، تايلور وهورجان، ٢٠٠٦) فإن التعامل مع مسألة التورط في أنشطة إرهابية، على أنها عملية ذات مراحل محددة، يضيف أبعاداً جديدة، تعزز فهمنا لهذه المرحلة المهمة في حياة الإرهابي. كما تمدنا بقاعدة مفهومية لازمة لتطوير تحليل جاد ومفيد. فاعتبار «التورط في الإرهاب» «عملية»، يبعدنا عن المفهوم التجريدي الذي أعاق مناقشة ظاهرة الإرهاب من قبل. وطبقاً لهورجان وتايلور، فإن ذلك يساعدنا على التركيز على سلوكيات واضحة تم تحديدها، وبإضافتها لسلوكيات سابقة، يمكن الوصول إلى نتائج مفيدة مرتبطة بظاهرة الإرهاب. فضلاً عن أن الاعتماد على هذا الأسلوب من التفكير، يعطى بعداً جديداً للأسلوب السيكولوجي، ينأى به عن التعريفات المحدودة أو التي تتسم بعمومية تفقدها جدواها.

إن البعد الذي عمل تايلور وهورجان على تطويره (هورجان، ٢٠٠٥، تايلور ١٩٨٨)، يمثل أسلوباً مختلفاً عن التحليل التقليدي للإرهابي. وخاصة في المجهود الواضح الذي ركز على التعامل مع مسألة التورط في الإرهاب على أساس كونها عملية تتكون من مراحل خفية: أونها يتمثل في «أن يتحول الفرد إلى إرهابي»^(١)، وثانياً «أن يصبح الفرد إرهابياً بالفعل» (وتتكون هذه المرحلة من: أ- الاستمرار في حالة التورط وب- الاشتراك في أنشطة هجومية) وثالثها، مرحلة فك الاشتباك مع الإرهاب. (هورجان، ٢٠٠٥).

وجدير بالذكر أن هناك نقطة أساسية ومحورية في هذا الشأن، إذ يترتب عليها وضع أسس سليمة لإستراتيجيات المقاومة أو مكافحة الإرهاب (وبغض النظر عن المرحلة التي تركز عليها) ونلخصها فيما يلي أ- أن الظروف التي يتعرض لها الإرهابي في أي من هذه المراحل لا ترتبط بالضرورة ببعضها البعض ب- أنها لا ترتبط بالضرورة بتصرفاته في المرحلة التالية. أي أن الاستجابة لأي مرحلة من هذه المراحل من قبل الإرهابي،

(١) تعبير «التحول إلى إرهابي»، يمكن أن يكون أكثر فائدة إذ فسر على أساس «التورط بشكل مبدئي في ممارسة الإرهاب».

لا يمدنا بأية توقعات عن المراحل التالية. ويتفق هذا المنطق مع الاختيار الترشدي لعلم الجريمة.

وهو ما يعنى بدوره، أن أسباب اتجاه الأفراد إلى التورط في الأعمال الإرهابية، قد لا يرتبط عمليا بما يقومون به من أنشطة إرهابية، (ما يسمح لهم به). أو معرفتنا لكيفية تورطهم الفعلي في الإرهاب، أو أسباب استمرارهم في ممارسته. (تايلور، ١٩٩٢). كما أن أسباب، انضمام الأفراد إلى حركة إرهابية، محددة، قد لا يرتبط على الإطلاق بأسباب خروجهم من هذه الحركة، أو فك اشتباكهم مع الأنشطة الإرهابية بوجه عام.

عملية التورط في الأنشطة الإرهابية

في محاولة للوصول إلى تقدم عملي، فإن الإجابة على سؤال خاص بكيفية تورط الأفراد في الإرهاب، تعتبر أكثر أهمية وأجدي من محاولة الإجابة على أسئلة تتعلق بأسباب اتجاههم إلى هذا الطريق في الأساس. (هورجان، ٢٠٠٥). الهدف إذا ليس الحصول على إجابات ساذجة ومتوقعة مسبقا. وهي ترتبط بالأساس، بدوافع الإرهابي. ونقتبس هنا ما كتبه كل من تايلور وكويل (١٩٩٤) لوصف التورط في الإرهاب:

... إن الإرهاب لا يختلف كثيرا من حيث أسبابه عن أى نشاط آخر يقوم به الأفراد. فهو إختيار مثل غيره من إختيارات الحياة العديدة ... فكأننا نسأل أى فرد عن أسباب إختياره لمهنة معينة أو أسباب دوره فى الأسرة. فهو سؤال يصعب الإجابة عليه، وإن كان فائق السهولة واليسر. ولكن الفارق هنا هو محاولة التعرف على مجموعة العوامل التى تحكممت فى هذا لاختيار فى ظل ظروف معينة. وهذا التحليل هو ما يمكننا تطبيقه فى تتبع الأطوار المختلفة التى يمر بها الإرهابى. (ص ٣٤-٣٥).

إن ما يصلنا من قصص شائعة خاصة بمواقف شخصية أو عوامل ثقافية، تؤدى إلى تورط الأفراد في الإرهاب، تتسم بالعمومية وتعتبر غير مترابطة في أغلب الأحيان من الناحية العملية. فنادرا ما يظهر عامل يمكن اعتباره دافعا محددا، بحيث يمكن

فصله واعتباره المستول الأساسى عن هذا القرار. وذلك حتى فى حالة تأكيد الأفراد على أهمية عامل محدد ودوره كمحفز فى اتخاذ القرار؛ لذا فنحن نتوخى كثيرا من الحذر ونحن بصدد تفسير تلك القصص. حيث إن الاعتماد عليها، قد يؤدى إلى تكوين تفسير يبعدنا عن الموضوعية المطلوبة. لاسيما أن هذه القصص تتسم فى الأساس بالتحيز. كونها سردا فرديا. أما القصص التى ترد على لسان النشطاء الذين يجوبون أنحاء العالم، فهى على العكس، تتميز بالمصدقية وتعتبر، ولا شك، أقل تحيزا. فضلا عن أنها لا تخلو من التركيز على بعض عوامل الشد والجذب التى تعكس أدوار الأفراد فى ظل مستويات مختلفة من المضامين الأيديولوجية. أو سيطرة المنظمات أو عامل الالتزام... إلخ.

وفى كثير من الأحيان يغلب على ما نحصل عليه من أقوال للإرهابيين، لتفسير تورطهم، صبغة ترتبط بالعتيدة أو بالروحانية. بحيث نعجز عن استخلاص العوامل التى يمكن أن تكون قد لعبت بالفعل دورا فى توجيه الإرهابى إلى هذا السلوك من الأساس، أو أنها بأى شكل قد عززت من تورطه وممارسته لأنشطة إرهابية.

الأصل والطرق

حينما نحاول رسم صورة للطرق المختلفة التى يسلكها الإرهابى فى تطوره حتى يتحول إلى إرهابى. أو فى رحلته من مرحلة لأخرى داخل الإطار الإرهابى، يظهر أمامنا اتجاهان أساسيان، ينطبقان على كل الإرهابيين: أو لا اتجاه تدريجى للتكيف الاجتماعى مع الإرهاب مصاحبا بنمو فى الإحساس بدرجة التورط، ، يتميز هذا الاتجاه بتنامى الشعور بالالتزام. كما أننا نؤكد أهمية العوامل المرتبطة بالمجموعة. حيث تلعب دورها فى بدء ممارسة الأنشطة الإرهابية. وبشكل عام فإننا نشعر أن الحدود بين الدرجات المختلفة من التورط تعتبر سيكولوجية (نفسية) أكثر منها مادية. (وذلك على الرغم من أهمية الانخراط الفعلى فى أنشطة إرهابية فى تأصيل عنصر الالتزام للمجموعة ولأنشطتها). بالإضافة إلى الشعور بالمكافأة المرتبط بالحصول على عضوية المجموعة، أو الوصول إلى أدوار أو مناصب بعينها داخلها. وجدير بالذكر أن هناك عدة عوامل

إيجابية بالنسبة للإرهابى الفرد يتم إغفالها أو لا تفسر تفسيراً يتسم بالموضوعية. منها على سبيل المثال، اكتساب أنواع مختلفة من المهارات (سواء أكانت نفسية أو جسدية). إلى جانب شعور متزايد بالتمكين، ووضوح الهدف والغاية والأهمية الذاتية. بالإضافة إلى التأثير الجماعى للإيمان بالأيديولوجية وقوة الدعاية الذاتية. فضلاً عن شعور الفرد بالفخر لفوزه أخيراً بالقبول داخل المجموعة، وهى مكافأة يحصل عليها، مع تزايد تورطه وتكرار اشتراكه فى الأنشطة الإرهابية. فضلاً على ما يحصده من مكانة متميزة داخل المجتمع الكبير من خلال مؤيديه. إن الشعور بالمكافأة الذاتية، يبدو وكأنه يشكل القاسم المشترك الوحيد بين إرهابى العالم، على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم. وهذه نقطة مهمة فى تحديد العوامل المشتركة بين مجموعة من الأفراد تقبل على التورط فى الأنشطة الإرهابية بأشكال متباينة.

ورغم أنه يمكن الوصول بيسر إلى الظروف العامة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية، التى تمهد إلى التورط فى الأنشطة الإرهابية (بجورجو، ٢٠٠٥)، تبقى حقيقة أن أفراداً بعينهم هم وحدهم من يسلكون هذا الطريق. وهنا يمكن التعرف على عوامل بعينها، (هورجان ٢٠٠٥، انظر خصوصاً: الفصل الرابع) يعتبر توافرها مسئولاً عن جعل الأفراد أكثر عرضة أو ميلاً لممارسة الأنشطة الإرهابية عن غيرهم. وذلك داخل نفس المجموعة من الأفراد. التى تكون قد تعرضت لنفس الظروف. إن تورط الأفراد فى الإرهاب يعتمد أيضاً وبشكل جوهري على ما يحصل عليه الفرد من تأييد داخل المجموعة أو ما تحصل عليه مختلف المجموعات من تأييد، داخل البيئة المحيطة. ونقصد بالبيئة هنا مجموعة المؤثرات سواء كانت مادية أو أيديولوجية.... إلخ وحقيقة الأمر فإن وصف العوامل المؤثرة فى الانخراط فى طريق الإرهاب على درجة عالية من التشابك والتعقيد بحيث يصعب فصلها، ونحن بصدد التخطيط لمبادرات عملية تسهم فى مكافحة الإرهاب.

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام هنا، ونحن بصدد التفكير فى طرق تطوير إستراتيجيات فك الاشتباك مع الإرهاب. تتعلق هذه النقطة فى الأساس بعنصر المكافأة الفردية أو

المكسب النفسى الذى يعود على الفرد من قبوله عضوا فى المجموعة. وهذا يأخذنا إلى نقطة أخرى ربما كانت أكثر أهمية من تجنيده فى المجموعة، وترتبط بقوة الدافع وتأثيرها فى مدى ولائه للمجموعة أو التزامه كعضو فاعل داخلها. وينعكس ذلك فى شعور الفرد بزيادة أهميته ومركزه داخل المجموعة وتحكمه سواء داخل المجموعة التى ينتمى إليها أو المجموعة الأكبر الأكثر راديكالية. بالإضافة إلى شعوره بتزايد قوته وتأثيره داخل المجتمع ككل. وهذا بدوره يترتب عليه مكسب نفسى للعضو وهو ما يحقق زيادة فى الإقبال على عضوية هذه المجموعة، بالإضافة إلى تزايد أواصر الترابط والتعاون بين أعضائها وتزايد التزامهم وولائهم للمجموعة ككل.

ولاشك أن الولاء الخالص والالتزام الكامل لأعضاء المجموعة، من المبادئ الأساسية التى تشكل حجر الزاوية فى سياسة أى تنظيم يعمل على تعظيم عوامل نجاحه ويحافظ على استمراريته. وهذا ما تتفانى قيادات وكوادر المنظمات الناجحة فى المحافظة عليه، خاصة وأن تنظيمها يعتبر غير شرعى فى نظر المجتمع. ويتحقق لها ذلك من خلال وحدة الهدف فى مواجهة عدو يجتمع الجميع على ضرورة القضاء عليه.

لقد رأينا أن التمييز بين مرحلة التحول المبدئى إلى «إرهابى» ومرحلة «التورط الفعلى» فى الأنشطة الإرهابية» يمثل تحولا نفسيا فى الأساس. ولكن إذا اعتبرنا مرحلة التورط الفعلى فى الأنشطة الإرهابية هى نقطة أساسية فى التوصيف، لكان لذلك فائدة فى بحثنا، فالانخراط الفعلى فى الأنشطة الإرهابية يمثل نقطة تحول للإرهابى يثبت من خلالها هويته الجديدة، ويصبح عضوا فاعلا ومعترفا به داخل المجموعة.

ومن المهم أن نخلص من هذه المناقشة إلى أن الجدل الدائر حول الإرهاب ومحاولة تفسيره من خلال أصوله أو جذوره، (وهو حديث يحظى باهتمام الرأى العام ويشغل حيزا كبيرا من التعليق السياسى على الإرهاب) يعتبر أمرا مشكوكا فى صوابه. فالإرهاب يجب أن يناقش فى إطار مفهومى، أى لابد من اعتباره عملية تمر بمراحل وإجراءات. وعلى هذا الأساس، ربما كان من الأجدر أن نتعامل معه كما يتعامل علماء النفس مع

بعض السلوكيات غير العادية أو غير المألوفة، حيث يؤكدون أنه لا يمكن دائما التعرف على السبب المحدد المسئول عنها.

فض الاشتباك مع الإرهاب

لن أناقش هنا مرحلة «التحول إلى الإرهاب» فقد تم تناولها باستفاضة في (هورجان، ٢٠٠٥، انظر: الفصل الخامس). لكنى سوف أنتقل مباشرة إلى المرحلة الأخيرة - مرحلة فك الاشتباك. في البداية لابد من الاعتراف أننا نجهل الكثير عن هذه المرحلة أو الأسباب التي تدعو الإرهابى إلى نبذ النشاط الإرهابى والإقلاع عنه. فيما يخص الجانب السلوكى، فإن الباحثين قد ركزوا جهودهم، ولزمن طويل، على مسائل تتعلق بكيفية تحول الأفراد إلى الإرهاب. تاركين فجوة كبيرة في المعلومات الخاصة بفك اشتباكهم معه. و مما يبعث على الأسى، حقيقة الأمر، أن أسباب ذلك، تتعلق بترددهم في طرق أبواب هذا الموضوع. والعديد من الباحثين أضحوا يؤمنون أن دراسة سلوكيات الإرهابيين تقف عند حد نبذهم النشاط أو توقف أنشطة تنظيماتهم بسبب (دخولهم في مرحلة وقف إطلاق النار أو عملية سلام). ونحن نؤكد هنا أهمية هذا المنعطف في حياة الإرهابى. وضرورة الاستفادة منه في إجراء المقابلات والأحداث الكاشفة عن كثير من الجوانب التي تخفى عنا. ومن المعروف أن الإرهابى يكون أكثر استعدادا للحديث عن نفسه والكشف عن مكنون سلوكياته عند نبذ النشاط.. (ونددل على ذلك من سهولة إجراء مقابلات وعقد حلقات نقاشية حاليا وأكثر من أى وقت مضى، مع كوادر مهمة من مجموعة أيرلندا الشالية أو أعضاء حركات عديدة إرهابية بكونولومبيا. ورغم ذلك فهذا الجانب العملى لم يسلكه سوى عدد ضئيل من الباحثين، لا يتعدى أصابع اليد الواحدة).

لاشك أن إلقاء مزيد من الضوء على أسباب نبذ الأفراد للنشاط الإرهابى، سواء طوعية أو جبرا، مسألة محورية تتحكم في وضع سياسات صائبة لمكافحة العنف والإرهاب.

ولابد من إيلاء بعض المسائل في هذا الصدد أهمية خاصة، منها على سبيل المثال، أسباب حدوث ذلك، أو العوامل المؤثرة في اتخاذ هذا القرار الخطير. وكذلك نتائج وتداعيات هذا القرار. ثم هناك نقطة مهمة أيضا خاصة بتعريف فك الاشتباك أو نبذ الإرهاب.

إن نبذ الإرهاب، سواء من وجهة النظر الفردية أو الجماعية، تعنى حدوث تغييرات محورية اجتماعية وإدراكية للإرهابي، الذي يتخلى عن مجموعة من القيم والأخلاقيات والطموحات يسعى جاهدا لاكتسابها في أول الطريق، والمحافظة عليها فيما بعد. وهذا بالضبط ما يعنيه مصطلح «de-radicalization» أو «التخلي عن الراديكالية» أو «فك الاشتباك مع الراديكالية». ولكن وعلى الجانب الآخر، فقد يعنى فك الاشتباك مع الإرهاب، مواصلة شكل من أشكال الطاعة لبعض من هذه القيم والسلوكيات. من خلال الحفاظ على بعض السلوكيات الاجتماعية المرتبطة بالمجموعة الإرهابية مع عدم التورط الفعلي في أنشطة أو عمليات الإرهاب.

من الواضح أننا لايمكن أن نبحث في مسألة فك الاشتباك، في عزلة أو بمنأى عن مجموعة من العوامل المؤثرة. فمن اللازم أن نعى في المقام الأول أسباب وكيفية انضمام الإرهابي إلى المجموعة الإرهابية. وأيضا أسباب بقاءه واستمراره في عضوية هذه المجموعة. (الشكل ١، ١٥) وكذلك لابد من من إيلاء مزيد من الاهتمام للأسباب التي قد تشكل عائقا أو سدا أمام المخرج، والتي قد تكون (سيكولوجية، مثل الإصابة بحالة من خيبة الأمل تجاه المجموعة، أو قد تكون مادية، مثل، الخوف من قوات الأمن، أو اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار). كما يمكننا تصنيف الأسباب إلى طوعية أو إجبارية، فمن الأسباب الطوعية مثلا، (أن تفقد عضوية المجموعة أهميتها بالنسبة للفرد). أو أسباب جبرية، (كإجبار الأفراد على التخلي عن عضوية المجموعة، في حالة أن تقرر المجموعة نزع السلاح، وهو ما يعتبر مسألة خارجية أو في حالة وجود مبادرة قانونية جديدة وما يترتب على ذلك من تشتت في العملية التنظيمية للمجموعة). أو مزيج من الاثنين، في صورة رفض كامل لمبادئ المجموعة كنتيجة لتحول سياسى في موقفها. ثم هناك مسألة التوبة بمعناها العام. فما هو وضع الإرهابي بعد أن يكون قد بدأ بالفعل

عملية فك الاشتباك مع الإرهاب؟ هل يعتبر من التائبين أو غير التائبين؟. كما أننا نؤكد أن فك الاشتباك، لا يترتب عليه بالضرورة «فك الراديكالية أو التخلي عنها» (هورجان، في الصحف، الفصل الأول).

وهكذا تتكون لدينا بعض التصنيفات المحتملة، لما يتعرض له الإرهابي من عوامل شد وجذب، تؤثر على مسار فك الاشتباك مع الإرهاب: قد تكون طوعية أو إجبارية، وقد تمر بمسالك نفسية أو مادية/ وكلها قد لا تنفضى بالضرورة إلى حالة من التوبة والندم.

		Vountary		Involuntary	
		Repentant	Unrepentant	Repentant	Unrepentant
Individual	Physical				
	Psychological				
Collective	Physical				
	Psychological				

Figure: 15.1. A matrix disengagement dimensions.

(الشكل ١٥, ١) مصفوفة احتمالات فك الاشتباك

البذور النفسية لفك الاشتباك

إن التنظيم الإرهابي الناجح، هو الذى يستطيع أن يجذب عناصر ناشطة من الشباب بشتى الوسائل. فإن نجاح فى ذلك، فإن الشباب سوف يقبلون على عضويته مؤثرينه على المؤسسات التدريبية التقليدية، التى تستغرق وقتاً طويلاً فى تنمية قدرات الشباب. ومن الطبيعى أن فى سعيهم لنيل ثقة المجموعة، وتحقيق ذاتهم فى الوقت نفسه، يتعرض

الشباب لبعض العقبات والحواجز النفسية التى لابد من تخطيها أو على الأقل التكيف معها. وإن لم يحدث ذلك، فقد تبدأ البذور النفسية لفك الاشتباك فى التكون، وينتج عنها مجموعة من المؤثرات التى تبدأ فى التمهيد بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى طريق فك الاشتباك مع الإرهاب.

إن المكافآت التى يتوقعها الشباب الجديد، أو التى يحصل عليها حين يلتحق بعضوية تنظيم إرهابى، تعتبر مصدر حماس وسعادة عظيمة له. بالإضافة إلى المكانة التى يصل إليها وقوة الهدف، وعوامل الإعجاب. فضلا عما أشار إليه ماکولى وسيجال (١٩٨٩) من « التضامن المشترك وروح الزمالة» داخل المجموعة. وعوامل التأييد والتشجيع فى غاية الأهمية، لاسيما مع اختلاف نوعية ما يطلب من الشباب المجند حديثا فى تلك المنظمات الإرهابية. إلا أن الصعوبة تكمن فى محاولة الموازنة بين العوامل الإيجابية والعوامل السلبية، والتى تتمثل فى صعوبة مواصلة حياة غير شرعية أو الاستمرار فى الإنجاز والحفاظة على التركيز. وهو ما عبر عنه هؤلاء المجندون أثناء مقابلتهم، بعد أن اختاروا هجر تلك المجموعات وبعضهم كتب فيما بعد مذكراته.

ومنهم على سبيل المثال، مايكل بومان (ذكرت فى ألكسندر ومايرز، ١٩٨٢) وهو عضو سابق فى مجموعة الثانى من نوفمبر الألمانية. الذى يعلق على التأثيرات السلبية لتحكم المجموعة فى الأفراد قائلا:

... وتضيق الحلقة على المجموعة بأعضائها، الذين يتزايد تقاربهم من بعضهم البعض. وكلما تزايدت وطأة الضغوط، ازدادوا تقاربا. وكلما زاد كم الأخطاء، تفاقمت الضغوط.... هذا التركيز هو الذى يقلب موازين الأشياء إلى الأسوأ فى نهاية الأمر. حيث تختفى مبادئ مراعاة الآخر، ولا يوجد سوى هذا التركيز العنيد على أهداف المجموعة. ويستمر ذلك فى التصاعد إلى الأسوأ باستمرار. (ص ١٧٤).

وجدير بالذكر أن تزايد إجراءات الأمن ضد الإرهاب، تفاقم من الضغوط المترتبة على محاولة رفع درجة الحماية والتأمين ضد محاولات الاختراق من الخارج، أو النزاعات

الداخلية. في فبراير ١٩٦٩، عثرت الشرطة في اليابان على ١٤ جثة في منطقة جبال ثلجية خارج طوكيو. وكشفت النقاب عن انتمائهم لمجموعة الجبش الأحمر الياباني. وقد تم تعذيبهم ثم الإجهاز عليهم على يد زملائهم داخل المجموعة نتيجة لشجار داخلي شب فيما بينهم يتعلق بقضايا أيديولوجية. وبينما يتحمل بعض الأعضاء الجدد الضغوط ويتأقلمون على حياتهم الجديدة، يصعب ذلك على البعض الآخر. إلا أننا للأسف لا نملك بيانات يعتد بها في هذا الشأن. ومع ذلك، فمن المعروف، أن بعض الإرهابيين الجدد يقررون بالفعل ترك المجموعة، على أساس عدم قدرتهم على التكيف أو عدم موافقتهم على هذا الأسلوب من الحياة. وتصلنا بعض القصص التي تفيد بأن ذلك قد لا يعد مشكلة في حد ذاته، بما أن الافتراض السائد، هو أن العضو كثيراً ما يتم التخلص منه، عندما تنكشف نيته في ترك المجموعة. وذلك حرصاً على الحفاظ على أسرارها. ومن المعروف أن مجموعة الألوية الحمراء الإيطالية - والتي كتب عنها جاميسن بالتفصيل (١٩٨٩) فيما يتعلق بأسباب فك الاشتباك، كانت تعد لأعضاء المجموعة من الشباب حديثي الانضمام إليها، ما يشبه الاختبار السيكولوجي. ومن ذلك « اشتراك عضو أو عضوين جديدين للمساعدة في إطفاء حريق » حيث تم مراقبة واختبار سلوكهما في ظل التعرض لظروف طارئة وبالغة الخطورة.

و لكن، من الأمور البديهية في أغلب الأحيان، أن هجر المجموعة لا يكون أبداً بالأمر الهين. وذلك بغض النظر عن درجة تورط الإرهابي. والمقصود هنا، مرحلة التحول إلى إرهابي بالفعل، أو بدء ممارسة الأنشطة الإرهابية. فالمنظمة تستثمر الكثير في تدريب هؤلاء الشباب على الأنشطة الإرهابية المختلفة، وتطلب منهم في المقابل الإيمان الكامل بفكر المجموعة وتحمل الصعاب مهما كانت. ومن الأمثلة مجموعة بادر ماينهوف الألمانية التي كانت تعلن دون تردد « إن من يصبح عضواً في المجموعة لابد وأن يتحمل ما يواجهه من صعاب » (بوست، ص ٣١٠ - ١٩٨٧) وقد وصل بهم الأمر إلى التهديد المعلن، بأن من يصبح عضواً بالمجموعة، « فإن عليه أن يموت أولاً قبل أن يفكر في هجرها. » وقد لجأ سباير، وهو عضو سابق بالحزب الشيوعي الفرنسي، إلى وصف

خوفه من التهميش أو المعاناة بعد نبذ المجموعة له، إذا جرؤ على « تحدي أيديولوجيتها، أو عقائدها » (سباير، ١٩٨٨) كما أشار بمزيد من التفاصيل لتبرير اشتراكه في الجرائم السياسية، أو ممارسة القمع «أن أكثر ما كان يخشاه، هو شعوره بالتهميش من قبل زملائه في المجموعة».

كما تضيف أدريانا فاراندا، وقد كانت عضوة في مجموعة الأولوية الحمراء الإيطالية، تجربتها، عن الضغوط التي يعيشها أعضاء المجموعة. والنتائج السلبية الاجتماعية والنفسية التي يتعرضون لها مقابل مواصلة تلك الحياة:

... إن اختيار الانضمام إلى مجموعة الأولوية الحمراء، يعنى أن تمارس حياتك في السر؛ لذا فعليك أن تقطع علاقتك مع الأسرة، ومع كل ما كان يمت بصلة لحياة أمس. إنه قرار شامل، يؤثر على حياتك بالكامل. وهو يعنى أن تشغل نفسك منذ بداية اليوم وحتى انتهائه، بمشاكل السياسة أو بالتنظيم والقتال. ولا يوجد مكان لحياتك السابقة على الإطلاق. الثقافة أو الاهتمام بالأطفال وتربيتهم، وكل ما يملأ حياة الأفراد العادية. فعليك أن تنحى كل ذلك جانبا، وتتجاهله، وذلك ببساطة؛ لأنه لن يصبح له أى وجود في ظل حياتك الجديدة داخل المجموعة. وحينما يحدث ذلك، فأنت تقضى في نفس الوقت على الجزء الأساسى من عواطفك وإحساسك. فتصبح مجردا، وتعيش في عزلة. ومع مرور الوقت يتغير إحساسك بكل ما حولك. حيث إنك تصبح بالفعل مختلفا. وتشعر بالحزن والعزلة. لأن جزءا أساسيا من حياتك قد اقتلع. ولأنك تدرك في الواقع، أن الحياة، أكبر من السياسة أو ممارسة أنشطة مضادة لها. (جاميسن، ص ٢٦٧ - ٢٦٨: ١٩٨٩).

ومن الضغوط المهمة التي يتعرض لها الإرهابى، والتي تحرك دوافعه (نفسيا أو ماديا) إلى هجر المجموعة أو فض الاشتباك معها، إدراكه المتزايد أن طموحاته الأولى وآماله الشخصية التي سعى إلى تحقيقها من خلال الانضمام للمجموعة، لم يعد لها مكان، مع تزايد واجباته والتزماته اليومية التي يملئها عليه الاضطلاع بدوره الجديد.

وقد بحث كل من بروكتر وروبين (١٩٨٥) فيما يمكن تسميته بالمصايد أو الفخاخ النفسية.

والمقصود هنا ما يتوقعه الأفراد من مكافأة تتمثل في إنجاز المهام المطلوبة والوصول إلى الهدف الذى تحدده الجماعة. إن توقع هؤلاء الأفراد الوصول إلى الأهداف، مرهون باستمرارهم فى الاستثمار فى المجموعة من خلال مواصلة الاشتراك فى الأنشطة الإرهابية. إلا أنه فى لحظة معينة، يشعر هؤلاء أن الوصول إلى الهدف أمل يستحيل تحقيقه، أو فى أقل تقدير بعيد المنال. هنا يشعرون بالإحباط وبأن استثمارهم فى الجماعة يفوق ما يتحقق لهم فى المقابل. وعند هذه النقطة يجدون أنفسهم فى مفترق طرق، ويقعون فريسة لأزمة اتخاذ القرار. حيث يشعرون بعظم ما ضحوا به من وقت ومجهود. خاصة إذا ما أضافوا إليه، (الضغوط الاجتماعية أو الأيديولوجية، التى لا بد من الخضوع لها حتى يقبلوا كأعضاء بالمجموعة). هنا الانسحاب يعنى التضحية بكل هذا المجهود، فيضيع سدى. أما اختيار الالتزام فيكون بمثابة تبرير أمام الذات، بجدوى الاستثمار وما بذل فيه من جهد. هنا يقع الإرهابى فى الفخ النفسى الذى يعقبه فى أغلب الأحيان، حالة تعرف بلولبية الالتزام كما يصفها ماكس تايلور. وتعتبر مألوفة الحدوث لأعضاء كثيرين فى المجموعات الإرهابية. (تايلور، ص ١٦٨ - ١٩٨٨).

مؤثرات أخرى نفسية

أبرز بوست (١٩٨٧) دور المجموعة فيما يواجهه الأعضاء من ضغوط وما يتخذونه من قرارات. حيث إن أغلب هذه القرارات، يكون إما متوقفا على «الإجراءات داخل المجموعة» أو مرتبطا بها. (بوست، ص ٣١٠ - ١٩٨٧) يصف بوست دراسة جانيس التى تناولت تفكير المجموعة، بأنها ظاهرة تدل على حالة تماسك داخل المجموعة، تزيد من قدرتها على اتخاذ قرارات خطيرة. فى هذه الحالات نجد أن رغبة أعضاء المجموعة فى تحقيق الإجماع على اتخاذ القرار، يفوق تفضيلهم اختيار بدائل أخرى، وإن كانت أفضل «واقعا». وهذا من شأنه أن يعطل وصول المجموعة إلى تحقيق الهدف. يؤكد بوست أنه فى مثل هذه الظروف، يسيطر على المجموعة شعور غير حقيقى بأن هذا

القرار هو الصحيح، لمجرد رغبتهم في أن يكون كذلك.. ويرى بوست أن هذه خطوة طبيعية، تحدث لكل الأعضاء الجدد الذين يؤثرون آراء المجموعة على آرائهم للتأكيد على ولائهم والحصول على ثقتهم.

وفي نفس الوقت قد يجد الأعضاء أنفسهم إزاء موقف محير، حينما يضطرون إلى التنازل عن مبادئهم ومعتقداتهم التي انضموا للمجموعة من أجلها. وقد يكون ذلك في بعض الأحيان نتيجة الأجواء الخائفة داخل المجموعة، أو نتيجة لتصرفات وأدوار بعض الأعضاء داخلها. ويمكن أن يفرض ذلك إلى حالة معارضة شديدة، قد يتم التعبير عنها أو تبقى سرا. والمقابلة التالية أجراها كاتب هذه السطور في شمال أيرلندا. وهذا الجزء منه يصور تأثير عوامل كثيرة قادت إلى حالة من التغيير في الولاء تجاه المجموعة. حيث تبدأ خيبة الأمل في التسرب إلى نفوس الأعضاء. وتحل تدريجيا محل الطاعة والتفكير الجماعي. يقول هذا العضو:

دعينا للاجتماع وقد توقعنا جميعا مزيدا من المتاعب. حيث تم التأكيد على ضرورة حضور كل الأعضاء، وتنبأنا أن يتم الاستغناء عن بعضنا. ثم حضر القائد وطلب استتباب النظام. تقدم إلى كل عضو وطلب تقريراً منه. حينما جاء دوري، وكنت آخرهم، عزمت على الكلام هذه المرة، ومهما كلفني الأمر. أفصحت عما آلت إليه الأمور بالنسبة للأسلحة. فقد كنا في حالة بائسة، بالإضافة إلى نقص التمويل. وأكدت له، أنه إذا لم نتصرف سريعا بشأن هذه الأمور، فقد قضى علينا لا محالة. لقد كنت في أول الأمر شديد الثقة بهذا الرجل، ولكن اتضح لي فيما بعد، أنه ليس لديه القدرة أو الرغبة في الاعتراف بالأخطاء. أو تسمية الأشياء بأسمائها. طالبت بضرورة انتخاب مدير توكل إليه مسئولية إدارة المجموعة وتجنيد الأعضاء. بالطبع لم يكن سعيدا بحدوثي. فقد كانت المنظمة بالنسبة له شيئا عظيما، وبلا مشاكل. وحينما انتهى الاجتماع، وجدت نفسي على السلم مع عضو آخر، لم أكن أشعر بمودة تجاهه. ولكنني فوجئت به، يشد على يدي محييا، ومؤكدا أن أحدا منا كان لابد أن يتكلم.. لقد شعرت أنه ما لم أتكلم أنا، فلن يتكلم أحد.

كان حديث هذا الرجل عن منظمة IRA، والتي تفككت في أوائل السبعينيات، لأنها عجزت عن إثبات وجودها السياسى بشكل فعال. وقد كان هذا الشخص من كوادر المنظمة، ومن الأعضاء المؤسسين لها. إلا أنه قد تركها وبدأ يفكر في الهجرة. والكلام له :

لقد رحلت إلى بلد آخر لعدة أعوام. حيث كنت قد سئمت كل شىء. لقد نشأنا أولاً على مبادئ الاشتراكية. وتسببنا في إغضاب الكثيرين. إلا أن القائد هو الذى جلب علينا المتاعب. حيث كان قد فصل نفسه عن الواقع. ولم تصلح الأمور بيننا بعد ذلك. إنه لأمر محزن خاصة حينما تؤمن بقوة مبادئ المنظمة وفكرة الاشتراكية الأولى التى تبنيها. لقد تخلت عن الكثير من أجل كل ذلك، منزلى، وسيارتي... وكان هناك من تخلى عن مزرعته... و كل ذلك من أجل ماذا؟ لقد كان الحديث الدائم هو نقص السلاح نتيجة لنقص المال.

لقد نمت خيبة الأمل داخل هذا الرجل تدريجياً. ويكشف حديثه أثناء المقابلة عن أوجه تشابه كثيرة مع المقابلة التى أجراها جاميسن مع فارندا. لقد وصفت فارندا «انفصالها» عن الأولوية الحمراء بهذه الكلمات:

... لقد كانت عملية تدريجية، تمت على عدة مراحل صغيرة، لم تكن مثل القفزة المفاجئة. ولكنها شملت كل شىء، رغم ذلك، طريقة التفكير، والتقييم، أسئلة عديدة بشأن الكثير من الأمور، لم يكن الأمر يتعلق بطريقة بعينها في قيادة الكفاح المسلح، أو بشأن مشروع ثورى، بل كان كل شىء... لقد كانت الثورة نفسها، الماركسية، والعنف، منطق العداء والصراع، العلاقة مع السلطة، طريقة إيجاد حلول للمشاكل، مواجهة الواقع، والمستقبل..... لا لم أتخذ قرارى كالقفزة المفاجئة نتيجة صدمة. فلم يكن الأمر وكأننى قد تحولت في يوم وليلة من إنسانة إلى أخرى شديدة الاختلاف.. (جاميسن، ص ٢٨٣-١٩٨٩).

إن الملاحظة المهمة في هذا الصدد، هو أن القصتين تشيران إلى تطور تدريجى لفك الاشتباك مع الإرهاب، يكاد يماثل التطور الذى يمر به الفرد إلى أن يتورط بالفعل في

الأنشطة الإرهابية. إلا أن البعض الآخر يؤمن أن أحداثاً بعينها قد يتعرض لها الإرهابي هي التي تؤدي به إلى تحول سريع أو فك اشتباك ويكون نفسيًا في الأساس. ونذكر من هذه الأمثلة، حالة ناصر بن عباس، الذي كان حتى وقت قريب، من كوادر حركة الجماعة الإسلامية. لقد وصل دور عباس في الحركة إلى النواحي التنظيمية وتوفير التدريب اللازم للإرهابيين، وذلك بمعسكر الحديبية (الذي وصفه عباس بأنه كان بمثابة «الأكاديمية العسكرية الكاملة». (انظر: تايلور، ٢٠٠٦)، وقد تم تشييده على أرض تم إخلالها من غابات كثيفة). كانت عقيدة عباس قوية ومتينة، ولم يشك أبداً في «جواز قتل القوات الأجنبية التي تحتل بلاد المسلمين. مثل السوفيت بأفغانستان، أو الأمريكيين بالعراق، أو جيوش الفلبين التي تحتل أرض أجداده في منديناو. «لقد كان الحافز الأساسي في تحوله هو اتخاذه قراراً، بعدم جواز قتل المدنيين العزل من الأطفال أو الشيوخ أو النساء». ويرجع عباس البذور الأولى لهذا التحول إلى انفجارات بالي عام ٢٠٠٢. حينما تسبب هذا الانفجار في قتل ٢٠٠٢ مواطن من المدنيين. لقد اكتشف عباس في وقت لاحق، أن تلاميذه قد اشتركوا في هذا الهجوم. فقال معلقاً «أشعر بأسف شديد... بل أشعر بالخطيئة... لقد استخدموا ما لديهم من معرفة، في قتل المدنيين العزل، وهم مواطنون أبرياء». ونضيف إلى تجربة عباس، تجربة أخرى يمكن الاستفادة منها متمثلة في نشاط القاضي حمود الهيتار باليمن. فقد أسس «لجنة برنامج الحوار»^(١) في إطار جهوده الحثيثة لوضع إستراتيجية «إعادة تعليم الإرهابيين».

وبشكل موجز، فإننا ومما سبق، يمكن أن نحاول التعرف على عوامل تساهم في التحرك في اتجاه فك الاشتباك النفسي مع الإرهاب:

- تنامي الشعور السلبي نتيجة التركيز على حياة المجموعة (ومنها التأثير السلبي للوجود داخل مجموعة غير محتملة، وتزايد الضغوط النفسية) ويترتب على ذلك:
- إحساس بتغير في الأولويات (التطلع إلى مكانة اجتماعية ونفسية) سواء واقعية أو متخيلة) يشعر العضو بافتقاره إليها أو أنها كانت موجودة بالفعل ولكن في مرحلة

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: الموقع <http://www.csmonitor.com/2005/0204/p01s04-wp.c.html>

سابقة لانضمامه للمجموعة. ويحدث ذلك من خلال حوار داخلي يجريه العضو مع نفسه، أو شعوره ببذل مجهود ضخم اجتماعي ونفسي في المجموعة دون الحصول في مقابلة على عائد يذكر. وذلك يحدث في أغلب الأحيان.

- الشعور بتزايد خيبة الأمل تجاه الأهداف السياسية (كما وضح في المقابلة الرسمية مع عضو IRA) أو تجاه تكتيكات أو إستراتيجيات العمليات، والتي تعززها التصرفات والمواقف. (كما اتضح من تصريحات ناصر بن عباس).

فك الاشتباك المادي مع الإرهاب

من السهل في أغلب الأحيان التعرف على ما يمكن أن نطلق عليه فك الاشتباك المادي. كما تدل عليه المؤشرات. وهو ما يعنى التحول أو البعد عن فرص التورط في أنشطة إرهابية. وهذا بغض النظر عن تناقص الشعور بالالتزام تجاه المجموعة. كذلك يحدث كثيرا ألا يصاحب هذا الانسحاب المادي بالضرورة تراجع في الفكر الأيديولوجي (أو في سيطرة الفكر على الجانب الاجتماعي أو النفسى للفرد). ومن الأسباب الشائعة لفك الاشتباك المادي: (ولا يمكن اعتبار أى منها مسؤولة وحدها عنه).

- اعتقال من جانب سلطات الأمن، قد يعقبه الحبس. (أو أن تدفع القيادة الأفراد في اتجاه أدوار تكون فيها بمأمن عن خطورة الاعتقال).

- الإجبار على تغيير الأدوار، قد يكون نتيجة عدم تحقق الطاعة المطلوبة: هنا قد تنبذ المجموعة الفرد. وقد يصل الأمر إلى الإعدام. ولكن قد يتم تخفيف الحكم إلى الاضطلاع بأدوار فاعلة وإن كانت مختلفة عن الأدوار الأولى.

- زيادة الانشغال بنشاط مختلف، بحيث لا يترك أى مكان للدور الأول. أو تزايد الاشتراك في النشاط السياسى (غالبا، نتيجة الحبس. ومن السخرية أنه يمثل بالنسبة للبعض توثيقا وتعزيزا نهائيا مع هوية المجموعة).

- قد يتعرض الفرد للطرد من المجموعة (وقد يكون ذلك نتيجة سوء استخدام للأسلحة أو للأموال... إلخ أو أن يبدر منه أى سلوك غير لائق، يقتضى إبعاده من المجموعة. ولكن لا يصل الأمر للإعدام).

- أو تغير الأولويات، كما هو الحال بالنسبة لفك الاشتباك النفسى.

إن الفارق الأساسى بين فك الاشتباك النفسى والمادى، يكمن فى أن الإرهابى فى النوع الأخير، قد ينتقل من دور لآخر مع استمراره فى المجموعة. فقد يغير دوره لتسهيل وضع شخصى جديد، على سبيل المثال (فى حالة زواجه، أو حينما يرزق طفلا، فينتقل نتيجة لذلك إلى دور مساعد). ويستمر فى ممارسة أنشطة تتعلق بالإرهاب، وإن كانت خارج إطار التورط الفعلى فى أنشطة عنف أو «عمليات إرهابية». ومن أسباب تغير الأدوار أيضا أن تفرض القيادة ذلك، نتيجة قرب موعد الانتخابات مثلا، مما يستوجب التركيز على أنشطة سياسية. فقد تتغير الأدوار إلى خطوات أكثر عملية، كتنظيم التجمعات السياسية أو توزيع الملصقات.

ومن المصادر الحيوية فى تكوين فرضيات، تتعلق بعملية فك الاشتباك، القدرة على تحليل العمليات التنظيمية التى تضطلع بها قيادة المجموعة. والتى يمكن أن نستنتج منها عوامل الترويج للانضمام للمجموعة، ومحاولات إعاقه فك الاشتباك - خاصة النفسى - منها.

و على أى حال فمن الأولويات البحثية الواضحة، محاولة فهم دور وأسباب الهجرة بين أفراد المجموعة. وهذا النوع من البيانات يمكن الحصول عليه من خلال تفاصيل حالات الإرهابيين. بالإضافة إلى المقابلات مع الإرهابيين السابقين أنفسهم^(١).

(١) بدأ الكاتب فى منتصف ٢٠٠٦ مشروع بحث على فك الاشتباك بمساعدة مؤسسة أيرى نيف. وقد تم أثناء هذه الدراسة إجراء مقابلات مع ١٣ عضوا فى حركات إرهابية، حيث تم مناقشتهم بشكل مباشر عن تجاربهم مع فك الاشتباك. لمعرفة نتيجة هذه المقابلات، انظر: هورجان (٢٠٠٩).

نتائج هجر المجموعة (الرحيل)

كان تركيزنا في هذا الفصل من الكتاب على محاولة التعرف على الأسباب التي يمكن أن تكون مسئولة عن عملية فك الاشتباك مع الإرهاب. نبحت الآن في نقطة جديدة، وهى تداعيات هذا القرار الخطير على حياة الإرهابي. وهو ما يلقي بدوره بمزيد من الضوء على مدى تعقد هذه المسألة. ومن ضمن أسباب هجر الإرهابي لهذا النشاط، شعوره بمحدودية ما يمكن أن تقدمه له الحياة بعد عمر قضاء خلف أسوار هذا السجن الكبير. إذ قد يصبح فريسة سهلة لضغوط نفسية تستمر في التصاعد إلى أن تضحي غير محتملة، إلى الحد الذي قد يدفعه إلى الاستسلام. وعلى سبيل المثال، فإن قلديب سينج، وهو عضو سابق في منظمة تحرير خالستان، قد قام بتسليم نفسه للشرطة عام ٢٠٠٠، لارتكابه جرائم عام ١٩٩١ (هورجان، ٢٠٠٥). وقد كشفت الشرطة أن تسليم سينج نفسه، مبعثه الأساسي رغبته في بدء حياة جديدة بعد المثول أمام القاضي لمحاكمته. وفي نفس هذه السنة، تمت محاكمة هانز جواشيم، وهو زميل سلاح سابق للإرهابي المعروف كارلوس الجاكال Carlos the Jackal. بعد مرور ٢٥ عاما على اشتراكه مع كارلوس في الهجوم على اجتماع لوزراء منظمة الأوبك (منظمة البلدان المصدرة للبترول) عام ١٩٧٤. وكان قد قضى سنوات طوال هاربا من العدالة. وفي نفس العام، تم القبض على مؤسس مجموعة الجيش الأحمر الإرهابية اليابانية فوساكو شيجينوبو. بعد أن قضى أكثر من ٢٥ عاما من حياته في الخفاء.

من الممكن إذا ألا تتوافر أسباب الحماية والأمن لهؤلاء الإرهابيين لتحفيزهم على البقاء داخل المجموعة، ولكن من ناحية أخرى، فليس هناك ما يضمن عدم تعرضهم لمطاردة الشرطة أو قبضة الاستخبارات القوية، التي لن تتهاون في مطاردتهم حتى يمثلوا أمام العدالة.

وكثيرا ما يحدث أن تلجأ أجهزة المخابرات، إلى تجنيد عناصر من الإرهابيين السابقين، وتستعين بهم في الكشف عن معلومات تفيد في مطاردة المجموعات

الإرهابية. وقد يكون ذلك إحدى الطرق التي تسهل على الإرهابي عملية الخروج من المجموعة.

وقد ساعد سين أو كالاجن، من قبل أجهزة الأمن، في نشر التوعية ضد أنشطة منظمة IRA الإرهابية، لدرجة أنه حتى الآن يعتبر عنصرا مطاردا من قبل زملائه السابقين في المنظمة.

وكذلك أيمون كولنز، قد قتل، بعد إدلائه بشهادته في محاكمة أحد قادة نفس المنظمة، وكان مخبرا يعمل لحساب أجهزة الأمن.

ولاشك أن مصداقية الحكومة في التعامل مع الإرهابيين السابقين، تعد من النقاط الجوهرية المؤثرة في تطوير إستراتيجيات فاعلة في مجال فك الاشتباك، ومن ثم في وضع خطط ناجزة في مجال مكافحة الإرهاب. (وقد كانت هذه النقطة جوهرية، حقيقة الأمر، فيما يتعلق بالجهود المبذولة من قبل عدة دول لتطوير إستراتيجيات مكافحة الإرهاب). إلا أن سياسات الحكومات لم تكن على المستوى المتوقع في توفير المخبرين أو الجواسيس لمدها بما هو ضروري من معلومات في منطقة شمال أيرلندا أو فيما يخص ما اصطلح على تسميته برنامج «بنتيتي» بإيطاليا. حيث حصل هؤلاء الإرهابيون السابقون أو (الأعضاء السابقون في المافيا)، على أحكام مخففة مقابل تعاونهم مع الشرطة في إجراء التحقيقات.

وقد قامت الحكومتان الإنجليزية والأيرلندية، بمحاولات لتسهيل عمليات فك الاشتباك لأعضاء في منظمة IRA من خلال تكرارها لما أعلنته لاحقا، من أنها لا تعتبر مسألة نزع سلاح المنظمة، بمثابة الاستسلام من ناحيتها. وقد كان ذلك في مقابل أن يقوم قادة المنظمة بتقليص تصعيد حملتهم الخاصة برفع دعوى سياسية ضد الحكومة.

إلا أننا يجب ألا نغفل عنصرا مهما في هذا الصدد، وهو عملية إعادة تأهيل الإرهابي لحياته الجديدة خارج المجموعة. ففي منطقة شمال أيرلندا، وبرغم التقدم الضخم الذي

حدث، والمتمثل في تقلص مظاهر العنف والإرهاب بشكل واضح، كان ثمن العفو باهظاً رغم ذلك. فقد بدأت مؤشرات الطائفية الواضحة تدمر تدريجياً مجهودات تأسيس مجتمع سلمى يبعد عن مظاهر العنف السابق. ونحن نرى أن السبب في ذلك يرجع في الأساس إلى: أولاً، الفشل في إجراء تقييمات سليمة لخطورة المرحلة. ثانياً، غياب تطبيق إستراتيجيات مناسبة على السجناء الذين تم إخلاء سبيلهم بعد اتفاقية «الجمعة الطيبة».

وحتى مع افتراض أن ينتهى الأمر بتفكك المجموعة بالكامل، فإن الطريق ليس سوف يسلكها الأعضاء السابقون، قد تتباين بشكل كبير. فقد يتجه البعض إلى أنشطة أخرى غير شرعية، كالانخراط في أنشطة الجريمة المنظمة، على سبيل المثال. وهذا ما يحدث في أغلب الأحيان، خاصة إذا كان الفرد قد مارس سابقاً، أثناء عمله مع المجموعة الإرهابية، نشاطاً مشابهاً. (مثل أنشطة جمع التمويل اللازم) وعادة ما يلجأ الإرهابى هنا إلى استخدام اسم الحركة في مواجهة المنافسة من قبل مجموعات الجريمة الأخرى. وقد يتجه البعض الآخر إلى العزلة الاجتماعية وما يترتب عليها من مشاكل نفسية (كالإصابة بالاكئاب، أو بدء تناول المخدرات... إلخ). وقد يجد البعض الآخر هدوءاً وسكينة في بدء حياة جديدة مع شريك حياة جديد أو وظيفة جديدة. وجدير بالذكر، أن إيجاد وظيفة جديدة، لا يعنى أن يفقد الإرهابى السابق عنصر الالتزام تجاه ما يؤديه من نشاط، أو يفقد الحماس، خاصة إذا ارتبطت الوظيفة بنشاط خدمة المجتمع أو عمل شبابى.

ومن العوامل المؤثرة في رسم المسالك المحتملة للإرهابى السابق: أ- درجة تورطه مع المجموعة الإرهابية (بمعنى، مدة العمل وهل كانت جزءاً من الوقت أم كل الوقت) ب- دور المساندة النفسية الذى تمنحها له المجموعة، وأهميتها في تكوين هويته. ج- درجة تقييم الإرهابى للفترة التى قضاها من حياته مع المجموعة. (والتي قد تصل إلى معظم سنوات عمره). وقد تلت مرحلة الإعلان عن نزع السلاح، مواصلة الكثير من أعضاء الجيش الجمهورى الأيرلندى البحث عن طرق بديلة. وطبقاً لخبراء الأمن فإن المجموعات الأخرى المعارضة في أيرلندا مثل (the Real IRA) أو (the continuity)

IRA) (أى استمرار الحركة) انشغلت عن ذلك، إما بسبب سيادة الفوضى وانتشارها الواسع بداخلها، أو لأن أغلب أعضائها، بقوا على ولائهم الأيديولوجي للمجموعة.

محاولة فهم فك الاشتباك مع الإرهاب

كما ذكرنا في البداية، فإن ما قد حصلنا عليه حتى الآن من معلومات، في هذا الشأن، لا يمكننا من تقديم مناقشة مفصلة عن مسألة فك الاشتباك مع الإرهاب. وكل ما يمكن أن نؤكد في هذا الشأن، هو أن ما لدينا يصلح كبداية؛ لأننا لا زلنا نخطو خطواتنا الأولى لكشف أغوار هذه المسألة شديدة التعقيد، والتي يجب أن نوليها قدرا كبيرا من البحث والاهتمام يعادل اهتمامنا، بمسألة تحول الفرد إلى الإرهاب بما يتضمنه من عوامل شد وجذب، تفضي به إلى هذا الطريق. لا بد إذا أن نقر، أن هذه المرحلة من مراحل الإرهاب هي أقلها وضوحا وأن معلوماتنا عنها لا تزال ضحلة.

فيما سبق تناوله عن فك الاشتباك، ناقشنا عدة مستويات تحليلية لهذا الموضوع. وفي أغلب الأحيان، وجدنا أن قرار «إنهاء» الإرهاب يعتبر بالنسبة للمجموعات الإرهابية قرارا صعبا. إذ إنه يمر بمراحل عبر فترة ممتدة من الزمان. وينتهي بهم التفكير في أغلب الأحيان إلى الوصول إلى نتيجة واحدة، وهي أن طريق العنف وحده لا يفضي إلى تحقيق أية أهداف.

ففى حالة منظمة IRA المؤقتة، وطبقا لكادر من كواد المنظمة السابقين، فإن هذا المزج المشترك بين الجانب السياسى والكفاح المسلح، والذي أفضى إلى تغليب الكفاح المسلح على الجانب السياسى، هو الذى أدى تدريجيا إلى الاتفاق على نزع السلاح فى نهاية الأمر.

ولا نريد أن نكرر مرة أخرى مدى حاجتنا إلى أبحاث مفيدة فى هذا المجال. إلا أن هذه ضرورة لا بد منها. وجدير بالذكر أن معظم ما حصلنا عليه من معلومات، كان مصدره دراسات عن الحركات الإرهابية فى أوروبا. فلا يوجد لدينا عمليا نفس المعلومات عن منظمة القاعدة مثلا. بخلاف ما لدينا من مقابلات مع إرهابيين سابقين. - وهو مصدر مهم يمكن من خلاله تكوين نموذج لفك الاشتباك -. إلى جانب الاعتماد على مذكرات

كتبها بعض الإرهابيين السابقين أيضا. ولكن لابد من أن نشير هنا، إلى أهمية توخي الحرص والدقة، ونحن بصدد إجراء تقييم صحيح لهذه المصادر. فضلا عن ذلك فلا بد من دراسة طبيعة هذه المعلومات، ومقارنتها، لمحاولة الوصول إلى نقاط مشتركة أو أوجه تشابه، نكون على أساسها معلومات مفيدة عن شخصية الإرهابي.

إن الاعتماد على المذكرات كمصدر للمعلومات تحمل عدة مخاطر ومشاكل. ربما كان أوضحها عدم توافرها بالقدر الكافي في الوقت الحاضر. أما إجراء المقابلات وهو ما نعتبره بحثاً مباشراً، فقد لا يمكن تحقيقه بسهولة من الناحية العملية بالنسبة للبعض. إلا أن نجاح عدد صغير من الباحثين في هذا المجال، يشهد بتعاون المنظمات الإرهابية عموماً مما يسهل الوسائل البحثية.

ومن نتائج هذه المناقشة، أيضاً، توصلنا إلى أهمية توافر الخدمات التي تدعم الإرهابيين أو النشطاء الذين يسعون إلى فك الاشتباك النفسي مع الإرهاب. وبشكل عام فلا بد من تطوير الإستراتيجيات التي تشجع أو تدعم فك الاشتباك. أما على المستوى الشخصي، فنحن لا نحبذ تبنى إستراتيجيات العلاج. حتى بعد نجاح إقناع الإرهابي بها. ونحن في حقيقة الأمر لانملك بعد الدليل التجريبي الذي يوجهنا في اختيار الإستراتيجية الملائمة. ومن الإستراتيجيات الواعدة التي تم تطويرها، تلك التي تعتمد على فترة الحبس، والتي تعزز العمل في اتجاه مساعدة الذات. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المصدر الأساسي لهذه الإستراتيجيات، هو تطور حدث في مجال العلاج السلوكي الإدراكي. (CBT) ويعرف بطريقة القبول والالتزام^(١). وقد قدم كل من هائيس، ريفيل، أكهييكو وراي (٢٠٠٢). بحثاً واعداداً في هذا المجال.

والخلاصة، هي وصولنا إلى أن سؤال «لماذا يترك الأفراد الإرهاب؟» يعتبر سؤالاً معتقداً ومربكاً لا يقل في ذلك عن سؤال «لماذا يتجه الأفراد إلى الإرهاب؟». وذلك

(١) من المعروف أن طريقة القبول والالتزام، ACT تعتبر طريقة علاج سيكولوجية مختبرة، تستخدم إستراتيجيات القبول مع الالتزام وتغيير السلوك بهدف زيادة المرونة النفسية. وهي مستقاة من آخر أعمال السلوكيين في مجال نظرية إطار العلاقات وتنتمي إلى مفهوم السلوك الإدراكي. وأساس مفهوم ACT أن سبب المعاناة النفسية، هو السمات المشتركة بين اللغة الإنسانية والإدراك والتحكم في السلوك الإنساني من خلال التجربة المباشرة.

نتيجة لتشابك وتعقد العوامل التى تتحكم فى هذين السؤالين، بالقدر الذى يصعب معه إيجاد إجابات واضحة أو شافية بالقدر الكافى، تصلح أن تكون قاعدة قوية، لبناء إستراتيجيات فعالة لمكافحة الإرهاب. وبالنظر لما سبق واستعرضناه فى هذا الفصل، فإن هجر الإرهاب، قد يخضع لظروف، تقع خارج تحكم الفرد أو إرادته. فقد تكون تنويجا لمجموعة من العوامل المسئولة عن هذا الاتجاه. ومنها على سبيل المثال، شعور الفرد بأن الأبواب المتاحة أمامه قد سدت بالكامل. وذلك على المستوى الاجتماعى أو التشغيلى على سبيل المثال أو غيره. ما نجهله حقيقة الأمر، هو العلاقة التفاعلية بين العوامل المتحكممة فى القرار. فقد يتعلق الأمر بالإرهاب فى لحظة معينة من الزمن وفى مكان محدد. كما يدعو البعض إلى ضرورة الحكم عليه من هذا المنظور. فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يمكن الإجابة عن السؤال الأول من هذا المنظور أيضا. إذ سوف يؤثر ذلك على الشكل الذى يرى به الإرهابى نفسه فى مكان ولحظة زمنية محددة. ونحن ندعو هنا، إلى ضرورة إيلاء نفس القدر من الاهتمام للإجابة على السؤالين. فإذا تم مستقبلا المطالبة بوضع تصنيف علمى للعوامل التى تساهم فى اتخاذ الأفراد لقرار فك الاشتباك (بعضها قد تم اقتراحه فى هذا الكتاب)، فإننا ندعو الباحثين فى هذا المجال إلى الاعتراف أولا بأهمية العملية الديناميكية التى تتحكم فى سلوكيات الأفراد تجاه المراحل المختلفة للتورط الإرهابى، أو فى دور وظيفة المجموعة الإرهابية التى ينتمى إليها الفرد.

- Alexander, Y., & Myers, K. A. (Eds) (1982). *Terrorism in Europe*. London: Croom Helm.
- Bjorgo, T. (Ed.) (2005). *Root causes of terrorism*. London: Routledge.
- Brockner, J., & Rubin, J. Z. (1985). *Entrapment in escalating conflicts*. New York: Springer-Verlag.
- Hayes, S. C., Reville, N., Akihiko, M., & Rye, A. K. (2002). Prejudice, terrorism and behavior therapy. *Cognitive and Behavioral Practice*, 9, 296–301.
- Horgan, J. (2005a). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.
- Horgan, J. (2005b). The social and psychological characteristics of terrorism and terrorists. In T. Bjorgo (Ed.), *Root causes of terrorism*. London: Routledge.
- Horgan, J. (2009). *Walking away from terrorism: Accounts of disengagement from radical and extremist movements*. London: Routledge.
- Jamieson, A. (1989). *The heart attacked: Terrorism and conflict in the Italian State*. London: Marian Boyars.
- McCauley, C. R., & Segal, M. E. (1989). Terrorist individuals and terrorist groups: The normal psychology of extreme behaviour. In J. Groebel, & J. H. Markstein (Eds), *Terrorism: Psychological perspectives* (pp. 41–64). Seville: University of Seville Publications.
- O'Callaghan, S. (1998). *The informer*. London: Granta.
- Post, J. M. (1987). Group and organisational dynamics of political terrorism. In P. Wilkinson, & A. M. Stewart (Eds), *Contemporary research on terrorism* (p. 310). Aberdeen: Aberdeen University Press.
- Spire, A. (1988). Le Terrorisme Intellectuel. *Patio*, 11, 150–158.
- Taylor, M. (1988). *The terrorist*. London: Brassey's.
- Taylor, M. (1992). Rational choice, behaviour analysis and political violence. In R. V. Clarke, & M. Felson (Eds), *Routine activity and rational choice – Advances in criminological theory*. Rutgers, NJ: Transaction Press.
- Taylor, M., & J. Horgan J. (2006). A conceptual framework for addressing psychological process in the development of the terrorist. *Terrorism and Political Violence*, 18:4, 585–601.
- Taylor, M., & Quayle, E. (1994). *Terrorist lives*. (pp.34–35). London: Brassey's.
- Taylor, P. (2006). The Jihadi who turned 'Supergrass'. *BBC News*. Retrieved June 22, 2009 from: <http://newsvote.bbc.co.uk/mpapps/pagetools/print/news.bbc.co.uk/1/hi/programmes/5334594.stm>
- Thachuk, K. L. (2006). Countering terrorism across the Atlantic. *Defense Horizons*, July, 53, 1–8.

الفصل السادس عشر

فك الاشتباك مع الراديكالية

وبدء النزول على السلم

الإرهابي

فتحالى م. موغدم^(١)

نبذة: بناء على الصورة التي رسمناها في مخيلتنا، فإن وصول الشخص إلى التورط في عالم الإرهاب يتطلب الصعود خطوة خطوة على امتداد سلم يفضى به إلى الطابق الأخير من المبنى، والذي يمثل التورط الفعلي في ممارسة الأنشطة الإرهابية. والمقترح هنا، هو وضع برامج لفك الاشتباك مع راديكالية الإرهابي عند كل مستوى (طابق) من مستويات الإرهاب. والتصور هنا، أن كل مستوى من مستويات الفكر والفعل الإرهابي يمثل عملية نفسية تصاحبه. وأن ما نريد الوصول إليه، هو وضع إستراتيجيات تقابل كل مستوى من هذه المستويات تنقل الأفراد إلى الطوابق السفلى تدريجياً إلى أن يتم اصطحابهم أخيراً خارج المبنى. والغاية إذاً، هى الوصول إلى هدف طويل الأمد لفك الاشتباك مع الإرهاب، عن طريق حدوث التحول النفسى المطلوب للإرهابي حتى ينأى بنفسه عن أنشطة دعم وتعزيز الإرهاب.

(١) عنوان المراسلات: فتحالى موغدم. قسم السكولوجى، مبنى وايت جريفنر (الطابق الثالث) جامعة جورج تاون، واشنطن، DC الولايات المتحدة. ٢٠٠٥٧. البريد الإلكتروني: Moghaddfi@georgetown.edu

فك الاشتباك مع الراديكالية الإرهابية

لا يزال الإرهاب يشكل تهديدا على المستوى المحلى والدولى معا. والإرهاب الذى نقصده هنا هو «العنف ذو الدافع السياسى، الذى يقوم بتنفيذه أفراد أو مجموعات أو عملاء تساندتهم الدولة، والذى يهدف إلى إشاعة حالة من الفزع والفوضى بين أبناء المجتمع الواحد مما يترتب عليه سهولة التأثير على متخذى القرار وتغيير سلوك المجتمع». (مغدم، ص ١٦١-٢٠٠٥). وعلى الرغم من نشاط الإرهابيين الغربيين فى كل من أيرلندا الشمالية (كوجان، ٢٠٠٢) وإسبانيا (بلفور، ٢٠٠٥) والولايات المتحدة (لينشال، ٢٠٠١) بالإضافة إلى مجتمعات ديمقراطية أخرى، فإن خطر الإرهاب منذ الثمانينيات تزايد من جراء أنشطة إرهابية ارتكبتها المجتمعات الإسلامية بالشرق الأوسط أو الجاليات الإسلامية بأمكن أخرى. خاصة فى شكل عمليات انتحارية حض عليها وشجعها، مجموعات العنف السلفى أو مجموعات التطرف الإسلامى الأخرى. (بلوم، ٢٠٠٥، خوسروخافار، ٢٠٠٥، ماكدرموت، ٢٠٠٥، أوليفر وستاينبرج، ٢٠٠٥، باب، ٢٠٠٥، بدهزور، ٢٠٠٥).

قدم علماء النفس مساهمات عديدة لإلقاء مزيد من الضوء على جذور الإرهاب، ونتائج العمليات الإرهابية على ضحايا الإرهاب. (بونجر، براون، بويتلر، بريكنريدج، وزمباردو، ٢٠٠٦، دانيلى، بروم، ووايزر، ٢٠٠٥، هورجان، ٢٠٠٥، موغدم ومارسيلا، ٢٠٠٤، ساجمان، ٢٠٠٤، ستاوت، ٢٠٠٢).

على أن مزيدا من الجهود يجب أن توجه إلى تنامى إرهاب التطرف الإسلامى داخل المجتمعات الإسلامية فى الدول الأوروبية أو خارجها على السواء. وليس ذلك بسبب تساؤل نوع آخر من الإرهاب (إذ منذ ٢٠٠٥ بدأ الإرهاب يتزايد فى إسبانيا). ولكن لأن الإرهاب الإسلامى أضحى حاليا ومن المتوقع أيضا فى المستقبل القريب، أكثر التهديدات الموجودة على أرض الواقع خطورة وشراسة. (بما فيها أوروبا، انظر: برليز، ٢٠٠٧، فون هيبيل، ٢٠٠٧).

أصبح الكثير من المجتمعات الإسلامية حول العالم ومن ضمنها ملايين من المسلمين المهاجرين إلى كثير من الدول الأوروبية، (على سبيل المثال مسلمي، جنوب آسيا بالملكة المتحدة، أو شمال أفريقيا بفرنسا، أو الأتراك المسلمين بألمانيا) تساند مجموعات الإسلام المتطرف، وقد تبني مواقفه. وعلى سبيل المثال، فإن عددا كبيرا من هؤلاء المهاجرين، يرفضون الاعتراف بأن اعتداءات ٩ / ١١ قد قام بها العرب. (٥٦٪ من مسلمي إنجلترا، ٤٦٪ من المسلمين الفرنسيين، ٤٤٪ من مسلمي ألمانيا، و ٦٥٪ في إندونيسيا، ٥٩٪ من مصر وفي تركيا ٥٩٪ وفي الأردن ٥٣٪). كما أن نسبة كبيرة منهم أى عشرات الملايين المقيمين في مجتمعات غربية أو غير غربية، تبرر استهداف المدنيين في بعض الأحيان بحجة الدفاع عن الإسلام (مسلمو بريطانيا ١٥٪، مسلمو فرنسا ١٦٪، في ألمانيا ٧٪ وإندونيسيا ١٠٪ وفي مصر ٢٨٪، و بتركيا ١٧٪ وبإفردن ٢٩٪).

وتمثل خطورة راديكالية هذه الجاليات، فيما يمكن أن تقدمه من مساندة معنوية أو عملية لأنشطة عنيفة مثل الإرهاب بشكل خاص.

لتقريب الصورة من العملية الراديكالية، وعلاقتها بالإرهاب، كونت صورة خيالية لسلم يعتلى الإرهابى درجاته، خطوة خطوة، حتى يصل إلى آخر طابق، الذى يمثل آخر نشاط إرهابى قام به. ولنتخيل الآن أن معظم ساكنى هذا المبنى، يقطنون الدور الأرضى، فلا يحتاجون إلى صعود السلم فيما عدا البعض منهم. وبالنسبة لهؤلاء، فإن كل طابق من الطوابق يمثل مستوى مختلفاً من الأفعال والأفكار، التى تتحكم فيها عمليات نفسية عديدة.

و على سبيل المثال، ففي الطابق الأرضى حيث يعيش أكثر من بليون مسلم، فإن الأفكار والأفعال تسيطر عليها الهوية (هنا يتبادر إلى ذهن الإرهابى أسئلة مثل : إلى أى نوع من الأفراد أنتمى؟ وماهى هوية مجموعتى؟) وفيما ينحصر العدالة؟ (هل أعامل بعدل؟) وأما الجانب المادى، فالسؤال لا بد أن يتعلق بما إذا كانت المجموعة تحقق لى ما أريد من إشباع مادية؟. بعض الأشخاص تصل بهم أسباب الضيق

وظروف الحياة إلى طريق مسدود فيلجئون إلى الصعود إلى الطابق الأول، لتحسين أوضاعهم.

في الطابق الأول، تشغل مسألة فرص الحراك الاجتماعي حيزاً جوهرياً من تفكير الإرهابى. بالإضافة إلى فرص اشتراكه في عملية اتخاذ القرار داخل مجموعته. أما الذين لا يجدون أمامهم أى فرصة للاشتراك في اتخاذ القرار، ويتم إسكاتهم بدلاً من مشاركتهم، فهؤلاء ينتقلون إلى الطابق الثانى، حيث يتم توجيههم إلى أهداف خارجية. وتشير الظروف السياسية والثقافية للمجتمعات الإسلامية، حالياً، أن الولايات المتحدة وإسرائيل أكثر الأهداف الخارجية شيوعاً.

وقد لعبت الجوامع دوراً كبيراً كمراكز سياسية داخل المجتمعات الإسلامية، كما أنها فاقمت من أهمية وخطورة التطرف الإسلامى داخل المجتمعات الغربية أو خارجها. وقد كان قمع الحاكم المطلق للمعارضة العلمانية أو الإسلامية، إلى جانب الفساد من العوامل الأساسية المسئولة عن تعاظم هذه الظاهرة في الدول الإسلامية الكبرى مثل المملكة العربية السعودية ومصر وباكستان. حيث تحولت الجوامع إلى مراكز لقاء سياسية. ولاشك أن زيادة إحساس المسلمين بالعزلة الجماعية، هى التى مهدت الطريق أمام تزايد نفوذ هؤلاء المتطرفين في بعض الجوامع.

هؤلاء الأفراد الذين يستمرون في الصعود إلى الطابق الثالث يصبحون أكثر انفصالاً وانعزالاً عن الأخلاقيات العامة التى تكيل الاتهامات إلى الإرهاب، ويتبنون على العكس من ذلك، أخلاقيات مختلفة تؤيد الإرهاب وتبرره. في هذا الطابق أيضاً يتشبث الإرهابى بالمعتقد الذى يقوده إلى قناعة «ضرورة القضاء على العدو - الذى يمثل الشيطان، ومهما كانت التكلفة». أما الطابق الرابع فتتأصل فيه روح المجموعة، وشرعيتها في عرف الأعضاء، وتنمو روح «من ليس معنا، فهو ضدنا». وقد تم تبني هذا الفكر الراديكالى من قبل بعض القادة الغربيين، وظهرت هذه العبارة في الكثير من خطاباتهم. وأخيراً ومن بين هؤلاء الذين صعدوا إلى الطابق الرابع يقع الاختيار على

بعض الإرهابيين الذين يكونون مستعدين نفسيا. فيتم تجنيدهم لبدء ممارسة الأنشطة الإرهابية في الطابق الخامس.

ويبرهن بحث نفسى تم إجراؤه خاص بفكرة الالتزام والطاعة، على قوة الراديكالية التدريجية. (مغدم، ٢٠٠٥، الفصل ١٥ و١٦، زمباردو، ٢٠٠٧). ونضرب هنا مثالا، للإجراء التدريجى الذى استخدمه ميلجرام (١٩٧٤) فى دراساته المتعلقة بالطاعة للسلطة، حيث تم حث المشاركين فى دور «المعلم» على زيادة العقوبة، التى يتم تطبيقها ظاهريا على «المتعلم» (مجموعة من الأفراد يخضعون للتجربة). وذلك بواقع زيادة تدريجية تصل إلى ١٥ درجة. وكما توصل ميلجرم فى هذه الدراسة (١٩٧٤) عن «النظام السلطوى» إلى أن انتقال الأفراد إلى المستويات الأعلى من الطاعة يرتبط بصفاتهم الشخصية، فإننا يمكن أن نقيس على ذلك أيضا الاختلاف بين الأفراد فى الانتقال من مرحلة إلى أخرى على درجات سلم الإرهاب. ويعتبر التعرف على الاختلافات بين الأفراد على مختلف مستويات السلم، من النقاط التى تتطلب مزيدا من الاهتمام فى أبحاث المستقبل. وبالمثل، أيضا حركة النزول على درجات السلم المختلفة.

لاشك أن هناك حاجة ملحة، لإعطاء أهمية خاصة للعملية النفسية التى تقود إلى مرحلة فك الاشتباك مع الراديكالية. خاصة بعد حقبة اعتداءات ٩/١١. أولا لأن قبل هذه الفترة كان الحديث عن فك اشتباك مع الراديكالية خاص براديكالية مجموعات الجناح الأيسر أو اليسارية (انظر المناقشة الكلاسيكية لتاكر، ١٩٦٧ عن تحلى الحركات الماركسية عن الراديكالية، والمناقشة الأكثر حداثة لسبرينزك، ١٩٩٨ عن المجموعة الأمريكية Weathermen وهى مجموعة يسارية متطرفة) وثانيا، ورغم موافقتنا على وجهة النظر التى تنتصر لوجود نقاط تشابه كثيرة بين الإرهاب «القديم» و«الحديث» وأن إرهاب القرن ٢١ مشترك فى عديد من النقاط مع الإرهاب القديم، فإننا نؤكد تميز الإرهاب الجديد بعدة نقاط أساسية مختلفة، ومنها اعتماده بشكل متزايد على التقنية الحديثة فى وسائل الاتصال، كالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) (تاكيه وجفوزديف، ٢٠٠٢). وتنظيم القاعدة أفضل لجيل على ذلك، حيث يمارس نشاطه الدعائى ونشر

مبادئه وأخلاقياته من خلال أحدث تقنية في وسائل الاتصالات أى الشبكة الدولية للاتصالات؛ لذا فهو يعد قوة مؤثرة من خلال «استخدامه لوسائل الثقافة الكونية الحديثة» (مقدم، ٢٠٠٧). (شاهد فيديو أسامة بن لادن، الذى تم توزيعه عبر الإنترنت، فى سبتمبر، ٢٠٠٧).

إن هدف هذه المناقشة، هو استخدام مثال السلم الإرهابى، لاستكشاف سيكولوجية فك الاشتباك مع الراديكالية، أو التخلّى عنها. والبحث الذى نقدمه هنا، يقدم إطاراً عاماً للاسترشاد والحث على مزيد من البحث والدراسة فى هذه المسألة. فى الجزئين التاليين، لهذا البحث، أناقش أولاً عمليتي الراديكالية وفك الاشتباك معها، ثم أولى اهتمامى، إلى برامج فك الاشتباك مع الراديكالية، التى تستهدف الأفراد الذين وصلوا إلى عدة طوابق على السلم الإرهابى. وفى الجزء الأخير، أوجه اهتمامى إلى نقطة، اعتبرها محورية، باعتبارها هدفاً طويل الأمد، خاصاً بعملية التخلّى عن الراديكالية. أى التحول النفسى للفرد، الذى يكسبه صفات جديدة، تؤهله للاشتراك فى نظام سياسى والعمل على دعم استمراره.

الراديكالية وفك الاشتباك معها Radicalization and De-radicalization

بعد حوالى ثمانية عقود من الأبحاث النفسية عن المواقف، منذ إجراء لابيير، (١٩٣٤) لأبحاثه الرائدة فى هذا المجال، وحتى الدراسات التى أجريت فى القرن الحادى والعشرين (هادوك، ٢٠٠٤)، كلها تؤكد أن راديكالية المواقف لا يترتب عليها بالضرورة راديكالية السلوك. وفى هذا الخصوص، لابد من الإشارة إلى أهمية التفرقة بين العناصر الإدراكية والتأثيرية والسلوكية للراديكالية. على المستوى الإدراكى، فإن راديكالية المجتمعات الإسلامية تتضمن شقين: أولاً، معرفة بالمجموعات المختلفة التى تعترف بالإرهاب، وتسانده، وثانياً، اندماج الهوية الشخصية مع الهوية التى تعترف بالإرهاب بشكل يحقق التسامح مع الفكر الإرهابى. وعلى المستوى التأثيرى، فإن

الراديكالية تعنى، التعلم الاجتماعى استعدادا للاشتراك فى الأنشطة الإرهابية. وهو يركز على كيفية تجاوز السلوك الذى يمنع أو يعطل إقبال الشخص على إصابة أو قتل الآخرين والذى يصنفه لنا (لورنز، ١٩٦٦). وهو نفس التعليم، الذى يتلقاه الفرد أيضا فى التدريب العسكري. (جروسمان، ١٩٩٥). فإذا بلغ الأفراد مثل هذه الدرجة من الراديكالية، ووصل الأفراد، طبقا لما ذكرناه من قبل إلى آخر طوابق السلم الإرهابى، فكيف يتسنى لنا التعامل مع تحدى فك الاشتباك مع الراديكالية؟

فك الاشتباك مع الراديكالية.

إن لدينا بالفعل بعض المعلومات الواضحة الخاصة بكيفية حدوث عملية فك الاشتباك أو التخلي عن الراديكالية. ومنها أولا، معلومات خاصة بالأدب المعرفى فى هذا المجال. (مثال، ألكسندر، ٢٠٠٢، أرت وريتشاردسون، ٢٠٠٧، برنارد، ٢٠٠٥، كرينشو، ١٩٩١، ١٩٩٥، كرونين، ٢٠٠٦، روس وجور، ١٩٨٩، معهد السلام بالولايات المتحدة، ١٩٩٩). وكل ما ذكر، يتفق على أن الطريق لفك الاشتباك مع الراديكالية، بالنسبة للأفراد أو المجموعات، ليس بالضرورة عكس طريق التورط فيها. وعلى سبيل المثال، فإذا كان اتجاه فرد إلى الراديكالية مرتبطا بتحقيق الانفصالية، وتحت تأثير قائد كاريزمى، فإن تخليه عنها، قد لا يكون مرتبطا بتلك الأسباب على الإطلاق. بل قد يرجع إلى عوامل مختلفة تماما، كانهخفاض شعبية المجموعة بين جمهورها الأساسى (كما حدث فى أيرلندا، خاصة منذ منتصف التسعينيات) أو حدوث تغيرات فى الظروف السياسية المحيطة.

والنقطة الثانية المهمة هنا، هى ضرورة التأكيد على أن نجاح برنامج التخلي عن الراديكالية يرتبط فى المقام الأول بالطابق (الافتراضى) الذى يكون الفرد قد وصل إليه على سلم الإرهاب (الافتراضى)، والعملية النفسية المصاحبة للفرد فى هذا الطابق. وعلى سبيل المثال البرنامج الناجح للتخلي عن الراديكالية فى الطابق الأول يجب أن يكون مرتبطا بالحالة النفسية الخاصة بتحقيق مفهوم العدالة، بالإضافة إلى ضمان قدرة

الفرد على التحرك أو التنقل. أما البرنامج المناسب للأفراد في الطابق الأخير فيجب أن يركز على التخلي عن الراديكالية بعد الاعتقال، أى عملية إعادة تأهيله للخروج إلى المجتمع مرة أخرى. وفي هذا الخصوص نذكر أن هناك العديد من الدروس التي يمكن الاستفادة منها، من خبرة السلطات الإيطالية، مع إعادة تأهيل أعضاء الألوية الحمراء لمواجهة المجتمع من جديد. (كتانزارو، ١٩٩١). ونريد أن نشير إلى وجود مزيد من التفاصيل بشأن التخلي عن الراديكالية على المستويات المختلفة من السلم الإرهابي، في الجزء الأساسي من هذا البحث.

وثالثا، فإن هذه البرامج يجب أن تصمم بحيث تأخذ في الاعتبار أيضا، الأدوار المختلفة التي يقوم بها الفرد داخل المجموعة الإرهابية. وحقبة الأمر فإن تغير أدوار الأفراد داخل المجموعة باختلاف الطوابق (الافتراضية) على السلم الإرهابي، مسألة لم تول ما يكفي من اهتمام؛ ولذلك وبعد دراسة متعمقة، تناولت عدة منظمات إرهابية، توصلت إلى توصيف تسعة أدوار رئيسية داخل المجموعة. (مغدم، ٢٠٠٦): ١- الملهم (ويلعب دورا رمزيا في الحركة الإرهابية). ٢- الإستراتيجي، (يقوم بدور التخطيط، والإدارة بشكل فعال)، ٣- منسق خلايا المجموعة (يحاول تحقيق الترابط بين الخلايا الإرهابية المختلفة للمجموعة، وينسق بين الأفراد داخل المجموعة التي تشكل الحركة). ٤- الخبير (الذي يطبق خبرته المعرفية، في مجالات الاتصالات الإلكترونية والمتفجرات، لتسهيل تنفيذ العمليات الإرهابية). ٥- مدير الخلية (يعمل على استتباب الأمن، والتحقق من كفاءة سير العمل، ويؤمن استمرارية الخلية الإرهابية) ٦- المرشد المحلي (حلقة الاتصال بين المجندين من الإرهابيين الجدد والمسؤولين عن عملية التجنيد) ٧- عضو الخلية (يقوم بتقديم خدماته في مجموعة صغيرة، لتنفيذ الهجمات ومساندة الإرهابيين) ٨- العلف (يستخدم كأداة في الاعتداءات الإرهابية) ٩- جامع التمويل (يتولى جمع الموارد المالية لمساندة العمليات الإرهابية) وقد تم تصنيف هذه المهام إلى أدوار محددة بناء على عدة معايير: مثل (المكسب الذي يحققه الفرد للشبكة)، الوظيفة، مدة الخدمة، مستوى ونوع الخبرة، الدافع. وقد تعرف (نيسير ٢٠٠٥) على أدوار أخرى داخل الخلية. مثل: «رجل الأعمال» «الطفل البارع» «الفرد غير المتكيف».

و«كثير التنقل». واقترحنا هنا أن يطور المتخصصون، شكلا جديدا من أشكال التدخل العلاجي يأخذ في الاعتبار هذه الأدوار والتخصصات داخل المجموعة الإرهابية. ونتيجة لمحدودية مكان النقاش هنا، فسوف أعطى الأولوية لخصائص كل مستوى على سلم الإرهاب ويليهما في الأهمية، الأدوار المختلفة داخل الخلية الإرهابية. مع التأكيد أن هناك فجوة في هذا المجال، نتمنى أن تعنى بها الأبحاث مستقبلا.

ولابد لبرامج التخلي عن الراديكالية أن تأخذ في اعتبارها أن الأفراد الموجودين على مختلف مستويات سلم الإرهاب، غير موزعين بشكل عشوائي أو بشكل متساو. فالأفراد الذين يقومون بدور الأداة في الهجوم الإرهابي، يعتلون الدور الأخير من الطوابق، وهو طابق النشاط الإرهابي. بينما يمكن لجامعي التمويل أن يبقوا في الطابق الثالث أو الرابع، نتيجة لتبنيهم أفكار مساندة للإرهاب، إلا أنهم غير متورطين فيه بشكل مباشر، بل ليس من المستبعد أن لا يكونوا قد شاهدوه، أو لا يكونوا على علم بوقوعه أساسا.

النزول من طوابق درج الإرهاب

يساعدنا تصور درج الإرهاب، في تحديد أهداف برامج فك الاشتباك مع الراديكالية التي تقابل كل مستوى من طوابق الإرهاب. ونبدأ من الطابق الأخير، حيث يكون الفرد قد تلقى التدريب الكامل لبدء تنفيذ الأنشطة الإرهابية.

الطابق الخامس

من المؤكد أن الفرد عند هذا المستوى، يكون قد تلقى تدريباً يؤهله لتنفيذ هجوم إرهابي (كعضو فاعل في المجموعة). وعادة ما يتمنى منفذ العملية الإرهابية إلى مجموعة صغيرة، تعمل في جو من السرية التامة، ويتم حثه وحضه على التحرك إلى الهدف الأخير. وهو تنفيذ الهجوم. ومع اقتراب موعد الهجوم فإن الإرهابي يكون على قناعة بضرورة كتابة وصيته، وتحضير فيديو لتوزيعها بعد موته. وطبقا لنظرية الإدراك التنافري، ونظرية النظرة الذاتية، (انظر مغمدم، ص ١١٤-١٢٣-١٩٩٨) فإن هذا

الأداء، والاستعداد للوفاة من جانب الانتحاري، يجعل مسألة الرجوع عن رأيه احتمالاً غير متصور: أولاً، لأنه يكون لديه دافع قوى لمطابقة سلوكه مع معتقداته وتعهداته (طبقاً لنظرية الإدراك التنافري). وثانياً، لأنه بتصرفه كإرهابي، فإن نظرتَه إلى نفسه تصبح مطابقة تماماً لذلك. (طبقاً لنظرية النظرة الذاتية).

ومن الطبيعي أن تتأثر البرامج العلاجية لإرهابيي الطابق الخامس، بالدورات الكبرى للاقتصاد، والسياسة والاجتماع. (أندرز وساندلر، ٢٠٠٠) وتباين أطوال هذه الدورات، في حين تكون أعمار كثير من الإرهابيين قصيرة، فقد تقل عن السنة. إلا أن هناك دلائل تاريخية تشير إلى اتجاه حياة الإرهابي الديني؛ لأن تكون أطول أنواع الإرهاب عمراً. (رابوبور، ١٩٩٤).

من العوامل الاقتصادية المؤثرة في عدد الإرهابيين الذين يصلون إلى الطابق الخامس، حجم السكان وأعمارهم. في المجتمعات ذات الكثافة العالية في نسبة الشباب، كما هو الحال في بلاد الشرق الأوسط والأدنى، حيث تصل نسبة الشباب الأقل من ٢١ عاماً إلى ٦٠٪ من إجمالي عدد لسكان، يكون لدى المجموعات الإرهابية اختيار كبير من الشباب للتجنيد. حيث يتميز صغار السن من الشباب بالجرأة المطلوبة في مواجهة المخاطر والإقبال على الهجوم في معظم المجتمعات.

ولكن كيف تتم عملية التخلي عن الراديكالية بين الذين وصلوا بالفعل إلى الدور الأخير؟

أولاً، يمكن أن يتم القبض على الإرهابي، ثم يبدأ في تلقي تعليم جديد من خلال برامج تعليمية خاصة، تؤهله للتخلي عن الراديكالية. وعلى سبيل المثال، دعمت حكومة اليمن منذ التسعينيات إعداد برامج للتخلي عن الراديكالية الإسلامية. وقد ركزت على الإسلاميين الراديكاليين الذين تم القبض عليهم (تارنبي، ٢٠٠٥). ومن ضمن ما تشتمل عليه هذه البرامج، مناقشات جدالية تعقد بين شيوخ أجلاء يتمتعون باحترام الجميع، وبين الراديكاليين، حول موضوعات ذات أهمية خاصة (مثل معنى الجهاد).

وذلك بما يتوافق مع قواعد إجراء الحوار الذى يحترم الاختلاف بين جميع الأطراف. وقد حقق هذا البرنامج نسبة معقولة من النجاح. وإن كان من المحتمل أن يكون اعتراف الراديكالى بأنه قد اقتنع بالفعل نابعا، من رغبته فى الحصول على حريته، ليس أكثر. ثانيا، قد تتعرض المجموعة لهجوم من قبل الحكومة، يتسبب فى إضعاف الشبكة الإرهابية، مما يترتب عليه التخلي عن الراديكالية. وقد يؤدى هذا الهجوم إلى إلقاء القبض على الزعيم الكاريزمى للمجموعة أو قتله. وإن كان هذا الاحتمال مستبعدا، بالنسبة لمجموعات الإسلام الراديكالى الجديدة، المعروفة بمنهجها اللامركزي. فهى تعتمد على شبكة الاتصال العالمية وليس على قائد واحد. وثالثا، عدد الإرهابيين الذين يصلون إلى الطابق الأخير قد يتضاءل نتيجة تحول فى شبكة العمل. وذلك إما بسبب الانتهاء من إنجاز الهدف المحدد. أو لأن المجموعة الإرهابية قد تم استيعابها داخل الاتجاه السياسى العام للدولة، أو لأن الإرهابيين قد حولوا المنظمة إلى منظمة ذات أهداف إجرامية بحتة، لا تسعى إلا إلى تحقيق المكسب المادى أو الأرباح العالية.

الطابق الرابع

من يصل إلى الطابق الرابع، يكون بالفعل قد وصل إلى حالة من التسامح مع الإرهاب. وفى هذه المرحلة من السهل الوقوع فى شرك كثير من الناشطين الإرهابيين أو الداعين والمرشدين لهذه الشبكات الإرهابية، حيث يتصيدون هذه العناصر الجديدة، ليصبحوا أعضاء فى الخلية أو مديرين لها أو خبراء. ومن يتم تجنيدهم داخل المجموعة، حيث يخضعون لعمليات غسيل أدمغة، لاستيعاب المعتقد الذى تقوم عليه المجموعة ويبدءون تدريجيا فى التكيف على حياتهم الجديدة فى شكل خلايا سرية صغيرة، تتراوح بين أربعة إلى سبعة أعضاء. وتتميز هذه المرحلة من الراديكالية الإرهابية، من الناحية النفسية بتأصل فكرة «نحن» ضد «هم» مع خلع الشرعية على القضية التى تتبناها المجموعة.

من أهم الأسباب المسئولة عن تقلص الحركات الإرهابية سابقا، هى الفشل فى تجنيد عناصر جديدة من الشباب، بالإضافة إلى عدم القدرة على التأثير على العناصر الشابة

لإقناعهم بتبنى قضية المجموعة. وبما أن تجنيد العناصر الجديدة يتم في هذه المرحلة، فإن برامج التخلي عن الراديكالية يجب أن تعطى أولوياتها للشباب الذى وصل إلى هذه المرحلة. كما أنها يجب أن تركز أهدافها على التغييرات النفسية السائدة لديه في هذه المرحلة.

أول هدف يجب أن يركز على القضاء على فكرة «نحن» ضد «هم» أو فكرة «الخير» ضد «الشر» بمعناها المطلق. وهذا يمكن إنجازه من خلال تجنب الخطاب ذى التصنيف المطلق. الذى أصبح سائدا في المجتمعات الغربية وغير الغربية على حد سواء. كما لابد من مد الجسور بين مختلف مجموعات المجتمع المتعارضة، من خلال تعريف كل مجموعة بالأخرى. (أربين وميلر، ١٩٩٨) وتشجيع الشعور بأن هناك تداخلاً ومساحات مشتركة بين كل المجموعات. وأن تحقيق أهداف المجتمع، يقتضى التعاون فيما بينها جميعاً. وكذلك التركيز على الأهداف التى تخدم الإنسانية ككل (كتحديات البيئة التى تواجهها الإنسانية باختلاف مجموعاتها. (تايلور ومغدم، الفصل الثالث، ١٩٩٤).

ثانياً: لابد للبرامج أن تسعى إلى إقناع أفراد المجموعة بعدم شرعية قضية الإرهاب. وقد أجرى قليلاً من الأبحاث في هذا الشأن. مثلاً أبحاث في تبرير وتحليل المجموعات الراديكالية للهجوم على المدنيين العزل وقتلهم. وحقبة الطرح في عقيدتهم الذى يستندون عليه في ذلك، إذ إنه، وعلى الرغم من انتشار الراديكالية حديثاً في المجتمعات الإسلامية، فإن أغلب المسلمين، ما زالوا يعتقدون أن قتل المدنيين شيئاً غير مبرر وغير أخلاقى. (مركز بيو للأبحاث، ٢٠٠٦). ويطابق ذلك نتائج الدراسات التى أجريت على الطاعة والالتزام، منذ أبحاث شريف في الثلاثينيات، وحتى الأبحاث المعاصرة على يد (مغدم، ٢٠٠٥، الفصل ١٥ و ١٦). وقد أعلن كثير من المشتركين في الأنشطة الإرهابية، رفضهم الالتزام بالطاعة في هذا الأمر، رفضوا الامتثال لما اعتبروه تعاليم خاطئة، ولا تتماشى مع أخلاقيات الدين الحقيقى. ولا شك أن هؤلاء «المتمردين

«وغير الملزمين»، يمكن أن يشكلوا قاعدة انطلاق، لترشيد هذا التوجه. ولا بد أن يقوم بقية المسلمين بدورهم في نشر هذه التعاليم، التي تروج لإسلام أكثر تسامحاً، وأشد معارضة لمهاجمة المدنيين العزل، في جميع الأحوال.

الطابق الثالث

ويتأكد في هذا الطابق، الاتجاه نحو مساندة وتأييد كامل للإرهاب، وعلى التوازي لذلك يحدث نخل تدريجي عن الأخلاقيات المعتدلة التي كان الفرد يتميز بها قبل انضمامه للمجموعة. وفي كثير من الأحيان يتم إغواء الشباب إلى تلك الأخلاقيات الجديدة، من خلال فروع اجتماعية للمجموعة. (ساجمان، ٢٠٠٤)؛ لذا فلا بد أن تركز إستراتيجيات التخلي عن الإرهاب، إلى جذب الشباب إلى أنشطة ترتبط بالمجتمع الكبير، خاصة وأن المجتمعات الإسلامية تتميز بعدد ضخم من الشباب. وعلى الرغم من ندرة فرص العمل والتعليم في المجتمعات الإسلامية، مثل مصر وباكستان، والأردن، فمن الممكن بذل جهود كبيرة في هذا المجال عملياً أو من خلال تغيير النظرة إلى إمكانيات حدوث حراك اجتماعي. فالتجارب البحثية تثبت أن مجرد قناعة الفرد بأن ذلك محتمل، حتى مع تساؤل فرص النجاح، يعتبر عاملاً قوياً في تحقيق ثقة الفرد في عدالة النظام. (لالوند وسيلفرمان، ١٩٩٤). إن المجتمعات الغربية لديها الإمكانيات المادية التي تضمن توفير فرص التعليم والعمل من خلال توفير المنح الدراسية، في التعليم وتوسيع قطاع التعليم والتدريب بشكل عام. وبذلك تصنع تأميناً لتحقيق الحراك الاجتماعي للأفراد.

إن على علماء النفس أن يتيحوا فرص المساعدة في تطبيق برامج توفر فرصاً تدريبية مناسبة لتكوين كفاءات في مجال علم النفس. (مغدم وتايلور، ١٩٨٦، زيبان، الامودين، معلوف، وشاتيل، ٢٠٠٧). وحقبة الأمر، فإن كثيراً من الفرص التعليمية المتاحة الآن لتدريب الطلبة على مستوى العالم، تصمم بهدف إعداد وتدريب الباحثين أو غيرهم في المجال العملي بالمجتمعات الغربية، ولا تصلح للتطبيق على غير الغربيين، وخاصة ممن ينتمون للمجتمعات الإسلامية. (مغدم، ١٩٩٧، الفصل الخامس). والنتيجة الطبيعية

لذلك، هو عدم تلقى الخبراء غير الغربيين ما يتلقاه زملاؤهم من تدريبات وفرص تعليمية. وبالتالي يفشلون في المساهمة بشكل بناء في برامج التنمية المحلية في بلادهم الأصلية.

الطابق الثاني

ومن يصل من الأفراد إلى الطابق الثاني، فهو غالباً، يكون في حالة معاناة من إحباط متزايد. حيث إنه لم يقابل في سعيه نحو الحراك الاجتماعى سوى طرق مسدودة. كما لم يسمح له بالتعبير عن آرائه الخاصة باتخاذ قرارات تؤثر في حياته اليومية. ومن أكثر ما يحبط الأفراد، عند هذا المستوى، هو هويته غير المكتملة. (مقدم، ٢٠٠٦). فمن المسئول عن هذا الإحباط؟ كثير من الباحثين يؤمنون أن الإجابة عن هذا السؤال على درجة كبيرة من الحيوية، حيث إن الأسباب المسئولة قد تصبح هدفاً لاعتداءات (ميلر، بدرسون، أيرلى واين وبولوك، ٢٠٠٣) مبالغ فيها.

إن استطلاعاً دولياً قد أوضح أن أسهم الولايات المتحدة قد انخفضت في نظر المجتمعات الإسلامية. حيث إنها تعتبرها مصدراً لمعظم المشاكل. (مركز بيو للأبحاث، ٢٠٠٦). ففي الفترة بين ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٦ استمر انخفاض النسبة المئوية التي تعبر عن الشعور بالتقدير للولايات المتحدة. حيث انخفضت في إندونيسيا من ٧٥ إلى ٣٠ وفي تركيا، من ٥٢ إلى ١٢، وفي الأردن من ٢٥ في عام ٢٠٠٢ إلى ١٥. وقد لوحظ تزايد طفيف في تقدير الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٦ في باكستان. ولكن في نفس السنة، امتد الانخفاض في التقدير إلى بلاد الاتحاد الأوروبي. فعلى سبيل المثال، النسبة المئوية في بريطانيا، هبطت من ٨٣ في عام ٢٠٠٠ إلى ٥٦ في عام ٢٠٠٦.

و هذا الاتجاه نفسه، ضد الولايات المتحدة، ينعكس في ردود أفعال كثير من الدول التي ترى خطورة في الدور المتزايد لها في العراق، حيث يهدد السلام العالمى أكثر من إيران.. وطبقاً لإندونيسيا: فإن الولايات المتحدة تمثل خطراً بنسبة ٣١٪ وإيران ترى نسبة خطورتها ٧٪، أما مصر فترى خطورتها بنسبة ٥٦٪، وإيران ١٤٪ والأردن ترى

الخطورة ٥٨٪ وإيران ١٩٪ وتركيا ترى خطورتها ٦٠٪، وباكستان ترى خطورتها ٢٨٪، وتركيا الخطورة ٦٠٪ ومن يرى أن إيران تمثل خطورة ١٦٪. (والصورة مختلفة وأكثر تباينا في بلاد الاتحاد الأوروبي. حيث ترى بعض الدول أن إيران تمثل خطورة على السلام العالمى، أكثر من الولايات المتحدة). وبشكل عام فقد تم اعتبار الولايات المتحدة وحلفاءها أصل ومصدر جميع المشاكل. المحلى منها والدولى أيضا. خاصة فى دول الشرق الأدنى والأوسط. فمشاكل الفساد والحكم المستبد والمشاكل الاقتصادية، وقصور الصحة، تنسب أيضا إلى الولايات المتحدة وحلفائها. وهذه السياسة يستغلها الحكام المستبدون والمحيطون بهم من مفسدين. حيث إنهم يشجعون مواطنيهم على توجيه هذا الشعور السلبى إلى الولايات المتحدة. بالطبع على الولايات المتحدة أن تتحمل مسئولية سياسيتها فى المنطقة. إلا أن البرامج يجب أن توجه الأفراد أيضا، إلى حقيقة الفساد الداخلى، الذى تتحمل الحكومات المحلية، الشق الأساسى منه.

الطابق الأول

إن البحث وراء فرص التقدم وتحقيق الحراك الاجتماعى، والقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة فى الأمور المهمة فى حياة الأفراد، هى التى تقود الأفراد إلى الطابق الأول على درج الإرهاب. ورغم أن هذه أولى الخطوات فى اتجاه تكوين الفكر والمسلك الراديكالى، فإن الأفراد فى هذا الطابق لا يكونون بعد فى طور يسمح لهم بمساندة الإرهاب، إن بالمواقف أو بالتصرفات. حيث يكونون لا يزالون فى مرحلة البحث عن سبل ووسائل تحسين حياتهم والقدرة على التعبير عن أنفسهم. كما أنهم فى هذه المرحلة لا يعتبرون أنفسهم راديكاليين.

إن برامج تخلى الأفراد عن الراديكالية، فى هذه المرحلة من الطابق الأول، لابد أن تركز على الثقافة والتعليم والبرامج السياسية بشكل عام. ويتأتى ذلك من خلال نشر برامج وأنشطة الثقافة العامة، فى مختلف مؤسسات الدولة، حتى يمكن أن تستوعب أكبر قدر من الشباب. ومنها الفنون والحرف الشعبية، كصناعة الأكلمة والسجاجيد

اليديوية أو فنون العمارة. أما على المستوى التعليمي، فكثير من الجهود يجب توجيهها، لإقامة مؤسسات ومعاهد تدريبية، بدلا من الاعتماد على الخبرة الغربية وحدها في التعليم. وأما على المستوى السياسي، فلا بد من نشر التوعية بالتقاليد الشعبية السائدة بالمجتمعات الإسلامية. لزيادة المشاركة السياسية والنهوض بحرية تعبير الشباب عن آرائه. (انظر: مناقشة التقاليد الديمقراطية للشيعية في مقدم، ٢٠٠٦، الفصل العاشر).

الطابق الأرضي، والحالة النفسية للمواطن

لاشك أن برامج فك الاشتباك مع الراديكالية تعمل بكفاءة أكثر عند تحديدنا الهدف عند كل مرحلة (طابق). فإذا تكلمنا عن الطابق الأرضي، حيث توجد الأغلبية من الأفراد، فإن هدف البرامج النفسية لا يجب أن يقتصر على محاولة إحداث تغير على المستوى العام وحده، Macro level أي من القمة إلى أسفل، حيث الحلول الاقتصادية والسياسية العامة، كوسيلة لتحقيق التغير الاجتماعي المنشود للأفراد. إذ لا يعتبر ذلك كافيا. إن طريقة أو أسلوب التفكير والعمل اليومي، والمعايير التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية، يمكن أن تجهض سياسات من القمة للأسفل أو Macro level.. وهذا يفسر لنا ما يعرف «بتناقض الثورة»، حيث تصنع الثورات تغيرات على مستوى القمة، ولكن ليس بالضرورة على المستوى الأقل أو ما يعرف بـ Micro level من القاع للأسفل. والتي تعنى بمشاكل الحياة اليومية للأفراد. (مقدم، ٢٠٠٢، خاصة الفصل الثاني).

إن خلافاً ما قد حدث نتيجة الاهتمام بسياسات القمة وحدها، والذي انعكس بدوره في التعويل على الإجراءات النفسية والاجتماعية لإحداث التغير الاجتماعي والعدالة والديمقراطية. (فينكل ومقدم، ٢٠٠٤، سنيدرمان، فليشر، ورسل، وتيلوك، ١٩٩٦، سوليفان وترانسو، ١٩٩٩، تيلوك، ١٩٩٨) بالإضافة إلى فتح باب واسع لمناقشة العلاقة بين الإسلام والديمقراطية (هانتر وماليك، ٢٠٠٥، روي، ٢٠٠٤، صديقي،

٢٠٠٤). إلا أن الأمر يتطلب مزيداً من الأبحاث في مجال نفسية الفرد عند مستوى الطابق الأرضي من المجتمعات الإسلامية. وماهية التغيرات النفسية المطلوبة لتفاعل الأفراد المجتمعي من أجل تحقيق نظام سياسي أكثر انفتاحاً وعدالة.

وحتى يستطيع المواطن أن يتكيف مع أى نظام سياسى، فيصبح مواطناً منتجاً ويواصل حياته العملية في ظل هذا النظام، لابد أن يتكيف على ذلك نفسياً بما ينعكس على المستوى الفكرى أو على مستوى السلوك والتصرفات. على سبيل المثال، فإن المواطن الذى يطلب منه المحافظة على نظام ديكتاتورى، يجب أن يتعامل معه بسماة الطاعة المطلقة والالتزام، إلى جانب الخنوع والتبعية التامة لنظام شديد المركزية. قد يستمر لمدى الحياة في بعض الأحيان. والأمر يختلف جذرياً بالنسبة للمواطن في ظل النظام الديمقراطي، حيث يتمتع بحرية توجيه النقد لقرارات الحاكم، كما يشترك في صنع القرارات. ويكون دائماً على استعداد للرفض والمعارضة ومحاسبة من هم في السلطة في سبيل مصلحة المجتمع. كما أن المواطن في الديمقراطيات يطالب بمبدأ تداول السلطة ويعارض مبدأ بقاء الحكام في السلطة مدى الحياة. ويحاول تقليص سرية قرارات الحكومة بقدر ما استطاع. وذلك بعكس ما يحدث من احتكار الحكومة للمعلومات في ظل سيادة الحكم المطلق.

يرى علماء النفس أن التدخل في عملية اتخاذ القرارات، يمكن أن يلعب دوراً بناءً في الحالة النفسية للمواطن. (تايلر وهيو، ٢٠٠٢)، خاصة فيما يتعلق ببناء الثقة، التي تشكل حجر الزاوية في تأسيس الديمقراطية. (وارين، ١٩٩٩). أثبتت التجارب أن مواطني الشرق الأدنى والأوسط، يحتاجون لمساعدة خاصة لتشجيعهم على ضرورة التدخل في عملية صنع القرارات. (فيجوتسكى، وانظر: مغدم، الفصل ١٠، ٢٠٠٥) وقد نجحت بالفعل تجارب علماء النفس في بناء دعائم الديمقراطية في مجتمعات مثل دول أمريكا اللاتينية. (سانشيز، ١٩٩٦). التي كانت تعاني من غياب تام للديمقراطية.

الصفات النفسية والمعايير العالمية

حالة الاحتياج إلى الهوية

استعرضنا سمات أساسية للمواطن في ظل أنظمة سياسية مختلفة، مثل النظام الديكتاتوري، أو النظام الديمقراطي. وتؤكد أبحاث علم النفس أهمية اكتساب معايير عالمية للهوية. ومطلوب توافرها في هوية الأفراد في جميع ثقافات العالم. فالهوية الإيجابية والمتميزة موجودة عبر مختلف الثقافات، وتؤثر على الأفراد بشكل قوى، خاصة في مجال التواصل بين المجموعات (مقدم، ٢٠٠٦). لقد تأكد أنه من خلال تدريب الشباب على الحصول على التقدير الاجتماعي، ومحاولة إنجاز أهداف إيجابية، فضلا عن تحقيق التميز (طبقا لمعايير المجتمع وأخلاقياته) من شأنه أن يحقق للمجتمعات الإنسانية المختلفة حدا أدنى من معايير الالتزام والطاعة، الساندة في كل المجتمعات، يترتب عليها، أداء جماعي أكثر فعالية في ظل الإمكانيات المتاحة.

وحينما يسعى الأفراد إلى التواصل فيما بينهم، تثرى هويتهم وتنصهر داخل هوية المجتمع الكبير. ورغم وجود معايير عالمية للحكم على الهوية، إلا أن هناك اختلافات في تقييم مدى كفايتها، وفقا لاختلاف القيم من مجتمع لآخر نتيجة لتباين الثقافات السائدة. وعلى سبيل المثال، فتقييم الأفراد الذين ينتمون للخلية الإرهابية الصغيرة، في الطابق الرابع والخامس (على سلم الإرهاب)، يتأثر بحجم النشاط الذي يبذل في مساندة الإرهاب، بشكل تصاعدي. فالإطار المعياري السائد داخل هذه الخلايا وتأثير وجود قائد «كاريزمي»، هو الذي يدفع المجندين من الشباب، لارتكاب الاعتداءات الإرهابية، إرضاء لاحتياجات الهوية. ونحن نحتاج ولاشك، فضلا عن ضرورة التخطيط، للقبض على تلك الخلايا أو تدميرها، برامج طويلة المدى، بهدف التأثير على المعايير السائدة لتقييم الهوية لمواطني الطابق الأرضي من المبنى. حيث يوجد أغلب الناس.

تعليق ختامى

طبقاً لتصورنا للدرج الإرهابى، فإن الحاجة ملحة إلى أسلوب متعدد الجوانب لبحث الأفراد على التخلي عن الراديكالية، مع الوضع فى الاعتبار ضرورة تطبيق برامج قصيرة وطويلة المدى لاستهداف الأفراد فى مختلف الطوابق وباختلاف أدوارهم فى كل طباق. ففى المدى الطويل يجب أن يعطى التركيز والأولوية لمئات الملايين من الأفراد فى الطابق الأرضى. ورغم أن الاستطلاعات العالمية الأخيرة تشير إلى أن كثيراً من الشباب المسلم قد تبنى المنهج الراديكالي عند المستوى الأرضى، فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، إلا أننا نأمل ولدينا ما يدعم هذه الآمال، أنه فى الإمكان بالفعل، التخلي عن الراديكالية سريعاً. إن برامج فك الاشتباك مع الراديكالية، تكون، كما أشرنا من قبل، أكثر كفاءة إذا طبقت مزيجاً من سياستى من القمة إلى القاع The Macro Level ومن القاع إلى القمة The Micro level. ولا شك أن علم النفس قادر على تصميم سياسات أكثر كفاءة بفضل هذا المزج.

وأخيراً فلا بد أن تسد أبحاث المستقبل عدداً من الفجوات التى اشتمل عليها هذا النقاش.

فلا بد من تصميم، برامج نفسية، تقابل كلاً من التخصصات التسع أو الأدوار التى تم رصدها للأفراد داخل المنظمات الإرهابية. إلى جانب اللجوء إلى أنواع أخرى من التدخلات المقترحة. هناك أيضاً الحاجة إلى مزيد من الأبحاث الخاصة باستكشاف السمات والملامح الأخلاقية المختلفة للفرد على مختلف مستويات سلم الإرهاب، بالإضافة إلى رصد التغيرات التى تطرأ عليه إذا تحرك من طباق إلى آخر صعوداً أو نزولاً. وأخيراً، فإن أبحاث المستقبل يجب أن تتناول مجال المقارنة بين مختلف العمليات المصاحبة لاكتساب الراديكالية أو التخلي عنها، بين الأفراد والمجموعات.

- Alexander, Y. (2002). *Combating terrorism: Strategies of ten countries*. Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.
- Art, R. J., & Richardson, L. (2007). *Democracy and counterterrorism*. Washington, DC: United States Institute of Peace.
- Balfour, S. (Ed.) (2005). *The politics of contemporary Spain*. London: Routledge.
- Bernard, C. (Ed.) (2005). *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization*. Santa Monica, CA: RAND Corporation.
- Bloom, M. (2005). *Dying to kill: The allure of suicide terror*. New York: Columbia University Press.
- Bongar, B., Brown, L. M., Beutler, L. E., Breckenridge, J. N., & Zimbardo, P. (Eds) (2006). *Psychology of terrorism*. New York: Oxford University Press.
- Catanzaro, R. (Ed.) (1991). *The Red Brigades and left-wing terrorism in Italy*. London: Pinter.
- Coogan, T. P. (2002). *The IRA*. New York: Palgrave.
- Crenshaw, M. (1991). How terrorism declines. *Terrorism and Political Violence*, 3, 69–87.
- Crenshaw, M. (Ed.) (1995). *Terrorism in context*. University Park: Pennsylvania University Press.
- Cronin, A. K. (2006). How al-Qaida ends: The decline and demise of terrorist groups. *International Security*, 31, 7–48.
- Danieli, Y., Brom, D., & Waizer, J. (Eds) (2005). *The trauma of terror: Sharing knowledge and sharing care*. New York: Haworth Press.
- Enders, W., & Sandler, T. (2000). Is transnational terrorism becoming more threatening? A time-series investigation. *Journal of Conflict Resolution*, 44, 307–332.
- Finkel, N., & Moghaddam, F. M. (Eds) (2004). *The psychology of rights and duties: Empirical contributions and normative commentaries*. Washington, DC: American Psychological Association Press.
- Grossman, D. (1995). *On killing: The psychological cost of learning to kill in war and society*. New York: Little Brown.
- Haddock, G. (Ed.) (2004). *Contemporary perspectives on the psychology of attitudes*. Hove, England: Psychology Press.
- Horgan, J. (2005). *The psychology of terrorism*. London: Routledge.

- Hunter, S. T., & Malik, H. (Eds) (2005). *Modernization, democracy, and Islam*. Westport, CT: Praeger.
- Khosrokhavar, F. (2005). *Suicide bombers: Allah's new martyrs* (Trans. D. Macey). London: Pluto Press.
- Lalonde, R. N., & Silverman, R. A. (1994). Behavioral preferences in response to social injustice: The effects of group permeability and social identity salience. *Journal of Personality and Social Psychology*, 66, 78–85.
- LaPiere, R. T. (1934). Attitude and actions. *Social Forces*, 13, 230–237.
- Linenthal, E. T. (2001). *The unfinished bombing: Oklahoma City in American memory*. New York: Oxford University Press.
- Lorenz, K. (1966). *On aggression* (Trans. M. Wilson). New York: Harcourt, Brace & World.
- McDermott, T. (2005). *Perfect soldiers: The hijackers – who they were, why they did it*. New York: HarperCollins.
- Milgram, S. (1974). *Obedience to authority: An experimental view*. New York: Harper & Row.
- Miller, N., Pederson, W. C., Earlywine, M., & Pollock, V. E. (2003). A theoretical model of triggered displaced aggression. *Personality and Social Psychology Review*, 7, 75–97.
- Moghaddam, F. M. (1997). *The specialized society: The plight of the individual in an age of individualism*. Westport, CT: Praeger.
- Moghaddam, F. M. (1998). *Social psychology: Exploring universals in social behavior*. New York: Freeman.
- Moghaddam, F. M. (2002). *The individual and society: A cultural integration*. New York: Worth.
- Moghaddam, F. M. (2005a). The staircase to terrorism: A psychological exploration. *American Psychologist*, 60, 161–169.
- Moghaddam, F. M. (2005b). *Great ideas in psychology: A cultural and historical introduction*. Oxford: Oneworld.
- Moghaddam, F. M. (2006a). *From the terrorists' point of view: What they experience and why they come to destroy*. Westport, CT: Praeger Security International.
- Moghaddam, F. M. (2006b). Interobjectivity: The collective roots of individual consciousness and social identity. In T. Postmes, & J. Jetten (Eds), *Individuality and the group: Advances in social identity* (pp. 155–174). London: Sage.
- Moghaddam, F. M. (2008). *Multiculturalism and intergroup relations: Psychological implications for democracy in global context*. Washington, DC: American Psychological Association Press.
- Moghaddam, F. M., & Marsella, A. J. (Eds) (2004). *Understanding terrorism: Psychosocial roots, consequences, and interventions*. Washington, DC: American Psychological Association Press.
- Moghaddam, F. M., & Taylor, D. M. (1986). What constitutes an 'appropriate psychology' for the developing world? *International Journal of Psychology*, 21, 253–267.

- Nesser, P. (2005). Profiles of Jihadist terrorists in Europe. In C. Bernard (Ed.), *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization* (pp. 31–49). Santa Monica, CA: RAND Corporation.
- Oliver, A. M., & Steinberg, P. F. (2005). *The road to Martyr's Square: A journey into the world of the suicide bomber*. New York: Oxford University Press.
- Pape, R. A. (2005). *Dying to win: The strategic logic of suicide bombing*. New York: Random House.
- Pedahzur, A. (2005). *Suicide terrorism*. London: Polity Press.
- Perlez, J. (2007). Seeking terror's causes, Europe looks within. *The New York Times*, September 11, p. A6.
- Pew Research Center (2006). *Conflicting views in a divided world: How global public views Muslim-Western relations, global issues, U.S. role in the world, Asian rivalries*. Washington, DC: Author.
- Rapoport, D. C. (1984). Fear and trembling: Terrorism in three religious traditions. *American Political Science Review*, 78, 658–677.
- Ro'i, Y. (Ed.) (2004). *Democracy and pluralism in Muslim Eurasia*. London: Frank Cass.
- Ross, J. I., & Gurr, T. R. (1989). Why terrorism subsides: A comparative study of Canada and the United States. *Comparative Politics*, 21, 405–426.
- Sadiki, L. (2004). *The search for Arab democracy: Discourses and counter-discourses*. London: Hurst.
- Sageman, M. (2004). *Understanding terror networks*. Pennsylvania: University of Pennsylvania Press.
- Sanchez, E. (1996). The Latin American experience in community social psychology. In S. C. Carr, & J. F. Schumaker (Eds), *Psychology and the developing world* (pp. 119–129). Westport, CT: Praeger.
- Sniderman, P. M., Fletcher, J., Russell, P., & Tetlock, P. E. (1996). *The clash of rights: Liberty, equality, and legitimacy in liberal democracy*. New Haven: Yale University Press.
- Sprinzak, E. (1998). The psychopolitical formation of extreme left terrorism in a democracy: The case of the Weathermen. In W. Reich (Ed.), *Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, and states of mind* (pp. 65–85). Washington, DC: Woodrow Wilson Center Press.
- Stout, C. E. (Ed.) (2002). *The psychology of terrorism* (4 vols). Westport, CT: Praeger.
- Sullivan, J. L., & Transue, J. E. (1999). The psychological underpinnings of democracy: A selective review of research on political tolerance, interpersonal trust, and social capital. *Annual Review of Psychology*, 50, 625–650.
- Taarby, M. (2005). Yemen's committee for dialogue: The relativity of a counter terrorism success. In C. Bernard (Ed.), *A future for the young: Options for helping Middle Eastern youth escape the trap of radicalization* (pp. 129–139). Santa Monica, CA: RAND Corporation.
- Takeyh, R., & Gvosdev, N. (2002). Do terrorist networks need a home? *Washington Quarterly*, 25, 97–108.

- Taylor, D. M., & Moghaddam, F. M. (1994). *Theories of intergroup relations: International social psychological perspectives* (2nd ed.) Westport, CT: Praeger.
- Tetlock, P. E. (1998). The ever-shifting psychological foundations of democratic theory: Do citizens have the right stuff? *Critical Review*, 12, 545–561.
- Tucker, R. C. (1967). The de-radicalization of Marxist movements. *The American Political Science Review*, 61, 343–358.
- Tyler, T. R., & Huo, Y. J. (2002). *Trust in the law*. New York: Russell Sage Foundation.
- United States Institute of Peace (1999). *How terrorism ends*. Special Report No. 48. Washington, DC: Author.
- Urban, L. M., & Miller, N. (1998). A theoretical analysis of crossed categorization effects: A meta analysis. *Journal of Personality and Social Psychology*, 74, 894–908.
- Von Hippel, K. (Ed.) (2007). *Europe confronts terrorism*. New York: Palgrave Macmillan.
- Warren, M. E. (Ed.) (1999). *Democracy and trust*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Zebian, S., Alamuddin, R., Maalouf, M., & Chatila, Y. (2007). Developing an appropriate psychology through culturally sensitive research practices in the Arab-speaking world: A content analysis of psychological research published between 1950 and 2004. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 38, 91–122.
- Zimbardo, P. (2007). *The Lucifer effect: Understanding how good people turn evil*. New York: Random House.

المحرر في سطور:

ديفيد كانتر

أستاذ علم نفس، ومدير المركز الدولي للأبحاث الخاصة بالتحقيقات النفسية بجامعة هادرسفيلد. وهو مؤسس صحيفة ويلي للتحقيقات النفسية الخاصة والصفات الشخصية للمجرمين.. وقد عمل في هذا المجال مع قوات البوليس حول العالم. مساهما في نشأة هذا الفرع المعروف بالتحقيقات النفسية. مما مهد الطريق لإجراء دراسات دقيقة ومفصلة عن الإرهابيين.

ومنذ عام ١٩٨٦، أسهم البروفسور كانتر في أكثر من ١٥٠ تحقيقا لجرائم متنوعة حول العالم. وقد حصل مؤخرا على الزمالة الشرفية. BPS، كما حصلت كتبه الآتية جوائز مهمة: «ظلال إجرامية: داخل رأس قاتل بالجملة» (١٩٩٥). و«تخطيط للقتل: أسرار تحديد الشخصية الإجرامية جغرافيا».

المساهمون في سطور:

١ - كيفين برجيسون:

حاصل على درجة الدكتوراه، وأستاذ مساعد بقسم العدالة الجنائية بكلية سالم، حيث يقوم بتدريس فصول تتناول التحقيقات الخاصة بمسرح الجريمة، والصفات الشخصية للقاتل، إلى جانب الجرائم المتحيزة. وقد ظهرت أعماله بجريدة الاجتماع التطبيقى Journal of applied Sociology ودورية ميتشيجان للاجتماع Michigan Sociological review ودورية علوم السلوكيات American Behavioral Science. وقد اشترك في تحرير كتاب «الإرهاب في أمريكا» (للتاشر جونز وبارلت، ٢٠٠٨).

٢ - ماري برنسون:

تعد رسالة الدكتوراه بقسم الاتصالات بجامعة كاليفورنيا، بسانتا بربرا، وقد حصلت على بكالوريوس في العلوم السياسية والاتصالات من جامعة لويولا بشيكاغو، كما حصلت على درجة الماجستير في الاتصالات من جامعة سانت لويس. وتركز أبحاثها على مجال الإعلام والاتصال بين الثقافات المتعددة. وقد نشرت أعمالها بدورية الدراسات العربية إلى جانب دورية هارفرد Harvard Asian Pacific Review. كما قدمت أعمالها بمؤتمرات خاصة بالاتصالات ودراسات الشرق الأوسط. وتركز رسالتها «المسلمون في الإعلام: نتائج اجتماعية لمسلمي الولايات المتحدة الأمريكية». على مدى تأثير مسلمي أمريكا بصورتهم في وسائل الإعلام المختلفة. من ناحية احترامهم لذاتهم، وهو يتهم وأنباط اكتسابهم لثقافة جديدة.

٣ - مارك بورجس:

يعمل محاضرا بجامعة أكسفورد بروكس بالمملكة المتحدة. وقد تخصص في علم النفس الاجتماعي للتحدى. وقد قام بعدة تجارب معملية. كما سبق له القيام بتحقيقات وإجراء مقابلات مع أفراد اتسموا بالعنف ومع أفراد عاديين، من شتى أنحاء أوروبا وأمريكا الشمالية. وأهم مجالات أبحاثه يتناول طرق إجراء المقابلات.

٤ - ديفيد كانتر:

أستاذ علم نفس بجامعة هادرسفيلد بالمملكة المتحدة، حيث يدير المركز الدولي لعلم النفس الخاص بالتحقيقات. وهو معروف عالميا بجهوده في مجال تطوير علم النفس التطبيقي وإعداد تقارير دقيقة، تتناول الصفات الشخصية لمرتكبي الجرائم. وقد أعد أبحاثا عديدة تخدم مجال التحقيقات. وبدأ هذا الطريق، من خلال عمله في مجال علم نفس البيئة ودراسة تصرفات وسلوكيات الأفراد أثناء الحرائق وغيرها من حالات الطوارئ.

تميز إنتاجه بالغزارة في مجالات عديدة لعلم النفس الاجتماعي التطبيقي. وتم اختباره متحدثا أساسيا في عدة مؤتمرات دولية. كما سبق له أن كان مستشارا في تحقيقات عديدة وقضايا محاكم وتحقيقات حكومية. وهو يكتب بصحف معروفة ويساهم في العديد من الأفلام الوثائقية.

٥ - نيل فيرجسون:

مدير مركز ديزموند توتو للحرب والسلام، وأستاذ مساعد لعلم النفس السياسي بجامعة ليفربول هوب. وكان محاضرا زائرا بجامعة لوك هيفن ببنسلفانيا وجامعة يورك. كما كان باحثا بجامعة سانت أندروز، ومحاضرا بجامعة ألستر قبل انضمامه إلى جامعة ليفربول هوب عام ١٩٩٦. تتناول أبحاثه وكتاباته، التطور النفسى إلى جانب

موضوعات أخرى في مجال علم النفس السياسى. وحاليا يعمل مديرا لمؤسسة موزايك. كما يقدم خدمات لمجلس المجتمع الدولى لعلم النفس السياسى. وهو عضو بمجلس التحرير لصحيفة التربية النفسية وللصحيفة الأيرلندية لعلم النفس.

٦ - ديباك.ك.جوبتا:

هو البروفسور فريد.ج. هانسن المتخصص في دراسات السلام. أستاذ بارز في العلوم السياسية. ومدير برنامج الأمن الدولى وإدارة الأزمات بجامعة سانت ديجو. وقد ألف ثمانية كتب وما يربو عن مائة مقال تم نشرها بصحف متخصصة، كما تم تحريرها بعدة مجلدات وصحف.

٧ - دكتور جون هورجان:

مدير المركز الدولى لدراسة الإرهاب بجامعة بنسلفينيا، حيث يعمل أستاذا مساعدا للعلوم والتكنولوجيا والمجتمع. وكان من قبل باحثا أول بجامعة سانت أندروز وذلك بمركز دراسات الإرهاب والعنف السياسى بإسكتلندا، حيث ما زال يحتفظ بمركز شرفى. ومن مؤلفاته «علم نفس الإرهاب» (٢٠٠٥) و«مستقبل الإرهاب» (١٩٩٩) بالاشتراك مع ماكس تايلور) و«نبذ الإرهاب: فك الاشتباك الفردى والجماعى» (٢٠٠٩) بالاشتراك مع تور بجورجو). آخر كتبه «هجر الإرهاب: عن فك الاشتباك مع حركات التطرف والأصولية» وقد تم نشره فى يونيو ٢٠٠٩.

٨ - جورج كاسيميرس:

باحث أول فى مجال الإرهاب والأزمات بجامعة ولفرتهامتون. ومؤلف كتاب «آخر الإرهابيين الحمر بأوروبا»، وهو أول كتاب يتناول مجموعة ١٧ نوفمبر (أصدرته جامعة نيويورك). وقد قام بتحرير كتاب «بربرية الحروب» (أصدرته جامعة نيويورك). وكذلك السياسة والإرهاب: دليل المستخدم (أصدرته جامعة كولومبيا).

٩ - فتحالى.م.موغدم:

أستاذ بقسم علم النفس ومدير برنامج إدارة الأزمات بالقسم التابع للحكومة بجامعة جورج تاون. وزميل Senior Fellow بمركز ستانفورد للتعليم والأبحاث الخاصة بالإرهاب. ومن أحدث كتبه: «تباين الثقافات والعلاقة بين المجموعات: النتائج النفسية لتطبيق الديمقراطية في سياق عالمي» (اب ٢٠٠٨) و«إدارة الأزمات العالمية من خلال التحليل» Global Conflict Resolution through Positioning Analysis. (سبرينجر ٢٠٠٨ بالاشتراك مع هارى وناومى لى) وكذلك «كيف تحفز العولمة الإرهاب» How Globalization Spurs Terrorism (بريجر، ٢٠٠٨). وكتابه القادم هو «ظاهرة نقص الأمان بعالمنا الجديد» (بريجر، ٢٠١٠).

١٠ - سام مولينز:

حصل على درجة الماجستير في علم النفس من جامعة جلاسجو، وذلك قبل حصوله على ماجستير بدرجة امتياز في علم النفس الخاص بالتحقيقات. من جامعة ليفربول بالمملكة المتحدة. ويقوم حالياً بأبحاث للحصول على درجة الدكتوراه. تتناول الإرهاب الإسلامى ونشأته المحلية Homegrown Islamist terrorism. وذلك بمركز منع الجرائم خارج الوطن the Center for Transnational Crime Prevention، بجامعة ولونجونج بأستراليا. وقد نشرت له أعمال عن الإرهاب والجريمة وتنظيم الأمن بالمجتمع.

١١ - أفرارد فيلبس:

يقوم بإعداد درجة الدكتوراه بجامعة ليفربول. وتتناول أبحاثه موضوع السلوك الابتزازى لجرائم الاختطاف. وهو متخصص في الملاحم الشخصية المسئولة عن جرائم قتل الرهائن. وكذلك وسائل تفاوض المختطفين للحصول على الفدية. كما تغطي أبحاثه جرائم الاختطاف المعاصرة ذات الدوافع السياسية. كما هو الحال في العراق وأفغانستان. وإن كانت نقطة تركيزه الأساسية تتناول سلوكيات التنظيمات التى تمارس عمليات

الاختطاف بشكل منتظم في كل من أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وغرب أفريقيا. وقد تخاطب أفراد مع فئات مختلفة من الجماهير في هذا الموضوع. ضمت دبلوماسيين وعسكريين والعديد من المنظمات الدولية الخاصة بالأمن والمخاطر.

١٢ - جيفرى إيان روس:

أستاذ مساعد بقسم علم الجريمة والعدالة والدراسات الجنائية. وزميل بالمركز الدولى والقانون المقارن بجامعة بالتمور. وقد قام بأبحاث وألف كتباً، كما حاضر عن الأمن القومى والعنف السياسى والجريمة السياسية وجرائم العنف والإجراءات العقابية وتنظيم المجتمع لأكثر من عقدين. وقد تم نشر أعماله في عدة مجلات أكاديمية وكتب. وغيرها من إصدارات معروفة. كما نشرت له عدة كتب في مجال تخصصه. فضلاً عن مساهمته أيضاً في العديد من وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة. وقد عمل مستشاراً لعدد من الهيئات الحكومية والمنظمات التجارية.

١٣ - سودهانشو سارانجى:

ضابط برتبة عليا بالشرطة في الهند. وحاليا على رأس وحدة مكافحة الإرهاب في ولاية أوريسا الشرقية بصفته مفتشاً عاماً للبوليس بقسم العمليات. ولديه باع طويل في التعامل مع تطرف الجناح اليسارى. ومستر سارانجى طالب سابق بجامعات بريطانيا، ويعد حالياً رسالة الدكتوراه ويشرف عليها البروفسور ديفيد كاتر، وتتناول العوامل النفسية المؤدية إلى الجهاد العسكرى.

١٤ - مايكل ستول:

أستاذ ورئيس قسم الاتصالات وأستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا بسانتا بربارة. ويركز بحثه على وسائل الاتصال السياسى والعلاقات الدولية، ويهتم بصفة خاصة بمسألة العنف السياسى والإرهاب وحقوق الإنسان. وقد ألف أو ساهم في تأليف أكثر من مائة مقال بمجلات أكاديمية. إلى جانب كتابة فصول للعديد من

الكتب. وقام بتأليف أو الاشتراك في تحرير اثني عشر كتابا. وهو حاليا محقق دولي لمجلس الأبحاث الأسترالي. وهو مركز يقوم بتنظيم الأمن في المجتمع، وذلك بالاشتراك مع جامعة أستراليا الوطنية وجامعة جريفيث.

١٥ - أماندا م. شارب باركر:

طالبة دكتوراه في علم الجريمة بجامعة جنوب فلوريدا بتامبا. وقد حصلت على شهادة البكالوريوس ودرجة الماجستير في علم العدالة الجنائية من جامعة كارولينا الشرقية بجرينفيل بكارولينا الشمالية. وتشمل موضوعات بحثها، التهديد الإرهابي، خاصة عبر شبكة الإنترنت وأسباب الإرهاب واتجاهات الإرهاب خارج حدود البلاد. وقد قامت بتقديم تلك الموضوعات من خلال إلقاء المحاضرات عبر الولايات المتحدة وإنجلترا وإسبانيا وبولندا وشمال أيرلندا.

١٦ - د. ألكس ب. شميدت:

مدير مبادرة أبحاث الإرهاب (TRI) ورئيس تحرير المجلة الإلكترونية « وجهات نظر عن الإرهاب ». وأثناء حياته المهنية عمل بثمانى جامعات، كما عمل بالأمم المتحدة، حيث ترأس فرع منع الإرهاب. وحتى ٢٠٠٩ كان مديرا لمركز دراسات الإرهاب والعنف السياسى بجامعة سانت أندروز. وهو عضو مراسل لأكاديمية هولندا الملكية للعلوم. ويقيم حاليا بالنمسا، حيث يستكمل كتابا عن أبحاث الإرهاب.

١٧ - كليف وليمز:

خبير عن الإرهاب والعنف ذى الدوافع السياسية. عمل في حياته المهنية بالمخابرات الحربية بأستراليا وبسياسة الدفاع الإستراتيجية بأستراليا والمخابرات. وقد عمل في قضايا تتعلق بالإرهاب منذ ١٩٨٠. وخلال الثلاث سنوات الأخيرة عمل كأستاذ زائر بجامعة كاليفورنيا وجامعة جورج واشنطن. وفي عام ٢٠٠٦ عين أستاذا مساعدا بمركز ماكوير الجامعى للمخابرات ومكافحة الإرهاب. بسيدنى (PICT) كما كان أستاذا زائرا بأكاديمية قوات الدفاع الأسترالية. وهو عضو بمنظمة مديرى الشرطة

(IACP) والمنظمة الدولية للفنيين العاملين في مجال القنابل والمحققين. (IABTI) وكذلك المعهد الأسترالى لضباط المخابرات (AIPIO) ..

١٨ - روبن ماريا فاليرى:

حاصلة على درجة دكتوراه. وقد حصلت أولاً على شهادة البكالوريوس في علم النفس والاقتصاد من جامعة كورنيل، وعلى درجة الماجستير والدكتوراه في علم النفس من جامعة سيراكوز. وتعمل حالياً أستاذة علم نفس بجامعة بونافونتين. وقد تم نشر أبحاثها بعدة مجلات خاصة بعلم النفس والاجتماع مثل المجلة الأمريكية العلمية للسلوكيات ومجلة علم النفس الاجتماعى التطبيقى ومجلة الاجتماع التطبيقى. ودورية متشيجان للاجتماع. والمجتمع والحيوانات Society and Animals.

١٩ - د. مايكل فشنيفسكى:

يعمل محاضراً غير متفرغ في علم الجريمة بجامعة سالفورد بالمملكة المتحدة، وهو منسق لمركز جامعة سالفورد الخاص بدراسات السجون. (www.sucps.salford.ac.uk) وحصل على درجة الدكتوراه في علم الجريمة من جامعة كييل بالمملكة المتحدة. وكان عنوان رسالته «دراسة اجتماعية تاريخية عن ظهور وتطور شبكات الإرهاب في مرحلة ما بعد الجمهورية السوفيتية الشيشانية» وقد كان إسهامه في فصول هذا الكتاب من واقع النتائج التى توصل إليها في بحثه الخاص بالدكتوراه.

حاضر في عدة فصول خاصة بعلم الجريمة والعلوم السياسية. وأبحاثه تتناول الإرهاب والعنف السياسى والتطرف فى الشيشان والسجون. ويمكن الاتصال به عبر العنوان الإلكتروني التالى. M.Vishnevetsky@salford.ac.uk.

المترجمة في سطور:

جيهان الحكيم

- عملت أستاذة للغة العربية والترجمة بمعهد اللغة العربية بالجامعة الأمريكية من عام ١٩٩٥ - ٢٠٠٥.
- تخرجت في مدرسة اللغسيه الفرنسية عام ١٩٧٣، ثم حصلت على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٧.
- درست الأدب الفرنسي بالمركز الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٧٨.
- حصلت على شهادات في اللغة الألمانية والترجمة من معهد جوتة بالقاهرة ١٩٨٦.
- حصلت على دبلوم في الترجمة من الجامعة الأمريكية ١٩٨٩.
- حصلت على شهادة تدريب للتدريس من الجامعة الأمريكية ١٩٩١.
- حصلت على ماجستير في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٩٩. موضوع الرسالة: تركيب الجملة في لغة الصحافة المصرية. دراسة كمية ومقارنة في جريدة الأهرام ١٩٣٧ - ١٩٩٧.
- عملت أيضًا أستاذة للغة العربية بالمرحلة الثانوية بالكلية الأمريكية بالمعادي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠.
- وعملت أخيرًا في مركز الأبحاث الأمريكية بالقاهرة ٢٠٠٥، وأستاذة ومترجمًا للباحثين الأمريكيين في مجالات: الآثار المصرية، وتنظيم الأسرة، والسياسة والاقتصاد.

ومن ترجماتها:

- ولا تزال اللجنة بعيدة - نساء العالم في مواجهة القرن الجديد. تحرير: جوديث مركي وماتي رادليت. صدر عن المركز القومي للترجمة ٢٠٠٧.
- إعادة التفكير في القرن الحادي والعشرين. مشكلات «جديدة» وحلول «قديمة»، تحرير: إيمي إيكرت - لورا سجویج. صدر عن المركز القومي للترجمة ٢٠١١.

التصحيح اللغوى: رجب عبد الوهاب
الإشراف الفنى: محسن مصطفى

